

الجزء الاول  
من كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى  
تأليف العالم العلامة المحقق الفهامة وحيد  
الاولان وفريد الزمان بحر العلوم الراوى  
الشيخ آجدين خالد الناصرى  
السلاموى حفظه الله  
وأدام علاه  
آمين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



فهرست الجزء الاول من كتاب الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى

تحفة	حكمة
٤٦ ولاية يزيد بن أبي مسلم على المغرب	٢ مقدمة في فضل علم التاريخ
٤٧ ولاية بشر بن صفوان على المغرب	٤ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه
٤٧ ولاية عميدة بن عبد الرحمن على المغرب	٩ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٤٨ ولاية عميد الله بن الحجاب على المغرب	١٣ خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
٤٩ ولاية كلثوم بن عيانش على المغرب ومقتله	١٧ خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان
٥١ ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب	٢١ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٥١ ذكر صالح بن طريف البرغواطى المتنبئ ومخرقته	٢٨ القول في نسب البربر وبيان أصلهم
٥٢ الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب	٣٠ القول في تقسيم شعوب البربر على الجملة
وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم	٣١ الخبر عن حال البربر قبل الاسلام وذكر بعض
٥٤ استيلاء الياس بن حبيب على المغرب	أمصار المغرب القديمة وما قبل في ذلك
٥٤ استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وفتنة	٣٣ القول في تحديد المغرب وذكر حال البربر بعد
عاصم بن جميل المتنبئ ومقتله	الاسلام
٥٥ استيلاء عبد الملك بن أبي الجعد على المغرب	٣٤ ولاية عمرو بن العاص رضي الله عنه وفتحه
٥٥ استيلاء عبد الاعلى بن السمح على المغرب	برقة وطرابلس
وظهور الصفرية من آل مدرار الحكاسيين	٣٥ ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وفتحه
٥٧ ولاية محمد بن الاشعث على المغرب وبنائهم	افريقية
مدينة سجلماسة	٣٦ ولاية معاوية بن حديج على المغرب
٥٧ ولاية الاغلب بن سالم التميمي على المغرب	٣٦ ولاية عقبة بن نافع الفهري على المغرب وبنائهم
٥٨ ولاية عمر بن حفص هزارم على المغرب	مدينة القيروان
٥٨ ولاية يزيد بن حاتم على المغرب	٣٧ ولاية أبي المهاجر دينار وفتحه المغرب الاوسط
٥٩ ولاية روح بن حاتم على المغرب	٣٨ ولاية عقبة بن نافع الثانية وفتحه المغرب
٦٠ القول في مذاهب أهل المغرب أصولا وفروعا	الاقصى ومقتله
٦٤ الخبر عن دولة آل ادريس بالمغرب الاقصى	٣٩ ذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة
٦٧ دخول ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاقصى	أسمائهم على حروف المهجم
٦٨ بيعة الامام محمديس بن عبد الله رضي الله عنه	٤١ ذكر اختلاف العلماء في أرض المغرب هل
٦٨ غزو ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الاقصى	فتحت عنوة أو صلحا أو غير ذلك
وفتحة اياها	٤٢ ولاية زهير بن قيس البلوي على المغرب ومقتل
٦٩ غزو ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاوسط	كسيلة وما يتبع ذلك
وفتح مدينة تلمسان	٤٢ ولاية حسان بن النعمان على المغرب وتخريبه
٦٩ وفاة ادريس بن عبد الله والسبب في ذلك	قرطاجنة
٧٠ أمر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله رحمه الله	٤٣ ولاية موسى بن نصير على المغرب وفتحه الاندلس
٧٠ الخبر عن دولة ادريس بن ادريس رحمه الله	٤٦ ولاية محمد بن يزيد على المغرب
٧١ وفود العرب على ادريس بن ادريس رحمه الله	٤٦ ولاية اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على
٧٢ بناء مدينة قاس	المغرب

حكيمة	حكيمة
٧٤ غزو ادريس بن ادريس المغربي واستيلاؤه	٨٦ قدوم القائد جوهر الشيباني من افريقية الى المغرب واستيلاؤه عليه
٧٥ وفاة ادريس بن ادريس رحمه الله	٨٧ قدوم بلالين بن زيري بن مناد الصنهاجي الشيباني من افريقية الى المغرب
٧٥ انخبر عن دولة محمد بن ادريس	٨٧ قدوم غالب الاموي الى المغرب وتغريب آل ادريس الى الاندلس
٧٥ حدوث الفتنة بين بني ادريس	٨٨ حدوث النفرة بين الحكم والحسن
٧٦ وفاة محمد بن ادريس رحمه الله	٨٨ عود الحسن بن كنون الى المغرب ومقتله
٧٦ انخبر عن دولة علي بن محمد بن ادريس	٨٩ انخبر عن دولة زناتة من مغراوة وبني يفرن
٧٦ انخبر عن دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس	٩١ انخبر عن دولة زيري بن عطية المغراوي بفاس والمغرب
٧٨ انخبر عن دولة علي بن عمر بن ادريس	٩١ حديث أبي البهار الصنهاجي مع المنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك
٧٨ انخبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس	٩١ وقادة زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر بالاندلس
٧٩ انخبر عن دولة يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس	٩٢ استيلاء يدو بن يعلى اليفرني على فاس ومقتله
٧٩ استيلاء العبيديين من الشيعة على المغرب الاقصى وقدوم قائدهم مصالة بن حبوس	٩٢ بناء مدينة وجدة
٨٠ عود المغرب الاقصى الى الادارسة وظهور الحسن الحجاج ابن محمد بن القاسم بن ادريس	٩٢ حدوث النفرة بين زيري بن عطية والمنصور ابن أبي عامر وما نشأ عن ذلك
٨٠ خروج الحسن الحجاج لقتال موسى بن أبي العافية	٩٣ قدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر مدينة فاس وما كان من شأنها
٨١ انخبر عن دولة آل أبي العافية المكناسيين	٩٤ بقية أخبار زيري بن عطية
٨١ طرد موسى بن أبي العافية آل ادريس من أعمال المغرب وحصره اياهم بحجر النمر	٩٤ انخبر عن دولة المعز بن زيري بن عطية المغراوي
٨١ استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان	٩٥ انخبر عن دولة حمامة بن المعز بن عطية المغراوي
٨٢ انحراف موسى بن أبي العافية عن الشيعة الى بني مروان وما نشأ عن ذلك	٩٥ انخبر عن ثورة أبي الكمال تميم بن زيري اليفرني واستيلائه على فاس وأعمالها
٨٢ ثورة أحمد بن بكر الجذامي بدعوة المروانيين بفاس وما نشأ عن ذلك	٩٦ انخبر عن دولة دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي
٨٢ حرب ميسور مع موسى بن أبي العافية	٩٦ انخبر عن دولة فتوح بن دوناس المغراوي
٨٣ بقية أخبار آل أبي العافية بالمغرب	٩٦ انخبر عن دولة معنصر بن جاد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوي
٨٤ انخبر عن الدولة الثانية للادارسة ببلاذ الريف	٩٧ انخبر عن دولة تميم بن معنصر المغراوي
٨٥ انخبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم ابن ادريس	٩٨ انخبر عن الدولة الصنهاجية اللتونية المرابطية
٨٥ انخبر عن دولة أبي العيش أحمد بن القاسم كنون	٩٩ انخبر عن رياسة يحيى بن ابراهيم الكندي
٨٥ تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب ومضايقته لابي العيش بها	١٠٠ انخبر عن دخول عبد الله بن ياحسين أرض الصراة وابتداء أمرها
٨٥ هجرة أبي العيش الى الاندلس بقصد الجهاد	
٨٦ انخبر عن دولة الحسن بن كنون	

صحيفة	صحيفة
بقية أخبار المهدي وبعض سيرته الى وفاته	١٣٧
الخبر عن دولة عبد المؤمن بن علي الكومي	١٣٩
بيعة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها	١٤٠
غزوة عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها على المقربين	١٤١
فتح مدينة فاس	١٤٢
فتح مراکش واستئصال بقية اللتوينين	١٤٣
ثورة محمد بن هود السلوي المعروف بالماسي	١٤٤
انتفاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رحمه الله معهم	١٤٥
أخبار الاندلس وفتحها	١٤٦
قدوم عبد المؤمن الى سلا وفادة أهل الاندلس عليه بها	١٤٧
غزو افريقية وفتح مدينة بجاية	١٤٨
فتح المرية وبياضة وأبدة	١٤٩
قدوم عبد المؤمن الى سلا وتولية أولاده على التواحيبها	١٤٩
إيقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى أخوي المهدي والسبب في ذلك	١٤٩
إيقاع يحيى بن يعقوب بأهل لبلة واسرافه في ذلك	١٥٠
أمر عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة	١٥٠
نقل المصحف العثماني من قرطبة الى مراکش وبناء جامع الكتبيين بها	١٥٠
تكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها	١٥٢
غزو افريقية ثانيا وفتح المهدي وغيرها	١٥٤
توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب	١٥٦
بناء عبد المؤمن جبل طارق	١٥٦
بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء	١٥٦
عبور عبد المؤمن الى جبل طارق	١٥٧
قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه	١٥٧
مراكش والسبب في ذلك	١٥٧
استعداد عبد المؤمن للجهاد وانشاؤه الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته	١٥٨
بقية أخبار عبد المؤمن وسيرته	١٥٨
شروع عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه بالدعوة وما كان من أمره في ذلك	١٠٠
الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكلاد كين اللتوني	١٠١
الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر سجلماسة والسبب في ذلك	١٠١
الخبر عن رياسة أبي بكر بن عمر اللتوني وفتح بلاد السوس	١٠٢
فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطة وفتح بلادهم	١٠٣
غزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحه اياها	١٠٥
عود أبي بكر بن عمر الى بلاد الصحراء	١٠٥
الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين	١٠٦
بناء مدينة مراکش	١٠٧
فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب	١٠٨
فتح سبتة وطنجبة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس	١٠٩
الخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من أرض الاندلس	١١١
بقية أخبار أمير المسلمين في الجهاد وما اتفق له مع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عباد	١١٩
الخبر عن دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللتوني	١٢٣
خروج يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين على عمه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين	١٢٣
أخبار الولاية بالمغرب والاندلس	١٢٤
أخبار أمير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد وجوازه الاقل الى بلاد الاندلس	١٢٥
استيلاء العدو على سرقسطة	١٢٥
ولاية الامير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الاندلس وأخباره في الجهاد	١٢٦
الخبر عن دولة أبي المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللتوني	١٢٧
الخبر عن دولة الموحدين من المصامدة وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف بالمهدي	١٣٠

صحيفة	صحيفة
١٩٠ ثورة ابن الفرس وما كان من أمره	١٥٩ الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد
١٩١ غزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين	المؤمن بن علي
١٩٣ وفاة الناصر رحمه الله	١٦٠ ثورة سبع بن متغاد بجبال غمارة
١٩٤ الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر	١٦٠ الجواز الأول لامير المؤمنين يوسف بن
بالله ابن الناصر بن المنصور رحمه الله	عبد المؤمن الى الاندلس بقصد الجهاد
١٩٥ الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد	١٦١ غزو أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن
المخلوع ابن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله	بلاد افريقية وفتح مدينة قفصة
١٩٦ الخبر عن دولة أبي محمد عبد الله العادل ابن	١٦٢ الجواز الثاني لامير المؤمنين يوسف بن عبد
المنصور رحمه الله	المؤمن الى الاندلس برسم الجهاد
١٩٧ الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ومراجه	١٦٣ بقية أخبار أمير المؤمنين يوسف بن
يحيى بن الناصر له	عبد المؤمن وسيرته
١٩٧ ثورة محمد بن أبي الطواحين الكاظمي بجبال غمارة	١٦٤ الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله
١٩٧ أخبار الثوار بالاندلس	يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي
١٩٨ قدوم أبي العلاء المأمون بن المنصور من	١٦٤ خروج علي بن اسحق المسوفي المعروف بابن
الاندلس الى مراكس وما اتفق له في ذلك	غانية علي يعقوب المنصور
٢٠٠ الخبر عن دولة أبي محمد عبد الواحد الرشيد بن	١٦٥ الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم الى
المأمون بن المنصور رحمه الله	أرض افريقية ثم منها الى المغرب الأقصى
٢٠١ فتنة الخط مع الرشيد واستيلاؤهم على	١٧٢ الخبر عن بني معقل عرب الصحراء من أرض
حضرة مراكس	المغرب وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم
٢٠٢ هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة	وبطونهم
وحصارهم اياها	١٧٤ الجواز الأول ليعقوب المنصور رحمه الله الى
٢٠٢ عود الرشيد الى مراكس وقرار يحيى عنها	الاندلس بقصد الجهاد
الى بني معقل ومقتله بهم	١٧٤ مراسله السلطان صلاح الدين يوسف بن
٢٠٣ وفاة الرشيد رحمه الله	أرب صاحب مصر ايعقوب المنصور
٢٠٣ الخبر عن دولة أبي الحسن السعيد على بن	رحمه ما الله والتماسه منه الاساطيل للجهاد
المأمون بن المنصور رحمه الله	١٧٥ عود المنصور الى افريقية والسبب في ذلك
٢٠٤ نهوض السعيد من مراكس الى غزو الثوار	١٧٥ الغزوه الكبرى بالارك من بلاد الاندلس
بالمغربين ومحاصرته بغير اسن بن زيان	١٨٠ ذكر ما شهد المنصور رحمه الله من الآثار
٢٠٥ الخبر عن دولة أبي حفص عمر المرتضى ابن	بالمغرب والاندلس
السعيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن	١٨١ بقية أخبار المنصور وسيرته
٢٠٧ انتفاض أبي دبوس على المرتضى واسنيلاؤه	١٨٣ وفاة يعقوب المنصور رحمه الله
على مراكس ومقتل المرتضى عقب ذلك	١٨٩ الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد
٢٠٨ الخبر عن دولة أبي العلاء ادريس الواثق بالله	الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله
المعروف بأبي دبوس	١٨٩ غزو الناصر بلاد افريقية وولاية الشيخ
	أبي محمد بن أبي حفص عليها والسبب في ذلك
	١٩٠ فتح جزيرة ميورقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المعبود\* الرؤف الرحيم الودود\* المخرج للخلق من ظلمة العدم الى نور الوجود\* الفاتح عليهم بعرفته\* والتحقق بوحديته\* كل باب مسدود\* الدال لهم على باهر حكمته\* وعظيم قدرته\* بالمعنى المعقول والحس المشهود\* فلا يرتاب في انه الواحد القدير\* العليم الخبير\* الا الكفور الكنود\* خالق العباد وقد آجالهم\* وأحصى أنفاسهم وأعمالهم\* وأوقفهم من شرعه على نهج سوى وحد محدود\* فن وقف عنده وأطاع\* فقد فاز من ثمرة الاجاد بالمقصود\* ومن حاد عنه واستكبر\* فقد أورد نفسه الردى وبئس الورد المورود\* نحمده تعالى على ما أسبغ من النعم البيض وكسان البرود\* وأزاح من العال ووقى من النوب السود (ونشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنبؤ بها من الجنان الصدر المنضود\* والطح المنضود\* وأتطل الممدود (ونشهد) أن سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله أكرم مبعوث وأشرف مولود\* صاحب المقام المحمود\* واللواء المعقود\* والحوض المورود\* صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم في محافل السلم بدور\* وفي محافل الحرب أسود\* ولهم في اتباعه ونصرته اليد البيضاء والباع الممدود\* والدعاء لامير المؤمنين مولانا الحسن ابن أمير المؤمنين مولانا محمد ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن كوكب السعود\* ومنبع الكرم والجود\* والمنير بطلعته الغراء\* وإمامته البيضاء\* الاغوار والنجود\* لازالت به ملة الاسلام بحول الله في صعود\* تردى الكفر وتنفي البغي وتدود\* وتصول على الضلال وتسود\* آمين\* وبعد\* فيقول مؤلفه أحمد بن خالد الناصري السلاوي عفا الله عنه هذا بعون الله كتاب الاستقصا\* لاخبار دول المغرب الاقصى\* كتاب جمعته لنفسي\* ولبن شاه الله من أبناء جنسي\* ذكرت فيه دول هذا القطر المغربي من لدن الفتح الاسلامي الى وقتنا هذا الذي هو آخر القرن الثالث عشر سال كافيما أنقله من ذلك سبيل الاختصار\* آتيا منه بما تسموا اليه النفوس من حوادث الاعصار\* ملء اعجالا بدمنه من وفيات بعض الأئمة المقتدى بهم في الدين\* متبركا أولا بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين\* مخرجا من النقول أحكامها\* ومن العبارات أفصحها\* والله تعالى المسؤول\* في بلوغ المأمول\* فنه سبحانه المنة والطول\* وييده تعالى القوة والحول\*

الحمد لله يقول مؤلف هذا الكتاب أحمد الناصري عفا الله عنه اني ألتبس من يقف عليه من سادتنا العلماء وفرهم الله أن ينظر فيه بعين الانصاف حسب الامكان بل وبعين الاغضاء عما لا يكاد يسلم منه انسان وأن يعاملنا فيه بمقتضى قول القائل ومن ذا الذي ترضى سبحانه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه وقد قال الامام مالك رضي الله عنه كل كلام منه مقبول ومردود الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم واذا كان الشيخ خليل رضي الله عنه على علو قدره في العلم والتحقيق وطول باعه في التفسير والتدقيق يقول وأسأل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التسلل والتضرع أن ينظر بعين الرضا والصواب الخ فماذا عسى تقول نحن خنالة الخنالة في هذا الزمان الذي اغشى فيه من العلم حقيقته ورسمه ولم يبق منه الا اسمه اللهم استر عورتنا وآمن رواتنا واغفر زلاتنا وارحم بفضلك يا أرحم الراحمين يارب العالمين آمين وكتب في أواسط رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٦

﴿مقدمة في فضل علم التاريخ﴾

اعلم ان علم التاريخ من أجل العلوم قدرا وأرفعها منزلة وذكرها وأنفعها عائدة وذخرا وكفاه شرفا ان  
 لله تعالى ضمن كتابه العزيز الذي لا يأتسه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من أخبار الأمم الماضية  
 والقرون الخالية بما أحجم به أكار أهل الكتاب وأتى من ذلك بما لم يكن لهم في ظن ولا حساب ثم لم يكتف  
 تعالى بذلك حتى امتن به على نبيه الكريم وجعله من جملة ما أسداه اليه من الخير العميم فقال جل وعلا  
 تلك القرى نقص عليك من أنباءها وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال لقد كان  
 في قصصهم عبرة لأولي الألباب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدث أصحابه بأخبار الأمم  
 الذين قبلهم ويحكي من ذلك ما يشرح به صدورهم ويقوي إيمانهم ويؤكدهم فضاهم وكتاب بدء الخلق من  
 صحيح البخاري رحمه الله كفييل بهذا الشأن وآت من القدر المأمون منه بما يريد غلة العطشان (قال بعضهم)  
 احتج الله تعالى في القرآن على أهل الكتابين بالتاريخ فقال تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم  
 وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (وحكى بدر الدين القرافي رحمه الله) ان الامام  
 الشافعي رضى الله عنه كان يقول ما معناه دأبت في قراءة علم التاريخ كذا وكذا سنة وما قرأته إلا لاستعين  
 به على الفقه قلت ومعنى كلام الشافعي هذا ان علم التاريخ لما كان مطلعا على أحوال الأمم والاجيال  
 ومقصد من عوائد الملوك والاقبال ومينما من أعرف الناس وأزياتهم وفضاهم وأديانهم ما فيه عبرة  
 لمن اعتبر وحكمة بالعقل تدبر واقتصر كان معينا على الفقه ولا بدو ذلك ان جل الاحكام الشرعية مبني  
 على العرف وما كان مبني على العرف لا بد ان يطرد باطراده وينعكس بانعكاسه ولهذا ترى فتاوى الفقهاء  
 تختلف باختلاف الاعصار والاقطار بل والاتصاف والاحوال وهذا السبب بعينه هو السرف في اختلاف  
 شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام وتباينها حتى جاء موسى بشرع وعيسى بالآخر ومحمد بسوى ذلك صلى  
 الله على جميعهم وسلم ثم فائدة التاريخ ليست محصورة فيما ذكرناه بل له فوائد أخر جلية لوقيل بعدم  
 حصرها ما بعد (قال الجلال السيوطي رحمه الله) من فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء المشهورة مع  
 اليهود ببغداد وحاصلها انهم أظهر وار سماء قديما يتضمّن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باسقاط  
 الجزية عن يهود خيبر وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه فرقع الرسم  
 الى رئيس الرؤساء وعظمت حيرة الناس في شأنه ثم عرض على الخافض أبي بكر الخطيب البغدادي قتلها  
 وقال هذا من ورفقيل له بمعرفة قال فيه شهادة معاوية وهو انما أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة  
 وخيبر فتحت سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ وهو مات يوم بني قريظة وذلك قبل فتح خيبر فسر الناس  
 بذلك وزالت حيرتهم اه (قال العلامة القادري في الازهار الندية) وفي حدود صدر هذه المائة أعني  
 المائة الحادية عشر ظهر نحو هذا الكتاب المزور بعناه والرفع على مخطوطه بتاريخ سبع وعشرين  
 وسبعمائة بالموحدة ثم ظهر أيضا بتاريخ ثمانمائة ثم تعدد ظهوره مرارا آخرها سنة اثنتين  
 وأربعين وألف مسمى فيه جماعة من شهرتهم بالدين والعلم قاطعة بالتقول عليهم في ذلك انظر بقية كلامه  
 قلت وقد وقعت في بعض التقايد المتظنون بها الصحة على كلام اللاديب أبي عبد الله اليفري المعروف  
 بالصغير في هذا المعنى قال جرى بمجلس شيخنا قاضي الجماعة فلان الفلاني ذكر علم التاريخ فقال ان علم  
 التاريخ يضر جهله وتنفع معرفته لا كما قيل انه علم لا ينفع وجهاله لا تضر قال وانظر ما وقع في هذا الوقت  
 في حدود عشر ومائة وألف من ان نقرأ من يهود فاس الجديدا متنعوا من أداء الجزية وأخرجوا ظهيرا  
 قديما مضمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد لوسى بن يحيى بن أخطب أخى صفيية رضى الله عنها ولاهل  
 بيت صفيية الامان لا يبطأ أرضهم جيش ولا عليهم نزل ولهم ربط العمائم فعلى من أحب الله ورسوله ان  
 يؤمنهم وكتب على بن أبي طالب وشهد عتيق بن أبي قحافة وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان  
 علم لا ينفع وجهاله لا تضر مرويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورده ببرهانين فانظره ولكن علم النسب وعلم التاريخ معتمدا لزمان والله أعلم

قال مؤلفه عفا الله عنه  
 الذي لابن خزم في صدر  
 الجهرة وكذا لابن عبد البر  
 في صدر كتاب النسب هو  
 علم النسب لا علم التاريخ كما  
 هنا وأنكر ابن خزم ان يكون  
 ذلك أعني ان علم النسب

وتاريخ شهادتهم - في ذى القعدة سنة تسع من الهجرة قال شيخنا قظهري ولعلماء العصر ان ذلك زور  
واقترأ لاشك فيه ولا امتراء لان التاريخ للهجرة انما حدث زمن عمر سنة سبع عشرة لاسباب اقتضت  
ذلك كما في ابن حجر ولان اهل التاريخ لم يذكروا لصفية آخا اسمه موسى وانما المروي في الاحاديث انه  
عليه الصلاة والسلام قتل ابا صفية وزوجها ولان الظهير الذي استظهر وابه نسخة من الاصل الذي  
فيه خطوط الصحابة وقد ارجوا الاستساخ من الاصل بسنة ثلاث وعشرين وسبع مائة فقد تأخر خط  
الصحابة بزعمهم الى المائة الثامنة وكيف يتوصل في المائة الثامنة الى ان ذلك خط الصحابة هذا خلاصة  
ما كتبه اهل فاس في ابطال الظهير ولما رفع ذلك الى السلطان المولى اسمعيل رحمه الله عاقب اليهود  
عقابه شديدا اه (وبالجملة) ففضيلة علم التاريخ شهيرة وقائده جليلة خطيرة ومادحه محمود غدير موم  
والحديث بفضله حديث معلوم والله در ابن الخطيب اذ يقول

وبعد فالتاريخ والانخبار \* فيه لنفس العاقل اعتبار  
وفيه للمستبصر استبصار \* كيف أقي القوم وكيف صاروا  
يجري على الحاضر حكم الغائب \* فيثبت الحق بسهم صائب  
وينظر الدنيا بعين النبيل \* ويترك الجهل لاهل الجهل  
وقال الآخر

ليس بانسان ولا ما قبل \* من لا يبي التاريخ في صدره  
ومن روى أخبار من قدمضى \* أضاف أعمارا الى عمره

وذکر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الاربعة رضی الله عنهم

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطالب بن هاشم بن عبد مناف  
ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة  
ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن آد بن أديس بن الهميسع بن سلامان  
ابن نبت بن حمل بن قيدار بن اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ابن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروخ  
ابن ارغون بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارغش - دين سام بن نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلخ بن حنوخ  
ابن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهما السلام فاما ما بين رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وبين عدنان فتفق عليه عند علماء الاسلام وأما ما بين عدنان واسمعيل فتختلف فيه اختلافا كثيرا  
ما بين سبعة آباء الى نحو الاربعة والخمسة وما ذكرناه تبعنا الى الفداء وأما ما بين اسمعيل وآدم عليه - ما  
السلام فتفق عليه عند أهل الكتاب وهي أسماء أجمية يكثر تغييرها الصعوبة النطق بحروفها والله أعلم  
وقال ابن خلدون ولدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عام القيل لانتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول  
لاربعة سنين من ملك كسرى انوشروان وقيل لثمان وأربعين ولثمانمائة واثنين وثمانين سنة لذي القرنين  
ومات أبوه عبد الله وأمه حامل به وكفله جده عبد المطلب واسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر اسمها  
حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية فكان عندها نحو أربع سنين وشق صدره صلى الله عليه وسلم وهو عندها  
في السنة الرابعة من مولده تخافت عليه ووردته الى أمه ثم ماتت أمه عقب ذلك واستقر في كفالة جده  
عبد المطلب الى ان توفي أيضا لثمان سنين من مولده صلى الله عليه وسلم فاوصى به عبد المطلب الى ابنه  
أبي طالب فكفله أبو طالب أحسن كفالة وقام بشأنه أتم قيام ونشأ صلى الله عليه وسلم نشأة طيبة يحفظه  
ربه ويكلؤه لما يريد به من كرامته ويهيئه له من نبوته ورسالته \* وتزوج خديجة بنت خويلد بن أسد  
ابن عبد العزى بن قصي وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهد ببناء الكعبة وهو ابن خمس وثلثين سنة ووضع  
الحجر الاسود بيده الشريفة في موضعه بعد ان تراضت قبائل قريش عليه ثم آتاه الله الكتاب والحكم



والنبوة على رأس أربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم (أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله  
عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم  
فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء فكان يخلو بفراجه يصنع فيه  
والتمت التعمد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها  
حتى جاءه الوحي وفي رواية حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال  
فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني  
فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الخلق الانساني من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان  
ما لم يعلم فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بغار حراء حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني  
فرملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة اي خديجة مالي وأخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي  
قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل  
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتته ورقة بن نوفل  
ابن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأت نصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني  
فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة اي ابن عم  
اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فآخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال  
له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ياليتني فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرجني هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي  
وان يدركني يومك أنصرك نصر أمؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وقر الوحي زاد البخاري قال وقر الوحي  
فترة حتى خزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حرا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهد الجبال  
فكلما أوفى بنزوة جبل لسكى يلقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن  
لذلك جأشه وتقرب عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا المثل ذلك فيتبدي له جبريل فيقول له مثل  
ذلك ثم نزل عليه بعد فترة الوحي سورة المدثر (قال العلماء) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي  
عليه نبيا فقط ثلاث سنين لم يؤمر فيها بانذار ثم آناه جبريل عليه السلام برسالة من ربه عز وجل فكان  
فيما أنزل عليه في ذلك قوله تعالى وأنذر عشيرتک الاقربين (وروي محمد بن اسحق بسنده عن علي بن أبي  
طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي ان الله أمرني أن  
أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت  
عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل ما تؤمر به فبذلك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل  
شاة واملا لنا عسما من لبن ثم اجعل لي بني عبد المطاب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم  
له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس  
وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فحشيت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبية  
من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال كلوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشئ  
من حاجة وأيم الله ان كان الرجل الواحد لياً كل مثل ما قدمت لجمعهم ثم قال اسق القوم فحشيتهم بذلك  
العس فشربوا حتى رووا جميعا وأيم الله ان كان الرجل الواحد يشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أن يكلمهم بآية فبدره أبو لهب فقال صحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال الغديا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان أكلمهم فاعد  
لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجعهم فضلت ثم جمعهم ثم دعاني بالطعام ففقرته ففعل كما فعل بالامس

فاكوا وشرىوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخبري الدنيا  
 والاخرة وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم اليه فايكم يوازي في علي امرى هذا ويكون اخي ووصي  
 وخليفتي فيكم فاجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا فقلت يا رسول الله انا اكون وزيرك عليه فاحذ  
 برقبتي ثم قال هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا لقوام القوم يصحكون ويقولون لابي  
 طالب قد امرنا ان نسمع لعلي واطيع (واخرج) البخاري ومسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتک  
 الاقربين صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهدى بياني عدي لبطون من قريش  
 حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فاجاء ابو لهب وقريش فقال  
 ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقني قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال  
 فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبالك سائر اليوم اهل هذا جعنا فقلت تب تب تب يا ابي لهب  
 وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ربه صابرا محتسبا فيما يناله  
 من المحن وضروب الاذى معلنا بالتذكير والانذار داعيا الى الله آتيا الليل واطراف النهار واسلم معه  
 جماعة من السابقين الى الاسلام كخديجة وعلي وابي بكر وزيد بن حارثة وعثمان وسائر العشرة سوى عمر  
 ابن الخطاب فان اسلامه كان قد تأخر قليلا ونصبت قريش العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
 واقتربت كلمتهم عليه وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب وتعاهد قريش على الالينا كحورهم  
 ولا يبايعوهم ولا ينفعوهم بشئ ونال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا معه من الاذى  
 فوق ما يوصف وهاجر جماعة منهم الى النجاشي بالحبيشة فرار ابا دينهم من الفتنة وحسب على رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم عمه ابو طالب وقام دونه وذب عنه سفهاء قريش ومنعه منهم ما استطاع وكانت خديجة  
 رضى الله عنها توازره على امره وتسليه وتهون عليه ما يلقيه من قومه فكان صلى الله عليه وسلم يرتاح  
 لذلك ويخف عليه بعض ما يحدث ثم توفي ابو طالب في شوال سنة عشر من النبوة ونوفيت خديجة بعد ذلك  
 بيسير وكانت وفاته ما قبل الهجرة بثلاث سنين فعظمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصيبة  
 وتتابعت المحن حتى كان يسمى ذلك العام عام الحزن ونالت قريش منه ما لم تكن تطمع في نيته قبيل  
 ذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الثلاث سنين اذا حضر الموسم خرج الى اهل العرب يعني  
 وطاف عليهم قبيلة قبيلة يدعوهم الى الله تعالى ويعرض عليهم نفسه ويسألهم النصرة والقيام معه  
 حتى يبلغ رساله اليه فان قريشا قد عنت على الله وكذبت رسوله وردت عليه كرامته ويقول فيما يقول  
 يا بني فلان اني رسول الله اليكم يا امرئكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تخضعوا ما تعبدون من دونه من  
 هذه الالنادوان تؤمنوا بي وتصدقوني واتى صلى الله عليه وسلم في هذه المدة من الشدايد ما رفع الله به في  
 عليين ورجته واجزل به كرامته وشرف منزلته وحازبه في جوار الله تعالى اكرم نزل وصار امام اولي  
 العزم من الرسل صلى الله على جميعهم وسلم ولما اراد الله ان يظهر دينه واعزاز نبيه خرج صلى الله عليه وسلم  
 في بعض المواسم يعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع فبينما هو عند العقبة عني اذ لقي ستة نفر من  
 الخزرج من اهل مدينة يثرب واهلها يومئذ قبيلتان الاوس والخزرج ويجمعهم اب واحد وهم من  
 عرب اليمن والنفر الستة هم ابو امامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفران ورافع بن مالك  
 ابن الجحلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم فقال لهم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالى يهود وكانوا يحالفون قريظة  
 والنضير قالوا نعم قال اذ لا تجلسون حتى اكلتكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض  
 عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم في الاسلام ان اليهود كانوا معهم ببلادهم  
 وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا الا ان مبعوث

قد اظلم زمانه ستنبعه ونقلكم معه قتل جاثوارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقتكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا معه وقالوا انا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشرا ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وستقدم عليهم وتدعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا احد اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوههم الى الاسلام حتى قسافيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وفي الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الستة الذين ذكرناهم اتفاعدى جابر بن عبد الله فانه لم يحضرها وسبعة من غيرهم وهم معاذ بن الحرث اخو عوف بن الحرث المذكور وذكوان بن عبد القيس ويزيد بن ثعلبة البلوي وعبادة بن الصامت والعباس بن عبادة بن نضلة وهؤلاء العشرة من الخزرج ومن الاوس ابو الهيثم مالك بن النيهان وعويم ابن ساعدة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فبايعوه بيعة النساء الا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزناوا ولا يقتلوا اولادهم الى آخر الآية فقال صلى الله عليه وسلم فان وقيتم فاكم الجنة وان غشيتم شيئا من ذلك فاخذتم بجمده في الدنيا فهو كفارة لكم وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان تفرض الحرب فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ومعه عمرو بن أم مكتوم الاعشى ليعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويفقههم في الدين فكان مصعب بالمدينة يسمى المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة فاسلم على يده كثير من الاوس والخزرج منهم اسيد بن حضير وسعد بن معاذ سيد الاوس وسعد هذا هو الذي يقول فيه حسان بن ثابت رضي الله عنه

وما اهتز عرش الله من أجل هالك \* سمعنا به الا لسعد أبي عمرو

ولم يبق دار من دور الانصار الا فيهارجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف بطون من الاوس وكانوا في عوالي المدينة وكان فيهم أبو قيس بن الاسات الشاعر سيد مطاعا فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد وانخندق فاسلموا كلهم ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة من العام المقبل وذلك سنة ثلاث عشرة من المبعث وخرج معه من الانصار الذين اسلموا ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج مع حجاج قومهم من أهل الشرك فلما وصلوا الى مكة واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجتمعوا به ليلا في اوسط أيام التشريق بالعقبة من منى وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب ان يعوثق لابن أخيه فقال يا معاذ ان الخزرج ان محمد انا حيث قد علمت وقد منعتنا من قومنا من هو على مثل رأينا وهو في عز ومنعتنا من قومه وبلده وانه قد أبي الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نعوه ممن خالفه فانتم وما تحماتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه فن ان فدعوه فقالوا قد سمعنا ما قلت فنسلكم يا رسول الله ونخذلنا نفسك ولربك ما شئت فنسلكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني عما تمنعون منه انفسكم ونساءكم واولادكم قال فاخذ البراء بن معمر وريسه ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن لم تمنعنا منه لارزنا فبايعنا يا رسول الله فنص أهل الحرب وأهل الحلقة ورتناها كما برأ عن كبار فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبال لا يعنى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فقسم رسوا

الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم آحارب من حاربتم وأسالم  
 من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا يكونون كفلاء على قومهم  
 بما فيهم ككفالة الخواريين لعيسى ابن مريم فأخرجوا له اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من  
 الاوس قال عاصم بن عمر بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا للبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس  
 ابن عباد بن فضالة يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر  
 والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فن الا ان فهو والله  
 نخزي الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه على نكحة الاموال وقتل الاشراف  
 نخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فاننا نأخذ على مصيبة الاموال وقتل الاشراف قالنا بذلك  
 يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنسة قالوا ايسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء  
 ابن معرور ثم تتابع القوم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عباد  
 ابن فضالة والذي بعثك بالحق لئن شئت لتميلن غد على أهل مني باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 اني لم أومر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم ثم انصرف القوم راجعين الى المدينة وأمر النبي صلى الله عليه  
 وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ينتظر الاذن  
 من ربه في الهجرة وبقي معه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب الى أن أذن الله لنبيه في الهجرة فهاجر  
 كما هو معلوم في كتب الحديث والسير وما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أظهر الاسلام  
 وشرع الاحكام وبين الحلال والحرام ونزل عليه قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا  
 من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله فكانت هذه أول آية نزلت بالاذن في القتال فخاهد رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم في الله حق جهاده ونال من نصرة الدين واعلاء كلمة الله غاية مراده وانثالت عليه وفود  
 العرب من كل ناحية ولبت دعوته من أماكنها الدانية والقاصية وضرب الاسلام بجرانه في جزيرة  
 العرب كلها وأجمع على التمسك بدينه أهل عقدها وحلها (قال القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفا)  
 فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دنا ذلك من  
 الشام والعراف وجبي اليه من أنحاءها وجزيرتها وصدقاتها ما لا يحصى للولك الابعضه وهادته جماعة من  
 ملوك الاقاليم فاستأثر بشئ منه ولا أمسك منه درهم بل صرفه مصارفة وأغنى به غيره وقوى به المسلمين  
 صلى الله عليه وسلم وما حصل المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم وأظهر الله دينه على الدين كله أنزل الله  
 تعالى عليه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديننا قال المفسرون نزلت  
 هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء  
 فكادت عضد التافة تهندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة روى انه  
 لما نزلت هذه الآية بقي عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني انا كنافي زيادة  
 من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم عاش بعدها احدى وعثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع  
 الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة قال الخازن في تفسيره وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة مجموع  
 عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة على الصحيح (أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس قال أنزل على  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فكانت ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر  
 الى المدينة فكانت بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة (قال الشيخ محي الدين  
 لنووي) ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين

سنة الثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أحسنها وأشهرها اه وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهر من أن يشرح ويبين فهو حجة الله في الارض وشهيد على الخلق ومصطفاه من البشر والمخصوص بعزبة النبوة وآدم بين الماء والطين ولله در ابن الخطيب اذ يقول  
يا مصطفي من قبل نشأة آدم \* والكون لم تنفخ له أعناق  
أبروم مخلوق تنساءك بعدما \* أتني على أخلاقك الخلاق

### (خلافه أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

هو أبو بكر واسمه عبد الله وقيل عتيق ابن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب التيمي المعروف بالصديق يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وفي الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماع من العصاية ومن تأخر عنها أولاً رجع اليها ثانياً الا ما كان من سعد بن عبادَةَ الانصاري فانه توقف عن بيعته وذلك لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وهو ابي عبيدة سعد بن عبادَةَ سيد الخزرج لانهم كانوا يرون انهم أحق بالامر لانهم الذين آووا ونصروا وتبوا والدار والايان من قبل المهاجرين ولما انتهى الخبر الى أبي بكر وعمر أفرغهم ما ذلك وبادرا الى السقيفة ومعهم أبو عبيدة بن الجراح فوجدوا الانصار يهاجرون ما بلغهم من العزم على بيعه سعد فاجهم أبو بكر رضي الله عنه وقال نحن أولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشيرته وأحق الناس بالامر بعده فحن الامراء وانتم الوزراء فقال الحباب بن المنذر لا والله لا نفعل مناً أمير ومنكم أمير وان شئتم أعدناها جذعة أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب فقام بشير بن عبد الانصاري فقال ألا ان محمد صلى الله عليه وسلم من قريش وان قومه أحق وأولى بالامر بعده ونحن وان كنا أولى فضله في الجهاد وسابقة في الدين فما أردنا بذلك الا رضى الله واطاعة نبيه فلا ينبغي به من الدنيا عوضاً ولا نستطيع به على الناس ثم أشار أبو بكر بان يبايعوا أحد الرجلين اما عمر بن الخطاب واما أبا عبيدة بن الجراح ففكرها ذلك وبايعا أبا بكر وسبقهما اليه بشير بن سعد ثم تناجى الا ومن فيما بينهم وكان فيهم أسيد بن حضير أحد النقباء ففكرها امارة الخزرج عليهم ومالوا الى بعة أبي بكر فبايعوه وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر حتى كادوا يطؤون سعد بن عبادَةَ وهو مضطجع بينهم يوعل فقال رجل من أصحابه قتلتم سعد بن عبادَةَ فقال عمر قتله الله فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرفق هنا أباغ ثم لحق سعد بالشام فلم يزل هناك حتى توفي أيام عمر رحم الله جميعهم وكانت ببيعة أبي بكر يوم الثلاثاء الثاني من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل دفنه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت عامة العرب لان كلمة الاسلام لم تكن رسخت في قلوبهم على ما ينبغي ومنع آخرون منهم الزكاة وقالوا نصلي ولا نؤدى الزكاة ظناً منهم ان ذلك كان واجبا عليهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقط واضطرب أمر المسلمين عند وفاته صلى الله عليه وسلم لقتلهم وكثرة عدوهم (قالت عائشة رضي الله عنها) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ونجم النفاق واشربت اليهودية والنصرانية ونزل بابي بكر ما نزل بالرجال الراسية لها ضها وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الساتية لفقد نبيهم (وقال أبو بكر بن عياش) سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتل أهل الردة (وفي الصحيح) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت من أممته أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله قال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا ان رأيت ان قد شرح

الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (وحكى ابن خلدون) أن أبا بكر رضى الله عنه لما عزم على قتال أهل الردة استخلف أسامة بن زيد بعد رجوعه من بعثته الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قبل وفاته فبقي بالمدينة حتى أنقذه أبو بكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فخرج أبو بكر في جماعة من المسلمين إلى ذي خشب وإلى القصبة موضعين قرب المدينة ثم سار حتى نزل على أهل الردة بالابريق وبها عيس وذيبيان وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وتعلبة بن سعد وغيرهم فقاتلهم أبو بكر وهزمهم ورجع إلى المدينة ثم خرج إلى القصبة ثانياً فعدقيه أحد عشر لواء على أحد عشر جندي القتال أهل الردة وأمر كل واحد باستنفاً من يليه من المسلمين من كل قبيلة وعقد لأمراء على تلك الاجناد منهم خالد بن الوليد وخالد بن سعيد بن العاص وعمر بن العاص وغيرهم وكتب لهم عهداً بصلح واحد بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام وعهد إليه ان يتقى الله ما استطاع في أمره كله سره وجهره وأمره بالحق في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام إلى أماني الشيطان بعد ان يعذر اليهم في دعوتهم بدعاية الاسلام فان أجابوه أمسك عنهم وان لم يجيبوه شق غارته عليهم حتى يقرؤا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فمأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظروهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم فان أجاب إلى أمر الله تعالى وأقر له قبل ذلك منه وأعانته عليه بالمعروف وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبة بعد قيام استسريه ومن لم يجب إلى داعية الله قوتل وقتل حيث كان وحيث بلغ من الخلة لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى الا الاسلام فمن أجابه وأقر به قبل منه وأعانته ومن أبي قاتله فان أظهره الله عليه قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله عليه الا الخمس فانه يبلغناه ويمنع أصحابه الجمل والفساد وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لثلا يكونوا عيوناً ولثلاً يؤتى المسلمون من قبلهم وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يجمل بعضهم عن بعض ويستوصى بالمسلمين في حسن العصبة ولين القول اه وكتب إلى كل من بعث إليه الجنود من المرتدين كتاباً واحداً أيضاً وجعله في نسخ متعددة يبدلها في تقدموا وأمام الامراء يأمرهم فيه بالتمسك بكامة الاسلام وينهاهم عن الارتداد ويحذرهم عاقبته وسوء أثره تركنا ذكره اختصاراً (وكان) أول ما بدأ به خالد بن الوليد رجه الله من القتال قتال طليحة بن خويلد الاسدي أسد خزيمية وكان كاهناً وادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعه أفاريق من قومه بني أسد ومن غيرهم فوجه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور ليقاتله فبينما ضرار يريد مناجزته اذ ورد عليه الخبر بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت ذلك في عضد ضرار وانكفأ راجعاً بمن معه من المسلمين إلى المدينة وعظم أمر طليحة حينئذ واستطار ثمره وانضمت اليه غطفان وبعض طي وأخذ لاط من العرب على ماء من مياه بني أسد يقال له بزاحة فسار اليهم خالد رجه الله فأوقع بهم وقعة شنعاء قتل بها جمعهم وقتل من قتل منهم ونجى طليحة إلى الشام برأس طمرة ولجام وبقي هناك إلى ان أسلم وحسن اسلامه وكانت له في قتال فارس والروم زمان الفتح اليد البيضاء ثم تتبع خالد رجه الله أهل الردة قبيلة قبيلة وجمعاً جمعاً فقتل وحرق ورضخ بالمجاعة ورمى من رؤس الجبال وأبلغ في النكابة بكل وجه فشعت نفوس المرتدين وخامر قلوبهم الرعب وقوم اعوجاجهم الطعن والضرب حتى راجعوا الاسلام كرها وكان من أعظمهم شوكة وأشدتهم قوة بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب وكان موطنهم باليمامة وهي بلاد واسعة ذات نخل وزرع على أربعة أيام من مكة وكان مسيلة هذا قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني حنيفة فأسلم ثم ارتدادوا عن النبوة استقلالاً ثم مشاركة مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له بذلك الرجال ابن عنقوة أحد أشرف بني حنيفة وكان قد هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقام عنده وقرأ القرآن

وتفقه في الدين فلما ارتد مسيلة بعنه النبي صلى الله عليه وسلم معلل الاهل اليمامة ومشغباعلى مسيلة فكان من أعظم الفتن على بنى حنيفة فانه شهد مسيلة بالتبوء وأتبعه على شأنه وصار مؤذنا له يشهدله بالرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم شأنه فيهم وكان مسيلة ينتهي الى رأيه وكان يأتي باسباع كثيرة يزعم انها قرآن ينزل عليه ويأتي بمخارق من الشعبذة ويقول انها مجزاة فتقع على خلاف المقصود اهانة من الله فهض خالد رحمه الله بعد الفراغ من طليحة وغيره من أهل الردة الى بنى حنيفة وهم يومئذ كثير يقال كانوا أربعين ألف مقاتل ولما سمعوا يذنبون خالد منهم خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنصر والناس فنصر وامنهم وأقبل خالد وعلى مقدمته شرحبيل بن حسنة ونازل بنى حنيفة وكان الرجال بن عنقوة على مقدمة مسيلة فالتقوا واقتتلوا واشتدت الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد ثم تراجع المسلمون وكروا على بنى حنيفة وقاتل ثابت بن قيس بن شماس حتى قتل ثم زيد ابن الخطاب أخو عمر كذلك ثم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ثم مولاة سالم ثم البراء أخو أنس بن مالك وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ثم يثور كالأسد فقاتل ذلك اليوم وفعل الافاعيل واستصر القتل في المسلمين خصوصا قراء القرآن وأهل السابقة يقول ابن خلدون قتل يوم اليمامة من الانصار ما ينيف على الثلاثمائة وستين ومن المهاجرين مثلها ومن التابعين لهم مثلها أوزيدون وفشت الجراحات فيمن بقي ثم هزم الله العدو وألجأهم المسلمون الى حديقة كانت هناك وفيها مسيلة فقال البراء بن مالك ألقوني عليهم من أعلى الجدار فاقحمهم وقاتلهم على باب الحديقة حتى دخل بعض المسلمين عليهم واقحم الباقون من أعلى الحيطان فقتل من بنى حنيفة يومئذ سبعة عشر ألف مقاتل فسميت الحديقة حديقة الموت وأما مسيلة فقتله وحشي بالحربة التي قتل بها حنيفة بن عبد المطلب يوم أحد وشاركه في قتله رجل من الانصار ثم صالح خالد بنى حنيفة في خبر طويل وهذه الواقعة من أعظم الوقعات التي كانت في زمن أبي بكر رضي الله عنه وهي كانت السبب الداعي الى جمع القرآن في الصحف واستمر كذلك الى ان جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه الجمع الثاني في الصحف يقول الصحيح عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال أرسل الى أبي بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه ان عمر أتاني فقال ان القتل قد استخري يوم اليمامة بقراء القرآن واني أخشى ان يستصر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن واني أرى ان تأمر بجمع القرآن قال أبو بكر قلت له كيف أعمل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدرى ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا تنهك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعهم حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتمت فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والاكتاف والعصب والخفاف وصدور الرجال حتى وجدت آخسورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر اه ولما فرغ خالد من أمر اليمامة بعث اليه أبو بكر في المحرم سنة ثنتي عشرة يأمره بالسير الى العراق وذلك عندما أجمعت العرب على الاسلام واتفقوا على التمسك بكلامته وأخلصوا الطاعة لله وخطيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمت لابي بكر رضي الله عنه همة في قتال فارس والروم أهل الدولتين العظيمتين في العالم يومئذ توجه خالد رحمه الله نحو فارس وكان عذابا من عذاب الله أرسله على أهل الكفر والضلال وما مثل له الا قول المتنبى

وما كان الا النار في كل موضع \* يشير غبارا في مكان دخان فتوجه خالد بن الوليد وفتح الحيرة وما وراءها من أعمال العراق وفتح الانبار وعين التمر وأوقع الوقائع العظيمة على اهل فارس وجيوشهم حتى أخافهم في بلادهم وهم بالاقحام عليهم ومقاتلتهم في عقر دارهم وكتب اليهم بكتابين يتوعدهم ويتذدهم ثم صرفه أبو بكر رضي الله عنه الى الشام فشهد اليرموك مع جيوش المسلمين الذين كانوا هناك في الاكفاء عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي وكانت له صحبة قال لما أراد أبو بكر أن يجهز الجنود الى الشام دعا عمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والانصار من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه وأنافهم فقال ان الله لا يحصي نعمه ولا تبلغ جزاءها الا اعماله الهمة كثيرا على ما اصطنع عندكم ثم جمع كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهذا لكم الى الاسلام ونفي عنكم الشيطان فليس يطمع ان تشركوا بالله ولا ان تتخذوا الها غيره فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد رأيت ان أستنفرهم الى الروم بالشام فن هلك منهم هلك شهيد او ما عهد الله خيرا لدار ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله ثواب المجاهدين هذا رأي الذي رأيت في شرعي امرؤ يبلغ رأيه فاجاب كل من الحاضرين باستصواب رأيه وتقوية عزمه فجزأ أبو بكر رضي الله عنه جيوشا وأمر عليهم أمراء كخالد بن سعيد بن العاص وعمر و ابن العاص وعكرمة بن أبي جهل والوليد بن عقبة ويزيد بن أبي سفيان وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعين له حص وأوصى كل واحد منهم بما ينبغي الوصية به فكان بسبب تلك الجوع وقعة اليرموك بين المسلمين والروم في رجب سنة ثلاث عشرة من الهجرة بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه بنحو شهر لان وفاته رضي الله عنه كانت مساء ليلة الثلاثاء بين العشاءين لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين ليال وعمره ثلاث وستون سنة رضي الله عنه وتغنايه

### ( خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه )

هو أول من دعي أمير المؤمنين وكان أبو بكر قبلة يدهي خليفة رسول الله وهو أبو حفص عمر بن الخطاب ابن نفيل مصغر ابن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وفتح المثناة التحتية ابن عبد الله بن قريظ بن قحافة ابن رزاح بفتح الراء ابن عدي بن كعب بن لؤي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي ولي الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه بعهد منه اليه وقال ابن خلدون لما احتضر أبو بكر عهد الى عمر رضي الله عنه ما بالامر من بعده بعد ان شاور عليه طلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه فاتفقوا على رأيه فاشرف على الناس وقال اني قد استخلفت عمر ولم آل لكم نصحا فاصبروا له وأطيعوا ودعا عثمان فأمره فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالديار وأول عهده بالاشرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر وينيب فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آل لكم خيرا فان صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه وان جار وبتل فلا علمي بالغيب وان لم ير أردت ولكل امرئ ما كتب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فكان أول ما أنقذه من الامور عزل خالد بن الوليد عن امارة الجيوش بالشام وتولية أبي عبيدة وجاء الخبر بذلك والمسلمون موافقون عدوهم باليرموك فكتب أبو عبيدة الامر كله حتى انقضى أمر اليرموك وكان فتح دمشق بعدها فحينئذ أظهر أبو عبيدة امارته وعزل خالد فسمع خالد وأطاع وقيل في هذا الخبر غير هذا مما هو مبسوط في كتب الفتح ثم ان عمر رضي الله عنه استدعاه وأرهبه حذره لغزو فارس والروم فتابع عليهم الجنود وعين لكل أمير عمله وعقد لابي عبيدة بن مسعود الثقفي على جيش من المسلمين وبعثه نحو العراق فاستشهد أبو عبيدة بوضع يقال له قس الناطف على الفرات فولى مكانه المثني بن حارثة



الشيباني وكان بطلا من الأبطال تظير خالد بن الوليد في عين النقيبة والجرأة على الأعداء فأوقع بأهل  
 فارس عدّة وقعات منها وقعة البويب قتل فيها من الفرس مائة ألف أو يزيدون ثم إن عمر رضي الله عنه  
 استأنف الجبل تجاهد فارس وقال والله لا ضربن ملوك الجحيم بملوك العرب فلم يدع رئيسا ولا ذوا رأى  
 ولا خطيبا ولا شاعرا إلا ما هم به فرماهم بوجوه الناس وكتب إلى المنثري يأمره أن يخرج بالمسلمين من بين  
 الجحيم ويتفرق بهم على المياه بجياهم وإن يدعو الفرسان وأهل النجدات من ربيعة ومضرو ويحضرهم  
 طوعا وكرها ثم حج عمر سنة ثلاث عشرة ورجع إلى المدينة فواقته أمداد العرب بما عقد عليهم لسعد  
 ابن أبي وقاص رضي الله عنه وولاه حرب العراق وأوصاه وقال يا سعد بن أم سعد لا يغرنك من الله أن يقال  
 خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله لا يحجو السبي بالسبي ولا كنه يحجو السبي بالحسن وليس بين الله  
 وبين أحد نسب الإبطاعة فالناس في دين الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون  
 ما عنده بالطاعة فاتظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه وعليك بالصبر  
 ثم سرحه في أربعة آلاف عن اجتمع إليه فيهم وجوه العرب وأشرفها وانضاف إليه في طريقه جوع  
 آخر فكانت له في هذا الوجه وقعة القادسية المشهورة دامت فيها الحرب بين المسلمين والفرس أربعة أيام  
 بلياليها وقتل فيها رستم زعيم الفرس وصاحب حربها واستلمت جنوده وكان الفتح الذي لم يكن له في  
 الإسلام نظير وذلك في المحرم سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة ثم كان بعدها فتح المدائن وجالوا وسائر  
 بلاد العراق وغيرها من بلاد فارس والجبل وأرمينية واذريجان وسجستان وكرمان ومكران ونخاسان  
 وغير ذلك مما يطول ذكره وكذا استولى جيوش المسلمين الذين بالشام على بلاد الشام والجزيرة وانطاكية  
 وغيرها من بلاد الروم ومصر والاسكندرية وبرقة وطرابلس الغرب وغير ذلك (وفي سنة أربع عشرة)  
 أمر عمر رضي الله عنه باختطاط البصرة والكوفة بعراق العرب لما بلغه من وخامة البلاد وأن العرب  
 قد تغيرت ألوانهم بالعراق فاذن لهم في اختطاط المصريين وأن لا يتجاوزوا في بنائهما السنة ويقال  
 إن اختطاط الكوفة كان في سنة سبع عشرة (وفي سنة خمس عشرة) وضع عمر الديوان وفرض العطاء  
 للمسلمين ولم يكن قبل ذلك وروى الزهري عن ابن المسيب أن ذلك كان في المحرم سنة عشرين ويقال  
 ابن خلدون يقال وضع عمر الديوان لسبب مال أتى به أبو هريرة من البحرين فاستكثروه وتعبوا في قسمه  
 فسموا إلى إحصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق فاشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوك الشام  
 يدقون قبيل منه عمر وقيل بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقال له ومن يعلم  
 بغيبه من يغيب منهم فإن من تخلف أدخل بكائه وانما يضبط ذلك الكتاب فأنبت لهم ديوانا فامر عمر  
 رضي الله عنه عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان  
 العساكر الإسلامية مرتب على الأنساب مبتدأ فيه بقراية رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب  
 بعد أن قال علي وعبد الرحمن بن عوف لعمر أبدأ بنفسك فقال لا بل بعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ  
 بالعباس ثم بالأقرب فالأقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة  
 آلاف وفرض لمن بعدهم إلى الحديدية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم لمن بعدهم ثلاثة آلاف ثلاثة  
 آلاف ثم ألفين وخمسمائة ثم لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لمن بعد القادسية  
 واليرموك ألفا ألفا وادفهم خمسمائة خمسمائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين وأعطى نساء  
 النبي صلى الله عليه وسلم لكل واحدة عشرة آلاف وفضل عائشة بالفين وجعل النساء على مراتب  
 فلاهل بدر خمسمائة ثم أربعة مائة ثم ثلاثمائة ثم مائتين والصبيان مائة مائة والمسكين جريبين في  
 الشهر ولم يترك في بيت المال شيئا وسئل في ذلك فأبى وقال هي قنته لمن بعدى ثم سأله رضي الله عنه  
 الصحابة في قوته هو من بيت المال فأذوا له وسأله في الزيادة على لسان ابنته حفصة متكئين عنه فغضب

وامتنع (وفي سنة ست عشرة) قدم جبلة بن الايهم ملك غسان على عمر رضي الله عنه في جماعة من أصحابه مسلمين قتلناه المسلمون ودخل في زي حسن وبين يديه جنائب مقادة وعلى أصحابه الديات حتى تطاول النساء من خدورهن لرويته وأكرم عمر وفادته وأحسن نزله وأجله بارفع رتب المهاجرين ثم خرج عمر للبعث في هذه السنة فخرج معه جبلة فينا جبلة بطوف بالبيت اذ وطئ رجل من قزارة فضل ازاره فلطمه جبلة فهشم أنفه فاقبل الغزاري الى عمر وشكاه فاحضره عمر وقال له اقتد نفسك والامرته بلطمك فقال جبلة كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقه فقال عمران الاسلام جمعكوا وسوى بين الملك والسوقة في الحد فقال جبلة كنت أظن اني بالاسلام أعزمني في الجاهلية فقال عمر دع عنك هذا فقال جبلة اني أنتصر فقال عمران تنصرت ضربت عنقك فقال انظر في لياتي هذه فانظره فلما جاء الليل سار جبلة بخياله ورجله الى الشام ثم منها الى القسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتصروا عن آخرهم وفرح هرقل به وأكرمه ثم ندم جبلة على فعلته تلك وقال

تنصرت الاشراف من عار لطمه \* وما كان فيها الوصيرت لها ضرر  
تكتفي فيها لجاج ونخوة \* وبعث لها العين الصحيحة بالعمور  
فيا ليت أحي لم تلدني وليتني \* رجعت الى القول الذي قاله عمر  
وباليتي أوعي الخاض بقفرة \* وكنت أسير في ربيعة أو مضر  
وباليت في الشام أدنى معيشة \* أجالس قوى ذاهب السمع والبصر  
أدين بآداب من شريعة \* وقد يحبس العير الدجون على الدبر

وكان قدم في رسول عمر الى هرقل وشاهد ما هو فيه جبلة من النعمة فارسل جبلة بخمسمائة دينار الى حسان بن ثابت وأمضاه له عمر فذمه حسان بن ثابت بايات منها

ان ابن جفنة من بقية معشر \* لم يذهب أباهم باللوم  
لم ينسني بالشام اذ هور بها \* ككلا ولا متصرا بالاروم  
يعطي الجزيل ولا يراه عنده \* الا كبعض عطية المذموم

(وفي سنة سبع عشرة) جى الى عمر بالمرزبان ملك الالهوازا أسيرا ومعه وفد ففهم أنس بن مالك والاحنف ابن قيس فلما وصلوا به الى المدينة ألبسوه كسوته من الديات المذهب ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون على هيئته التي يكون عليها في ملكه فطلبوا عمر فلم يجدوه فسأوا عنه فقيل هو في المسجد فاتوه فاذا هو نائم فجلسوا دونه فقال المرزبان أين هو عمر قالوا هو ذا قال فابن حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب فنظر المرزبان الى عمر وقال عدات فأمنت فممت واستيقظ عمر لجلبة الناس فقال المرزبان قالوا انعموا أمير المؤمنين فقال الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشباهه وأمر بترع ما عليه فترعوه وألبسوه ثوبا ضيقا فقال عمر كيف رأيت عاقبة أمر الله فيك فقال المرزبان لما خلى الله بيننا وبينكم في الجاهلية غلبناكم ولما كان الله الآن معكم غلبتمونا (وفي سنة ثمان عشرة) كانت جماعة الرماة وطاعون عمواس وحلف عمر لا يذوق السم واللبن حتى يحيى الناس واستسقى عمر بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فسقوا وهلك بالطاعون أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان والحرب بن هشام وسهيل بن عمرو وابنه عتبة في آخرين أمثالهم وتغافى الناس بالشام وبالبحر أيضا ولما خش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر السير اليه ليقيم موارد المسلمين ويتطوق على الثغور ففعل ورجع وكانت له خرجة أخرى قبل هذا الفتح بيت المقدس (وفي سنة عشرين) فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية وشهد الفتح معه الزبير بن العوام وجماعة من كبار الصحابة (وفي سنة اثنتين وعشرين) سار عمرو بن العاص الى برقة فصالح أهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها وقتلها عنوة

(وفي سنة ثلاث وعشرين) كانت وفاة عمر رضي الله عنه على ما سياتي في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله  
 عنه قال ما زلنا أعزّه منذ أسلم عمر <sup>بجوه</sup> وعنه أيضا <sup>بجوه</sup> قال لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة  
 ولما مات عمر كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وعند ابن أبي شيبة عنه رضي الله عنه قال كان  
 اسلام عمر عزوا وهجرته نصر او امارته رجة <sup>بجوه</sup> وفي الصحيح أيضا <sup>بجوه</sup> عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما  
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيننا انا نائم رأيتني على قلب وعليها دلو فتزعت منها ما شاء الله  
 ثم أخذها ابن أبي قحافة فتزع منها ذنوبيا وذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فآخذها  
 عمر بن الخطاب فلم أر عبقر يامن الناس يتزعزع عمر وفي رواية قلم أر عبقر يامن الناس يفري فريه حتى  
 ضرب الناس بعطن قال النووي رحمه الله قالوا هذا المثلث ما جرى للخليفين من ظهور آثارهما  
 الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به  
 أكمل قيام وقرر قواعد الدين ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فطالت مدة  
 خلافته عشرين سنة وزيادة واتسع الاسلام في زمانه فشبّه أمر المسلمين بقلب فيه الماء الذي فيه حياتهم  
 وصلاحهم وأميرهم بالمستقي لهم منها وسعته هي قيامه بمصالحهم اه <sup>بجوه</sup> قلت <sup>بجوه</sup> من تأمل أمر عمر رضي  
 الله عنه علم انه كان عجبا من العجب فانه عمدا الى ثلاث دول هي أعظم دول العالم في ذلك الوقت دولة الفرس  
 ودولة الروم ودولة القبط فخار بهم في نفس واحد وفرق جيوشه عليهم مع قلة المسلمين اذذاك وشغف  
 عيشهم فغلبهم على ممالكهم وأزال عزهم وكسر كراسيهم وأمات نخوتهم بحيث ضرب الجزيرة على رقابهم  
 طول أحقابهم فلم يطاق البوابعد هابثار ولا عادوا الى جاح ونفار بل أعطوا المقادة وأسلموا أنفسهم لاصغار  
 ثم لم يكتف بذلك حتى أغزى خيل المسلمين أطراف المعمور من خراسان والترك وبلاد النوبة وبلاد البربر  
 ولعمري ما أمر الاسكندر الذي تضرب الامم به المثل في الغلبة والتمكين في الارض الا دون أمر عمر بكثير  
 فان الاسكندر كان غازيا بجميع جيشه متوليا ذلك بنفسه جوا لا في الارض غير مقيم ووجهته في حروبه  
 وجهة واحدة كلفا فرغ من مملكة انتقل الى غيرها تاركا للتي خلف وراءه غير ملتفت اليها وكانه كان  
 لا غرض له الا في اظهار القوة والبطش والغلبة على الامم دون ما سوى ذلك من تصريف الممالك طوع  
 الامرو والنهي \* ولذا قال حمزة الاصمباني في كتابه تواريخ الامم ومارواه القصاص من ان الاسكندر بنى  
 بارض ايران عبدة مدن منها اصبهان ومرو وهرات وسمرقند فحدث لا أصل له لان الرجل كان مخربا  
 لا عامرا اه فاما عمر رضي الله عنه فانه لما استولت جيوشه على أكثر المعمور صرف ممالكها طوع  
 أمره حتى جبي اليه خراجها وثبتت استقامتها وزال اعوجاجها أقوى ما كانوا شوكة وأشد قوة وأكثر  
 حامية ولم يعتزجه الله حتى انتهت خيلها في جهة الشرق الى نهر بلخ وفي جهة الشمال على ما تسمى فرسخ  
 من بلخج وفي جهة المغرب الى تخوم الروم وبلاد برقة وطرابلس الغرب كل ذلك في مدة يسيرة لم يجاوز  
 معظمها الثلاث سنين وهو مع ذلك في جوف بيته مترددا فيما بين منزله ومسجده لم يستعمل لذلك كثير  
 أسباب ولا أجلب بنفسه بخيل ولا ركاب انما هو الرأى الميمون والنصر المضمون والامر الجارى بين  
 الكاف والنون والوعد المتجز بقوله تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (فاما) وفاة عمر رضي  
 الله عنه فروى ابن سعد باسناد صحيح ان عمر كان لا يأذن لمن احتلم من أولاد الجهم في دخول المدينة حتى  
 كتب اليه المغيرة بن شعبه وهو على الكوفة فذكر له ان عنده غلاما صنعا وهو يستأذنه ان يدخله  
 المدينة ويقول ان له أعمالا تنفع الناس انه حداد نقاش نجار فاذن له عمر وضرب عليه مولاة كل شهر مائة  
 فسكى الى عمر شدة انحرأج فقال له ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل فانصرف ساخطا فلبث عمر ليالى  
 فريه العبد فقال عمر ألم أحدث انك تقول لو شئت لصنعت رحي تطحن بالريح فالتفت اليه عابسا فقال  
 لا صنعت لك رحي يتحدث الناس بها فاقبل عمر على من معه فقال توعدني العبد فلبث ليالى ثم اشتمل على

حنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في القلنس حتى خرج عمر يوقظ الناس  
 للصلاة وكان عمر يفعل ذلك فلما دنا عمرو ثب عليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت السرة قد خرقت  
 الصفاق وهي التي قتله في صحيح البخاري ثم عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
 قبل أن يصاب بايام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال كيف فعلتما يعني في أرض  
 السواد أتخافان ان تكونا قد حملتما الارض مالا تطيق قال لا جملناها أمر اهل له مطيقة  
 ما فيها كبير فضل قال انظر ان تكونا حملتما الارض مالا تطيق قال لا فقال عمر لئن سلمني الله تعالى لا أدع  
 أرا من أهل العراق لا يتخجن الى رجل بعدى أبدا قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب قال عمرو بن  
 ميمون اني لقاتم ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان اذا هم بين الصنفين قال استوا حتى اذا  
 لم يرفيهن خلال تقدم فكبر وروى عن اقراسورة يوسف أو النخل أو نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس  
 فاهو الا ان كبر فسمعتة يقول قتلى أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة واسمه فيروز فطار العلي بسكين  
 ذات طرفين لا يمر على أحد عينا ولا شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى  
 ذلك رجل من المسلمين واسمه حطان التميمي اليربوعي طرح عليه بنوسا فلما ظن العلي انه مأخوذ فصر  
 نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فن يلى عمر فقدر رأى الذى أرى وأما نواحي المسجد فانهم  
 لا يدرون غير انهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله صلى بهم عبد الرحمن بن عوف  
 صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا بن عباس انظر من قتلى في حال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال ألتصنع  
 قال نعم قال قاتله الله لقد أمرت به معروفا الحمد لله الذى لم يجعل ميتي بيد رجل يدعى الاسلام قد كنت  
 أنت وأبوك تحبان ان تكثر العالج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا قال ان شئت فعلنا أى ان شئت  
 قتلنا قال كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلكم ووجوا حكام فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه وكان  
 الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقاتل يقول لا بأس وقاتل يقول أخاف عليه فاقى بنيذ فشر به فخرج  
 من جرحه ثم أقى بلين فشر به فخرج من جرحه فعملوا انه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء  
 رجل شاب فقال ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم في  
 الاسلام ما قد علمت ثم وابت فعدلت ثم شهادة قال ووددت ان ذلك كفاف لاعلى ولالى فلما أدبر الشاب  
 اذا زاره عيس الارض قال ردوا على الاسلام قال يا بن اخى ارفع ثوبك فانه أتقى لثوبك واتقى لربك يا عبد  
 الله بن عمر انظر ما ذا على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا ونحوه قال ان وفى له مال آل عمر  
 فأده من أموالهم والا فاسأل في بنى عدى بن كعب فان لم تف أموالهم فاسأل في قريش ولا تعددهم  
 الى غيرهم فأتعنى هذا المال انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير  
 المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أمير او قل يستأذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فسلم  
 واستأذن ثم دخل عليه فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن ان يدفن  
 مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولا وثرن به اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء  
 قال ارفعوني فاستند رجل اليه فقال ما لديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان  
 من شئ أهمل على من ذلك فاذا أنا قضيت فاجلوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لى  
 فادخلوني وان ردتى ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأيتها  
 قنفا ولجت عليه فبكت عند ساعة واستأذن الرجال فو لجت خلاهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا  
 أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال ما أجد أحدا أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزيبر وطلحة وسعد او عبد الرحمن وقال  
 يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شئ كههيئة التعزية له فان أصابت الامارة سعد فهو ذلك

والا فليس يستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانية وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين  
الاولين أن يعرف لهم حقوقهم ويحفظ لهم حرماتهم وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان  
من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفى عن مسيئتهم وأوصيه بالامصار خيرا فانهم رداء الاسلام وحياة  
المال وغيت العدو وان لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالاعراب خيرا فانهم أصل العرب  
ومادة الاسلام ان يؤخذ من حوائى أموالهم وترد على فقراهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ان يوفى  
لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكفوا الاطاعتهم فلما قبض خرجنا به فاذا طلقنا نكثى فسلم عبد الله  
ابن عمرو قال يستأذن عمر بن الخطاب قالت ادخلوه فادخل فوضع هناك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه  
اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا امرهم الى ثلاثة منكم فقال الزبير جعلت امرى الى علي  
فقال طلحة قد جعلت امرى الى عثمان وقال سعد قد جعلت امرى الى عبد الرحمن بن عوف فقال  
عبد الرحمن أيكما يتبرأ من هذا الامر فنجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرت افضلهم في نفسه فاسكت  
الشيخان فقال عبد الرحمن أفجعوا لونه الى والله على ان لا آلو عن افضلكم قالان نعم فاخذ بيد أحدهما فقال لك  
من قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم ما قدمت فالتفت اليه فقال انك لتعد لى ولئن أمرت عثمان  
لتسمعن ولتطيعين ثم خذ الابلالا خر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عم ان فبايعه  
وبايع له على رولج أهل الدار فبايعوه اه (وكانت وفاة عمر رضى الله عنه) يوم السبت سلخ نى الحجة سنة  
ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت مدة خلافته عشرين وستة  
أشهر وثمانية أيام كذا لابي الفداء وفي حديث عائشة ما خرجه أبو عمر بن عبد البر ناحت الجن على عمر  
رضى الله عنه قبل أن يموت بثلاث فقالت

أبعـد قـتـيلـبـالمـديـنة أظـلت \* له الارض تـمـتـرـالـمـعضـاة باسوق  
جزى الله خيرا من امام وباركت \* يد الله في ذلك الاديم المـهـزق  
فن يسع أو يركب جناحي نعامة \* ليذكرك ما قدمت بالامس مسبق  
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها \* بواتق من أكمامهم الم تفتق

﴿ خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ﴾

هو أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي يجمع مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ولى الخلافة بعد عمر رضى الله عنه باختيار أهل الشورى له وقد تقدم  
خبر ذلك مستوفى ولما أوبع رقى المنبر وقام خطيبا فحمد الله وشهد ثم ارتج عليه فقال ان أول كل أمر  
صعب وان أعش فستأتيك الخطب على وجهها ان شاء الله ثم نزل وأقر عمال عمر كلهم الا ما كان من المغيرة  
ابن شعبه أمير الكوفة فأنه عزله واستبدل به سعد بن أبي وقاص لوصية عمر بذلك ثم بعد مدة نحو سنة عزل  
من عزل من عمال عمر واستبدل بهم آخرين كان فيهم من هو من قرابته فعزل سعد بن أبي وقاص عن  
الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أمه وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها  
عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وكان أخاه من الرضاعة ثم عزل بعد ذلك أبا موسى الأشعري عن  
البصرة وولى عليها عبد الله بن عامر بن كريز وهو ابن خاله واستكتب مروان بن الحكم بن أبي العاص  
وهو ابن عمه كل ذلك كان لمصلحة اقتضاها الحال وضم حص وفسطين وغيرها من بلاد الشام  
الى معاوية بن أبي سفيان أمير دمشق ومضى رضى الله عنه على سنين هجر في الجهاد وتجهيز الجيوش  
وتكتيب الكنائس حتى اتسعت خطة الاسلام اتساعا أعظم منه في خلافة عمر رضى الله عنه وكان  
لاول خلافة عثمان قد انتقض بعض الثغور والجهات مثل الاسكندرية وبعض بلاد الجهم وفارس ونحو  
ذلك قتلا فاهابا بالغزو والبعوث حتى عادت الى الطاعة وأدت ما كانت تؤديه أيام عمر وأكثرت وفتح عليه

بلاد أرمينية مثل تفلين وقاليقلا وخلاط والسيرجان وعدة حصون وانتهى الفتح الى مدينة الباب  
 وكان ذلك على يد سلمان بن ربيعة الباهلي سنة أربع وعشرين وغزاه معاوية صاحب الشام أيضا بلاد  
 الروم حتى بلغ عمورية ووجد ما بين انطاكية وطرطوس من حصون الروم خاليا بجمع فيها العساكر  
 حتى رجع وخربها وكذا استتم المسلمون في خلافة عثمان رضي الله عنه فتح مدن خراسان والجزو زجان  
 والطالقان وطخارستان وما وراء النهر الى فرغانة في الشرق وانتهى الفتح أيضا الى كابل وزابلستان  
 وهي بلاد غزنة من تغور الهند في الجنوب وفتح في خلافة عثمان رضي الله عنه افر يقية أيضا من بلاد  
 المغرب وكان من خبرها انه لما كانت سنة ست وعشرين من الهجرة عزل عثمان رضي الله عنه عمرو  
 ابن العاص رضي الله عنه عن خراج مصر واسمته عمل مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه  
 فلما قدم ابن أبي سرح مصر كان على خراجها وعمرو بن العاص على حربها فكاتب ابن أبي سرح الى عثمان  
 يشكو عمرا فاستقدمه عثمان واسمته نقل ابن أبي سرح بالخراج والحرب معاً ثم أمره عثمان بغزو افر يقية  
 بعد ان كان عمرو بن العاص استشار عمرو رضي الله عنه في غزوها فغزاه من ذلك وقال له تلك الفرقة  
 وليست بافر يقية أو كلاً ما هذا معناه ولما أمر عثمان ابن أبي سرح بغزوها قال له ان فتح الله عليك فلك  
 خمس الخمس من الغنائم فعقد ابن أبي سرح لعقبة بن نافع بن عبد القيس على جند ولعبد الله بن نافع  
 ابن الحرث على آخر وسرحهم ما خرجوا الى افر يقية في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه  
 ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها ثم ان ابن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستقدم فاستشار  
 عثمان الصحابة رضي الله عنهم فأشاروا بهجهز العساكر من المدينة وفيه مائة من الصحابة منهم  
 ابن عباس وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين رضي الله عنهم وساروا مع ابن أبي  
 سرح سنة ست وعشرين ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة ثم ساروا الى طرابلس فتهبوا  
 الروم عندها ثم ساروا الى افر يقية وبثوا السرايا في كل ناحية وكان ملكهم جرجير ملك ما بين طرابلس  
 وطنجبة تحت ولاية هرقل ويحتمل اليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفاً من العساكر  
 ولقيهم على يوم وليلة من سبيل طنجبة دار ملكهم وأقاموا يقتتلون ودعوه الى الاسلام أو الجزية فاستكبر  
 ولحقهم عبد الله بن الزبير مدد بعثه عثمان لما أبطأت أخبارهم وسمع جرجير بوصول المدد دغفت  
 في عضده وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبي سرح فسأل عنه فقبل انه سمع من ادى جرجير  
 يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي نخاف وتأخر عن شهود القتال فقال له  
 ابن الزبير تنادى أنت بان من قتل جرجير نقاته مائة ألف وزوجه ابنته واسمته عملته على بلاده نخاف  
 جرجير أشد منه ثم قال عبد الله بن الزبير لابن أبي سرح الرأى ان تترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير  
 متأهبين للحرب وتقاتل الروم يثاقى العسكر الى ان يضحروا فتركهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا  
 عليهم ووافق على ذلك أعيان الصحابة ففعلوا ذلك وركبوا من الغد الى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم  
 ثم أفتروا وأركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبروا ووجوا حلة رجل واحد حتى غشوا  
 الروم في خيامهم فأنزمو وقتل كثير منهم وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سبية فنقلها ابن أبي سرح  
 ابن الزبير ثم حاصر ابن أبي سرح سبيل طنجبة حتى فتحها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم  
 الرجل ألفا وبت جيموشه في البلاد الى قفصة فسبوا وغنموا وبعث عسكرا الى حصن الاجم وقد اجتمع به  
 أهل البلاد فخاصره وفتحته على الامان ثم صالحه أهل افر يقية على ألف وخمسمائة ألف دينار  
 وأرسل عبد الله بن أبي سرح عبد الله بن الزبير بخبر الفتح وبان الخمس الى عثمان رضي الله عنه فاشترى مروان  
 ابن الحكم بخمسمائة ألف دينار ثم وضعها عنه عثمان وأعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة  
 الاولى ثم بعد تمام الصلح رجع عبد الله بن أبي سرح الى مصر بعد مقامه بافر يقية سنة وثلاثة أشهر ويقال

انه لما فتحت افريقية امر عثمان رضى الله عنه عبد الله بن نافع ان يسير الى جهة الاندلس فغزاتك الجهة  
 وعاد الى افريقية فاقام بها واليا من قبل عثمان ورجع ابن ابي سرح الى مصر والله اعلم **١٠٠** وفي سنة عثمان  
 وعشرين **١٠١** استأذن معاوية عثمان في غزو البحر فاذن له وقد كان معاوية وهو بمصر يصوم ايام عمر رضى الله  
 عنه كتب اليه في شأن جزيرة قبرس يقول ان قرية من قرى حصص يسمع أهلها نباح كلاب قبرس وصياح  
 ديوكهم فكتب عمر الى عمرو بن العاص يقول صف لي البحر وراكبه فكتب اليه عمرو يقول هو خلق  
 كبير يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركدا فلق القلوب وان تحرك أزاع العقول يزداد فيه  
 اليقين قلة والشك كثرة وراكبه دود على عودان مال غرق وان نجأ فرق فكتب عمر الى معاوية والذي  
 بعث محمد بالحق لا أجل فيه مسلما أبدا وقد بلغني ان بحر الشام يشرف على أطول جبل بالارض فيستأذن  
 الله كل يوم وليلة في ان يغرق الارض فكيف أجل الجنود على هذا البحر الكافر وبالله لمسلم واحد أحب  
 الى سماحت الروم فإياك ان تعرض لي في ذلك فقد علمت مالتى العلاء منى ثم لما كانت خلافة عثمان ألح  
 معاوية عليه في غزو البحر فاجابه على خيار الناس وطوعهم فاختر الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبو ذر  
 وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أم حرام بنت ملحان واستعمل عليهم عبد الله  
 ابن قيس حليف بنى قزارة وساروا الى قبرس وجاء عبد الله بن ابي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم  
 أهلها على سبعة آلاف دينار لكل سنة ويؤدون مثلها للروم ولا منعة لهم على المسلمين من أرادهم  
 من سواهم وعلى أن يكونوا عينا للمسلمين على عدوهم ويكون طريق الغزول للمسلمين عليهم وكانت هذه  
 الغزاة سنة ثمان وعشرين كما قدمنا وقيل غير ذلك وفيها توفيت أم حرام بنت ملحان سقطت عن دابتها  
 حين خرجت من البحر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بذلك وهو نائم عندها كما في الصحيح وأقام  
 عبد الله بن قيس على البحر فغزا حسين غزوة لم ينكب فيها أحدا الى ان نزل في بعض الايام في ساحل  
 المرفاء من أرض الروم فثاروا اليه فقتلوه ونجا الملاح وكان استخلف سفيان بن عوف الأزدي على السفن  
 فجاء الى أهل المرفاء وقتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة من المسلمين **١٠٢** وفي سنة ثلاثين **١٠٣** جمع عثمان القرآن  
 الجمع الثاني في المصاحف وفيها هلك بزجر كسرى فارا من جيوش المسلمين بمدينة مرو ومن خراسان وهو  
 آخر الأكاصرة وبموتها انقرضت دولة آل ساسان وكان من خبر جمع القرآن ما أخرجه البخاري  
 عن ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثه ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح  
 أرمينية واذر بيجان مع أهل العراق فافترع حذيفة اختلافا لهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير  
 المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فإرسى عثمان  
 الى حفصة ان ارسل اليها المصحف تذهبها في المصاحف ثم تردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان  
 فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسختوها في  
 المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن  
 فاكتبوه بلسان قريش فأنزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف  
 الى حفصة فإرسى الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف  
 ان يحرق قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع أباة زيد بن ثابت قال فقدت آية من  
 الاخاب حين نسخت المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها قالت سناها فوجدناها  
 مع خزيمه بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها في  
 المصحف **١٠٤** وفي سنة ثلاث وثلاثين **١٠٥** تكلم جماعة من أهل الكوفة في عثمان بانه ولي جماعة من أهل بيته  
 لا يصلحون للولاية ونقموا عليه أمور أخر لا حاجة بنا الى ذكرها مع انه كان فيها مجتهدا وذلك ان عثمان  
 رضى الله عنه كان فيه من يدحياء ورافة وبرور باقاربه وكان عمر رضى الله عنه من هوب الجانب عند

الخاصة والعامه له عين كالثقة على الرعية بصيرا بما يأتون ويذرون محدثا في ذلك كما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم وكان من الخرم والضبط على ما وصفته به عائشة رضي الله عنها اذ قالت رحم الله عمر كان أحوذيا نسيج وحده قد أعد لادمورا أقرانها فكان عثمان ألين جانبيا من عمر فتوسع الناس في زمانه في أمور الدنيا أكثر مما كانوا عليه في زمان عمر واستعملوا النفيس من الملبس والمسكن والمطعم واقتنوا الضياع والاثاث ~~ب~~ قال المسعودي في مروج الذهب ~~ب~~ وفي أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائتا ألف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان على مرابط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وعثمانين ألفا وخلف يزيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة ألف دينار وبني الزبير داره بالبصرة وكذلك بنو بصير والاسكندرية والكوفة وكذلك بنو طلحة داره بالكوفة وشيخه داره بالمدينة وبنو ابي الجراح والساج وبني سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها وأوسع قضاها وجعل على أعلاها شرفات وبني المقداد داره بالمدينة وجعلها مخصصة للظاهر والباطن وخلف يعلى بن منية خمسين ألف دينار وغير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف درهم اه كلام المسعودي فاستحالت الاحوال في زمان عثمان كاترى ولما رأى ذلك بعض الناس ممن لم يكن له رسوخ في الفقه والدين ولا هو من أهل السابقة من فضلاء الصحابة والمسلمين صاروا ينقمون على عثمان بانه أهل أمر الرعية وخالف سيرة العمرين مع ما انضاف الى ذلك من تولية أقاربه وحاشاه من ذلك رضي الله عنه فان الرجل كان مجتهدا وهو أهل للاجتهد وما تخيلوه من أهاله أمر الرعية حتى استحتمل أمرها الى ما ذكره في سبل باطل اذ ليس ذلك في طوقه ولا بسببه وانما طبيعة العمران البشري تقضى ذلك بسبب ما فتح على المسلمين من الاقاليم والممالك والاقطار والتواحي والامصار وترادف الجبايات الفاتكة الحصر وانثيال كنوز كسرى وقيصر وغيرهم من ملوك الارض عليهم فأنى يبقى الامر على حاله مع هذا الفتح العجيب والنصر الغريب وقد قيل دوام الحال من المحال والناس ليسوا على قدم واحد في الزهد في الدنيا فالحق الذي لا عوج فيه ولا أمت ان عثمان رضي الله عنه كان على الحق حتى لقي ربه وما يعتدون به عليه من مخالفة سيرة الشيخين رضي الله عنهم ما ان صح فحمله الاجتهاد كما قلنا ومعلوم ان أحكام الشرع تدور مع المصالح والمفاسد وتختلف باختلاف الازمان والاحوال كما لا يخفى على من له أدنى مسيس بالفقه ~~ب~~ قال ابن خلدون ~~ب~~ اختلاف الصحابة والتابعين انما يقع في الامور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المتبعة والمجتهدون اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية في واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة والتأنيم مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وان كل مجتهد مصيب فاحرى بنى الخطا والتأنيم ثم استمر أولئك الناقون على عثمان رضي الله عنه وتمادوا في طعنهم وتشغيهم حتى تفاقم الامر وسرى الداء واعوز الدواء واختلط المرعى بالهمل وكان ما كان مما استأذ كره \* فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وأخر الامر ان لما كانت سنة خمس وثلاثين قدم من مصر جمع قبيل ألف وقبيل سبعمائة وقدم من الكوفة جمع آخر ومن البصرة كذلك وحاصر وعثمان رضي الله عنه في داره وكانت خطوط وقطعوا عنه الماء واستمر الحصار نحو أربعين يوما ثم تسور عليه جماعة من أهل مصر داره فقتلوه وسال دمه على المحصف يقال ان الذي تولى قتله كنانة بن بشر التميمي وطعنه عمر وبنو الحق طعنات وجاء عمر بن ضابط



البرجي وكان أبوه قدمات في سجن عثمان فوثب عليه حتى كسر ضلعا من أضلاعه وكان قتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة الاثني عشر يوما وقيل انه قتل صبيحة عيد الاضحى من السنة المذكورة وهو الذي عند ابن الخطيب في رقم الحلال وابن بدرون في شرح العبدونية ويؤيده قول حسان بن ثابت يريته

ضحوا باشمط عنوان السجود به \* يقطع الليل تسبيحا وقرأنا  
لتسمن وشيكافى ديارهم \* الله أكبر يا تارات عثمان  
وهو قول الفرزدق بعده

عثمان اذ قتلوه وانتهكوا \* دمه صبيحة ليلة النصر

رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعا به

﴿خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه﴾

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم واسمه شعبة وفيه يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم بوجع بعد مقتل عثمان رضي الله عنه باتفاق من يعتبر من أهل الحل والعقد بعد امتناعه من ذلك ﴿قال ابن خلدون﴾ لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والانصار وأتوا عليا يبايعونه فأبى وقال أكون وزير الحكيم - يريد من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتهم فألحوا عليه وقالوا لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه في ذلك فخرج إلى المسجد وبايعوه وأول من بايعه طلحة ثم الزبير بعد ان خيرها ويقال انهم ادعوا الاكراه بعد ذلك باربعة أشهر وتختلف عن بيعة علي رضي الله عنه ناس من الصحابة وغيرهم فلم يبعثهم وقال أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل ولما ولي الخلافة رضي الله عنه أحيى السنة وأمات البدعة وأوضع منار الحق وأخذ نار الباطل ولم تأخذه في الله لومة لائم ولما دخلت سنة ست وثلاثين فرّق عماله على النواحي فبعث إلى الكوفة همارة بن شهاب وكان من المهاجرين وولى على البصرة عثمان بن حنيف الانصاري وعلى اليمن عبيد الله بن عباس وكان من الاجواد وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة الانصاري وكان من أهل الجود والشجاعة والرأى وعلى الشام سهل بن حنيف الانصاري فلما وصل سهل إلى تبوك لقيته خيلاً فقالوا من أنت قال أمير على الشام فقالوا ان كان بعثك غير عثمان فارجع فرجع إلى علي ومضى قيس بن سعد إلى مصر فولياها واعتزلت عنه فرقة كانوا عثمانية وأبو ان يدخلوا في طاعة علي حتى يقتل قتلة عثمان ومضى عثمان بن حنيف إلى البصرة فدخاها واتبعت فرقة وخالفته أخرى ومضى عمارة بن شهاب إلى الكوفة فلقبه طلحة بن خويلد الاسدي الذي كان ادعى النبوة زمان الردة فقالوا له ان أهل الكوفة لا يتبدلون باميرهم أحدا وكان عليها أبو موسى الاشعري من قبل عثمان رحمه الله تعالى فرجع عمارة إلى علي ومضى عبيد الله بن عباس إلى اليمن فولياها وكان العامل بها من قبل عثمان يعلى بن منية فاخذما كان بها من المال ولحق بمكة ومعه ستمائة بعير وصار مع عائشة رضي الله عنها وذلك ان عائشة كانت خرجت إلى مكة زمان حصار عثمان فقضت نسكها وانقلبت تريد المدينة فلقبها الخبر بمقتل عثمان فاعظمت ذلك ودعت إلى الطلب بدمه ولحق بها طلحة والزبير وعبد الله بن عامر وجماعة من بني أمية واتفق رأيهم على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها وكان عبد الله بن عمر قد قدم مكة من المدينة فدعوه إلى المسير معهم فأبى وأعطى يعلى بن منية عائشة الجمل المسجي بعسكر وكان اشترى بمائة دينار فركبته وسار واخرأى طريقهم بجاء يقال له الحوებ فنصبتهم كلابه فقالت عائشة أى ماء هذا فقبل ماء الحوებ فصرخت بأعلى صوتها وقالت ان الله واناليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعري أين كنت تنبها كلاب الحوებ ثم ضربت عضد الجمل فأناخته وقالت ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوებ وأقامت بهم يوماً وليلة إلى ان قيل النجاء

النجباء فقد أدرككم علي بن أبي طالب وغلبوها علي وأيمها فارتحلوا نحو البصرة فاستولوا عليها بعد قتال مع  
 أميرها عثمان بن حنيف ولما بلغ علي رضي الله عنه مسيرة عاثشة وطلحة والزبير إلى البصرة سار نحوهم  
 في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعة مائة ممن بايع تحت الشجرة وثمانمائة من الانصار وكانت  
 رايته مع ابنه محمد بن الحنفية وعلي ميمته الحسن وعلي ميسرته الحسين وعلي الخليل عمار بن ياسر وعلي  
 الرجالة محمد بن أبي بكر الصديق وعلي مقدمته عبد الله بن العباس وكان مسيره في ربيع الاخر سنة ست  
 وثلاثين ولما وصل علي إلى ذي قار لقيه أمير البصرة عثمان بن حنيف وأخبره الخبر فقال علي ان الناس  
 وليهم قبلي رجالان فعلا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا في حقه وفعلا ثم بايعوني وبايعني طلحة  
 والزبير ثم نكثوا من العجب انقيادهما لابي بكر وعمر وعثمان وخلافه ما علي والله انهم ما يعلمان اني لست  
 بدون رجل من تقدم ثم سار علي يوم البصرة فيمن معه من أهل المدينة وأهل الكوفة وانضم إلى عاثشة  
 وطلحة والزبير جمع آخر والتقوا فكان يقال له الخريبة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس  
 النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ولما تراء الجمعان خرج طلحة والزبير وجاءهم علي حتى  
 اختلفت أعناق دوابهم فقال علي لقد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا لم أكن  
 أخا كما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمي قال طلحة البتة علي عثمان قال  
 علي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أما بايعتني قال والسيف علي عنقي ثم قال  
 للزبير أتذكري يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنه وأنت له ظالم قال اللهم نعم ولو ذكرت ذلك  
 أقبل مسيري ما سرت والله لا أقاتلك أبدا وافترقوا وكان علي رضي الله عنه قد بعث إليهم قبل اللقاء  
 القعقاع بن عمرو التميمي وأمره ان يشير بالصلح ما استطاع فقدم القعقاع على عاثشة أولا وقال أي أمه  
 ما أشخصك قالت أريد الاصلاح بين الناس قال فابعثني إلى طلحة والزبير فاسمعي مني ومنهم ما فبعثت  
 إليهما فاجأ فقال لهما القعقاع اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح فقال طلحة والزبير  
 كذلك هو قال القعقاع فاخبراني ما هو قال قتلة عثمان فان تركهم ترك للقرآن قال فقد قتلتم منهم عددا  
 من أهل البصرة يعني حين قاتلوا أميرها عثمان بن حنيف قال وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتم  
 حرقوا بن زهير فقتله ستة آلاف فان قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمع ربيعة ومضر علي حرككم فابن الاصلاح  
 قالت عاثشة فاذا تقول أنت قال هذا الامر دواؤه التسكين فاذا سكن الامر اختلفوا أي أخذوا على غرة  
 فقالوا قد أصبت وأحسن فتارجع إلى علي فان كان علي مثل رأيك صلح الامر فارجع القعقاع إلى علي  
 فأعجبه وأشرف القوم على الصلح وعلم بذلك جماعة ممن كان سعي في قتل عثمان أو رضي به فقالوا ان يصطليح  
 هؤلاء فملي دما ثانيا يصطلمون ثم تعاقدوا على انهم اذا التقوا يجيش عاثشة وطلحة والزبير انشبوا القتال  
 حتى يشتغل الناس عما عزموا عليه من الصلح فكان كذلك فانه لما كانت صبيحة الليلة التي اجتمع فيها علي  
 بطلحة والزبير غلس أولئك المتعاهدون على انشاب الحرب وما يشهرونهم أحد وصمدت مضر منهم  
 إلى مضر وربيعة إلى ربيعة واليمن إلى اليمن فوضعوا فيهم السلاح على حين غفلة فثار الناس وتسابقوا  
 إلى خيولهم وزحف البعض إلى البعض واشتبهت الحرب فكانت الواقعة العظيمة المعروفة بوقعة الجمل  
 يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور أعني جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل طلحة في المعركة  
 والزبير وهو راجع إلى المدينة وعقر الجمل الذي كانت عليه عاثشة وأمر علي رضي الله عنه بنقل هودجها  
 إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي ونادى منادى علي يوم الجمل وكذا يوم صفين الا اني أن لا تتبعوا مدبرا  
 ولا تجهزوا علي جريح ولا تدخلوا الدور ثم صلى علي القتلى من الجانبين وأمر بالاطراف فدققت في قبر عظيم  
 وجمع ما كان في العسكر من الاتا وبعث به إلى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذ هذا السلاح  
 عليه ميسم السلطان وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة آلاف منهم من ضربة الفرجل وبلغ

عليان بعض الغوغاء عرض لعائشة رضي الله عنها بالقول السيء فاحضر البعض منهم وأوجههم ضربا ثم جهزها إلى المدينة بما احتاجت إليه وبعث معها أخاها محمد بن أبي بكر في أربعين امرأة من نساء البصرة اختارهن لمرافقتها وجاء يوم ارتحلها فودعها واستعقب لها واسم تعبت له ومشى معها أميالا وشيعها بنوه مسافة يوم وذلك غرة رجب فذهبت إلى مكة وأقامت بها حتى حجت تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة واستعمل على رضي الله عنه على البصرة عبد الله بن عباس وسار إلى الكوفة فنزل بها وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ولم يبق خارجا عن طاعته إلا أهل الشام وأميرهم معاوية بن أبي سفيان فبعث إليه على رضي الله عنه جري بن عبد الله البجلي يأمره بالدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار فلما قدم جري على معاوية ما طله حتى قدم عليه عمرو بن العاص من فلسطين فاستشاره فآشار عليه بترك البيعة والطلب بدم عثمان وإن يقاتل معه على أنه إذا ظفر ولاه مصر فأجابه معاوية إلى ذلك ورجع جري إلى على رضي الله عنه بالخبر فسار على من الكوفة قاصدا معاوية ومن معه بالشام وقدم عليه عبد الله بن عباس ومن معه من أهل البصرة فقال على رضي الله عنه

لا صحت العاص وابن العاص \* سبعين ألفا قدي النواصي  
مجنين الخيل بالقلاص \* مستحقين خلق الدلاص

وسار معاوية ومعه عمرو بن العاص وأهل الشام من دمشق يريد عليا وتأنى معاوية في مسيره وخرجت سنة ست وثلاثين ودخلت سنة سبع بعدها فاجتمع الجيشان بصفين وتراسلوا وتدعوا إلى الصلح فلم يقض الله بذلك وكانت حرب يسيرة بالنسبة لما بعدها ولم يدخل صفرو وقع بينهما القتال فكانت وقعات كثيرة بصفين يقال إنها تسعون وقعة وكانت مدة مقامهم على الحرب مائة يوم وعشرة أيام وعدة القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعون ألفا ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا منهم ستة وعشرون من أهل بدر وكان على رضي الله عنه قد تقدم إلى أصحابه أن لا يقاتلوهم حتى يبدؤهم بالقتال وأن لا يقتلوا مدبرا ولا يكشفوا عورة ولا يأخذوا من أموالهم شيئا وقاتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع علي قتيلا عظيما وكان عمره قد نيف على تسعين سنة وكانت الحرب في يده ويده ترعد فقال هذه راية قاتلت بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة ودعا بقدم من ابن فنرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الأحبه محمد وأحزبه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آخر رزقي من الدنيا اضيعة لبن وروى أنه كان يرتجز نحن قاتلناكم على تأويله \* كما قتلناكم على تنزيله  
ضربا يزيل الهام عن مقيله \* ويذهل الخليل عن خليله

ولم يزل عمار يقاتل ذلك اليوم حتى استشهد رضي الله عنه وفي الصحيح المتفق عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويح عمار تقتله الفئة الباغية وبعد قتل عمار رضي الله عنه انتخب على اثني عشر ألفا بعد أن روى لهم حديث عمار ووجهل بهم على عسكر معاوية فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض ثم نادى يا معاوية على تقتل الناس بينناهم أما كذلك إلى الله فإنا قتل صاحبنا استقام له الأمر فقال له عمرو ابن العاص انصفك فقال معاوية لكنك ما أنصفت ثم قاتلوا ليلة الهرب شهت بليلة القادسية وكانت ليلة الجمعة واستمر القتال إلى الصباح وكان على يسير بين الصفوف ويحرض كل كتيبة على التقدم حتى أصبح والمركة كلها خلف ظهره (وروى) أنه كبرت تلك الليلة سبع مائة تكبيرة وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلا كبيرا ودان القتال إلى ضحي يوم الجمعة وقاتل الأشتر النخعي قتالا عظيما حتى انتهى إلى معسكرهم وقتل صاحب رأيتهم وأمدته على بالرجال فلما رأى عمرو شدة الأمر قال لمعاوية مر الناس يرفعون المصاحف على الرياح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم فاقبلوا ذلك ارتفع عنا القتال وإن أبي بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة ففعلوا ذلك فقال الناس نجيب إلى كتاب الله فقال على يا عباد الله امضوا على حقه في قتال عدوكم فإن

عمر ومعاوية وابن أبي معيط وابن أبي سرح والضحك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم  
منكم ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ومكيدة فقالوا لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فلا نقبل فقال علي  
انما قاتلناهم ليدينو اي كتاب الله فانهم نبذوه فقال جماعة من القراء الذين صاروا خوارج يا علي اوجب الى  
كتاب الله والادفعناك برمتك الى القوم او فعلنا بك ما فعلنا بين عفان فقال علي رضي الله عنه ان تطيعوني  
فقاتلوا وان تعصوني فافعلوا ما ابد لكم وانرا الامر انهم اتفقوا على ان يحكموا رجلين من الجانبين  
وما حكاه عليهم صاروا اليه فاختر اهل الشام عمرو بن العاص داهية العرب واختر اهل العراق  
ابا موسى الاشعري بعد مراجعات وقعت بين علي وبينهم واجتمع الحكمان عند علي لتكتب القضية  
بمضوره فكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تناقضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال عمرو  
ابن العاص انما هو أميركم وليس هو يا أميرنا فقال الاخنف لامخو اسم أمير المؤمنين وقال الاشعث  
أمحها فقال علي الله أكبر سنة بسنة والله اني لكتاب القضية يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله فقالت  
قريش لست برسول الله وليكن اكتب اسمك واسم أيك فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجوه  
فقلت لا أستطيع قال فانيه فاريته اياه فحاه بيده فقال لي انك ستدعي الى مثلها فتجيب ثم كتب  
الكتاب هذا ما تناقضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي بن أبي طالب الكوفة  
ومن معهم وقاضي معاوية علي بن أبي طالب ومن معهم انما نزل عندكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره  
وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمه نحي ما أحيا ونحي ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله  
وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص وملا به وما لم يجد في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة  
غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين اليهود والموانيق انهم ما آمنان على أنفسهم  
وأهلهم والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله  
وميثاقه ان يحكما بين هذه الأمة ولا يورداها في حرب ولا فرقة وأجلا القضاء الى رمضان من السنة  
وان أحبا ان يؤخر ذلك أخره وان مكان قضيتهم مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام وشهد رجال  
من أهل العراق ورجال من أهل الشام ووضعوا خطوطهم في الصحيفة ودعى الاشتر النخعي ليشهد فقال  
لا هبتي عيني ولا نفعني بعدها ثم الى ان وضع لي فيها اسم وكتب الكتاب في يوم الاربعاء ثلاث عشرة  
ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين وعينوا موضع الحكم بدومة الجندل فوق الاجتماع الا لاجل المذكور  
(وحاصل ما كان من ذلك) ان الحكامين اتفقا على خلع علي ومعاوية ويكون الامر شورى بين الناس  
حتى يختاروا من يقدمونه للامم وقدم عمرو بن العاص ابا موسى علي نفسه في الكلام فتكلم أبو موسى  
على رؤس الناس بما اتفقا عليه من خلع علي ومعاوية حتى ينظر الناس لانفسهم فلما سكت أبو موسى  
قام عمرو فقال أيها الناس ان هذا قد خلع صاحبه وقد خالعه كما خالعه وأثبت معاوية فهو ولي ابن عفان  
وأحق الناس بعمارة فكذبه أبو موسى وتنازعا وتشتاما ومرج أمر الناس ولم يحصلوا على طائل وانسل  
أبو موسى الاشعري الى مكة فاقام بها ولم يرجع الى علي حياء منه ومضى عمرو بن العاص في أهل الشام  
فسلموا على معاوية بالسلامة ولا م على أصحابه فيما كان منهم من عصيانه أولا واتخذاهم لاهل الشام  
آخرا وقال فيما قال كافي واياكم كما قال أخو جشم

أمرتهم أمرى بمن خرج اللوا \* فلم يستينوا الرشد الاضحي الغد

وقال ان هذين الحكامين اللذين اخترتموهما تر كاحكم الله وكم ما بهوى النفس واختلفا في حكمهما  
فلم يرشدهما الله فتأهبوا للجهاد واستعدوا للسير وأصبح علي رضي الله عنه غاديا يريد الشام في ثمانية وسبعين  
ألفا وكانت الخوارج قد خرجوا عليه واعتزلوه وقالوا احكمت الرجال في دين الله ولا حكم الا لله وبلغه ان  
الخوارج قد اجتمعوا بالنهر وان تهاهدوا على حرب المسلمين ثم بلغه ان خوارج البصرة لقوا عبد الله

ابن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من النهروان فعرفهم بنفسه فسألوه عن أبي بكر  
وعمر فأنفى خبرا ثم عن عثمان في أول خلافته وآخرها فقال كان محمدا في الأول والأخر فسألوه عن  
عن علي قبل التحكيم وبعده فقال هو أعلم بالله وأشد توقيفا على دينه فقالوا انك توالي الرجال على أسمائها  
ثم ذبحوه وبقر واطن امرأته وقتلوا معها ثلاث نسوة من طي ومن عجيب أمرهم انهم لقوا مسلما  
ونصرا نيا فقتلوا المسلم وقالوا احفظوا ذمة نبيكم في النصراني فسار اليهم على رضى الله عنه وأرسل اليهم  
ان ادفعوا قتلة اخواننا منكم فذكف عنكم حتى نلقى أهل المغرب فعمل الله بركم الى خسر فارسلوا اليه  
كلنا قد قتلهم وكلنا يستحل دماءكم فأتاهم على رضى الله عنه فقال أيتها العصبة التي أخرجها المرء من  
الحق الى الباطل وأصبحت في اللبس والغلب العظيم اني نذير لكم ان تصبوا تلقاكم الامة غدا صرعى  
بانئنا هذا النهر بغير بينة منكم ولا برهان ألم تعلموا اني قد نهيتكم عن الحكومة الى وأخبرتكم ان القوم  
انما طلبوها خديعة فعصيتوني وخطموني على ان حكمت ولما حكمت شرطت وأخذت على الحكامين  
ان يحيا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات فانقلبوا وحكبا بغير حكم الكتاب فنبذنا أمرها ونحن على أمرنا  
الأول فما الذي أصابكم ومن أين أتيتم قالوا احكمنا وكننا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبنا فتنافس قومك  
والا فاعتزلنا ونحن نسايبك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فقال على رضى الله عنه صبحكم صاحب  
ولا بقي منكم واقدأ بعد ايمانى برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادى في سبيل الله وهجرنى مع رسول الله  
أشهد على نفسى بالكفر قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين يوروى عنه انه لما كلمهم واحجج عليهم تنادوا  
لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهموا اللقاء الرب الروح الى الجنة فخرج على رضى الله عنه فبدأ  
الناس بمنة وميسرة ووقف هو في القلب في مضر وجعل على الخيل أبأ يوب الانصارى وعلى أهل  
المدينة وكانوا سبعة مائة قيس بن سعد بن عبادة وعبات الطوارج على نحو هذه التعيينة ورفع على رضى  
الله عنه مع أبي أيوب الانصارى راية الامان فنادى أبو أيوب من أتى هذه الراية ولم يقاتل ولم يستعرض  
فهو آمن ومن انصرف الى الكوفة أو المدائن فهو آمن ومن انصرف عن هذه الجماعة فهو آمن فاعتزل  
فروة بن نوفل الاشجعي في خمسمائة وقال أعتزل حتى يتضح لي الامر في قتال على قتل الدسكرة وخرج  
آخرون الى الكوفة ورجع آخرون الى على رضى الله عنه وكانوا أربعة آلاف فبقي منهم ألف وثمانمائة  
فعمل عليهم على والناس وزحفوا هم الى على رضى الله عنه ينادون الروح الروح الى الجنة فاستقبلتهم  
الراية وعطفت عليهم الخيل من المجنبتين ونهض اليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلهم في ساعة واحدة  
كانما قيل لهم موتوا فأتوا وكان جملة من قتل من أصحاب على رضى الله عنه سبعة نفر فطلب على رضى  
الله عنه المخرج في القتلى فلم يوجد فقام رضى الله عنه وعليه أثر الحزن لفقده فأنتهى الى قتلى بعضهم فوق  
بعض فقال افرجوا فخرجوا وبعينا وشمالا فاستخرجوه فقال الله أكبر والله ما كذبت على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وانه لناقص اليد ما فيها عظم طرفها مثل ندى المرأة عليها خمس شعرات أو سبع  
رؤسها معقفة ثم قال اتوني به فنظر الى منكبه فاذا اللحم مجتمع على منكبه كندى المرأة عليه شعرات  
سودا اذا مدت اللحية امتدت حتى تحاذى بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فقال أصحاب على  
رضى الله عنه قد قطع الله دابرهم آخر الدهر فقال على والذي نفسى بيده انهم لفي أصلاب الرجال وأرحام  
النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعدها مائها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة يقال لهم الشعط  
فيخرج اليهم رجل منا أهل البيت فيقتلهم فلا تخرج لهم بعدها خارجة الى يوم القيامة يوروى الصحيح  
عن سويد بن غفلة قال قال على رضى الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فوالله  
لان آخر من السماء أحب الى من أن أكذب عايبه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب خدعة  
وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الاسنان سفها

الاحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فايتم القيتموهم فاقتلوههم فان في قتلهم اجر المن قتلهم ثم ان عليا رضى الله عنه ندب أصحابه الى غز والشام فقتلوا عليه ولما وصلوا الى الكوفة تسللوا الى بيوتهم وتركوا المعسكر خاليا ولم ارأى على ذلك دخل الكوفة ثم ندبهم تانيا فلم ينفروا ثم ثالثا فلم ينشط منهم الا القليل فخطبهم وأغلظ في عقابهم وأعلمهم بحاله عليهم من الطاعة في الحق والصح فقتلوا وسكتوا واستمر الحال الى ان استأثر به ربه وأراحه من شغهم وقبضه اليه ونقله الى كراهته ووجنته سابق مضمار الايمان والهجرة والنصرة والتجدة والصر والقربى والقناعة والجهاد والعلم والزهد رضى الله عنه (وكان من خبر وفاته) ان ثلاثة من الخوارج من شحامن وقعة النهروان وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى وعمرو بن بكر التميمي السعدي والحجاج بن عبد الله التميمي الصريمي وياقوب البرك اجتمعوا بمكة فذكروا اخوانهم الذين قتلوا بالنهروان وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شربنا انفسنا وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم الناس فقال ابن ملجم وكان من مصر أنا كفيكم عليا وقال البرك أنا كفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا كفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا أن لا يرجع أحد منهم عن صاحبه حتى يفتله أو يموت دونه وتواعدوا السبع عشرة ليلة تقضى من رمضان من هذه السنة أعنى سنة أربعين وانطلقوا فاتي ابن ملجم أصحابه بالكوفة فطوى خبره عنهم الا انه جاء الى شبيب بن شجرة الاشجعي ودعاها الى الموافقة على شأنه فقال شبيب تكاتك أمك فكيف تقدر على قتله فقال أكر له في المجد عند صلاة العداة فان قتلناه والافهى الشهادة قال ويحك لا أجد في أن شرح لقتله مع سابقته وفضله له قال ألم يقتل العباد المالحين أصحاب النهروان قال بلى قال فنقتله بمن قتله منهم فاجابه ثم اتى امرأة من تيمم الر باب فائقة الجمال اسمها قطام قتل أبوها وأخوهها يوم النهروان فخطبها ابن ملجم فشرطت عليه ثلاثة آلاف درهم وعبد اوقينة وأن يقتل عليا وقالت فان قتلته شفيت النفوس والافهى الشهادة قال والله ما جئت الا لذلك ولك ما سألت وفي ذلك قيل

ثلاثة آلاف وعبد اوقينة \* وضرب على بالحسام المسمم

فلامهر أغلى من على وان غلا \* ولاقتك الادون قتلك ابن ملجم

ثم قالت سأبعث معك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت معه رجلا من قومه اسمه وردان فلما كانت الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه فيها وكانت ليلة الجمعة جاء الى المسجد ومعه شبيب ووردان وجلسوا قبالة السدة التي يخرج منها على للصلاة فلما خرج ونادى للصلاة علاه شبيب بالسيف فوق في عضادة الباب وضربه ابن ملجم على قدم رأسه وقال الحكيم لله يا على لالك ولا لأصحابك وهرب وردان الى منزله وهرب شبيب فجلسا ونجا في غمار الناس وقبض على ابن ملجم فحفي به مکتوفا الى على وقد جعل الى بيته فقال اى عدو الله ما حلك على هذا ثم قال ان هتكت فاقتلوه كما قتلني وان بقيت رأيت فيه رأيي يابني عبد المطلب لا تعرضوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا الا قتلى يا حسن ان أنامت من ضربتى هذه فاضرب به بسيفه ولا تخنن بال رجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم المذلة وقال له جنود بن عبد الله أنبايع الحسن ان فقدناك فقال ما أمركم به ولا أنماكم عنه أنتم أبصر ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم لم ينطق الا بلاه الا الله حتى قبض رضى الله عنه ولما قبض أخرج عبد الرحمن بن ملجم من السجن فقطع عبد الله بن جعفر يده ثم جلده ثم لسانه وكلفت عيناه بسمار محي وأحرق اعنه الله وأما البرك فوثب على معاوية تلك الليلة وضربه بالسيف فوق في البيت وأخذ البرك فقال معاوية عندي بشرى أتفنى ان أنا أخبرتك بها قال نعم قال ان أخالى قتل عليها هذه الليلة فقال معاوية لعله لم يقدر عليه فقال بلى ان عليا ليس معه من يحرسه فقتله معاوية وقيل قطع يده ورجله وأقام الى أيام زياد فقتله بالبصرة وأما عمرو بن بكر التميمي فانه جلس تلك الليلة لعمر بن العاص فلم

يخرج عمر والى الصلاة لمرض أصابه واستتاب خارجة بن حذافة العدوي في الصلاة فشد عليه عمرو بن بكر وهو يظن انه عمرو بن العاص فقتله فلما أخذ نوه وأدخله على عمرو قال فن قتل اذا قالوا قتل خارجة بن حذافة فقال أردت عمرا أو أراد الله خارجة فارسها مثلا وأمر به عمرو فقتل ويرحم الله ابن عبدون اذ يقول وايتها اذفدت عمرا بخارجة \* فدت عليا بما شاءت من البشر (وكانت وفاة علي رضي الله عنه) صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين كما ذكرنا وكانت مدة خلافته خمس سنين الاثلاثة أشهر واختلف في موضع قبره فقيل دفن عمالي قبلة المسجد بالكوفة وقيل عند قصر الامارة بها وقيل نقله ابنه الحسن الى المدينة ودقنه بالبقيع عند زوجة فاطمة رضي الله عنها (قال أبو الفداء) والاصح وهو الذي ارتضاه ابن الاثير وغيره ان قبره هو المشهور بالنجف وهو الذي يزار اليوم وفضائل علي رضي الله عنه ومناقبه في العدل وحسن السيرة أجل من أن يحاط بها من ذلك مشاهدة المشهورة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤاخاته له وسبق اسلامه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه وقوله عليه الصلاة والسلام يوم خيبر لا بعثن ال اية غدامع رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقوله عليه الصلاة والسلام له أما ترى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى وقال صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي والقضاء يستدعي معرفة أبواب الفقه كلها بخلاف قوله عليه السلام أفرضكم زيدوا قروكم أبي ولم يضع رضي الله عنه لبننة على لبننة حتى اتى الله وكان يقسم مافي بيت المال كل جمعة حتى لا يترك فيه شيئا ودخل مرة بيت المال فوجد الذهب والفضة فقال يا صفراء اصفري ويا بيضاء ابيضى وغري غيري لا حاجة لي فيك **﴿وروي﴾** ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده الى مجمع التيمي ان عليا رضي الله عنه قسم مافي بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكس ثم صلى فيه وجاء أن يشهد له يوم القيامة **﴿وروي﴾** أيضا بسنده الى عاصم بن كليب عن أبيه قال قدم علي مالا من أصهان فقسمه سبعة أسباع ووجد فيه رغيفا فقسمه سبع كس وجعل على كل جزء كسرة ثم أقرع بينهم أيهم يعطى أولا قال ابن عبد البر وأخباره رضي الله عنه في مثل هذا من سيرته لا يحيط بها كتاب ويرحم الله من قال

أحسن من عود ومن ضارب \* ومن فتاة ناهد كعاب  
ومن مدام في قواريرها \* يسعى بها ساق الى شارب  
ومن جباد الخيل في مهمه \* وضارب يسطو على ضارب  
أحسن من ذلك وهذا وذا \* حب علي بن أبي طالب  
لوقت شوا قلبي لالفوا به \* سطرين قد خطا بلا كاتب  
العلم والتوحيد في جانب \* وحب آل البيت في جانب  
ان كنت فيما قلت كاذبا \* قلعة الله على الكاذب

ولما توفي علي رضي الله عنه بايع الناس ابنه الحسن رضي الله عنه وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له ايسط يدك علي كتاب الله وسنة رسوله وقاتل الملحدين فقال الحسن علي كتاب الله وسنة رسوله ويأتين علي كل شرط ثم بعد ذلك نزل معاوية عن الامر في خبر طويل نذكر منه مافي الصحيح فعن الحسن البصري رحمه الله قال استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكاتب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص اني لارى كتاب لا تولى حتى تقتل أقرانها فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين اي عمرو ان قتل هؤلاء هؤلاء هؤلاء فن لي بأموال الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم فبعث اليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كرز فقال اذهب الي هذا الرجل فاعرض عليه وقولاه واطلب اليه فأتياه فدخلا عليه فتكأما وقالاه وطلبا اليه فقال لهما الحسن بن علي

رضي الله عنهم ما اتاني عبدالمطلب قدأصبنا من هذا المال وان هذه الامة قدعانت في دماها قالافانه  
يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال فن لي بهذا قال نحن لك به فاسأله ما شيا الا قال نحن  
لك به فمالحه قال الحسن البصري رحمه الله ولقد سمعت أبا بكر يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم على المنبر والحسن بن علي الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول ان ابني هذا سيد  
ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وهاهنا فائدتان (الاولى) هذه الحروب التي وقعت  
بين الصحابة رضي الله عنهم فحملها الاجتهاد كاقدمه ما والذب عن الدين وكان الناس من السذاجة في الدين  
والتمسك به على ما عهد منهم فكانوا اذا رآوا ما يظنونه منكرا غيروه ولو باتلاف مذهبهم الا انه لم كان  
منهم المجتهد المصيب وهو ذو الاجرين كافي الحديث ومنهم المجتهد المخبط وهو ذو الاجر الواحد كما في الحديث  
أيضا وكان علي رضي الله عنه مصيبا في جميع أمره من أوله الى آخره فعلى العاقل المحمط لديته أن يظن  
بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الظن الجليل ويعمل بوصيته فيهم اذ قال عليه الصلاة والسلام الله  
الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبجي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم الحديث  
واياي واياه ان يخرج من زكاهم الله تعالى بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف  
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وزكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله خير القرون قرني ثم الذين  
يلونهم ثم الذين يلونهم اللهم احشرنافي زمريهم وأمتنا على سنتهم وطريقتهم يا أكرم الاكرمين  
ويا أرحم الراحمين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا  
ربنا انك رؤوف رحيم (الفائدة الثانية) أطبق السلف على ان ترتيب الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم  
في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة وذهب بعض السلف الى تقديم علي رضي الله عنه وعثمان قال به سفيان  
الثوري لكن قيل انه يرجع عنه وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة الافضل بعد النبي صلى الله عليه وسلم  
علي بن أبي طالب والحق هو القول الاول وهل التفضيل بين الخلفاء قطعي أو ظني فالذي مال اليه  
الاشعري وهو الاول والذي مال اليه القاضي أبو بكر الباقلاني واختاره امام الحرمين في الارشاد هو  
الثاني وعبارته لم يقم عندنا دليل قاطع على تفضيل بعض الائمة على بعض اذ العقل لا يدل على ذلك والاحبار  
الواردة في قضائهم متعارضة ولكن الغالب على الظن ان أبا بكر أفضل الخلفاء لائق بعد الرسول صلى الله  
عليه وسلم ثم عمر أفضلهم بعده وتعارض الظنون في عثمان وعلي وهاهنا انتهى بالقول فيما قصدناه  
من التبرك بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر خلفائه الاربعة رضي الله عنهم وانرجع الى ما نحن  
بصدده من ذكر اخبار المغرب الاقصى مقدمين القول أولا في بيان نسب البربر وبيان حالهم قبل  
الاسلام وبعده على الجملة لتخصص بعده للقعود والله تعالى يعصمنا من الزلل بمنه وكرمه

### في القول في نسب البربر وبيان أصلهم

اعلم ان الناس اختلفوا في تحقيق نسب البربر والى أي أصل من أصول الخليفة يرجعون فذكر صاحب  
كتاب الجمان في أخبار الزمان ونقله عن أهل العلم بالسيران بنى حام تنازعوا مع بنى سام فانهزم بنو حام  
أمامهم الى المغرب وتناساوا به واتصلت شعوبهم من أرض مصر الى آخر المغرب الى تخوم السودان وكان  
بسواحل المغرب الافارقة والافرنج فكانت ذرية حام في المداشر والغليام والاعاجم الاول في البلدان  
وبقى أكثر اولاد حام في بلاد فلسطين من أرض الشام الى زمن داود عليه الصلاة والسلام وكان ملكهم  
يسمى جالوت فلما قتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه عما يشاء أمر باجلائهم من بلاد كنعان  
وفلسطين الى أرض المغرب فساروا نحو افريقية والزاب وانتشروا ههنا لك حتى ضاقت بهم تلك البلاد  
وامتلات منهم الجبال والكهوف والرمال وصاروا يتبعون مواقع القطر بالابل وبيوت الشعر ولم تقدر  
الفرنج على ردهم ودفاعهم فانسازت الاعاجم للدن وبقي البربر فيما عدى المدن وهم مع ذلك على أديان



مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الاديان الفاسدة ففهم من تجسس ومنهم من تهود ومنهم من تنصر واستمر واعي ذلك الى زمان الاسلام وكان فيهم رؤساء ومالك وكهان ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم من الامم (وقال الطبري وغيره) ان البربر اخلطوا من كنعان والعماليق وغيرهم فلما قتل داود جالوت تفرق قوافي البيلاد (وقال السكبي) اختلف الناس فيمن اخرج البربر من الشام فقيل داود بالوحى قيل يا داود اخرج البربر من الشام فانهم جذام الارض وقيل يوشع بن نون عليه السلام وقيل افريقش الحيرى واختلف في افريقش هذا فقال المسعودى هو افريقش بن ابرهة ذى المنار احد التابعين المشهورين (وقال ابن خزم) هو افريقش بن قيس بن صيفي اخو الحرث الرائي منهم وهو الذي ذهب بقبائل العرب الى افريقية وبه سميت وساق البربر اليها من ارض كنعان حينها عندما عليهم يوشع ابن نون وقتلهم فاحتمل القمل منهم وساقهم الى افريقية فانزلهم بها وقتل ملكها جرجير ويقال انه الذي سمي البربر بهذا الاسم لانه لما فتح المغرب وسمع وطانتهم قال ما اكثر بربرتهم فسموا البربر والبربرة في لغة العرب اختلاط اصوات غير مفهومة ومنه بربرة الاسد وينسبون اليه في ذلك شعرا وهو قوله

بربرت كنعان لما سقتها \* من بلاد الضنك للخصب الجيب  
أى أرض سكنوها ولقد \* فازت البربر بالعيش انحصيب

ولما قتل افريقش من غزو المغرب ترك هناك حامية من قبائل حيرصنهاجة وكنانة فهما بها الى الان وليسوا من نسب البربر قاله الطبري والجرجاني والمسعودى وابن السكبي والسهيلي وجميع النسابين من العرب (وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد له) اختلف الناس في نسب البربر اختلافا كثيرا وانسب ما قيل فيهم انهم من ولد قبط بن حام وانه لما نزل مصر خرج بنوه يريدون المغرب فسكنوا من آخر جمالة مصر وذلك فيما وراء برقة الى البحر الاخضر مع بحر الاندلس الى منقطع الرمل متصلين بالسودان وقيل ان البربر صنفان البرانس والبتروان البتر منهم من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر واختلفوا في توجيه ذلك فقال الطبري خرج بر بن قيس بن عيلان بنشد ضالته باحياء البربر فرأى جارية منهم فخطبها من أيها وتروجها فولدت له (وقال في كتاب الجمان) وأما تسميتهم بالبربر فانه لما صار ملك مضر لقيس بن عيلان كان له ولدا اسمه بر بن مضر فخرج مغاضبا لبيه واخوته الى جهة المغرب فقال الناس بر بن مضر أى توحش في البرارى فسموا بربرا ونقل ابن ابي زرع وابن خلدون عن النسابين من البربر وحكاها أيضا البكري وغيره انه كان لمضر بن زرار ولدان الياس وعيلان أمهم ما الر باب بنت حيدة بن عمرو بن معد بن عدنان فولد عيلان ابن مضر ولدين وهما قيس ودهمان ابنا عيلان أما دهمان فولده قليل وهم أهل بيت من قيس يقال لهم بنو امامة وأما قيس بن عيلان فولد أربعة بنين وجارية وهم سعد وعمر ووصفة أمهم حمنة بنت أسد ابن ربيعة بن زرار ثم بر وأخته تماضر أمهم ما عترج بنت يجدول بن غمار بن مضمود البربرى الجبدولى وكانت قبائل البربر اذ ذلك يسكنون الشام ويجاورون العرب في المساكن والاسواق والمساعي ويشاركونهم في المياه والمسارح والمرامى ويصاهر بعضهم بعضا وكانت الهباء بنت دهمان بن عيلان ابن مضر من أجل نساء زمانها وكلهن نظرفا وأدبا فكثر خطابها من سائر قبائل العرب فقال بنو عيها وهم عمرو وسعد ووصفة وبر لا يتزوج ابنة عمنا إلا أحدنا ولا يخرج منا الى غيرنا فخير وهما فيمن شاءت منهم فاختارت برا وكان أصغرهم سنا وأكلهم شبابا فتزوجها دون اخوته فسدوه عايتها وهو ابقته من أجلها وكانت أمهم عترج من دهامة النساء فبعثت الى أيها دهمان وأعلمته الخبر واطأته على الخروج بولدها الى أرض قومها من البربر حيث تأمن عليه ثم بعثت الى قومها فأقارها سرا فأقار تحلت معهم هي وولدها بر وكنتها الهباء بنت دهمان فلحقوا ببلاد البربر وهم يومئذ مستوطنون فلسطين ويا كفاف الشام قتل بر على احواله وأعترجهم ومبنى بانبسة عمه الهباء فولدت له هناك ولدين علوان ومادة قيس ابني بر بن قيس

ابن عيلان فاما علوان فمات صغيرا ولم يعقب واما ماد غيس فكان يلقب الايترو وهو ابو البتر من البربر  
واليه يرفعون أنسابهم ومن ولده جميع زناتة كما سيأتي ويزعمون ان تماضرا أخت برت بكتة بهما دفرتنه  
بشعر تقول فيه لتبسك كل باكية أخاها \* كما أبكى على برتن قيس  
تحمل عن عشيرته فاضحى \* ودون لقائه انضاء عقس  
وعما ينسب اليها أيضا قولها

وشطت ببر داره عن بلادنا \* وطوح بنفسه حيث عما  
وأزوت ببر لكنة أجمية \* وما كان بر في الحجاز بأجمها  
كانا وبر لم تنف ببيادنا \* بنجد ولم تقسم نه اياومغما

وأشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلي

ألا أيها السامعي لفرقة بيننا \* توقف هذا لك الله سبل الاطايب  
فاقسم انا والبربر اخوة \* تناوانا جـ ذكر كرم المناسب  
أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى \* له حومة تش في غليل المحارب  
وبرتن قيس عصبه ضرية \* وفي الفرع من أحسابها والذوائب  
فصن وهم ركن منيع واخوة \* على رغم أعـ داء لثام المناقب

في أبيات غير هذه وينشد أيضا يزيد بن خالد يدح البربر قوله

أيها السائل عما أصلنا \* قيس عيلان بنو الغر الأول  
نحن ما نحن بنو بر الندي \* طارد الا زمة نضار الابل  
قد بنى المجد فاورى زنده \* وكفانا كل خطب ذي جلال  
ان قيسا يعترى برله \* ولبر يعترى قيس الاجل  
فلنا الفخر بقر قيس انه \* جـ ذنا الا كبر فكاك الكليل  
ان قيسا قيس عيلان هم \* معدن الخير على الخير دل  
حسبي البربر قومي انهم \* ملكوا الارض باطراف الاسل

في أبيات آخر واعلم ان الخلاف في نسب البربر طويل وقد تركزنا جـ له اختصارا أو أشبهه هذه الاقوال  
بالحصة ما نقلناه أولا عما يدل على ان جيل البربر من ولد حام وانهم جيل قديم قد سكنوا المغرب عندما تناسلت  
ذرية نوح عليه السلام وانتشرت الخليفة على وجه الارض ثم تلا حقت بهم بقية بني كنعان من الشام  
عندما أجلاهم يوشع بن نون عليه السلام أولا ثم داود عليه السلام ثانيا **وقال ابن خلدون** بعد تزييف  
القول بان البربر من ولد جالوت بالخصوص أو من العرب مانصه **والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره**  
في شأنهم انه من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وان اسم أبيه - م مازينغ اه وعما يستملح من  
العواد والمقولة في نسب البربر قول خلف بن فرح السمسير من شعراء الاندلس **مجدو البربر**

رأيت آدم في نومي فقلت له \* أبا البرية ان الناس قد حكموا  
ان البربر نسل منك قال اذا \* حواء طالق ان كان الذي زعموا

وهذا من ملح الشعراء وشيطنتهم والا فالبربر جيل معروف من أعظم الاجيال وأعزها ولهم الفخر الذي  
لا يجهل والذي لا يهمل وقد تعددت فيهم الدول وكثرت فيهم الملوك العظام وكان لهم القدم الراسخ  
في الاسلام واليد البيضاء في الجهاد ومنهم الاثمة والعلماء والاولياء والشعراء وأهل المزاي والفضائل  
وستقف على كثير من ذلك عن قريب ان شاء الله

**وقال قول في تقسيم شعوب البربر على الجملة**

اعلم ان أمة البربر أمة عظيمة قدملائها ما بين برقة والبحر المحيط شرقا وغربا وما بين بلاد السودان والبحر  
الرومي جنوبا وشمالا ومع عظمها فيجمعها شعبان عظيمان بحيث لا يخرج بربري عنهما (قال ابن خلدون)  
علماء النسب متفقون على ان البربر يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وما دغيس ويلقب مادغيس  
بالابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وبين النساين خلاف هل هما الاب  
واحد أم لا فعند ابن خزم انهما الاب واحد والجميع من نسل كنعان بن حام وقال سابق بن سليمان المطماطي  
وغيره من نساب البربر ان البرانس فقط من نسل كنعان \* وأما البتر فهم بنو برين قيس بن عيلان بن مضر  
وهذا القول قد تقدم ما فيه فالحق ان الشعبةين معا يعرفان في البربرية وان الجميع من ولد مازينغ  
وما زينغ هو من ولد كنعان بن حام كما مر \* فاما البرانس فتقسم الى سبع قبائل اوروبية وصنهاجة وكتامة  
ومصمودة وعجيسة وأورينغة واردة ويقال ورداجة بالواو بدل الهـ مزرة وزاد سابق المطماطي وغيره  
ثلاث قبائل أخرى وهم لطة وهسكورة وخزولة فتكون عشرا \* فاما اوروبية فكان منهم كسيلة بن اغزال اوروبي  
قاتل عقبة بن نافع رضي الله عنه زمان الفتح ومنهم اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي القائم بدعوة  
ادريس بن عبد الله رضي الله عنه \* وأما صنهاجة فهم أكبر قبائل البربر حتى زعم كثير من الناس انهم  
مقدار الثلث منهم وكان منهم بنو زيري بن مناد ملوك افريقية والملثون ملوك مراکش والاندلس  
(وأما كتامة) فهم القاعون بدعوة العبيد بين افريقية ومصر \* وأما المصامدة فهم غمارة وكان منهم بيان  
النصراني صاحب سبته وطنجبة أيام دخول عقبة بن نافع للغرب الاقصى وهم القاعون أيضا بدعوة بني  
ادريس في دواتهم الثانية بعد بني أبي العافية ومن المصامدة أيضا برغواطة أهل تامسان وما اتصل بها  
ومنهم أهل جبل درن القاعون بدعوة محمد بن تومرت مهدي الموحدين وأما باقي قبائل البرانس فلم يكن  
لهم ملك يذكر وقد تقدم لنا ان النساين من العرب يقولون ان صنهاجة وكتامة من جبروان افريقش  
الجبري تركهم حامية بافريقية فتناسلوا بها واستحال لسانهم الى البربرية لكن المحققون من نساب  
البربر كسابق المطماطي وغيره ينكرون ذلك ويجزمون بانهم ما قبيلتان عربيتان في البربر \* وأما البتر  
وهم بنو مادغيس الابتر فينقسم شعبهم الى أربع قبائل وهم خريسة ونفوسة وأداسة وبنو لواي وهم  
لواتة فاما خريسة فمكاسة ومن مكاسة بنو مدرار ملوك سجلماسة وبنو أبي العافية ملوك فاس  
ومن خريسة أيضا زناتة كلها ومن زناتة جراوة قوم الكاهنة داهيا صاحبة جبل اوراس التي أوقعت  
بحسان بن النعمان عامل الخليفة عبد الملك بن مروان ومن زناتة أيضا بنو خزرا المغراوي ملوك تلمسان  
والمغرب الاوسط ومنهم مغراوة ملوك فاس وبنو يقرن ملوك سلا وتادلا ومنهم بنو زيان ملوك تلمسان  
و بنو مرين ملوك فاس أيضا فهو لاء كلهم من زناتة وزناتة هو زانان يحيى بن ضري بن زحيك  
ابن مادغيس الابتر \* وأما نفوسة وأداسة ولواتة فلم يكن لهم ملك يذكر واعلم ان كل قبيلة من هذه القبائل  
الاربع عشرة تشتمل على عمائر و بطون وأنفاذ وقصائل لا حصر لها وفيما ذكرناه كفاية وبالله التوفيق

والخبر عن حال البربر قبل الاسلام وذكر بعض أمصار المغرب القديمة وما قيل في ذلك

قد تقدم لنا ان البربر أمة قديمة سكنوا أرض المغرب في قديم الزمان وانهم لما عمروا بلادهم وملئوا كنفه  
انحازت الفرغ عنهم الى السواحل والثغور وبقي البربر فيما سوى ذلك من الضواحي والجبال  
والكهوف وهم مع ذلك على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الأديان الفاسدة الى آخر ما مر  
فهذا كان حالهم على الجملة \* وقال ابن خلدون \* لم تنزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية  
عامرة بهذا الجبل ما بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ أزمان لا يعرف أولها ولا ما قبلها وكان دينهم دين  
المجوسية شأن الاعاجم كلها بالشرق والمغرب الا في بعض الاحياء يدينون بدين من غلب عليهم من الامم  
فان الامم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم فقد غزتهم ملوك اليمن من قراهم من اراء الى ما ذكر

مؤرخوهم فاستكانوا الغلبهم وداؤوا بدينهم (ذكر ابن السكبي) ان حيرا ابا القبائل اليمانية ملك المغرب  
مائة سنة وانه الذي ابنتى مدائنه مثل افريقية وصقلية واتفق المؤرخون من العرب على غزو افريقيش  
الجيري من التبابعة أرض المغرب اه ومانقله عن ابن السكبي من غزو حيرا أرض المغرب قد نقل أيضا  
انكاره عن الحافظين أبي عمر بن عبد البر وأبي محمد بن خزم وانهم ما قالوا ما كان الحير طريق الى بلاد البربر  
الافريقية تكاذيب مؤرخي اليمن ثم ذكر ان البعض من البربر كانوا قد داؤوا بدين اليهودية وأخذوه عن بني  
اسرائيل عند استفحال ملكهم لغرب الشام وسلطانه منهم كما كان جراوة أهل جبل اوراين قبيلة الكاهنة  
وكانت نفوسة من برابرة افريقية وفندلاوة ومديونة ووج لولة وغياثة وبنو فزاز من برابرة المغرب الاقصى  
حتى محادريس الاكبر جميع ما كان في نواحيه من بقايا الاديان والممل وقال غير واحد من المؤرخين  
كان أهل المغرب الاقصى يضرون بأهل الاندلس لاتصال الأرض بينهم ويلقون منهم الجهد الجهد في كل  
وقت الى ان اجتازهم الاسكندر فشكوا حالهم اليه فأحضر المهندسين وأتى الى الزقاق يعني زقاق سبتة  
فأمرهم بوزن سطح الماء من البحر المحيط والبرار والروى فوجدوا المحيط يعالروى وبشيء يسير فأمر برفع  
البلاد التي على ساحل البحر الروى ونقلها من الحضيض الى الاعلى ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد  
الاندلس من الأرض فحفرت حتى ظهرت الجبال السقلية وبني عليها رصيفاً بالجبل والجار بناء محكما  
وجعل طوله اثني عشر ميلا وهي المسافة التي كانت بين البحرين وبني رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة  
وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال فلما اكمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين  
الرصيفين فدخل في البحر الروى ثم ارتفع الماء فاغرق مدنا كثيرة وأهلك أمة عظيمة كانت على الشطين  
وطمي الماء على الرصيفين باحدى عشرة قامة فأما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس فانه يظهر في بعض  
الاقوات اذا نقص الماء ظهورا بيننا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرة يسمونه القنطرة وأما الرصيف  
الذي من جهة العدو فان الماء حمله في صدره واحتفر ما خلفه من الأرض بنحو اثني عشر ميلا  
وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز وسبته وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن  
زياد وجزيرة طريف بن مالك والجزيرة الخضراء وما بين سبتة والخضراء هو عرض البحر المسمى بالزقاق  
وبالبوغاز أيضا اه وما ذكره من ان أرض المغرب كانت متصلة بأرض الاندلس نحوه في تواريخ  
الفرنج القديعة غير انهم يسمون الملك الذي فتح البوغاز هو قول الجبار وعند ابن سعيدانه كان فيما بين  
قصر الجواز وطريف قنطرة عظيمة قد وصلت ما بين البرين يزعم الناس ان الاسكندر بناها ليعبر عاها  
من بر الاندلس الى بر العدو والله تعالى أعلم بحقيقة الامر (وفي تواريخ الفرنج المقطوع بصحتها عندهم)  
ان ملوك الروم الاولى حاربوا القرطاجنيين من أهل افريقية والمغرب وغلبوهم على البلاد وهدموا في  
بعض تلك الحروب مدينة قرطاجنة الشهيرة الذكر (قال الشيخ رفاعة في بداية القدماء مانصه) قرطاجنة  
مدينة بأرض افريقية وهي احدى مدن الدنيا الشهيرة وقد هدمها الروم قبل ميلاد المسيح عليه السلام  
بمائة وست وأربعين سنة ثم أسست ثانية ونحوها العرب حتى انه لا يرى الا الآن شئ من آثارها الا بقايا  
الجهد وبقر بموضعها مدينة تونس اه (وقال ابن خلدون) في كتاب طبيعة العمران حين تكام على  
قيادة الاساطيل مانصه وقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الروى وكان  
أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في اساطيله ولما أسف من أسف  
منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى المغرب أجاز واليهما في الاساطيل  
وملكوها وتغلبوا على البربرها وانتزعوا من أيديهم أمرها وكان لهم من المدن الحافلة مثل قرطاجنة  
وسبيلة وجالولا ومرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب ووة  
ويبعث الاساطيل لحربه مشحونة بالعساكر والعدو فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين

حفاقيه معروفة في القديم والحديث انتهى **فولت** الفريخ اليوم جازمون بان مارك الروم الاولى  
 كانوا مستولين على أرض المغرب باسمها قدم ملكوها مدة طويلة من الزمان قبل ميلاد المسيح عليه  
 السلام بكثير وان الامصار القديمة بالمغرب مثل سبتة وطنجة وسلا وشالة ووليلي ونحوها هي من بناتهم  
 أو بناء القرطاجنيين قبلهم ولقد قال لي بعض أهل الخبرة منهم ان مدينة سلا كانت موجودة في ذلك  
 العصر وانها مذكورة بهذا الاسم في تواريخ الروم القديمة المذكورة فيها أخبار المغرب وأمصاره  
 وحقت عليه ذلك فخرم به ولم يرجع وما يقال من ان سبتة وسلا من بناء بعض أولاد نوح عليه السلام  
 فقول بعيد عن الصحة نعم قد ذكر في التوراة عند الكلام على ذرية نوح وتنازلهم بالارض انه كان منهم  
 سبتة بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام ويبعد أن تكون المدينة من بناء هذا الرجل أو بناء بعض بنيه  
 لبعده العهد وطول المدة وعدم نقل ذلك من وجه صحيح وان كانت أرض المغرب هي لأولاد حام من قديم  
 الزمان والله أعلم \* ولما أخذ الروم يدين النصرانية في زمن قسطنطين الملك وكانت لهم اليد العالمة على  
 من جاورهم من الامم مثل الحبشة والقيط والفرنج والقوط وغيرهم جاوهم على الاخذ به فدأوا به معهم  
 وتلقونونه عنهم وبشوه في بلادهم ورواياتهم وكان المرنج مجاورين للبربر في المغرب الادنى والقوط مجاورين  
 لهم في الاقصى ايس بينهم وبينهم الاخليج البحر فحملوا أهل السواحل منهم على الاخذ بذلك الدين فدأوا به  
 أيضا وظهرت القيامة يومئذ منسحب على الجميع وأمرهم نأخذ في الكل واستمر الحال على ذلك حتى جاء  
 الله بالاسلام وأظهره على الدين كله فدانت به البربر على ما نذكره ان شاء الله فلهذا السبب كان كسيلة  
 الاوربي ويليان القماري وغيرهما من كبار البربر نصارى **فوق** وقال ابن خلدون **فوق** كان للبربر في الضواحي  
 وراء ملك الامصار المرهوبة الحامية ماشاء الله من قوة وعدة وعدد ومال وأقوال وأمرأه  
 لا يرامون بذل ولا تنازلهم الروم والفرنج في ضواحيهم تلك **فوق** خطه ولا اساءة ثم قال وكأنا يؤدون الجباية  
 لهرقل ملك القسطنطينية كما كان المقوقس صاحب مصر والاسكندر يقرقة يؤدى الجباية له وكما  
 كان صاحب طرابلس ولبيدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الاندلس من القوط لما كان الروم  
 قد غلبوا على هؤلاء الامم أجمع وعنه م أخذوا دين النصرانية وكان الفرنجية هم الذين ولوا أمر أفريقية  
 ولم تكن للروم فيها ولا ية وانما كان كل من كان منهم مهاجرا للفرنج ومن حشودهم وما يسمع في كتب  
 لفتح من ذكر الروم في فتح أفريقية فن باب التغليب لان العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج وما قاتلوا  
 في الشام الا الروم فظنوا انهم هم الغالبون على أم النصرانية فان هرقل هو ملك النصرانية كلها فقبلوا  
 اسم الروم على جميع أم النصرانية ونقلت الاخبار عن العرب كما هي فخرجوا المقتول عند الفتح من  
 الفرنج وليس من الروم وكذا الامة الذين كانوا بأفريقية غالبين على البربر ونازحين عندها وحصونها  
 انما كانوا من الفرنجية اه

### في القول في تحديد المغرب وذكرا لرجال البربر بعد الاسلام

علم ان لفظ المغرب يطاق في عرف أهله على ناحية من الارض معروفة بعينها حدها من جهة مغرب  
 لشمس البحر المحيط المعروف بالكبير ومن جهة مشرق الشمس بلاد برقة وما خلفها الى الاسكندرية  
 ومصر فبرقة خارجة عن بلاد المغرب بهذا الاعتبار وبلاد طرابلس وما دونها الى جهة البحر المحيط داخله  
 فيه وحدها من جهة الشمال البحر الرومي المتفرع عن المحيط ويعرف هذا الرومي بالصغير ومن جهة  
 الجنوب جبال الرمل الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند العرب الرحالة هنالك بالعرق  
**فوق** هذا المغرب **فوق** يشتمل على ثلاث ممالك مملكة أفريقية وهي المغرب الادنى وقاعدتها في صدر الاسلام  
 مدينة القيروان وفي هذا العصر مدينة تونس وسمى أدنى لانه أقرب الى بلاد العرب ودار الخلافة بالجوز  
**فوق** ثم بعد أفريقية مملكة المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وجزائر بني مزغنة وهذه المملكة اليوم في يد

فرخ افرانسة ملكوها في سنة ست وأربعين ومائتين وألف وأهلها مسلمون ثم بعد ذلك مملكة المغرب  
الاقصى وسمى اقصى لانه أبعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة في صدر الاسلام وحده هذا الاقصى من  
جهة المغرب البصر المحيط ومن جهة المشرق وادي ملوية مع جبال تازا ومن جهة الشمال البصر الرومي  
ومن جهة الجنوب جبل درن قاله ابن خلدون وفي تقاسيم الفرخ ان المغرب الاقصى يشتمل على خمس  
عمالات عمالة فاس وعمالة مراکش وعمالة السوس وعمالة درعة وعمالة تافيلالت ودار الملك به تارة  
فاس وتارة مراکش وهو في الاغلب ديار المصامدة من البربر ويساكنهم فيه عوالم من صنهاجة  
ومضغرة وأوربة وغيرهم لكنهم قليل بالنسبة الى المصامدة ويساكنهم فيه أيضا عالم من العرب أهل  
الخيام انتقلوا من جزيرة العرب الى أفريقيا ثم من أفريقيا اليه أو اخر المائة السادسة أيام الخليفة  
يعقوب المنصور الموحدى وهم اليوم قبائل عديدة يرجعون في نسبهم الى رياح وجشم فأما رياح فهم  
من بني هلال بن عامر بن صعصعة وأما جشم فهم بنو جشم بن معاوية بن بكر وكلهم ينتهي نسبهم الى  
مضرو ويضاف اليهم قبائل آخر تحقق الكلام فيهم بعد هذا ان شاء الله ثم قد علمت ان كلامنا  
بالعقد الاول في هذا الكتاب انما هو على المغرب الاقصى لكانت لكم أولا على أخبار المغرب مطلقا ونذكر  
أمراء الموجهين من قبل الخلفاء بالمشرق على التفصيل مادام تطرحهم منسجبا عليه وظلمهم تمتد اليه  
اذ كان أمر الخلافة في صدر الاسلام متحد او حكمها مجتمعوا وكلتها نافذة في جميع ممالك الاسلام شرقا  
وغربا بحيث لا يخرج قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار فيما بعد اودنا من الارض عن نظر الخليفة  
الاعظم وقد كان ذلك دينا متبعها وحكما مجتمعها عليه ولا تصح لاحد امارة أو ولاية الا بالاستناد اليه حتى  
اذ اطال العهد وضعف أمر الخلافة وتقلص ظلها عن القاصية تفرقت ممالك الاسلام البعيدة عن  
دارها وتوزعت الثوار من بني هاشم وغيرهم واستبدت الامراء النازحون عنها كل بما غلب عليه وصار أمر  
الوحدة الى الكثرة وحكم الاجتماع الى الفرقة فلها ذانتكلم الآن على أخبار المغرب مطلقا ونذكر ولاته  
الموجهين اليه من قبل الخلفاء واحد بعد واحد الى زمن ادريس بن عبد الله المستبد بممالك المغرب الاقصى  
والمقطوع له عماء عداه من الممالك الاسلامية فحينئذ نورد الكلام عليه بخصوصه على ما شرطناه  
فاما الآن فلا يمكننا الكلام عليه وحده لانه والحالة هذه مندرج في غيره من ممالك المغرب اذ والى  
الموجه من قبل الخليفة في صدر الاسلام كان يكون واليا على أفريقيا وما بعدها من بلاد المغرب الى البحر  
المحيط وقد تضاف الى نظره الاندلس بل كان واليا بمصر قد يكون نظره شاملا لجميع بلاد المغرب حسبما  
تقف عليه فاعرف هذه الجملة ولتكن منك على بال وأما حال البربر بعد الاسلام فيعرف من أخبار  
الولاة التي نمردها الآن وبالله التوفيق

### بولاية عمرو بن العاص رضي الله عنه وقبحة برقة وطرابلس

لما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية  
وفرغ منهم اسار في سنة احدى وعشرين من الهجرة الى برقة وكانت تسمى في القديم انطاكس فصالحه  
أهلها على الجزية ثم سار بعدها الى طرابلس فحاصرها شهرا وكانت مكشوفة السور من جانب البحر  
وسفن الروم في مرساها فحسر الماء في بعض الايام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين لها  
فاقتحموا البلد فمابين البحر والبيوت فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم وارتفع الصباح فأقبل عمرو  
بعساكره فدخل المدينة ولم يغلبت الروم الا بما خفي في المراكب ثم عطف عمرو رضي الله عنه على مدينة  
صبرة وكانوا قد آمنوا بجمعة طرابلس واشتغال المسلمين بحصارها فصبجهم في جيش المسلمين واقتحمها  
عليهم عنوة وكل القع ورجع عمرو الى برقة فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر  
أهل برقة لواتة وهم بنو لوى الاكبر وأكثر أهل طرابلس وصبرة نفوسة وكلتا القبيلتين من البتر

ولما فرغ عمرو رضي الله عنه من أمر طرابلس وما معها استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التقدم إلى أفريقيا فتمعه وقال تلك المفرقة وليست بأفريقية أو كلاهما - ذامعناه فامتثل وعاد إلى مصر فكان عمرو بن العاصي أول أمير للمسلمين وطئت خيله أرض المغرب لكنه لم يصل إلى أفريقيا ولا كان من البربر إلا غيران صاحب كتاب الجان نقل أنهما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستفتحت مدينة مصر وكان عليها عمرو بن العاصي قدم عليه ستة نفر من البربر محلقين الرؤس والحي فقال لهم عمرو وما أنتم وما الذي جاءكم قالوا رغبتنا في الإسلام فخشنا له لأن جدودنا قد أوصونا بذلك فوجههم عمرو إلى عمر رضي الله عنهما وكتب إليه بخبرهم فلما قدموا عليه وهم لا يعرفون لسان العرب كلهم الترجان على لسان عمر فقال لهم من أنتم قالوا نحن بنو مازن بن قيس فقال عمر لساننا هل سمعتم قط بهؤلاء فقال شيخ من قريش يا أمير المؤمنين هؤلاء البربر من ذرية بر بن قيس بن عيلان خرج مغاضبا لآبائه وأخوته فقالوا بربر أي أخذ البرية فقال لهم عمرو رضي الله عنه ما علامتكم في بلادكم قالوا نكرم الخيل ونهين النساء فقال لهم عمر ألكم مدائن قالوا لا قال ألكم أعلام تهتدون بها قالوا لا قال عمر والله لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض معازيه فنظرت إلى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر لا تحزن فإن الله سبحانه عز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق ثم قال عمر فالله الذي من على برؤيتهم ثم أكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه وكتب إلى عمرو بن العاصي أن يجعلهم على مقدمة المسلمين وكانوا من أخذشتي اه والله أعلم

### بولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وفتح أفريقيا

لما كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاصي عن مصر وولي عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أخاه من الرضاة وأمره بغزو أفريقيا سنة ست وعشرين من الهجرة وقال له إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم فأمر ابن أبي سرح عقبة بن نافع بن عبد قيس على جند عبد الله بن نافع بن الحرث على آخر وسرحهم ما فرجوا إلى أفريقيا في عشرة آلاف وصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدر وأعلى التوغل فيها لكثرة أهلها ثم إن عبد الله بن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستشاره عثمان الصحابة فأشاروا به فجهز العساكر من المدينة وفيه من جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمرو وابن عمرو بن العاصي وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير وقيل لحقهم مدد اوسار وامع عبد الله بن سعد سنة ست وعشرين ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين بركة ثم ساروا إلى طرابلس فتمبوا الروم عندهم تجاوزوها إلى أفريقيا وبثوا السرايا في كل ناحية وكان ملكهم جرجير الفرنجي يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل إليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفا من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيطلة دار ملكهم وأقاموا يقتتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكبر ولحقهم عبد الله بن الزبير مدد بعثه عثمان رضي الله عنه لما أبطأت عليه أخبارهم وسمع جرجير بوصول المدد فقتل ذلك في عضده وشهد ابن الزبير معهم القتال وقد غاب ابن أبي سرح فسأل عنه فقيل له أنه سمع منادى جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي نخاف وتأخر عن شهود القتال فقال له ابن الزبير نادى أنت بيان من قتل جرجير نفلته مائة ألف وزوجه ابنته واستعملته على بلاده نخاف جرجير أشد منه ثم أشار ابن الزبير على ابن أبي سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متأهبين للعرب ويقاوم الروم بباقي العسكر إلى أن يضربوا فيركبهم بالآخرين على غرة لعل الله ينصرنا عليهم ووافق على ذلك أعيان الصحابة ففعلوا وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم ثم افترقوا وأركب عبد الله الفريق الذي كانوا مستريحين

فكبروا وجاوا حلة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فانهم زمو وقتل كثير منهم وقتل ابن الزبير  
جرجير وحيزت ابنته سبية فنقلها ابن أبي سرح ابن الزبير ثم حاصر ابن أبي سرح سيطة فقتلها وخرّبها  
وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الرجل ألفا وبت جيوشه في البلاد الى قفصة فسبوا  
وغنموا وبعثوا عسكرا الى حصن الاجم وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحه على الامان ثم صالحه  
أهل أفريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار وأرسل ابن الزبير بخبر الفتح وبالنس الى المدينة  
فاستراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار وبعض الناس يقول أعطاه اياه عثمان رضى الله عنه  
ولا يصح وإنما أعطى ابن أبي سرح خمس الخمس من الغزوة الاولى وانجاز الفريجة ومن معهم من الروم  
بعد المهزبة والفتح الى حصون أفريقية وانساح المسلمون في البسائط بالغارات ووقع بينهم وبين أهل  
الضواحي من البربر خوف وقتل وسبي حتى لقد أسروا يومئذ من ملوك البربر صولات بن وزمار الزناتي  
ثم المغراوي جد بني خزرم ملك تلمسان فرغموه الى عثمان رضى الله عنه فأسلم على يده فن عليه وأطبقه  
وعقد له على قومه ويقال انما وصله واقفا كرم وقادته والله أعلم ثم رغب الفريج والبربر في السلم وسألوا  
الصلح وشرطوا لابن أبي سرح ثلاثمائة قنطار من الذهب على أن يرحل عنهم بالعرب ويخرج من بلادهم  
فقبل ورجع المسلمون الى المشرق بعد مقامهم بأفريقية سنة وثلاثة أشهر ولما بلغ هرقل ملك الروم  
ان أهل أفريقية صالحوا المسلمين بذلك المال الذي أعطوه غضب عليهم وبعث بطريقا يأخذ منهم مثل  
ذلك فنزل قرطاجنة وأخبرهم بما جاءه فأبوا وقالوا قد كان ينبغي له أن يسعدنا فيما نزل بنا فقاتلهم  
البطريق وهزمهم وطرد الملك الذي ولوه عليهم بعد جرجير فلحق بالشام وقد اجتمع الناس على معاوية  
ابن أبي سفيان رضى الله عنه فاستجاب له على أفريقية فبعث معه معاوية بن حديج السكوني على ما ذكره

#### بجولانية معاوية بن حديج على المغرب

هو معاوية بن حديج الحناء المهمله مصغرا الكندي ثم السكوني له صحبة وعن شهد مع عمرو بن العاصي  
فتح مصر وقدم بخبر الفتح على عمرو بن الخطاب رضى الله عنه ولما قدم على أفريقية على معاوية بن  
أبي سفيان رضى الله عنه وشكا اليه ما ناله من صاحب قيصر بعث معه معاوية بن حديج هذا في عسكر  
ضمم سنة خمس وأربعين فلما وصل الى الاسكندرية هلك العلي ومضى معاوية فقدم أفريقية في عشرة  
آلاف فنزل قونية فمرح اليه البطريق ثلاثين ألف مقاتل كان قيصر قد وجهها من القسطنطينية  
في البحر لدا فاعة العرب عن أفريقية فلم تغن شيئا وقتلهم معاوية فهزمهم عند حصن الاجم ثم بث السرايا  
ودوخ البلاد فبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة فافتحها ثم بعث عبد الملك بن مروان الى جلولاء فافتحها  
كذلك ووقال ابن خلدون ان معاوية حاصر حصن جلولاء فامتنع عليه حتى سقط ذات يوم سور  
فداه المسلمون وغنموا ما فيه ثم وجه جيشا في البحر الى صقلية في مائتي مركب فافتحوا فيها ثم فتح بتزرت  
وظهر الاسلام في البربر ثم عاد الى مصر بعد ان خلد آثارا حسنة وبني بحل القيروان آبارا ثم عزله معاوية  
ابن أبي سفيان عن أفريقية وأقره على مصر فقط ثم عزله عنها في خبر ليس ذكره من غرضنا

#### بجولانية عقبة بن نافع الفهري على المغرب وبنو مؤه مدينة القيروان

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري صحابي بالمولد وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة وكان  
عمرو بن العاصي وهو أمير على مصر قد استعمل عقبة هذا وهو ابن خالته على أفريقية فانتهى الى لوانة  
ومرأته فاطمة واثم كفروا فغزاهم وقتل وسبي ثم افتتح سنة اثنتين وأربعين غدامس من تخوم السودان  
وفي السنة بعدها افتتح ودان وكور من كور السودان وأثنى في تلك النواحي وكان له فيها جهاد وفتح  
قطر غناؤه وعرفت بجدته وكفايته فلما كانت سنة خمسين ولاء معاوية رضى الله عنه على أفريقية  
استقل لا وبعث معه عشرة آلاف فارس فدخل عقبة أفريقية بعد رجوع معاوية بن حديج عنها



وانضاف اليه مسلمة البربر فكثر جمعهم ووضع السيف في أهله الا انهم كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين  
 أسلموا فاذا رجعوا عنها ارتدوا ثم رأى عقبة رجه الله أن يتخذ مدينة يعتصم بها جيش المسلمين من البربر  
 وتقام بها الجمع والاعياد فاستشار من معه فقالوا نحن أصحاب ابل ولا حاجة لنا بما جاوره البحر فتسوطوا علينا  
 الفرج فانظر لنا ينظر الله ع قال صاحب الجمان ع وكانت بقعة القيروان غيضة لا يأوى اليها الا الوحوش  
 والسباع فصاح بها عقبة أن اخرجي أيتها الوحوش والهوام باذن الله عز وجل فبقيت أرض القيروان  
 أربعين سنة لا يرى فيها شيء من الهوام المؤذية ولا السباع العادية ثم شرع في بنائها وقال هذه أوسع لابلكم  
 وآمن عليكم من روم القسطنطينية وافرغ الجزيرة ع وعن الليث بن سعد ع أن عقبة رجه الله غزا  
 افريقية فأتى وادي القيروان فبات عليه هو وأصحابه حتى اذا أصبح وقف على رأس الوادي فقال يا أهل  
 الوادي اطعنوا فاننا نازلون قال ذلك ثلاثا فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما لا يعرف من  
 الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون اليها من حين أصبحوا حتى أوهجتهم الشمس وحتى لم يروا منها  
 شيئا فترزوا الوادي عند ذلك ع قال الليث ع حدثني زياد بن عجلان ان أهل افريقية أقاموا بعد ذلك  
 أربعين سنة ولو التمس حية أو عقرب بالف دينار ما وجدت اه ع وفي الجمان ع لما شرع عقبة رجه الله  
 في بناء جامعها تنازعوا في القبلة فأتى عقبة آت في النوم فوضع له علامة على سمت القبلة فلما اتبه أعلم  
 الناس بذلك فأتوا الى الموضع فوجدوا العلامة كما قال فوقف عقبة ينظر الى القبلة فسمع تكبيرة في الجوق  
 من ناحية القبلة فنظر فرأى الكعبة عيانا وآهاكل من كان حوله ع وقال ابن خلدون ع اختط عقبة  
 رضى الله عنه القيروان وبني بها المسجد الجامع وبني الناس مساجد منهم ومساجدهم وكان دورها ثلاثة  
 آلاف باع وستمائة باع وكلمت في خمس سنين وكان يغزوا ويبعث سرايا لا غارة والنهب ودخل أكثر  
 البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين اه ع وقال صاحب الخلاصة النقية ع اختط عقبة  
 ابن نافع القيروان سنة خمسين وجمع دور سورها اثني عشر ميلا وبني بها الجامع الاعظم وقاتل البربر  
 وشردهم ثم عزله معاوية عنها والله أعلم

### ولاية أبي المهاجر دينار وفتح المغرب الاوسط ع

كان معاوية رضى الله عنه قدولى على مصر وافرريقية مسلمة بن مخلد بوزن محمد الانصارى فاستعمل  
 مسلمة على افرريقية مولاه أبا المهاجر المذكور ويقال مولى بنى مخزوم فقد مها سنة خمس وخمسين وآساء  
 عزل عقبة واستخف به لشيء كان بينهما وكره نزول القيروان فبنى مدينة قربها وأخلى قيروان عقبة فدعا  
 عقبة الله تعالى أن يمكنه منه وكان رجلا صالحا محبا للدعوة فاستجيب له فيه على ما ذكره ثم ان أبا المهاجر  
 بعث حنش بن عبد الله الصنعاني صنعاء الشام الى جزيرة شريك وهي العروقة الآن بالجزيرة القبلية  
 واليه ايسر سلك من باب الجزيرة أحد أبواب تونس فاقتحمها وكان كسيلة بن اغر البرنسي ثم الاوربي  
 من أهل المغرب الاقصى من عظماء البربر وكان نصرانيا قد جمع الجوع من البربر والفرج وزحف الى  
 المسلمين فزحف اليهم أبو المهاجر فهزمهم حول تلمسان وتمكن من البلاد وظفر بكسيلة فظهر الاسلام  
 فاستبقاه أبو المهاجر واستخلصه ع قال ابن خلدون ع لم أقف لتلمسان على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق  
 من ان أبا المهاجر لما قدم افرريقية توغل في ديار المغرب ووصل الى تلمسان وبه سميت العيون القرية منها  
 عيون أبي المهاجر اه فهو أول أمير للمسلمين وطشت خيله المغرب الاوسط ع ثم ان عقبة بن نافع لما قفل الى  
 المشرق شكك الى معاوية رضى الله عنه ما ناله من أبي المهاجر فاعتذر اليه ووعده برده الى عمله ثم ولاه ابنه  
 يزيد على المغرب سنة اثنتين وستين ع وذكروا احدى ان عقبة ولي المغرب سنة ست وأربعين فاخط  
 القيروان ثم عزله يزيد سنة اثنتين وستين بابي المهاجر فيمنذ قبض على عقبة وضيق عليه فكتب اليه يزيد  
 يأمره ببعثه فبعثه اليه ثم أعاده واليا على افرريقية والله أعلم

ولاية عقبة بن نافع الثانية وقتحه المغرب الاقصى ومقتله

لما توفي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وولي بعده ابنه يزيد بعث عقبة بن نافع واليا على المغرب فقدمه في التاريخ المتقدم واعتقل أبا المهاجر ونخب مدينته وهر القيروان وعزم على الجهاد فاستخاف زهير بن قيس البلوي على القيروان ويقال ولاء على مقدمة جيشه وخرج في جيش كثيف ففتح حصن ليس ومدينة باقانة المطل عليه اجبل أوراس وفتح بلاد الجريد فتحا ثانيا وصالح أهل قران وسار الى الزاب وتاهرت فشتت جوع البربر ومن انضم اليهم من الفرنج ثم تقدم الى المغرب الاقصى فالتحن في أهله الى ان وصل الى البحر المحيط فكان عقبة رجح الله أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الاقصى ووقال ابن خلدون قدم عقبة بن نافع المغرب في ولايته الثانية سنة اثنتين وستين فاضطغن على كسيلة صحبته لابي المهاجر ونكبته وتقدّم أبو المهاجر الى عقبة في اصطناعه فلم يقبل ثم زحف الى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوي فدوخه واتى ملوك البربر ومن انضم اليهم من الفرنجة بالزاب وتاهرت فهزموهم واستباحوهم وأذعن له يليان أمير عمارة ولاطفه وهاداه ودله على عورات البربر وراءه بمدينة وليلى وبلاد المصامدة والسوس ووقال صاحب الجمان فتح عقبة المغرب ونزل على طنجة فحاصرها واستنزل ملكها يليان الغماري وكان نصرانيا فقتل على حكمه بعد ان أعطاه أموالا جليلة ثم أراد عقبة الحاق بالجزيرة الخضراء من عدوة الاندلس فقال له يليان أترك كفار البربر خلفك وترى بنفسك في بجموحة المهلاك مع الفرنج ويقطع البحر بينك وبين المدد فقال عقبة وأين كفار البربر قال يبلاد السوس وهم أهل نجدة وبأس قال عقبة وما دينهم قال ليس لهم دين ولا يعرفون ان الله حق وانما هم كالبهايم وكانوا على دين المجوسية يومئذ توجه عقبة نحوهم فقتل على مدينة وليلى بازاء جبل زرهون وهي يومئذ من أكبر مدن المغرب فيما بين النهرين العظيمين سبوا وورعة وهذه المدينة هي المسماة اليوم في لسان العامة بقصر فرعون فافتتحها عقبة وغنم وسبى ثم توجه الى بلاد درعة والسوس فلقيته جوع البربر فاقتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا واتبعوا آثارهم الى صحراء اتونة لا يلقاهم أحد الا هزموه ثم عطف عقبة على ساحل البحر المحيط الغربي فالتحن الى بلاد أسفي وأدخل قوائم فرسه في البحر ووقف ساعة ثم قال لاصحابه ارفعوا أيديكم فضعوا وقال اللهم اني لم أخرج بطرا ولا أشرا وانك لتعلم انما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذوالقرنين وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء اللهم انما معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الاسلام فكن لنا ولا تكن علينا اذا الجلال والاكرام ثم انصرف راجعا ووقال ابن خلدون أيضا وصل عقبة الى جبال درن وقاتل المصامدة بها فكانت بينه وبينهم حروب وحاصروه بجبل درن فهضت اليهم جوع زناتة وكانوا خالصا للمسلمين منذ اسلام مغراوة فافرجت المصامدة عن عقبة وأتحن فيهم حتى حلقهم على طاعة الاسلام ودوخ بلادهم ثم أجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من صناجة أهل اللثام وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يذنبوا بالنصرانية فالتحن فيهم وانتهى الى تارودنت وهزم جوع البربر وقاتل مسوفة من وراء السوس ودوخهم وقتل راجعا وكان كسيلة الاوربي في جيش عقبة قد استصحبه في غزواته هذه وكان يستعين به ويمتحنه فأمره يوما بسخ شاة بين يديه فدفعها كسيلة الى غلمانها فآراه عقبة على ان يتولاها بنفسه وانتهرهم فقام اليها كسيلة مغضبا وجعل كلمات يده في الشاة مسخ بلحيتة والعرب يقولون ما هذا يا ربري فيقول هو أجير فيقول لهم شيخ منهم ان البربري يتوعدكم وبلغ ذلك أبا المهاجر وهو معتقل عند عقبة فبعث اليه ينهاه ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب وأنت تهمد الى رجل جبار في قومه وبادار عزه حديث عهد بالتمرك فنتستفسده وأشار عليه بان يتوثق منه وخوفه غائلته فتهاون عقبة بقوله فلما قفل من غزاته هذه وانتهى الى طنبة من أرض الزاب وكسيلة

أثناء هذا كله في صحبته صرف العساكر الى القيروان أفواجا نقة بما دقخ من البلاد وأذل من البربر حتى بقي في قليل من الجند فلما وصل الى تهودة وأراد أن ينزل بها الحامية نظر اليه الفرنجة وطعموا فيه فراسلوا كسيلة ودلوه على الفرصة فيه فانتزها ورأسل بنى عمه ومن تبعهم من البربر فاتبعوا أثر عقبة وأصحابه حتى اذا غشوهم بتهوده ترجل القوم وكسروا أجنان سيموقهم ونزل الصبر واستلم عقبة وأصحابه فلم يفلت منهم أحد وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصر ع واحد وفيهم أبو المهاجر كان عقبة قد استصحبه في اعتقاله كما قلنا فابلى رضى الله عنه في ذلك اليوم البلاء الحسن **يوقال** ابن خلدون **ي** وأجدات الصحابة رضى الله عنهم أولئك الشهداء أعنى عقبة وأصحابه بكانهم من أرض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبورهم أسنة ثم حصصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة وهو في عداد المزارات ومطان البركات بل هو أشرف من ور من الاجداث في بقاع الارض لما توفريه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد مدأ أحدهم ولا نصيفه وأمر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الانصارى ويزيد بن خلف العنسى ونفر معهما فهداهم ابن مصاد صاحب قصة وبعث بهم الى القيروان ثم زحف كسيلة بعد الواقعة الى جهة القيروان اذ هي دار الامارة بالمغرب يومئذ وبها جهور العرب ووجوه الاسلام قبلهم ثم الخبر وعظم عليهم الامر فقام زهير بن قيس البلوى فيهم خطيبا وقال يا معشر المسلمين ان أصحابكم قد دخلوا الجنة فاسلكوا سبيلهم أو يفتح الله عليهم فخالفه حنش بن عبد الله الصنعاني لما علم أنه لا طاقة للمسلمين بما دهمهم من أمر البربر وروى ان النجاة عن معه من المسلمين أولى ونادى في الناس بالرحيل الى مشرفهم فاتبعوه الا قليلا منهم ومبى زهير في أهل بيته فاضطروا الى الخروج وساروا الى برقة فاقام بها مطلا على المغرب ومنتظرا للدم من الخلفاء واجتمع الى كسيلة جميع أهل المغرب من البربر والفرنجة وعظم أمره وتقدم الى القيروان فاستولى عليها في المحرم سنة أربع وستين وقرئتها بقية العرب فلحقوا بزهير ولم يقم بها الا أصحاب الذراري والانتقال فاتمهم كسيلة ثبتت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي بها من العرب خمس سنين وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وقتنة الضحاك بن قيس مع مروان بن الحكم بمصر ج راهط من أرض الشام وحروب آل زبير فاضطرب أمر الخلفاء بالشرق واضطرب المغرب ناراً وفشت الردة في زناتة والبرانس الى ان استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة وأذهب آثار الفتنة من المشرق فالتفت الى المغرب وتلاقي أمره الى ما ذكره

**ي** ذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم **ي**

نهم بلال بن حارث بن عاصم المزني أبو عبد الرحمن من أهل المدينة أقطعته النبي صلى الله عليه وسلم العقيق كان صاحب لواء من ينة يوم الفتح ذكره صاحب الخلاصة النقية فيمن دخل المغرب \* ومنهم جرهد بن مويلا الاسدي أو الاسمي ذكر صاحب الاشراق انه من جملة من دخل افرريقية من أرض المغرب \* ومنهم بيلة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيد الانصارى أخو أبي مسعود البدرى قال في الثجر يدشهد أحدًا وشهد فتح صروصفين مع علي \* وغزا افرريقية مع معاوية بن حديج سنة خمس و كان فاضلا من فقهاء الصحابة وى ابن منده ومحمد بن الربيع من طريق مالك بن أبي عمران عن سليمان بن يسار انه سئل عن النقل الغزو فقال لم أر أحدا يعطيه غير ابن حديج فقلنا في افرريقية الثلث بعد الخس ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الاولين ناس كثير فأبى بيلة بن عمرو والانصارى أن يأخذ منه - يا \* ومنهم الحسن بن رضى الله عنهم على ما ذكره ابن خلدون وهما سيدا شباب أهل الجنة ريحانتا الرسول صلى الله عليه وسلم لم أشهر من أن يعرف بهما \* ومنهم الحرث بن حبيب بن خزيمه عمرشى العامرى ذكره خليفة بن خياط فيمن نزل مصر من الصحابة قال وقتل بافرريقية مع عبد بن

العباس بن عبد المطلب \* ومنهم حمزة بن عمرو بن سمي ذكره في السير \* ومنهم جده بن عبد المطلب \*  
 وموحدة بن أبي جهملة قال في الاصابة له ادراك قال ابن يونس بعثه عمر بن الخطاب الى أهل مصر  
 يفقههم وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال غيره مات بافريقية \* ومنهم خالد بن ثابت الجهلاني  
 الفهمي قال ابن يونس شهد فتح مصر وولي بصر مصر سنة احدى وخمسين وأغزاه مسلمة بن مخلد  
 افريقية سنة أربع وخمسين قال في الاصابة ذكرته اعتمادا على انهم كانوا لا يأمررون في الفتوح الا  
 الصحابة \* ومنهم ربيعة بن عباد الديلي ذكره الواقدي فبين دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب قال مالك  
 وأبو بكر المهمله وتخفيف الموحدة على الصواب ويقال بالفتح والتشديد ذكر خليفة وابن سعد أنه  
 مات في خلافة الوليد \* ومنهم مرويع بن ثابت بن السكن الانصاري ثم التجاري ولاه معاوية على  
 طرابلس سنة ست وأربعين فغزا افريقية قال ابن يونس توفي ببرقة وهو أمير عاينها من قبل مسلمة  
 ابن مخلد سنة ست وخمسين \* ومنهم زهير بن قيس البلوي أبو شداد الا تى ذكره بعد قال ابن يونس  
 يقال له حجة \* ومنهم سفيان بن وهب الخولاني أبو أيمن له حجة ورواية شهده في الوداع وفتح مصر  
 وافريقية وسكن المغرب مات سنة احدى وتسعين \* ومنهم ساكن بن مالك قال محمد بن الربيع ذكره  
 الواقدي فبين دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب \* ومنهم سلمة بن الاكوع الاسلمي الصحابي المشهور  
 ذكره الواقدي فبين دخل مصر لغزو المغرب مات بالمدينة سنة سبع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة وكان  
 شجاعا راء ياسا بقا يسمى الفرس شدا على قدميه \* ومنهم العبادلة الاربعة رضى الله عنهم \* منهم عبد الله  
 ابن عباس ترجمان القرآن أشهر من أن يعرف به وهو الذي قسم غنائم افريقية يوم الفتح \* ومنهم عبد الله  
 ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما من أعلام الصحابة وعبادهم وزهادهم والمتسكين بالسنة منهم رضى  
 الله عنه \* ومنهم عبد الله بن الزبير بن العوام الشجاع المشهور والبطل المذكور وهو أول مولود ولد في  
 الاسلام بعد الهجرة وهو قاتل جري يوم الفتح كما مر \* ومنهم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أحد جواد  
 الدنيا وأبطالها ذكر ابن خلدون انه ممن دخل افريقية غازيا فهؤلاء اعبادلة الاربعة \* ومنهم عبد الله  
 ابن سعد بن أبي سرح الامير المعروف وقد تقدم ذكره \* ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاصي الصحابي المشهور  
 أسلم قبل أبيه وهو أكثر الناس حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصواب أن يجعل أحد  
 العبادلة الاربعة بدل ابن جعفر والله أعلم قال أبو هريرة رضى الله عنه ما كان أحد أكثر مني حديثا  
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب عنه ابن ناجي  
 فبين دخل المغرب مع ابن أبي سرح \* ومنهم عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل بافريقية \* ومنهم عبيد الله بن عمرو بن الخطاب ذكره  
 في الخلاصة النقية وكان صحابيا بالمولود قتل يوم صفين مع معاوية \* ومنهم أخوه عاصم بن عمرو وحجته  
 بالمولود ذكره صاحب الخلاصة أيضا \* ومنهم عبد الله بن نافع بن الحصين وجهه عثمان رضى الله عنه مع  
 ابن أبي سرح لشدة بطشه واصابة رأيه \* ومنهم عقبه بن نافع الفهري الامير المشهور فاتح المغرب  
 الاقصى وهو صاحب الترجمة \* ومنهم عثمان بن عوف المزني على خلاف فيه وأما عمرو بن العاصي  
 رضى الله عنه فقد تقدم انه انتهى الى طرابلس ولم يصل الى افريقية \* ومنهم مروان بن الحكم بن أبي  
 العاصي الاموي ولد بعد الهجرة بستين ولم تحصل له رواية لانه خرج مع أبيه الى الطائف فأقام به ذكره  
 صاحب الخلاصة فبين دخل المغرب \* ومنهم مسعود بن الاسود البلوي وقيل العدوي قال الذهبي  
 بايع تحت الشجرة بعد في المصريين وغزا افريقية \* ومنهم المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري له ولاية  
 حجة قال محمد بن الربيع دخل مصر لغزو المغرب مات سنة أربع وستين \* ومنهم المسيب بن حزن بن أبي  
 وهب المخزومي والد سعيد بن المسيب له ولاية حجة ورواية ذكره الواقدي فبين دخل مصر لغزو المغرب

\* ومنهم المطلب بن أبي وداعة القرشي السهمي له ولأبيه حجة وهما من مسلمة الفتح قال محمد بن الربيع دخل مصر لغزو المغرب فيما ذكره الواقدي \* ومنهم معاوية بن حديج السكوني أحد الامراء وقد تقدم ذكره \* ومنهم معبد بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم قال الذهبي ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد بافريقية شابا في زمن عثمان رضي الله عنه \* ووحى المؤرخون \* ان معاوية بن أبي سفيان أغزاسعبد بن عثمان بن عفان خراسان ومعه قثم بن العباس بن عبد المطلب فعبر سويد النهر الى سمرة فاستشهد بهما وكان أخوه الفضل بن عباس قد مات باجدان من أرض الشام وعبد الله الترجمان مات بالطائف وعبيد الله الاصغر مات باليمن ومعبد بافريقية فقال الناس لم ير مثل بني أم واحدة أبعد قبورا من بني العباس \* ومنهم المقداد بن الاسود الكندي وليس الاسود أباه وانما تبناه الاسود بن عبد يعقوب وهو صغير فعرف به وانما اسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندي كان المقداد أحد السابقين شهيدا أو أحدوا والمشاهد كلها ولم يثبت ان أحدا شهيدا بقار ساوا غزا افريقية مع ابن أبي سرح فلما رجعوا الى مصر قال له ابن أبي سرح في دار بناها كيف ترى فقال له المقداد ان كان من مال الله فقد أفسدت وان كان من مالك فقد أسرفت فقال ابن أبي سرح لولا ان يقال أفسدت مرتين لهدمتها \* ومنهم المنذر الاسلمي قال ابن يونس له حجة وكان بافريقية وقال عبد الملك ابن حبيب لم يدخل الاندلس من الصحابة الا المنذر الافريقي وأما المشتهرون بكنيتهم \* فهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور واسمه خويلد بن خالد أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وقد قدم المدينة يوم وفاته فشهد السقيفة وبيعة أبي بكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه قال ابن كثير توفي غازيا بافريقية في خلافة عثمان رضي الله عنه \* قلت \* وهلاك له خمسة أولاد يصير بالطاعون فقال قصيدته العينية يرثيهم وهي مشهورة \* ومنهم أبو رمثة البلوي قيل اسمه رفاعة بن يثرب وقيل بالعكس له حجة ورواية قال الذهبي سكن بصرومات بافريقية \* ومنهم أبو زمعة البلوي قال الذهبي اسمه عبد وقيل عبيد بن أرقم بايع تحت الشجرة ونزل مصر وغزا فريقية مع ابن حديج روى حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا وسأل هل من توبة مات بافريقية ودفنت معه شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبا وهو مشهور وهو صاحب المقام خارج القيروان \* ومنهم أبو ضيف البلوي قال الذهبي له حجة وقال محمد بن الربيع الجزري دخل مصر لغزو المغرب \* ومنهم أبو المبتذل خلف له حجة ونزل افريقية وقيل أبو المنذر كذا في التجريد وغيره ولا ممن لم يحضر ناذكرهم \* أنخرج ابن عبد الحكم \* عن سليمان بن يسار قال غزا فريقية مع ابن حديج ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار اه رضي الله عنهم ونفعنا بهم وحشرنا في زمرة هم آمين

يذكر اختلاف العلماء في أرض المغرب هل فحمت عنوة أو صلحا أو غير ذلك \*

قال الشيخ أبو الحسن القاسمي رحمه الله في شرح الموطأ في كتاب الجهاد منه اختلف الناس في أرض المغرب هل فحمت عنوة أو صلحا أو مختلطة أي البعض عنوة والبعض صلحا على ثلاثة أقوال \* الاول \* وهو الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك انها فحمت بالسيف عنوة لانه جعل النظر في معادن اللامام ولو صلح ذلك لم يجز لاحد بيع شيء منها كأرض مصر لانها فحمت بالسيف \* الثاني \* انها فحمت صلحا صالح أهلها عليها فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض \* الثالث \* انها مختلطة هرب بعضهم عن بعض وتركوها فن بقي بيده شيء كان له وهو الصحيح والله أعلم \* ووحى يحيى \* ان أحد جمال المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس حين تغلب على أرض فاس قال لهم اخبروني عن أرضكم أصلح هي أم عنوة فقالوا له لا جواب لنا حتى يأتي الفقيه يعنون الشيخ أباجيدة ف جاء الشيخ المذكور فسأله العامل فقال ليست يصلح ولا عنوة انما أسلم أهلها عليها فقال خلاصكم الرجل وأبوجيدة هذا هو دفين باب بنى مسافرا أحد أبواب

﴿ولاية زهير بن قيس البلوي على المغرب ومقتل كسيلة وما يتبع ذلك﴾

لم استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة كان زهير مقيما بيرة منذ مهلك عقبة بن نافع كما مر فبعث اليه عبد الملك بالمدد وولاه حرب البربر وأمره باستنقاذ القيروان ومن به امن المسلمين من يد كسيلة المتعاقب عليها وحضه على الطلب بدم عقبة فراجعته زهير بعلمه بكثرة الفرخ والبربر فأمدته بالمال ووجوه العرب وفرسانها فزحف زهير الى المغرب سنة تسع وستين في آلاف من المقاتلة وجمع له كسيلة البرانس وسائر البربر ولقيه عيس من نواحي القيروان واشتد القتال بين الفريقين ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة وقتل كسيلة ووجوه من معه من البربر ومن لا يحصى من عامتهم واتبعهم العرب الى مرماجنة ثم الى وادي ملوية وفي هذه الواقعة ذل البربر وفنت فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم واضمحلت أمر الفرنجة فلم يعد وخاف البربر من زهير والعرب خوفا شديدا فلبجوا الى القلاع والحصون وكسرت شوكة أوربية من بينهم واستقر جهورهم بديار المغرب الاقصى وملكوا مدينة وليلي وكانت فيما بين موضع فاس ومكاسة بجانب جبل زرهون ولم يكن لهم بعد هذه الواقعة ذكر الى ان قدم عليهم ادريس بن عبد الله رضى الله عنه فقاموا بدعوته على ما نذ كره ان شاء الله ﴿وأمأ زهير﴾ فانه لما رأى ما منح الله من الظفر والنصر وساق اليه من العز والملك خشي على نفسه الفتنة وكان من العباد المحبتين فترك القيروان آمن ما كانت وارتحل الى المشرق وقال انما جئت للجهاد في سبيل الله وأخاف على نفسي أن تميل الى الدنيا فلما وصل الى برقة وجد اسطول الروم على قتالها في جوع عظيمة من قبل قيصر وبأيديهم أسرى من المسلمين فاستغاثوا به وهو في خوف من أصحابه فصحده اليهم فيمن معه وقاتل الروم حتى قتل وقتل معه جماعة من أتراق أصحابه ونجا الباقون الى دمشق فاخبروا الخليفة عبد الملك بما وقع فأسفه ذلك

﴿ولاية حسان بن النعمان على المغرب وتخريبه قرطاجنة﴾

لم ارحل زهير بن قيس الى المشرق واستشهد بيرة كما قدمنا اضطربت بلاد المغرب بعده واضطربت بها نار الفتنة واقترب أمر البربر وتعدت سلطاناتهم في رؤسائهم وكان من أعظمهم شوكة يومئذ الكاهنة داهيا الزنانية ثم الجراوية صاحبة جبل أوراس وكبيرة قومها جراوة والبتربعت عبد الملك بن مروان الى عامله على مصر حسان بن النعمان الغساني وكان يقال له الشيخ الامين يأمره أن يخرج الى جهاد البربر وبعث اليه بالمدد فزحف اليهم سنة تسع وستين في أربعين ألف مقاتل ولما دخل القيروان سأل الافارقة عن أعظم ملوكهم فقالوا صاحب قرطاجنة وهي المدينة العظيمة قريبة رومة وضرتها واحدى بجائب الدنيا وكان بها يومئذ من جوع الفرخ أم لا تحصى فصعد اليها حسان واقتحمها وقتل أكثر من بها ونجا قتلهم في المراكب الى صقلية والاندلس ولما انصرف حسان عنها دخلها أقوام من أهل الضواحي والبادية وتحصنوا بها فخرج اليهم وقتلهم أشد قتال فاقتحمها عنوة وأمر بتخريبها واعفاه رعيها وكسر قنواتها فذهبت كأمس الدابر ولم يبق بها الا آثار خفية تدل على ما كان بها من عجيب الصناعة واحكام العمل وبانقاضها همرت مدينة تونس كافي القاموس ثم بلغ حسان ان البربر والفرخ قد عسكروا في جوع عظيمة ببلاد صطورية وبتزرت فصعد اليهم وهزمهم وشردهم من خلفهم وانحاز قلمهم الى باجة وبونة ورجع حسان الى القيروان فأوضح بها أياما ثم سأل عن بقية الملوك المخالفة فدلوه على الكاهنة داهيا وقومها جراوة وهم ولد جراوين الديديت بن زانا وزانا هو أبو زناتة وكان لهذه الكاهنة بنون ثلاثة ورتوار ياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حمرها فاستبدت عليهم واعتزت على قومها بهم وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتبت اليها رياستهم ووقفوا عند اشارتها ﴿وقال هاني بن بكور الضريسي﴾ ملكت عليهم خمسًا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعًا وعشرين سنة وكان قتل

عقبه بن نافع وأصحابه في البسيط قبلة جبل أوراس باغرا ثم ابرة الزاب عليه وكان المسلمون يعرفون ذلك منها فلما قتل كسيلة وانقضت جوع البربر وجعوا الى هذه الكاهنة بعصمها من جبل أوراس وقد انضم اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر البتر فسار اليها حسان حتى نزل وادي مديانة وزحفت هي اليه فاقتتلا بالبسيط أمام جبلها قتالا شديدا ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وأسرى خالد بن يزيد القيسي في ثمانين رجلا من وجوه العرب ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حسان والعرب حتى أخرجوهم من عمل قايس ولحق حسان بعد عمل طرابلس فاقبته هنالك كتاب عبد الملك بأمره بالمقام حيث يصله كتابه فاقام ببرقة وبنى قصوره المعروفة لهذا العهد بقصور حسان ثم رجعت الكاهنة الى مكانها من الجبل وأطلقت أسرى المسلمين سوى خالد فانها اتخذت عنده عهدا بارضاعه مع ولديه واصبرته أخالهما وأقامت في سلطان افريقية والبربر خمس سنين بعد هزيمة حسان ونفقت العرب عن بلاد المغرب وقالت لقومها انما تطلب العرب من المغرب مدنه وما فيها من الذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي فالرأي أن نخرّب هذه المدن والحصون ونقطع أطماع العرب عنها قال ابن خلدون رحمه الله وكانت المدن والضياع من طرابلس الى طنجة ظلا واحدا في قرى متصلة تغربت الكاهنة ديار المغرب وعضدت أتجاره ومحت جماله وجاست بالفساد خلاله فشق ذلك على البربر واستأمنوا الى حسان وكان عبد الملك قد بعث اليه بالمدد فأقنهم ووجد السبيل الى تفريق أمرها ثم دس الى خالد بن يزيد يستعلمه أمرها فاطلعه على كنه خبرها واستخفه فزحف الى المغرب سنة أربع وسبعين وبرزت اليه فاقوعها وجمعها وقتلها واحترق أسما عند البتر المعروفة بهذا العهد من جبل أوراس ثم اقتحم الجبل عنوة واستلم فيه زهاء مائة ألف من البربر واستأمن اليه باقيهم على الاسلام والطاعة وشرط عليهم حسان أن يكون معه منهم اثنا عشر ألفا لا يفارقونه في مواطن جهاده فاجابوا وأسلموا وحسن اسلامهم وعقد دلا كبر من ولدى الكاهنة على قومه من جراوة وعلى جبل أوراس فقالوا قد لزمنا له الطاعة وسبقنا اليها وبايعناه عليه او كان ذلك بإشارة من الكاهنة لا نارة من علم كانت لديها بذلك من شياطينها وانصرف حسان الى القيروان مؤيدا منصورا وثبت ملكه واستقام أمره فدقن الدواوين وكتب الخراج على عجم افريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر ثم أوعز اليه الخليفة عبد الملك باتخاذ دار الصناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية حوصا على مر اسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الاول من بني الاغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا وصاحب الامام ابن القاسم بعد ان كان معاوية ابن حديج أغراض صقلية أيام ولايته على المغرب فلم يفتح الله عليه وفتحت على يد ابن الاغلب وقائده ابن الفرات كما قلنا واستمر حسان واليساعلى المغرب الى ان عزله عبد الله بن مروان صاحب مصر وكان أمر المغرب اذ ذلك اليه فاستخلف حسان على المغرب رجلا من جنده اسمه صالح وارتحل الى المشرق بما جمعه من ذريع المال ورائع السبي ونفيس الذخيرة فلما انتهى الى مصر أهدي الى عبد الله مائتي جارية من بنات ملوك الفرنج والبربر فلم يقنعه ذلك وانتزع كثيرا مما بيده ولما قدم على الخليفة بدمشق وهو يومئذ الوليد بن عبد الملك شك اليه ما صنع به عمه عبد الله فغاضبه ذلك وأنكره ثم أهدي اليه حسان من غريب النفائس التي أخفاها عن عبد الله ما استعظمه الوليد وشكره عليه ووعدته برده الى عمله فخاف حسان أن لا يبلى لبني أمية عملا أبدا فوعد كز البركري رحمه الله ان حسان بن النعمان هذا هو فاتح تونس وقال غيره بل فاتحها زهير بن قيس البلوي ولم تتوفّر الدواهي على تحقيق ذلك لانهم لم تكن يومئذ قاعدة ملك واتما عظم أمرها في دولة الحفصيين فن بعدهم والله تعالى أعلم

ولا ية موسى بن نصير على المغرب وفتح الاندلس

لما ارتحل حسان بن النعمان الى المشرق اختلفت أيدي البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب فكثرت

الفتن ونحات أكثر البلاد حتى قدم موسى بن نصير فتهافت لاني أمرها ولم تشعنا في قول الحافظ أبو عبد الله الحميدي في جذوة المقتبس في مولانا موسى بن نصير أفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين وقال غيره سنة سبع وثمانين في قول ابن خلكان في كان موسى بن نصير من التابعين وروى عن تميم الداري رضي الله عنه وكان عاقلا كريما شجاعا ورعاً متقياً لله تعالى لم يهزم له جيش قط ولما قدم المغرب وجد أكرمه منه خالية لا اختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في فسط شديد فامر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم إلى الصحراء معه سائر الحيوانات ففرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والتخبيج وأقام على ذلك إلى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيس له الاتدعوا لأمير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعي فيه غير الله عز وجل فسقوا حتى روي في قول ابن خلدون في كتب الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى عمه عبد الله بن مروان وهو على مصر ويقال عبد العزيز بن يعث بن موسى بن نصير إلى أفريقية وكان أبوه نصير من حرس معاوية فبعثه عبد الله فقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان فعزله ورأى أن البربر قد طمعت في البلاد فوجه البعوث في النواحي وبعث ابنه عبد الله في البحر إلى جزيرة ميورقة فغنم وسبأ وعاد ثم بعثه إلى ناحية أخرى وبعث ابنه مروان كذلك وتوجه هو إلى ناحية فتحموا وسبأ وعادوا وبلغ الخمس من الغنم سبعين ألف رأس من السبي في قول أبو شيبه الصدفي في لم يسمع في الإسلام بمنزل سبأيا موسى بن نصير ونقل الكاتب أبو اسحق إبراهيم بن القاسم القروي المعروف بابن الرقيق أن موسى بن نصير لما فتح سقوما كتب إلى الوليد بن عبد الملك أنه صار لك من سبى سقوما مائة ألف رأس فكتب إليه الوليد ويحك إنى أظنهما من بعض كذباتك فإن كنت صادقا فهذا محشر الأمة ثم خرج موسى غازيا أيضا وتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبأ سبيا عظيما وتوغل في جهات المغرب حتى انتهى إلى السوس الأدنى ثم تقدم إلى سبتة فصانعه صاحبها يليان الغماري بالهدايا وأذعن للجزيرة وكان نصرانيا فاقروه عليها واسترهن ابنه وأبناء قومه على الطاعة فلما رأى بقية البربر منازلهم استأمنوا لموسى وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم في قول ابن خلدون أيضا في غزاهم موسى بن نصير طنجة واقتنع درعة وصحراء تافيلالت وأرسل ابنه إلى السوس فاذعن البربر لسلطانه وأخذ رهائن المصامدة فأنزلهم بطنجة وذلك سنة ثمان وثمانين وولى عليها طارق بن زياد الليثي قال وأنزل معه سبعة وعشرين القامن العرب واثني عشر ألفا من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه قال ثم أسلم بقية البربر على يد اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سنة إحدى ومائة أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اه وما استقرت القواعد لموسى بالمغرب كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو الأندلس فغزاه في اثني عشر ألفا من البربر وخلق يسير من العرب وعبر البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء وصعد الجبل المنسوب إليه المعروف اليوم بجبل طارق يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة وذكر عن طارق أنه كان نائما وقت العبور في المركب فرأى النبي صلى الله عليه وسلم والطفاء الأربعة يمشون على الماء حتى مر وابه فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ذكر ذلك ابن بشكوال في قول ابن خلدون في أخبار الأندلس أن أمة القوط ملكوا جزيرة الأندلس نحو أربع مائة سنة إلى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمى ملوكهم بجزيرة سمى ملوك صقلية وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدو الجنوبية خطوها من زقاق البحر إلى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى يليان وكان يدين بطاعتهم وبعثهم وموسى بن نصير أمير العرب إذ ذاك عامل بأفريقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد أغر ذلك العهد عساكر المسلمين ببلاد المغرب الأقصى ودوخ أقطاره وأوغل في جبال طنجة حتى وصل إلى خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف



مولاه طارق بن زياد واليا بطنجية وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط بالاندلس فعلمه فعلها زعموا  
 يابنته الناشئة في داره على عادتهم في بنات بطارقهم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق فاحدثها بنته منه  
 فولدت له يعني انه كان من عادة كبار الجهم بالاندلس ان يبعثوا اولادهم الذين يريدون التنويه بهم الى  
 دار الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بآدابها وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا الكبر  
 بعضهم بعضا وشغل صدقاتهم وتولى تجهيز اناتهم استخلافا لآبائهم فاتفق ان فعل ذلك يليان عامل لذريق  
 على سبته وكان أهله انصاري فبعث يابنته له بارعة الجمال تكرم عليه الى دار لذريق فوعدت عينه عليها  
 فاجبت به وأحبها ولم يقل ان استكرهها فافتضاها فاحتالت حتى أعلمت أباهاسرا فاحفظه ذلك وحي  
 أنفه وقال ودين المسيح لا يلق ملكه ولا حفرق ماتحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو  
 السبب في فتح الاندلس مع سابق القدر ثم ان يليان عبر البحر من سبته في صبر قلب الشتاء وأصعب  
 الاوقات فقدم طليطلة واجتمع بالملك فانكر مجيئه في ذلك الوقت وسأله عن السبب فذكر خيرا وامتلى  
 بان زوجته قد اشتد شوقها الى رؤية ابنتها وانه أحب اسعافها بطلبها وسأل الملك عما يمكنه منها وتجهيل  
 سراجه الى عمله ففعل وأحسن جائزة الجارية وتوثق منها بالكتمان وأفضل على أيها وانقادا برأجا  
 وذكروا انه لما ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستقره لنا من الشدائت التي لم تزل تطرقنا بها  
 فانها أثرت جوارحنا لدينا يعني بذلك طيور افارهة كانت تتخذ للاصطياد فقال له أيها الملك وحق المسيح لئن  
 بقيت لا دخلت عليك شدة انقادات ما دخل عليك مثلها قط يعرض له بما أضمره من ادخال العرب عليه  
 ثم لحق يليان بطارق بن زياد وهو بطنجية فكشف له عورة القوط فانتهز طارق الفرصة لوقته وأجاز البحر  
 سنة ثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلاثمائة من العرب واحتشد معهم  
 من البربر زهاء عشرة آلاف وصيرهم عسكريين أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمى جبل طارق به  
 والآخر على طريق مالكة النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسميت به وأدار والاسوار على أنفسهم  
 للتحصن وبلغ الخبر لذريق فنهب اليهم بجرأمة الاعاجم وأهل مله النصرانية في زهاء أربعين ألفا  
 فالتقوا بغصص شريش فهزمه الله ونفاهم أموال أهل الكفر ورفاههم وكتب طارق الى موسى بالفتح  
 والغنائم فخرته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغير إذنه ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق  
 به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ونحو من  
 القيروان سنة ثلاث وتسعين في عسكر ضخم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر فوافي خليج الزقاق  
 ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فاجاز الى الاندلس وتلقاه طارق فانتقادا وتبع ويقال ان موسى لما سار  
 الى الاندلس عبر البحر اليها من ناحية الجبل المنسوب اليه المعروف اليوم بجبل موسى وتنكب التزول  
 على جبل طارق وعم الفتح وتوغل في الاندلس الى برشاونة في جهة المشرق وأر بونة في الجوف وصنع  
 قادس في الغرب ودوخ أقطارها وجمع غنائمها وأجمع ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز  
 الى الشام دروب الاندلس ودروبه ويخوض اليه ما بينهما من بلاد اعاجم وأم النصرانية مجاهدا فيهم  
 ومستلما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة من دمشق ونحو الخبر الى الخليفة الوليد فاشتد قلقه بمكان  
 المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى تغير بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأسر  
 الى سفيان ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع هو وكتب له بذلك عهد ففت ذلك في عزم موسى وقفل عن  
 الاندلس بعد ان أنزل الرابطة والحامية بشعورها واستعمل ابنه عبد العزيز لشدتها وجهاد عدوها وأنزله  
 بقرطبة فاتخذها دارا مارة واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست  
 بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على الجمل والظهير يقال ان من جلته ثلاثين ألف رأس  
 من السبي وولى على افريقية ابنه عبد الله واندرجت ولاية الاندلس يومئذ في ولاية المغرب فكان

صاحب القيروان ناظر في الجميع وقدم موسى على سليمان بن عبد الملك وقد ولي الخلافة بعد الوليد فبسطه ونسكه وثار عساكر الاندلس بانه عبد العزيز فقتلوه استنبتين من ولايته باغراء الخليفة سليمان وكان خيرا فاضلا واقتنع في ولايته مدائن كثيرة وكان الذي تولى قتله حبيب بن أبي عبيدة الفهري وكان سبب غضب سليمان على موسى انه لما توجه الى المشرق وانتهى الى مصر وصل اشرفها وقتهاها وبلغه الخبر بعرض الوليد ووافاه كتابه يستحثه على القدوم ووافاه كتاب آخر من أخيه سليمان يشبطه فاسرع موسى للحاق بالوليد فقدم عليه قبل وفاته بثلاثة أيام ودفع اليه مائة من الذخائر والاموال ففاظ ذلك سليمان وأساء مكاناته حين أفضى الامر اليه فنسكه ونكب آل بيته أجمع وكانت وفاة موسى رحمه الله بالمدينة المنورة سنة ثمان وتسعين وقيل غير ذلك **﴿قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد القيرواني﴾** ارتدت البربر اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر اسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البصر الى الاندلس وأجاز معه كثيرا من رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هنالك فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذن البربر لحكمه وتناسوا الردة ثم نبضت فيهم عروق الخارجية بعد على ما نذكره

### **﴿ولاية محمد بن يزيد على المغرب﴾**

لما ارتحل موسى بن نصير الى المشرق ونسكه الخليفة سليمان كما قلنا عزل ابنه عبد الله عن المغرب وولى مكانه محمد بن يزيد مولى قريش ويقال مولى الانصار فقدم القيروان سنة سبع وتسعين وكان سليمان قد أمره باستئصال آل موسى بن نصير واصطلام نعمتهم فاقى على ذلك ثم لما قتل أهل الاندلس أميرهم عبد العزيز بن موسى ولو اعليهم أيوب بن حبيب اللخمي وهو ابن أخت موسى فوجه محمد بن يزيد الحر ابن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي واليا من قبله على الاندلس فقدمها واستقر أميرها سنتين وثمانية أشهر قالوا وكان محمد بن يزيد هذا عادلا حسن السيرة قاتل المخالفين بثغور المغرب وغنم وسبا ولم يزل واليا عليه حتى مات سليمان فكانت ولايته سنتين وأشهرا والله أعلم

### **﴿ولاية اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر على المغرب﴾**

لما توفي سليمان بن عبد الملك رحمه الله وولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه استعمل على المغرب اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم فقدم القيروان سنة مائة وكان خيرا أمير وخيرا وال لم يزل حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى تم اسلامهم على يده وبت فيهم من فقهم في دينهم \* وذكر أبو العرب محمد بن عليم في تاريخ افريقية ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في الدين منهم حبان بن أبي جبلة ولما توفي عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة وبيع يزيد بن عبد الملك وجه يزيد بن أبي مسلم الثقفي واليا على المغرب على ما نذكره

### **﴿ولاية يزيد بن أبي مسلم على المغرب﴾**

هو يزيد بن أبي مسلم دينار مولى الحجاج بن يوسف الثقفي النظام المشهور وكان يزيد هذا كاتبه وصاحب سرطته **﴿قال ابن خلكان﴾** كانت فيه كفاية ونهضة قدمه الحجاج بسبها وكان من خبره ان الحجاج لما حضرته الوفاة استخلف يزيد هذا على خراج العراق فافره الوليد بن عبد الملك واعتبط به وقال ما مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم بعده الا كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً ولما مات الوليد وولى بعده أخوه سليمان عزل ابن أبي مسلم وأمر به فاحضر بين يديه في جامعة وكان رجلا قصيرا ميا قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين فلما نظر اليه سليمان قال أنت يزيد بن أبي مسلم قال نعم أصح الله أمير المؤمنين قال لعن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه قال لا تفعل يا أمير المؤمنين فانك رأيتني والامر عني مدبر ولو رأيتني والامر على مقبل لاستعظمت ما استصغرت ولا استجلت ما احتقرت فقال سليمان قاتله

الله فأرابط جأشه وأعضب لسانه ودارت بينه وبين سليمان محاورات غير هذه ثم كشف عنه فلم يجد عليه خيانتهم باستكابه فقال له عمر بن عبد العزيز أنشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تحيى ذكر الخجاج باستكابه كاتبه فقال انى كشفت عنه فلم أجده عليه خيانتها يا باحفض فقال عمر أنا وأوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه فقال سليمان من هو قال ابليس ما مس دينار اولادهم فاقط وقد أهلك هذا الخلق فتركه سليمان وحدث جويرية بن أسماء ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة بلغه أن يزيد بن أبي مسلم خرج في جيش من جيوش المسلمين فكتب الى عامل الجيش برده وقال انى لا كره ان أستعصر بجيش هو قبيهم فلما توفي عمر رضى الله عنه وأفضت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك عزل اسمعيل بن عبيد الله عن المغرب وولى مكانه يزيد بن أبي مسلم فأساء السيرة قالوا ووجه عنيسة بن صحيم الكلابي واليامن قبله على الاندلس فاستقام على يده أمرها ثم نار أهل المغرب بآبى مسلم فقتلوه سنة ثنتين ومائة شهر من ولايته ثم قال الطبرى وكان سبب ذلك انه كان قد عزم ان يسير في أهل المغرب بسيرة الخجاج فان الخجاج كان وضع الجزيرة على رقاب الذين أسلموا من أهل السواد وأمر بردهم الى قراهم ورساتيقهم على الحالة التي كانوا عليها قبل الاسلام فلما عزم يزيد على ذلك تأمر البربر فيه واجتمعوا على قتله فقتلوه وولوا عليهم محمد بن يزيد الذى كان قبله فيما ذكره الطبرى وكان غازيا بقلية فلما قدم بغانته ولوه أمرهم ثم قال ابن عساکر ولو ابعد اسمعيل بن عبيد الله والله أعلم ثم كتب أهل المغرب الى الخليفة يزيد ان لم تخلع يدا من طاعة ولا تكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله ورسوله فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد انى لم أرض ما صنع ابن أبي مسلم وأقر محمد بن يزيد على المغرب وذلك في سنة اثنتين ومائة كما قلنا وحدث الواضح بن أبي خيثمة وكان حاجب عمر بن عبد العزيز قال أمرني عمر بن عبد العزيز يعني في مرض موته باخراج قوم من السجن وفيهم يزيد بن أبي مسلم فاخرجتهم وتركتهم فخذ على فلما مات عمر هربت الى افريقية خوفا منه قال فيدنا أنابا فريقيمة اذ قيل قدم يزيد بن أبي مسلم واليا فانحطت فاعلم بكافى وأمرني فحملت اليه فلما رأني قال طالماسألت الله تعالى ان يعكفني منك فقلت وأنا والله طالماسألت الله ان يعيدني منك فقال ما أعاذك الله والله لا قتلتك ولو سابقني فيك ملك الموت لسبقته ثم دعا بالسياف والنطع فاتى بهما وأمر بالواضح فاقم عليه مكتوبا وقام السياف وراه ثم أقيمت الصلاة فتقدم يزيد اليها فلما سجد أخذته السيوف ودخل على الواضح من قطع كتابه وأطلقه فصبان اللطيف الخبير

### ولاية بشر بن صفوان على المغرب

ما كتب أهل المغرب الى الخليفة يزيد بن عبد الملك بما كان منهم الى ابن أبي مسلم وما اعتذر وابه في شأنه أقر عليهم محمد بن يزيد وأسمعيل بن عبيد الله على الخلاف المتقدم ما شاء الله ثم ولى عليهم بشر بن صفوان الكلابي وكان واليا على مصر فقدم القيروان سنة ثلاث ومائة فهد المغرب وسكن أرجاءه واستصفي بقايا آل موسى بن نصير ثم وفد على يزيد بن عبد الملك فوجه قدمته وبيع هشام بن عبد الملك فردده هشام الى عمله من المغرب فاستقر بالقيروان واستدعى منه أهل الاندلس واليا يقوم بأمرهم وذلك بعد مقتل عنيسة بن صحيم الكلابي شهيدا في بعض غزوات القرخي فولى عليهم يحيى بن سلمة الكلابي فقدم الاندلس آخر سنة سبع ومائة فاصح شأنهم غزاهم بشر بن صفوان صقلية بنفسه سنة تسع ومائة فاصاب سبيا كثيرا ورجع الى القيروان منصورا فكانت منيته عقب ذلك

### ولاية عبيدة بن عبد الرحمن على المغرب

لما توفي بشر بن صفوان وانتهى الخبر الى الخليفة هشام بن عبد الملك ولى على المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وهو ابن أخي أبي الاعور السلمي وقيل ابن ابنة فقدم القيروان سنة عشر ومائة ونظر في أمر المغرب والاندلس معا وولى من قبله على الاندلس ولادة أربعة واحد بعد واحد وهم عثمان بن أبي نسعة

الشمعي وحذيفة بن الاحوص القيسي والميثم بن عبيد الكلابي ومحمد بن عبد الله الاشجبي وكان  
عبيدة بن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان قبيله وعذبهم فكتب بعضهم بذلك الى الخليفة هشام  
فقره لاربع سنين وستة أشهر من ولايته

### ولاية عبيد الله بن الحجاب على المغرب

عبيد الله هذا هو مولى بنى سـ اول وكان رئيسا نبيلاً وأميراً جليلاً وخطيباً موقماً وولاه هشام بن عبد الملك  
على المغرب بعد عزل عبيدة بن عبد الرحمن عنه وأمره أن يمضي اليه من مصر فاستخاف عبيد الله على مصر  
ابنه أبا القاسم وسار الى المغرب فقدم القيروان في ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائة واستعمل عمر بن  
عبيد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى واستعمل ابنه اسمعيل بن عبيد الله معه على السوس  
وماوراءه واستعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي فكانت له في القرنيجة وقائع وأصيب  
جيشه في رمضان من السنة المذكورة في موضع يعرف ببلاد الشهداء وبه عرفت الغزوة ثم ولي  
عبيد الله على الاندلس عبد الملك بن قطن الفهرى ثم بعده عقبه بن الحاج الساسولي فكان محمود السيرة  
وتمكن سلطان عبيد الله بالمغرب وبنى جامع الزيتونة بتونس لكن صحح صاحب المؤنس ان أول مخطط  
للجامع المذكور حسان بن النعمان وتعمه عبيد الله هذا واتخذها دار صناعة لانشاء المراكب البحرية  
ثم بعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبه بن نافع الفهرى غازياً بأرض المغرب فانهى الى السوس الأقصى وقاتل  
مسوفة ثم تخطاهم الى تخوم السودان وأصاب من مغنم الذهب والفضة والسبي شيئاً كثيراً ودق خ بلاد  
البربر وقاتلها ورجع ثم أغزاه ثانية جزيرة صقلية فركب البحر اليها سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه  
عبد الرحمن بن حبيب فنزل سرقوسة أعظم مدن صقلية وضرب على أهلها الجزية وأثخن في سائر الجزيرة  
وكان عمر بن عبيد الله في هذه المدة بطنجة قد أساء السيرة في برابرة المغرب الأقصى وأراد أن يخمس من  
أسلم منهم وزعم أنه الفى ففتقرت قلوب البربر عنه وأحسوا بانهم طعمت للعرب وثقات عليهم وطأة عمال  
ابن الحجاب جملة بما كانوا يطيّبونهم به من الوظائف البربرية مثل ادم العسلية الالوان وأنواع طرف  
المغرب فكانوا يتغالون في جمع ذلك وانتخابه حتى كانت الصرمة من الغنم تملك ذبيحاً لاتخاذ الجلود  
العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه فكثير عيبتهم بذلك في أموال البربر  
فاجعوا الانتقاض وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن أبي عبيدة الى صقلية فخرأهم ذلك على مرادهم  
وناره يسيرة المضغرى باحوار طنجة على ما ذكره وكانت بدعة الخارجية يومئذ قد سرت في البربر وتلقنها  
رؤسهم عن عرب العراق الساقطين الى المغرب نزوحاً الى الاطراف داعين أغمار الامم اليها عسى أن  
تكون لهم دولة فاستحكمت صبغتها في طعام البربر وشجيت فيهم عروقها فكان ذلك من أقوى البواعث  
والاسباب في خرق حجاب الهيبة على الخلفاء وانتقاض البربر على العرب ومن اجتهت لهم في سلطانهم  
ولنذكر هنا أصل الخوارج وفرقهم على الجملة ثم نعود الى موضوعنا الذي كنا فيه فنقول قد تقدم لنا  
في خلافة علي بن أبي طالب رضى الله عنه ما كان من أمر التحكيم وما نشأ عنه من خروج طائفة من  
القراء عليه وقالوا حكمت الرجال في دين الله ولا يحكم الا الله وان علياً رضى الله عنه استأصلهم بالنهر وان  
فقال له بعض أصحابه قد قطع الله ابرهم آخر الدهر فقال علي رضى الله عنه والذي نفسي بيده انهم لفي  
أصلاب الرجال وأرحام النساء لا يخرج خارجة الا خرجت بعد ما مثلها فصدق الله قول علي وتبعته منهم  
طوائف بالعراق وغيره وتكرروا ووجههم على الخلفاء وشري داؤهم وأعي داؤهم وتعددت فرقهم  
ومذاهبهم وقال ابن خلدون اقترفت الخوارج على أربع فرق (الأولى الازارقة) أصحاب نافع بن  
الازرق الحنفى وكان وأيه البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض يعنى القتل من غير سؤال عن  
حال أحد وقتل الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفاراً (الثانية النجدية) ويقال لهم النجدات أصحاب

ثبته بن عامر الحنفي وهم بخلاف الازارقة في ذلك كله (الثالثة الاباضية) أصحاب عبد الله بن ابي  
 التميمي ثم الصريحي وهم يرون ان المسلمين كلهم يحكم لهم يحكم المناقنين فلا ينتهون الى الرأى الاول  
 لا يقفون عند الثاني ولا يحرمون مناقحة المسلمين ولا موارتهم وهم عندهم كالمناققين ومن هؤلاء  
 اليهودية أصحاب ابي يهس هيصم بن جابر الضبي (الرابعة الصفرية) وهم موافقون للاباضية الا في  
 القعدة يعنى الذين يقعدون عن القتال معهم فان الاباضية أشد على القعدة منهم وبعثت ههنا هذه  
 الآراء بعد ذلك واختلف في تسمية الصفرية فقيل نسبوها الى عبد الله بن صفار الصريحي وقيل اصفروا  
 بعنايتهم العبادة وفي القاموس الصفرية بالضم ويكسر قوم من الحرورية نسبوها الى عبد الله بن صفار  
 ككان أو الى زياد بن الاصفر أو الى صفرة ألوانهم أو نخلوهم من الدين انتهى وقد كانت الخوارج من  
 قبل هذا الافتراق على رأى واحد لا يختلفون الا في الشاذ من الفروع وفي أصل افتراقهم مكاتبات بين  
 نافع بن الازرق وأبي يهس وعبد الله بن ابياض ذكرهما المبرد في الكامل فلتنظر هنالك وكانت خوارج  
 المغرب اباضية وصفرية فلما كانت ولاية عبيد الله بن الحجاج ونال عماله من البربر ما نالوا من الجور  
 والعسف انتفضوا عليه وثار ميسرة المضغرى المعروف بالخنزير باحواز طنجة ومضغرة بطن من بني قاتن  
 ابن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الابر وكانوا على رأى الصفرية وكان شيخهم ميسرة  
 المذكور مقدمات في ذلك المذهب فممل البربر على الخروج عن الطاعة وزحف الى عمر بن عبيد الله بطنجة  
 فقتله سنة اثنتين وعشرين ومائة وولى عليها من قبله عبد الاعلى بن جريح الافريقي روى الاصل ومولى  
 للعرب كان امام الصفرية في انتحال مذهبهم فقام بأمرهم مدة ثم تقدم الى السوس فقتله عامها  
 اسمعيل بن عبيد الله وكان ميسرة لما استولى على طنجة والمغرب الاقصى قديابه البربر بالخلافة وخاطبوه  
 بامير المؤمنين اذ الخوارج لا يشترطون في الامام الاعظم القرشية محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم  
 اسمعوا وأطيعوا وان اسمع عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة وهو مؤثر وواضطرط المغرب ناراً وقتت  
 نخلة الطارجية في جميع قبائله وانتفض أمره على خلفاء المشرق فلم يراجع طاعتهم بعد ثم ان ابن الحجاج  
 دعته الى ميسرة خالد بن حبيب الفهرى فبينما كان قد بقى عنده من الجيش واستقدم آياه حبيب بن  
 أبي عبيدة من صفية فقدم فبينما معه من عساكر المسلمين وبعثه في اثر خالد ونهض اليهم ميسرة في جوع  
 البربر فلقبهم باحواز طنجة فاقتلوا قتالا شديدا ثم تحاجروا ورجع ميسرة الى طنجة فساعت سيرته في البربر  
 وتقموا عليه ما جاء به فقتلوه وولوا عليهم مكانه خالد بن حميد الزناتي **وقال ابن عبد الحكم** هو من هتورة  
 احدى بطون زناتة فقام بأمرهم واجتمع اليه البربر فزحف الى العرب وسرح اليه ابن الحجاج عساكر  
 الخليفة هشام بن عبد الملك وعلى مقدمته خالد بن حبيب الفهرى فكان اللقاء على وادي شلف فانهم  
 المسلمون وقتل خالد بن حبيب ووجوه من معه من العرب فسميت الواقعة ووقعة الاشراف وانتفض المغرب  
 على ابن الحجاج من سائر جهاته وبلغ الخبر الى أهل الاندلس فعزلوا عامله عقبه بن الحجاج السلولي وولوا  
 عليهم عبد الملك بن قطن الفهرى ومرج أمر الناس وانتهى الخبر بذلك كله الى الخليفة هشام بدمشق  
 فعزل ابن الحجاج عن المغرب **وقال صاحب الخلاصة** لما احتلت الامور على ابن الحجاج اجتمع  
 الناس وعزلوه فبلغ ذلك هشام فغضب وكتب الى ابن الحجاج بالقدوم فخرج في جمادى الاولى سنة ثلاث  
 وعشرين ومائة والله أعلم

**ولاية كلثوم بن عياض على المغرب ومقتله**

لما انتهى الى الخليفة هشام ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب والاندلس وخلعهم للطاعة شق ذلك  
 عليه واستضعف ابن الحجاج فكتب اليه يستقدمه وولى على المغرب كلثوم بن عياض القشيري ووجه  
 معه جيشا كثيرا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من جوع البلاد التي مر بها سبعون ألفا على ما قيل

ولما انتهى كلثوم الى القيروان أساء السيرة في أهلها فكتبوا الى حبيب بن أبي عبيدة وهو يومئذ بتلمسان  
مواقف للبربر يشكون منه اليه وكان لآل عقبة بالمغرب وجهة لم تكن لتغيرهم فكتب اليه حبيب  
بنيها ويتوعده فاعتذر كلثوم وأغضى له عليها ثم استخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة وسار يوم  
المغرب في جوعه وعلى مقدمته ابن أخيه بلج بن بشر القشيري فر على طريق سيبة وانتهى الى تلمسان  
فلقى حبيب بن أبي عبيدة فاقتملا ثم اصطلما وزحقا جميعا الى المغرب الاقصى فهضت اليهم البربر وكان  
اللقاء على وادي سبوا من أعمال طنجة و قال ابن خلدون في أخبار البربر ان الخليفة هشام ولى كلثوم  
ابن عياض على المغرب سنة ثلاث وعشرين ومائة وسرحه في اثني عشر ألفا من أهل الشام وكتب الي  
ثغور مصر وبرقة وطرابلس أن يمدوه فزحف الى افريقية ثم الى المغرب حتى بلغ وادي سبوا فبرز اليه  
خالد بن جيد الزناتي فبين معه من البربر وكانوا خلقا لا يحصون فلقوا كلثوم بن عياض بعد ان هزموا  
مقدمته فاشتد القتال بينهم وقتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة وكثير من الجنود واقترقت العساكر فغضى  
أهل الشام الى الاندلس مع بلج بن بشر ومضى أهل مصر وافريقية الى القيروان \* وما ذكره من ان  
خالد بن جيد هو الذي هزم جيوش كلثوم في هذه الواقعة هو قاضي ماسبق من ان ميسرة قتل في ولاية  
عبيد الله بن الحجاب وجزم ابن حيان بان الذي هزم جيوش كلثوم هو ميسرة التفسير واقصر عليه ابن  
خلدون في أخبار بني فاتن قال انتهت مقدمة كلثوم بن عياض الى سبوا من أعمال طنجة فلقية البربر  
هنالك مع ميسرة وقد خصوا عن أواسط رؤسهم وتنادوا بشعار الخارجية فهزموا مقدمته ثم هزموه  
وقتلوه وكان كيدهم في لقاءهم اياه ان ملؤا الشنان بالججارة وربطوها في أذنان الخيل ثم أرساوها في  
جيش العرب فكانت الحجارة تقع في شنانها وخيل العرب تنفر حتى اختل مصافهم وتمت الهزيمة عليهم  
فاقتروا وذهب بلج مع الطلائع من أهل الشام الى سبتة ورجع أهل مصر وافريقية الى القيروان وظهرت  
الخوارج في كل جهة واقطع المغرب عن طاعة الخلفاء الى أن هلك ميسرة وقام برياسة مضجرة من بعده  
يحيى بن حارث منهم اه كلام ابن خلدون فاضطرب النقل في هذه الواقعة كما ترى والله أعلم بالصواب  
وقال ابن حيان في أخبار بني عياض لما هزمت جيوشه فجاور بها الى سبتة في أهل الشام ومعه ابن  
أخيه بلج بن بشر بن عياض وحاصرهم البربر بها ولما اشتد حصارهم بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات  
وبلغوا من الجهد الغاية استغاوا باخوانهم من عرب الاندلس فتناقل عنهم صاحبها عبد الملك بن قطن  
لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضررهم عند رجالات العرب أشفقوا عليهم فاغاثهم زياد بن عمرو  
الخنمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكت من أرقامهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضرب به سبعة مائة سوط  
ثم اتهمه بعد ذلك بتضريب الجنود عليه فعمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق في هذا  
الوقت ان بربرة الاندلس لما بلغتهم ما كان من ظهور بربرة العدو على العرب انتفضوا على عرب  
الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم بالمغرب وتفظنوا لما كانوا غافلين عنه قبل ذلك من الخلاف على  
العرب ومن اجتمع منهم في سلطانهم وأصل ذلك كله النزعة الخارجية فاستفحل أمرهم بالاندلس وكثر  
ايقاعهم بجيوش ابن قطن فخاف ان يلقى منهم ما لقيه العرب بالمغرب من اخوانهم وبلغه انهم قد عزموا  
على قصده فلم ير أجدى له من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموثورين بسبتة فكتب الى بلج  
وقدمات عمه كلثوم فاسرعوا الي اجابته وكانت تلك أميتهم فاحسن اليهم وأسبغ النعمة عليهم وشرط  
عليهم أن يقيموا عنده سنة واحدة حتى اذا فرغوا له من البربر انصرفوا الى مغربهم وخرجوا له عن  
أندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه وأخذ منهم الرهائن عليه ثم قدم عليهم ابنيه قطننا وأميه والبربر في جوع  
لا يحصيها غير رازقها فاقتملا وقاتلوا الصعب فيه المقام الى ان كانت الدبرة على البربر فقتلهم العرب باقطار  
الاندلس حتى ألحقوا بهم بالنغور وخفوا عن العيون فكفر الشاميون وقدامت لأيديهم من الغنائم

فأشمتت شوكتهم وثابت همهم وبطروا ونسوا اليهود وطال بهم ابن قطن بالخرروج عن الاندلس  
 فعملوا عليه وذكر واصنيعه بهم أيام انحصارهم بسبته وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة فقاموه ووقدموا  
 على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وأغروه بقتله فأبى فنارت اليمانية وقالوا قد جيت  
 اضرك والله لانطبعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر ابن قطن فأخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامه  
 قد شهد وقعة الحررة بالمدينة فجعلوا يسبونوه ويقولون له أقلت من سيوقنا يوم الحررة ثم طالبتنا بتلك الترة  
 فعمرتنا لا كل الكلاب والجاود وحسبنا بسبته محبس الضمك حتى أمتنا جوارنا فقتلوه وصلبوه  
 في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة وصلبوا عن عيونه خنزيراً وعن يساره كلباً واستولى بلج على  
 الاندلس وكانت خطوب يطول ذكرها والله ولي العون والتوفيق

### ولاية حنظلة بن صفوان على المغرب

لما سمع الخليفة هشام بجاري على كلثوم وأصحابه قامت قيامته فوجه حنظلة بن صفوان السكابي وهو  
 أخو بشر بن صفوان المتقدم والياعلى المغرب فقدم القيروان سنة أربع وعشرين ومائة فوجد هواره  
 وهم ولدهو آرن أورينغ بن برنس خوارج على الدولة ورئيساهم عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد  
 ابن يزيد الهواري وكانا على مذهب الصفرية فلما استقر حنظلة بالقيروان لم يلبث الا يسيراً حتى زحف  
 اليه عكاشة وعبد الواحد في هواره ومن تبعهم من البربر فخرج اليهم حنظلة والتقوا على القرن من  
 ظاهر القيروان فهزمهم بعد قتال صعب واستلمهم وقتل عبد الواحد وأخذ عكاشة أسيراً ولما جى اليه  
 عكاشة في رفته وبرأس عبد الواحد سجد شكر الله تعالى على ما مضى من الفتح وأمر بعكاشة فقتل  
 وأحسيت القتلى في ذلك اليوم فكانوا مائة وثمانين ألفاً وكتب حنظلة بذلك الى الخليفة هشام وسمعا  
 الليث بن سعد فقال ما غزوة كنت أحب أن أشهداها بعد غزوة بدر أحب الي من غزوة القرن والاصنام  
 ثم وجه حنظلة أبا الخطاب حسام بن ضرار السكابي واليما من قبله على الاندلس فركب اليها البحر من  
 تونس سنة خمس وعشرين ومائة فدان له أهل الاندلس واستقام أمرهم بها حينما من الدهر ثم نار عليه  
 الصميل بن حاتم السكابي وخلعه في حبس بطويل ولم يزل حنظلة على المغرب في أحسن حال الى ان طرق  
 النخل الخلافة بالمشرق وخفت صوته لما حدث في بني أمية من قتلة الوليد الفاسق وما كان من أمر  
 الشيعة والخوارج مع مروان الحمار آخر خلفائهم وأفضى الأمر الى الادالة منهم بنى العباس فجاز  
 عبد الرحمن بن حبيب الفهري من الاندلس الى المغرب وغلب حنظلة عليه سنة ست وعشرين ومائة  
 على ما ذكره

### بذ كرم صالح بن طريف البرغواطي المتنبئ ومخرقة

وفي هذا التاريخ كان ظهور صالح بن طريف البرغواطي الذي ادعى النبوة بتامسنا من بلاد المغرب  
 الاقصى على ساحل البحر المحيط فيما بين سلا وآسفي وبرغواطة بطن من المصامدة على ما حققه ابن خلدون  
 وكان أبوه طريف يكنى أبا صبيح وكان من قواد ميسرة الخضير القائم بدعوة الصفرية ولما انقرض أمر  
 ميسرة بقي طريف قائماً بأمر برغواطة بتامسنا ويقال انه تنبأ أيضاً وشرع لهمم الشرائع ثم هلك وولى  
 مكانه ابنه صالح هذا وقد كان شهد مع أبيه حروب ميسرة فيقال ابن خلدون في وكان من أهل العلم والخبر  
 ثم انسلخ من آيات الله وانحل دعوى النبوة وشرع لهمم الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي معروفة في  
 كتب المؤرخين فيقال في القرطاس في كان الضلال الذي شرع لهمم أنهم يقررون بنبوته وانهم يصومون  
 شهر رجب ويأكلون شهر رمضان وفرض عليهم عشر صلوات تحسب بالليل وتحسب بالنهار وان الاضحية  
 واجبة على كل شخص في الحادي والعشرين من المحرم وشرع لهمم في الوضوء غسل السرة والخاصرتين  
 وأمرهم أن لا يغتسلوا من جنابة الا من حرام وصلاتهم ايما الاصبود فيها الكتم يسجدون في آخر ركعة

خمس سجدة ويقولون عند تناول الطعام والشراب باسمك يا كساي وزعم ان تفسيره بسم الله وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ماشاء ولا يتزوج من بنات عمه ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم فلا تحرم عليهم المرأة بشئ من ذلك وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم انه لا يطهره من ذنبه إلا السيف وان الدية تكون من البقر وحرم عليهم رأس كل حيوان والدجاجة مكروه أكلها وقدوتهم في الاوقات الديكة وحرم عليهم ذبحها وأكلها ومن ذبح ديكاً أو أكله أعتق رقبة وأمرهم أن يلحسوا باصاق ولا تم على سبيل التبرك فكان يصبق في أكتفهم فيلحسونه ويحاونه الى مرضاهم يستشفون به ووضع لهم قرآناً يقرؤنه في صلواتهم ويتاونه في مساجدهم وزعم انه نزل عليه واته وحى من الله تعالى اليه ومن شك في ذلك فهو كافر والقرآن الذي شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم باسماء النبيين وغيرهم منها سورة آدم وسورة نوح وسورة فرعون وسورة موسى وسورة هرون وسورة بني اسرائيل وسورة الاسباط وسورة أيوب وسورة يونس وسورة الجمل وسورة الديك وسورة الخجل وسورة الجراد وسورة هاروت وماروت وسورة ابليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحل وشرع وفصل وتسمى فيهم بصالح المؤمنين وقال أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في كتابه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم كما حكاه البكري عن زمور بن صالح الواقدي ثمهم على الحكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم يومئذ أبي منصور عيسى بن أبي الانصار سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة وكان يترجم عنه بجميع خبره داود بن عمر المسطاسي قال وكان ظهوره صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة وقد قيل ان ظهوره كان لا قول الهجرة وانه انتحل ذلك عند احواله كما بلغه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم والاول أصح ثم زعم انه المهدي الاكبر الذي يخرج في آخر الزمان وأن عيسى يكون صاحبه ويصلى خلفه وان اسمه في اللسان العربي صالح وفي السرياني مالث وفي الهمي عالم وفي العبراني روييل وفي البربري وارباومعناه الذي ليس بعده نبي ثم خرج الى المشرق بعد ان ملكهم سبعة وأربعين سنة ووعدهم انه يرجع اليهم في دولة السابع منهم وأوصى بنيه بالتمسك بدينه فتوارثوا ضلالتهم من بعده الى أواسط المائة الخامسة وكان للدول فيهم ملاحم الى ان جاءت دولة المرابطين فحوأ أثر بدعتهم وسنعيد القول فيهم بإسبط من هذا عند الوصول اليها ان شاء الله

الخبر عن تغلب آل عقبة بن نافع على المغرب وولاية عبد الرحمن بن حبيب منهم

كان عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه واليا على المغرب كما مر وهو الذي اقتح الاقصى منه ولما استشهد بالراب بقي بنوه به فكانت لهم وجهة معروفة بين أهلها لمكان أبيهم عقبة من جهاد العدو وما فتح الله على يده من الاقطار واختطاطه مدينة القيروان التي هي كرسي الامارة فكان ما منح الله أهل المغرب من الاسلام والدين كله في صحيفته فينالوا بذلك شرفا خاصا زيادة على شرف القرشمية وعز الفهرية فكان يكون لهم الشرف في بعض الاحيان حتى على الولاة فضلا عن غيرهم وقد تقدم لنا في أخبار موسى ابن قيس يرانه استعمل ابنه عبد العزيز على الاندلس فتار عليه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وقتله بأغراء سليمان بن عبد الملك وتقدم أيضا ما كان منه الى كلثوم بن عياض عند قدومه القيروان من التوعد حتى أدى ذلك الى مقاتلتها ولما قتل حبيب هذا في وقعة كلثوم المتقدمة كان ابنه عبد الرحمن ابن حبيب صاحب الترجمة في جلة أصحاب بلج الناجين الى سبته ولما قتل أصحاب بلج عبد الملك بن قطن الفهري وصلبوه كما مر فارقهم عبد الرحمن هذا الماصنعوا بابن عمه وعزم على الطلب بدمه فاجتمع اليه نحو مائة ألف من عرب الاندلس وبربرها وعمد الى بلج فقتله في خبر طويل ثم حاول عبد الرحمن التغلب على الاندلس فلما قدم أبو الخطار واليا عليها من قبل حنظلة بن صفوان أيس منها وركب البحر الى المغرب فاحتل بتونس في جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وقد توفي هشام وولي الخلافة بعده الوليد بن



يزيد الفاسق فدعا عبد الرحمن أهل تونس الى نفسه فأجابوه وبلغ ذلك حنظلة صاحب القيروان فكره  
قتال المسلمين وسفك دماهم فبعث اليه جماعة من وجوه الجند يدعونه الى الطاعة فلما وصلوا اليه انتهز  
الفرصة وأوثقهم في الحديد وأقبل بهم الى القيروان فيمن اجتمع اليه وأرسل الى أوليائهم يحذرهم قتاله  
ويقول ان رميتم ولو بجحر قتلت من في يدي فأجبهه واعنه ضنا بأشرفهم عن القتل وعلم بذلك حنظلة  
فارتحل الى المشرق سنة سبع وعشرين ومائة ودخل عبد الرحمن القيروان فتمكن منها واستولى على  
المغرب وهو أول متغلب عليه قالوا ولما ولي مروان بن محمد المعروف بالجار الخلافة بعث اليه بعهدده وكان  
أمر البربر يومئذ قد تفاقم وداء الخارجية قد أعضل ورؤسها قد نبغت في كل جهة فانتقضوا من أطراف  
البقاع وتواتبوا على الأمر بكل مكان داعين الى بدعتهم وتولى كبر ذلك منهم صنهاجة فانهم التفوا على  
كبيرهم ثابت الصنهاجي وتغلبوا على باجة وثارت هواربة بطرابلس ملتفين على رئيسهم عبد الجبار  
والحارث وغير هؤلاء وكانوا على مذهب الاباضية فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسي لما خرج  
يدعوهم الى السلم وعظم الخطب فزحف اليهم عبد الرحمن بن حبيب سنة احدى وثلاثين ومائة فظفر  
بالصنهاجي والمواري وقتلها ما وصل جوعهما ثم زحف الى عروبة بن الوليد الصفري وكان قد ثار بتونس  
فقتله واستأصل الثوار وانقطع أمر الخوارج من افرريقية ثم زحف سنة خمس وثلاثين ومائة الى جوع  
من البربر كانوا قد تجمعوا بنواحي تلمسان فظفر بهم وقل جمعهم ورجع ثم أغزاجيشافي البحر الى اصقلية  
وآخر الى سردانية فاتخذوا في أم القرنج حتى أذعنوا للجزيرة ودوخ عبد الرحمن أرض المغرب وأذل  
المعاندن الى ان كان ما ذكره وهو أما أهل الاندلس ففانهم كانوا قد دخلوا أبا الخطار وولوا عليهم ثوية  
ابن سلامة الجذامي فقال ابن بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب فكتب اليه  
بعهدده وذلك سلخ رجب سنة سبع وعشرين ومائة فضبط البلاد واستمر واليهاستين أو نحوها ثم هلك وولى  
أهل الاندلس عليهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب وهو ابن صاحب الترجمة وهو ذكر الازدي أن  
مولده كان بالقيروان وأنه لما استولى أبوه على المغرب خرج يوسف هذا مغاضبا له لأمر اقضى ذلك فقدم  
الاندلس واستوطنها وسادها فأقامه أهلها واليها عليهم بعد أميرهم ثوية وقد مكثوا فوضى أربعة أشهر  
وكان اجتماعهم عليه بإشارة الصميل بن حاتم الكلبي فاستبدي يوسف بالاندلس وضبطها الى ان دخل  
عليه عبد الرحمن بن معاوية الاموي المعروف بالداخل فانتزعها منه وأورثها ابنه كاسياني ولما استقر  
قدم الدولة العباسية بالمشرق وانقرض أمر بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة وذهبوا في كل وجه أقلت  
عبد الرحمن بن معاوية هذا وقصد المغرب فاجتاز بالقيروان وبها عبد الرحمن بن حبيب صاحب الترجمة  
فارتاب به وعزم على قتله فنجبا الاموي الى الاندلس وكان من أمره ما كان وهو ذكر ابن حيان أن  
عبد الرحمن بن معاوية الاموي سار حتى أتى افرريقية فنزلها وقد سبق اليها جماعة من فل بنى أمية وكان  
عند صاحبها عبد الرحمن بن حبيب يهودي حدثا في قد صحب مسلمة بن عبد الملك فكان يتمكن له ويخبره  
بتغلب القرشي ومالك الاندلس ويرثها عقبه من بعده وان اسمه عبد الرحمن وهو ذو صفيرتين ومن  
بيت الملك فاتخذ الفهري صفيرتين أرسلهما رجا أن تناله الرواية فلما جىء اليه بعبد الرحمن الاموي  
ورأى صفيرته قال لليهودي هو هذا وأنا قتاله فقال له اليهودي ان قتله فها هو به وان غلبت عليه فانه  
لهو وثقل فل بنى أمية على ابن حبيب فطرد كثيرا منهم خوفا على ملكه ثم تجنى على ابنه بن الوليد بن يزيد  
كانا قد استجارا به فقتلها وأخذ ما لا كان مع اسمعيل بن أبان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على أخته  
فتزوجها غصبا وطلب عبد الرحمن الداخل فاختفى كذا ابن حيان وهو عند ابن خلدون أن الاخت  
الذكورية زوجها عبد الرحمن من أخيه الياس بن حبيب ولما قتل ابن عمها امتعضت لذلك وأغررت  
زوجها واستفسدت على أخيه حتى قتله كما ذكر وذلك انه لما انتظم أمر الدولة العباسية بالمشرق

و يبيع السفاح ثم المنصور بعده كتب الى عبد الرحمن بن حبيب يدعو الى الطاعة والبيعة فاجابه ودعاه  
 وبعث اليه بمديية فيها بزة وكلاب وذهب قبيل وذكر ان افر بيقية اليوم اسلامية وقد انقطع السبي  
 فغضب المنصور وكتب اليه يتوعده وبعث اليه مع ذلك بخمسة الامارة فترع عبد الرحمن يده من الطاعة  
 وعزق الخلع على المنبر فوجد اخوه الياس بذلك السبيل الى ما كان يحاوله عليه ودخل وجوه الجند  
 في القتلك به واعادة الدعوة للخليفة المنصور وما لا على ذلك اخوه عبد الوارث بن حبيب و احس  
 عبد الرحمن منهم ما بالشرق فامر الياس بالمسير الى تونس فاطهر الامتثال ثم جاء ليو دعه ومعه عبد الوارث  
 وكان عبد الرحمن مريضاً فدخل عليه وقتله على فراشه آخر سنة سبع وثلاثين ومائة لعشر سنين وسبعة  
 أشهر من تغلبه على المغرب

### استيلاء الياس بن حبيب على المغرب

لما قتل الياس باخيه عبد الرحمن معتدا عليه بخلعه طاعة الخليفة فرأبنه حبيب بن عبد الرحمن الى تونس  
 بعد ان طلبوه وضبطوا ابواب القصر لياً أخذوه فلم يظفروا به وكان معه عمران بن حبيب واليا بتونس من  
 قبل ابيه فلحق به وتم الامر لالياس واستولى على القيروان ثم زحف اليه عمران وحبيب فيمن اجتمع  
 اليهما وخرج الياس للقائهم فالتقوا واقتلوا اماليا ثم اصطلموا على ان يكون لحبيب قفصة وقسطيلة  
 وسائر بلاد الجريد ولعمران تونس وسطفورة والجزيرة ولا لالياس القيروان وسائر افر بيقية والمغرب وتم  
 هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين ومائة وسار حبيب الى عمله من بلاد الجريد وارحل الياس مع اخيه عمران  
 الى تونس ولما وصل اليها غدر الياس بعمران فقتله وقتل جماعة من الاشراف معه وقيل غربه الى  
 الاندلس وعاد هو الى القيروان فبعث بطاعته الى أبي جعفر المنصور مع قاضي افر بيقية عبد الرحمن بن  
 زياد بن أنعم وصفاله أمر المغرب وثقل عليه مكان حبيب فاحتال عليه حتى أركبه البحر الى الاندلس  
 وأركب معه أخاه عبد الوارث فردهم قاصف من الرمح الى طبرقة وكتبوا بخبرهم الى الياس فليج في  
 طردهم وتسامعت موالي عبد الرحمن وشيعته بابين مولا هم قسار عوا اليه وأزلوا من السفين والتفوا  
 عليه وزحفوا به الى تونس فلكوها وخرج الياس لقتالهم فحالفوه الى القيروان ومالكوها عليه وقتلوا  
 السجون فرجع الياس لقتالهم وقد فرأ أكثر من معه الى حبيب ولما تراء الجمعان حول القيروان برز  
 حبيب فنادى يا عم لم تقتل اولياءنا واصلنا عنا وهم جنتنا فهمم للبراز فأينا غلب ملك فصاح الجيوشان  
 بتصويب رأيه فبرزوا وتضار باحتي عجب الناس من صبرهما ثم قتل حبيب الياس ودخل القيروان فلكها  
 آخر سنة ثمان وثلاثين ومائة فكانت ولاية الياس نحو سنة ونصف وفي هذه السنة استولى عبد الرحمن  
 ابن معاوية الاموي على جزيرة الاندلس انتزعا من يدا ميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وهو أخو  
 حبيب المذكور آنفا **قال ابن حبان** كان تغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك  
 بقرطبة يوم الاضحى لعشر خا لون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة واستقام أمره بالاندلس وبني  
 المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه ووفد عليه جماعة من  
 أهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور العباسي ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثل بها الملك  
 العظيم لبني مروان وخرجت الاندلس من يومئذ عن نظر صاحب القيروان بل وعن نظر الخليفة بالمشرق  
 والله غالب على أمره

### استيلاء حبيب بن عبد الرحمن على المغرب وقتنة عاصم بن جميل المتني ومقتله

لما قتل حبيب بن عبد الرحمن عمه الياس وتمكن من القيروان طلب عمه عبد الوارث لمشاركته في دم  
 آبيه كما فرض عبد الوارث الى ورجومة احدي بطون نفزاو بن لوى من البرابرة البسترقزل على كبيرهم  
 عاصم بن جميل وكان كاهنا يدعى النبوة فاجاره ثم نهض اليهم حبيب فاقعوا به وهزموه الى قابس

واستعمل أمر عاصم وشايعة على شأنه من رجالات نفزاوة عبد الملك بن أبي الجعد الورنجومي ويزيد بن  
سكوم الوهاصي وكانا على رأي الاباضية وانضمت اليهم سائر نفزاوة واشتدت شوكتهم وكان قيامهم أولا  
بدعوة الخليفة المنصور ولما بقي أهل القيروان فوضى بسبب فرار أميرهم إلى قابس كتب من بهامن  
العرب إلى عاصم هذا يدعونه للقدوم عليهم والقيام بأمرهم بشرط الدعاء للمنصور فأتى وقتلهم فهزمهم  
ودخل القيروان عنوة واستباح أهلها وخرّب مساجدها وأهانها ثم سار إلى حبيب بقابس بعد أن  
استخلف على القيروان ومن بقي بها من نفزاوة عبد الملك بن أبي الجعد فقاتل حبيبا وهزمه فلق حبيب  
بجبل أورين وأجاره أهله ثم زحف اليهم عاصم فهزموه وقتلوه واستلموا واجاعة من أصحابه وقام بأمر  
ورنجومة والقيروان من بعده عبد الملك بن أبي الجعد وأهل القيروان أثناء هذا كله في غاية المذلة  
والهوان مع البربر ثم زحف حبيب إلى القيروان فبرز إليه عبد الملك وهزم حبيبا وقتله في المحرم سنة  
أربعين ومائة فكانت ولايته نحو ثلاث سنين وانقرض بعقده أمر آل عقبه من المغرب والبقاء لله وحده

### استيلاء عبد الملك بن أبي الجعد على المغرب

لما قتل عبد الملك بن أبي الجعد الورنجومي حبيب بن عبد الرحمن الفهري ورجع في جوع البربر إلى القيروان  
فلكها وأمر أمرورنجومة واستطالوا على أهل القيروان وقتلوا من بهامن قرينش وسائر العرب حيث  
وجدوا وعاملوهم معاملة المكاسيين لآل ادريس واستحووا من الحرمات ما لم يستحلها عاصم بن جميل  
قبلهم حتى لقد ربطوا دوابهم بالمسجد الجامع واشتد البلاء على أهل القيروان واقتروا في النواحي فرارا  
بانفسهم وشاع خبرهم في الآفاق فحينئذ قام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من رجالات  
العرب وكان على رأي الاباضية باحواز طرابلس منكر الفحل وورنجومة ومغيرا عليهم حسب ما نذكر

### استيلاء عبد الأعلى بن السمح على المغرب وظهور الصفرية من آل مدرار المكاسيين وبنواهم مدينة سجلماسة

كان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من وجوه العرب وكان على رأي الاباضية كما قلنا ولما  
بلغه ما ارتكبته وورنجومة من أهل القيروان امتنع عن ذلك وقام محتسبا عليهم وشايعة على ذلك  
رابرة طرابلس وتولى كبر ذلك هوارة منهم وهوارة إحدى بطون أوريقة من البرانس فاجتمعوا  
إليه وتقدم بهم إلى طرابلس فلما تم زحف إلى القيروان سنة إحدى وأربعين ومائة نخرج إليه  
عبد الملك بن أبي الجعد في جوعه فانتزل عنه أهل القيروان لما ناله من عسفه وعسف قومه فانهزم  
وقتل واستولى أبو الخطاب على القيروان وأثنى في جوع عبد الملك من وورنجومة وسائر نفزاوة ثم ولي  
على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو من أبناء رستم أمير الفرس يوم القادسية كان عبد الرحمن  
هذا من موالى العرب ومن رؤس هذه البدة فاستخلفه أبو الخطاب على القيروان ورجع هو إلى  
طرابلس للقاء العساكر القادمة من جهة الخليفة المنصور على ما نذكره ولما حصل هذا الاضطراب  
بالمغرب اجتمعت الصفرية من مكاسة بناحية المغرب الأقصى فنقضوا طاعة العرب ولواعيهم عيسى  
ابن يزيد الاسود من موالى العرب ورؤس الخوارج واخطوا مدينة سجلماسة سنة أربعين ومائة من  
الهجرة ودخل سائر مكاسة من أهل تلك الناحية في دينهم واقتطعوا سجلماسة وأعمالها عن نظر  
الولاية بالقيروان ومن هذا الاجتماع نشأت دولة بني مدرار موك سجلماسة فان صفرية مكاسة  
لما بايعوا عيسى بن يزيد أقام أميراً عليهم ثم نحو خمس عشرة سنة ثم سخطوا أمرته ونقموا عليه بعض  
أحواله فعمدوا إليه وأثقوه كتابا ووضعوه على قنة جبل إلى ان هلك سنة خمس وخمسين ومائة واجتمعوا  
بعده على كبيرهم أبي القاسم بن سمكو ابن واسول المسكاسي الصغري كان أبوه سمكو من حلة العلم ارتحل  
إلى المدينة فأدرك التابعين وأخذ عن عكرمة مولى ابن عباس قاله غريب بن حميد القرطبي في تاريخه وكان





### ولاية عمر بن حفص هزار مردي على المغرب

لم يبلغ الخليفة المنصور مقتل الاغلب بن سالم وجه مكانه عمر بن حفص من ولد قبيلة بن أبي صفرة أخي المهلب بن أبي صفرة فقدم القيروان في خمسمائة فارس سنة احدى وخمسين ومائة فاستقامت أموره ثلاث سنين ثم خرج الى طبنة لادارة السور عليها واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبي فتار البربر بافريقية لما علموا من بعد الحامية عنها وغلبوا على من كان بها وزحفوا الى القيروان فخرج اليهم حبيب فهزموه وقتلوه وتار البربر الاباضية بطرابلس وولوا عليهم أباحاتم يعقوب بن ليبيد المغيلي مولى كندة وتسامعت به خوارج المغرب فانتقضوا من كل ناحية ونبغت رؤس الفتنة من كل وجه وعادت هيف الى أديانها وكانت هذه الفتنة هي زبدة الفتنة التي مخضتها الخوارج بالمغرب من لدن ميسرة الخفير الى الآن فانهم زحفوا الى عمر بن حفص وهو بطبنة من أرض الزاب في اثني عشر ألف عسكري فكان منهم أبو قرعة اليفري في أربعين ألفا من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت في خمسة عشر ألفا من الاباضية والمسور بن هاني الزناتي في عشرة آلاف من الاباضية أيضا وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي في ألفين من صنهاجة الصفرية وجرير بن مسعود المديني فيمن تبعه من مديونة وانضم اليهم غير هؤلاء من خوارج هواره وزناتة ممن لا يحصى كثرة ولما اشتد الحصار على عمر بن حفص اعمل الخيلة في ايقاع الخلاف بينهم ودافعهم بالاموال وأرسل الى أبي قرعة على يد ابنه أبي نوران يعطيه أربعين ألفا ولا ينفق أربعة آلاف على ان يرتحل عنه فقبل وارتحل بقومه وانضم البربر عن طبنة ثم سار أبو حاتم يعقوب بن ليبيد الى القيروان وحاصرها ثمانية أشهر حتى أكل أهلها الميتة ولما اشتد الحصار على أهل القيروان خرج عمر بن حفص من طبنة يريد أباحاتم والاباضية الذين معه وبلغ أباحاتم وأصحابه وهم محاصرون القيروان مسير عمر بن حفص اليهم فسار واللقائه شمال هو من الاريس الى تونس ثم جاء الى القيروان فدخلها واستعد للحصار وتمنعها بالاقوات والرجال وأتبعه أبو حاتم والبربر وأبو قرعة معهم في قومه وكانوا في ثلاثمائة وخمسين ألفا التحيل منهم خمسة وثمانون ألفا والباقي رجالة وأحاطوا بالقيروان وعمر بن حفص داخلها واطال الحصار ثم بلغه الخبر ان المنصور وجه لاستنقاذ ابن عمه يزيد بن حاتم المهلبي فانف من ذلك وقال لا خير في الحياة بعد ان يقال يزيد أخرجه من الحصار اغما هي رقدة ثم أبعث الى الحساب وخرج عمر فقاتل حتى قتل أو اسقط حجة سنة أربع وخمسين ومائة وكان عمر هذا بطرابلس محميا لقب هزار مردي وهو لفظ فارسي معناه ألف رجل ثم ولي الناس عليهم أخاه لامة حميد بن صخر وانقضى الحصار وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان وثلم سورها وخرج أكثر الجند الى طبنة ودخل أبو حاتم القيروان فاستولى عليها ويقال ان ابن صخر وادعه على ما أحب والله تعالى أعلم

### ولاية يزيد بن حاتم على المغرب

لم يبلغ المنصور انتقاض افريقية على عمر بن حفص وحصاره بطبنة أو لاتم بالقيروان ثانيا بعت اليه يزيد بن حاتم بن قبيلة بن المهلب بن أبي صفرة في ستين ألفا وبلغ خبره عمر بن حفص فحمله ذلك على الاستماتة كما تقدم وبلغ أباحاتم وهو بالقيروان مسير يزيد بن حاتم اليه فخرج للقائه فلقه يزيد بن حاتم بتواحي طرابلس واقتتلوا قتالا شديدا فانهم البربر وقتل أبو حاتم في ثلاثين ألفا من أصحابه وتبعهم يزيد بالقتل طلبا بدم عمر بن حفص ثم ارتحل الى القيروان فدخلها يوم الاثنين لعشر مضت من جادى الاولى سنة خمس وخمسين ومائة فهدها ورتب أسواقها وأفراد كل صناعة مكانا وجدد بناء جامعها وضبط الامور أحسن ضبط وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهري مع أبي حاتم فلحق بكامة فبعث يزيد في طلبه المخارق بن غفار فحاصره ثمانية أشهر ثم غلب عليه فقتل جماعة ممن معه وهرب الباقيون في كل ناحية ونجى هو الى الاندلس وبعث يزيد المخارق أيضا على الزاب فنزل طبنة وأثنى في البربر وأوقع

بهم وقائع عظيمة وكانت حروب الخوارج مع العرب منذ انتقضوا على عمر بن حفص الى انقضائهم اثلاثمائة وخمساوسبعين حربا قاله ابن خلدون ثم انتقضت ورجومة سنة سبع وخمسين وولوا عليهم رجلا اسمه أبو زر جونة فسرح اليهم يزيد بن حاتم من عشيرته يزيد بن مجزأة المهلبى فهزموه واستأذنه ابنه المهلب وكان على الزاب وطبينة في الزحف الى ورجومة فأذن له وأمدّه بالعلاء بن سعيد بن مروان المهلبى من عشيرتهم أيضا فأوقع بهم وقتلهم أبرح قتل وانتقضت فتراوة من بعد ذلك في سلطنة ابنه داود بن يزيد فاستأصلهم قتلا أيضا فكدت ربح الخوارج من البربر حينئذ وتداعت بدعتهم الى الاضمحلال **وقال** ابن خلدون **لم يزل أمر الخوارج بالمغرب يعني أيام يزيد هذا في تناقض الى ان اضمحلت ديانتهم وافتقرت جماعتهم وبقيت آثار فخلتهم في اعقاب البربر الذين كانوا بها في صدر الاسلام في بلاد زناة قبل العصر منها أثرياق لهذا العهد وكذلك في جبال طرابلس أثرياق من تلك النحلة والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء واستمر يزيد بن حاتم ضابطا لأمير أفريقية والمغرب الى ان توفي بها يوم الثلاثاء لاثنى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة في خلافة هرورن الرشيد العباسى فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وولى الناصم عليهم ابنه داود الى ان كان ما نذكره وكان يزيد رجه الله من السماء الامجاد والفضلاء الانجاد وكل بنى المهلب كذلك وبهم ضرب المثل أبو محمد الحريرى في المقامات اذ قال وصار الادب أعلق بي من الهوى بنى عذرة والشجاعة بآل أبي صغرة وقال الشاعر الحماسى**

نزلت على آل المهلب شاتيا \* بعيدا عن الاوطان في الزمن المحل

فأزال بي معروفهم وافتقادهم \* وبرّهم حتى حسبتهم أهلى

**وقد** ما يزيد **في** هذا من بينهم فخاله في الشجاعة وجودة الرأى كما رأيت وأما الجود والسخاء فهو وفيهما المثل السائر كان ربيعة بن ثابت الرقى الشاعر مدح يزيد بن أسيد بالتصغير السلمى وهو وال على أرمينية فقصر في حقه ثم مدح يزيد بن حاتم فبالغ في الاحسان اليه فقال ربيعة من قصيدة

لستان ما بين اليزيدى في الندى \* يزيد سليم والاعترى بن حاتم

يزيد سليم سالم المال والفتى \* ففى الازدلال موال غير مسلم

فهم الفتى الازدى اتلاف ماله \* وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

### **ولاية روح بن حاتم على المغرب**

ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم وكان أخوه روح والى على فلسطين وكان أسن من يزيد استقدمه وعزاه في أخيه وولاه على المغرب فقدم القيروان منتصف سنة احدى وسبعين ومائة وكان يزيد قبله قد أذل الخوارج ومهد البلاد كما قلنا فكانت أرض المغرب ساكنة أيام روح ورغب في مواعده عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت فوادعه **وقال** ابن خلدون **وفي** أيام روح انخفضت شوكة البربر واستكانوا للغلب وطاعوا للذين فضرّب الاسلام بجرانه وألقت الدولة المضربة على البربر بكلها **اه** كلام ابن خلدون \* **وفي** أيام روح أيضا اجتاز الامام ادريس بن عبد الله ببلاد مصر وأفريقية ناجيا من وقعة فخ التي كانت بمكة لآل العباس على آل على بن أبي طالب رضى الله عنهم ودخل مدينة وليلي من المغرب الاقصى سنة اثنتين وسبعين ومائة كما سيأتى ان شاء الله **وقال** ابن خلدون **كان** روح بن حاتم من الكرماء الاجواد وولى خمسة من الخلفاء السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد ويقال انه لم يتفق مثل هذا الا لابي موسى الاشعري رضى الله عنه فانه ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضى الله عنهم **قال** وكان روح والى على السند وولاه عليها المهدي بن المنصور فلما مات أخوه يزيد بالقيروان ودفن بباب سلم قال أهل أفريقية ما أبعد ما يكون بين قبرى هذين الاخوين فان أخاه بالسند وهذا هنا فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل أفريقية أول رجب

سنة احدى وسبعين ومائة ولم يزل واليا بها الى ان توفي بها الاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة اربع وسبعين ومائة ودفن مع أخيه يزيد في قبر واحد فحجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد وجهما الله (ثم ولي المغرب) من قبل الرشيد حبيب بن نصر المهلبى ثم عزله سنة سبع وسبعين ومائة وولى على المغرب الفضل بن روح بن حاتم وقتله عبد الله بن الجار ودمته صفة سنة ثمان وسبعين ومائة وانقرضت باقرضه دولة آل المهلب من المغرب ثم ولي الرشيد على المغرب هرثة بن أعين فبنى القصر الكبير بالندس تير وبنى السور على طرابلس من جهة البحر ولما رأى هرثة ما بالمغرب من كثرة الثوار وانحلاف استعفى الرشيد من ولايته فاعفاه لسنتين ونصف من ولايته ثم ولي الرشيد على افريقية محمد بن مقاتل العكي وكان رضياله فاضطررت عليه افريقية وبلغ الرشيد ذلك وطلب أهل افريقية من ابراهيم بن الاغلب وكان من عمال محمد بن مقاتل أن يكتب الى الرشيد في الولاية عليهم فكتب الى الرشيد في ذلك على ان يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر الى افريقية اعانة للولاية بها وعلى أن يحمل هو من افريقية الى الخليفة أربعين ألفا وبلغ الرشيد غناؤه وكفايته فاستشار فيه أصحابه فأشار هرثة بن أعين بولايته فكتب له بالعهد على افريقية منتصف أربع وثمانين ومائة فقام ابراهيم بالامر وضبط البلاد فسكنت واستراحت من الفتن وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل اليها بحماته وأورث بافريقية ملكا بنيه من بعده وفي هذه المدة انقسم المغرب الى ثلاث عمالك فكان بنو الاغلب بافريقية والقيروان وبنو خزراويون بالمغرب الاوسط وتلمسان وبنو ادريس بالمغرب الاقصى وقبل ان تفرد الكلام عليه نذكر فصلا نشير فيه الى مذاهب أهل المغرب ونحاجهم على الجملة والله الموفق

### في القول في مذاهب أهل المغرب أصولا وفروعا وما يتبع ذلك

قد تقدم لنا ما قاله الشيخ ابن أبي زيد رحمه الله من ان البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة وانه لم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد موسى بن نصير وبعد فتحه الاندلس ثم كمل اسلامهم على يد اسمعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر وتقدم ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في دينهم فكان المغاربة في صدر الاسلام لذلك على مذهب جمهور السلف من الامة واعتقادهم وهو المذهب الحق الى ان حدثت فيهم بدعة الخارجية لاقول المائة الثانية من الهجرة تزعم اليهم بها بعض أهل النفاق من خوارج العراق وبنو هان فيهم فتلقوها منهم بالقبول وحسن موقعها اليهم بسبب ما كانوا يمانون به من ثقل وطأة الخلافة القرشية وجور بعض عمالها حسبما تقدمت الاشارة اليه فلحقهم أهل البدع ان الخلافة لا تسترط فيها القرشية بل ولا العربية وان كل من كان أتقى لله كان أحق بها ولو عبد احب شيئا على ظاهر الحديث ودرسوا اليهم مع ذلك بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم وأروهم ما هم عليه من التصلب في دينهم فظهر للبربر يادى الرأي ان تعمقهم ذلك انما هو أثر من آثار الخشية لله والخوف منه وان ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعا وغاب عنهم ان الدين يسر كما قال صلى الله عليه وسلم وان مله الاسلام عرفت من بين الملل بالخنيفية السخمة لذلك والله تعالى يقول ما جعل عليكم في الدين من حرج ومن آمن نظره في نصوص الشريعة من الكتاب والسنة علم يقينا ان طريق النجاة انما هي سلوك الوسط وان كلاما من التعمق والانحلال ضلال والى ذلك الاشارة بقوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله الآية وقد قرر جمع من الامة المقتدى بهم كالغزالي في الاحياء وغيره ان المحمود في أمور الديانات كلها انما هو سلوك الوسط بين الافراط والتفريط وبه يتم مراد الله من خلقه وكلا طرفي قصد الامور ذميم وهذا ما بحث طويل نفيس وقد مرنا اليه بهذه النبذة اليسيرة والتوفيق بيد الله وقد رخصت هذه البدعة الخارجية في البربر زمانا طويلا الى ان اضمحلت في أواخر المائة الثانية وما بعد ذلك ومع ذلك فقد بقيت منها آثار



في أعقابهم من أصحاب الاطراف كما ذكره ابن خلدون والناقد بصير ولما ظهر الخلفاء من بني العباس  
 المغرب من هذه النزعة الشيطانية أخذ أهله بعدها بمذهب أهل العراق في الاصول والفروع لان ذلك  
 المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالشرق والناس على قدم امامهم **قلت** قال عياض في المدارك **ظهر**  
 مذهب أبي حنيفة بافريقية ظهورا كثيرا الى قرب اربع مائة سنة فانقطع منها ودخل منه شيء الى  
 ما وراءها من المغرب قديما بمدينة فاس وبالاندلس **وكذا** ظهر بالاندلس أيضا مذهب عبد الرحمن  
 الاوزاعي من أهل الشام واختلاف الناس في السبب الذي انتقل به أهل المغرب عن مذهب أبي حنيفة  
 وغيره الى مذهب الامام مالك بن أنس الذي هو مذهب السلف من أهل الحجاز **فقال** ابن خلدون في  
 ترجمة المعز بن باديس الصنهاجي المتوفى في أواسط المائة الخامسة مانصه كان مذهب أبي حنيفة ورضي  
 الله عنه بافريقية أظهر المذاهب فعمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك  
 رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال من ذلك الوقت الى الآن **اه** **قلت**  
 كان المعز هذا وأسلافه من صنهاجة بافريقية على مذاهب الرفضة من الشيعة أخذوه عن خلفائهم  
 العبيديين أيام استيلائهم على المغرب في صدر المائة الرابعة وجاؤا الناس عليه واحتنوههم وطارت  
 بدعتهم في أقطار المغرب كله فلما أفضى الامر الى المعز بن باديس المذكور قطع دعوة الشيعة من افريقية  
 ودعا لبني العباس وجعل الناس على التمسك بمذهب مالك عالم المدينة وامام دار الهجرة هذا والمعروف  
 ان مذهب مالك ظهر أولا بالاندلس ثم انتقل منها الى المغرب الاقصى أيام الادارة وكذا ظهر بافريقية  
 ظهورا يينا قبل وجود المعز بكثير بل قبل استيلاء صنهاجة والعبيديين على المغرب وذلك على يد أسد بن  
 القرات وعبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف بسحنون وغيرهما من أئمة الغاربة نعم لما ظهرت دولة  
 الشيعة بافريقية حاولوا محوه فلم يتيسر لهم ذلك وكان فقهاء المالكية في ذلك العصر معهم في محنة  
 عظيمة منهم ابن أبي زيد والقاسبي وأبو عمران الفاسي وطبقتهم ولم يزل الامر على ذلك الى ان نصره المعز  
 المذكور جزاه الله خيرا قالوا وكان ظهوره بالاندلس على يد الفقيه زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطين  
 فهو أول من أدخله بالاندلس وكانوا قبل ذلك يتفقهون على مذهب الاوزاعي امام أهل الشام لمكان  
 الدولة الاموية منهم فلما ظهر مالك رضي الله عنه بالمدينة وعظم صيته وانتشرت فتاويه بأقطار الارض  
 رحل اليه جماعة من أهل الاندلس والمغرب كان من أمثلهم وأسبقهم شبطين المذكور وقرعوس بن  
 العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم أيام هشام بن عبد الرحمن الداخل فلما رجعوا وصفوا  
 من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به ذكره بالاندلس فانتشر يومئذ علمه ورأيه بها  
 وكان رائدا للجماعة في ذلك هو شبطين كما قلنا وهو أول من أدخل كتاب الموطأ المغرب آتى به مكملا متقنا  
 فأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي ثم رحل به كذلك الى مالك فقرأه عليه وصاد الى الاندلس فقم ما كان قد  
 بقي من شهرة المذهب المالكي **قلت** قال ابن خزم **مذهبان** انتشر في بدء أمرهما بالياسة والسلطان  
 مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي الرشيد اياوسف خطة القضاء كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق  
 الى أقصى عمل افريقية ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول  
 القول في القضاة وكان لا يلي قاض في أقطار الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا بما يحبه ومن كان  
 على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون به بلوغ أغراضهم على ان يحيى لم يزل قضاء قط  
 ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم **اه** **ورأيت** في بعض  
 التأليف في سبب ظهور مذهب مالك بالاندلس والمغرب ان حاج المغرب والاندلس قدموا على مالك  
 رضي الله عنه بالمدينة فسألهم عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل فقيل له انه يأكل الشعير  
 ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله فقال مالك آيت الله من حرمنا عليه فقدم عليه بنو العباس هذه

المقالة وكان ذلك سبب توصلهم الى ضربيه في مسألة الاكراه كما هو مشهور وبلغت مقالته صاحب  
الاندلس فسرهم فوجع الناس على مذهبه فانتشر في اقطار المغرب من يومئذ والله أعلم بما يناسب  
هنا ما نقله المؤرخون ان ابا عبد الله محمد بن خيرون الاندلسي الاصل القيرواني الداودي رحل الى المشرق  
في صدر المائة الرابعة فأخذ عن علمائه وقرأه وعاد الى افرريقية بقراءة نافع بن أبي نعم وكان الغالب  
عليهم القراءة بحرف جزرة فشاع حرف نافع من يومئذ في اقطار المغرب بعد ان كان لا يقرأ به الا الخواص  
واستمر الحال على ذلك الى اليوم فهذا حال أهل المغرب في الفروع وأما حالهم في الاصول والاعتقادات  
فبعد ان طهرهم الله تعالى من زعة الخارجية أولاً والرافضية ثانياً أقاموا على مذهب أهل السنة  
والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم في الايمان بالمشابه وعدم التعرض له بالتأويل  
مع التنزيه عن الظاهر وهو والله أحسن المذاهب وأسلمها والله در القائل

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته \* ولا ذاته شيء عقيدة صائب  
نسلم آيات الصفات بأسرها \* وأخبارها للظاهر المتقارب  
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا \* وتأويلنا فعل اللبيب المراقب  
ونركب للتسليم سقنا قانها \* لتسلم دين المرء خيرا المراكب

واستمر الحال على ذلك مدة الى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة فرحل  
الى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه من الجزم بعقيدة  
السلف مع تأويل التشابه من الكتاب والسنة وتخريجه على ما عرف في كلام العرب من فنون مجازاتها  
وضروب بلاغاتها مما وافق عليه النقل والشرع ويسلمه العقل والطبع ثم عاد محمد بن تومرت الى المغرب  
ودعا الناس الى سلوك هذه الطريقة وجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره وسمى أتباعه الموحدين  
تعريضا بان من خالف طريقته ليس بوحيد وجعل ذلك ذريعة الى الانتزاع على ملك المغرب حسبما توقف  
عليه مفصلا بعد ان شاء الله لكنه ما أتى بطريقة الأشعري خالصة بل من جهاد شيء من الخارجية  
والشيعية حسبما يعلم ذلك بامعان النظر في أقواله وأحواله وأحوال خلفائه من بعده ومن ذلك الوقت  
أقبل علماء المغرب على تعاطي مذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسا وتأليفا الى الآن وان كان قد ظهر  
بالمغرب قبل ابن تومرت فظهورا ما والله أعلم وقد كان عبد المؤمن بن علي وبنوه من بعده قدموا  
الناس من التقليد في الفروع وجلوا الائمة على أخذ الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة على  
طريقة الاجتهاد المطلق وحرر قواشياً كثيراً من كتب الفروع الحديثية التصنيف ووقع ذلك من بعض  
علماء عصرهم موقع الاستحسان منهم الامام الحافظ أبو بكر بن العربي فقد ذكر في كتاب القواصم  
والعواصم له ما يشهد بذلك قال بعد ذكره ما وقع بالمغرب من الفتن مانصه عطفاء عن القول الى  
مصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى لما كثرت البدع وذهب العلماء وتعاطت المبتدعة منصب الفقهاء  
وتعلقت أطماع الجهال به فنالوا بفساد الزمان ونفوذ وعد الصادق صلى الله عليه وسلم في قوله اتخذ الناس  
رؤسا جهالا فاستلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وبقيت الحال هكذا فانت العلوم الا عند آحاد الناس  
واستمرت القرون على موت العلم وظهور الجهل وذلك بقدره الله تعالى وجعل الخلف منهم يتبع السلف  
حتى آلت الحال الى أن لا ينظر في قول مالك وكبراء أصحابه ويقال قد قال في هذه المسئلة أهل قرطبة  
وأهل طلمنكة وأهل طليطلة وصار الصبي اذا عقل وسلكوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى  
ثم نقلوه الى الادب ثم الى الموطن ثم الى المدونة ثم الى وثائق ابن العطار ثم يختموا له باحكام ابن سهل ثم يقال  
قال فلان الطليطلي وقلان الجريطي وابن مغيث لا أعات الله تراهم فيرجع القهقري ولا يزال يعيش الى ورا  
ولولا ان الله تعالى مر بطائفة تفرقت في ديار العلم وجاءت بلباب منه كالتقاضي أبي الوليد الباجي وأبي محمد

الاصيلي فرشوا من ماء العلم على هذه القلوب الميتة وعطره وأنفاس الامة الذفرة لكان الدين قد ذهب  
ولكن تدارك الباري تعالى بقدرته ضرر هؤلاء بنبغ هؤلاء وورعيا سكنت الحال قليلا والحمد لله اه والله  
تعالى ولي التوفيق

### ﴿تتممة مهمة﴾

قد ظهر ببلاد المغرب وغيرها منذ أعصار متطاولة لاسيما في المائة العاشرة وما بعد هابذة قبيلة وهي  
اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم عن بشار اليه بالولاية  
والخصوصية ويخصونه بجزيد المحبة والتمظيم ويتمسكون بخدمته والتقرب اليه قدر ازا ندا على غيره من  
الشيوخ بحيث يرسم في خيال جلهم ان كل المشايخ أو جلهم دونه في المنزلة عند الله تعالى ويقولون نحن  
أتباع سيدي فلان وخدم الادار الفلانية لا يحولون عن ذلك ولا يزولون خلفا عن سلف وينادون باسمه  
ويستغيثون به ويفزعون في مهماتهم اليه معتقدين أن التقرب اليه نافع والالتحراف عنه قيد شبر  
ضار مع ان النافع والضار هو الله وحده واذا ذكر لهم شيخ آخر أو دعوا اليه حاصوا حصة جبر الوحش  
من غير تبصر في أحواله هل يستحق ذلك التعظيم أم لا فصار الامر عصيا وصارت الامة بذلك طرائق  
قددا في كل بلد أو قرية عدة طوائف وهذا الم يكن معروف في سلف الامة الذين هم القدوة لمن بعدهم  
وغرض الشارع انما هو في الاجتماع وتعام الالفة واتحاد الوجهة وقد قال تعالى لاهل الكتاب تعالوا  
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية وقد ذم قوم افرقوا دينهم وكانوا شيعا وانما الشأن في أهل الخصوصية  
والدين أن يكونوا عند العاقل المحتاط لدينه كاسنان المشط بحيث يحبهم الله وفي الله ويستشفع بهم الى الله  
ويسأله تعالى أن يكرمه بما أكرمهم به من الخبز والهدى والدين وليحبهم حب التشريع لاحب التسبيح  
وليتأدب معهم ولا يقدم على مفاضلتهم بالهوى والرجم بالغيب فان ذلك متوقف على الاطلاع على منزلتهم  
عند الله وذلك محبوب عننا واذا نزلت به حاجة فليفرغ في قضائها الى مولاه الذي خلقه ورزقه مستشفعا  
اليه بنبيه الذي هداه للايمان على يده ثم يخواس الامة الذين هم آباؤنا في الدين فان المطاوب من العبد  
أن يصرف وجهته وقصده في جميع أمورهِ ويتعلق فيها بالله بحيث لا يطلبها الا منه ولا يتسكل فيها  
الا عليه قاطعا للنظر عن كل ما سواه اللهم الاعلى سبيل التوسل والاستشفاع كما قلنا هذا هو التوحيد الذي  
بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم واليه دعا وعليه قاتل وسواه شرك ومنا بئنا جاء به ان هذا هو القصص  
الحق وما من اله الا الله الاية ثم استرسل هؤلاء الطعام في ضلالم حتى صارت كل طائفة تجتمع في أوقات  
معلومة في مكان مخصوص أو غيره على بدعتهم التي يسمونها الحضرة فاشتت من ظست وطار وطبل  
ومن مار وغناء ورقص وخبط بالرجل ونحوه وربما أضافوا الى ذلك نارا أو غيرها يشتمعون على سبيل  
الكرامة بزعمهم ويستغفرون في ذلك الزمن الطويل حتى يفضى الوقت والوقت من أوقات الصلوات  
وداعي الفلاح ينادي على رؤسهم وهم في حيرتهم يعصمهمون لا يرفعون به رأسا ولا يرون بما هم فيه من  
الضلال بأسا بل يعتقدون ان ما هم فيه من أفضل القرب الى الله تعالى الله عن جهالاتهم علوا كبيرا  
ولا تجدي في هذه الجماع الشيطانية غالبا الا من بلغ الغاية في الجفاء والجهل عن لا يحسن الفاتحة فضلا عن  
غيرها مع ترك الصلاة طول عمره أو من في معناه من معتوه ناقص العقل والدين فسا حوج هؤلاء  
الفسقة الى محتسب يغير عليهم ما هم فيه من المنكر العظيم والبس المقيم وأعظم من هذا كله انهم يفعلون  
تلك الحضرة غالبا في المساجد فانهم يتخذون الزاوية باسم الشيخ ويجعلونها مسجدا للصلاة بالحراب والمنار  
وغير ذلك ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة فكما رأينا من عود ورياب ومن مار على أفخس الهيات في  
محاريب الصلوات **﴿وهم بدعتهم الشنيعة﴾** محاربتهم أضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام من جعل  
الكسوة لها وتحديد الحرم على مسافة معلومة بحيث يكون من دخل تلك البقعة من أهل الجرائم آمنا

وسوق الذبايح اليها على هيئة الهدى واتخاذ الموسم كل عام وهذا أو أمثاله لم يشرع الا في حق الكعبة  
ثم يقع في ذلك الموسم ولا سيما موسم البادية من المناكر والمفاسد العظام واختلاط الرجال بالنساء باديات  
متبرجات شأن أهل الاباحة وشأن قوم نوح في جاهليتهم ماتصم عنه الاذان ولا منكر ولا مقير  
ولا تمتعض للدين لابل الحسب فاما الدين عند هؤلاء فلا دين فان الله وانا اليه راجعون على ضيعة الدين  
وغفلة أهله عنه وبالله وبالله المسلمين لهؤلاء الهجج الرعاع الذين سلبوا المروءة والحياء والغيرة والعقل والدين  
والانسانية جملة فليسوا في فطنة الشياطين ولا في سلامة صدور البهائم ولا في نخوة السباع فيغضبوا والديتهم  
ومروءتهم ومن جهالاتهم القطيعة جمعهم بين اسم الله تعالى واسم الولي في مقامات التعظيم كالقسم  
والاستعطاف وغيرها فاذا أقسموا قالوا بحق الله وبحق سيدي فلان واذا عزموا على أحد قالوا دخلت  
عليك بالله وسيدي فلان واذا سأوا قالوا من يعطينا على الله وعلى سيدي فلان فيعطفون اسم العبد على  
اسم مولاه بالواو المقتضية للتشريك والتسوية التامة في مقام قد حذر الشارع أن يتجاوز فيه اسم الله الى  
غيره وهذا هو صريح الشرك ومن مناكرهم الجديرة بالتغيير اجتماعهم كل سنة للوقوف يوم  
عرفة بصرح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ويسمون ذلك حج المسكين فانظر الى هذه  
الطائفة التي اخترعها هؤلاء العامة ومن اختراعاتهم تسميتهم لبدعتهم بالحضرة كما قلنا أخذنا من اسم  
حضرة الله تعالى في اصطلاح الائمة العارفين من الصوفية كأهل رسالة القشيري ومن في معناهم  
فأوهم هؤلاء الشياطين بهذه التسمية انهم يكونون في حال اشتغالهم بتلك البدعة في حضرة الله تعالى ثم  
يذهبون فيسمون جنونهم وتخبطهم على تلك الطبول والمزامير بالحال أخذنا من الحال التي تعترى السالك  
الى الله تعالى في حال ترقيه في درجات المعرفة والوصول وهذا هو المراد من أفتح الضلالات وأتسنع  
الجهالات الى غير هذا مما أغنى فيه العيان عن الخبر وعرفه الخاص والعام في حالي الورد والصدر واسنا  
نذكر على أولياء الله وأهل الخصوصية منهم أو على من يسلك سبيلهم على الوجه المقرر في كتب الائمة  
المقتدى بهم منهم وانما نشرح حال هؤلاء الجهلة الذين لم يأتوا الا من باب ولا أخذوه عن أربابهم وانما لهم  
ما رأيت وعلت وهذه تفتة مصدر صاحبها عند المنصف معذور فنسأل الله العظيم المولى الكريم أن  
يحرك همته من له القدرة والتصرف الى حسم هذه الضلالات وقطعها عسى أن يرجنا ربنا ويحبر كسرنا  
ويكبت عدونا اذا نحن واجعنا نينا وسنة نينا ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بأنا أنفسهم واذا أراد الله  
بقوم سوا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال \* وقد آن أن نقرد الكلام على المغرب الاقصى عند  
ما استولى عليه المولى ادريس بن عبد الله وبنوه من بعده واقتطعوه عن نظر الخلفاء بالشرق ووصيروه  
ملكه مستقلة اذ كان ذلك من شرط كتابنا هذا حسبما تقدمت الاشارة اليه مقدم من ذلك ما يجب  
تقديمه من الاشارة الى أمر الخلافة وتنازع أهل الصدر الاوّل في استحقاقها ومن هو أولى بها ثم نخلص  
منه الى المقصود بالذات والله الموفق

والخبر عن دولة ادريس بالمغرب الاقصى وذكر السبب في أوليتها

اعلم انه قد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد  
الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين \* وفيه أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر في قريش  
ما بقي منهم اثنان وغير ذلك وقال الحافظ ابن حجر \* لو فقد قرشي فكأن من بني اسمعيل ثم عجل ثم عجل  
على مافي التهذيب أو جرمي على مافي التمهة ثم رجل من بني اسحق وأن يكون شجاعا يغزو بنفسه ويعالج  
الجيوش ويقوى على فتح البلاد ويحمي البيضة وأن يكون أهلا للقضاء بان يكون مسلما مكافرا أعدلا

ذكر ما اجتهد اذ ارأى وسمع وبصر ونطق وتنعقد الامامة بيعة أهل الحبل والعقد من العلماء ووجوه  
 الناس المتيسر اجتماعهم وباستخلاف الامام من يعينه في حياته ويشترط القبول في حياته ليكون  
 خليفة بعده موته وباستيلاء متقلب على الامامة ولو غير أهل لها كصبي وامرأة ان قهر الناس بشوكته  
 وجنده وذلك لينتظم أمر المسلمين اه ثم يقول قد تقدم لنا أمر الخلفاء الاربعة رضی الله عنهم بعد  
 النبي صلى الله عليه وسلم وان السلف أطبقوا على ان ترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة  
 وتقدم لنا أيضا ما كان من علي ومعاوية رضی الله عنهما وان ما صدر منهما كان اجتهادا محضا وطلبا  
 للحق وان الصواب كان مع علي رضی الله عنه والسكل مأجور ثم لما قتل علي رضی الله عنه بايع أهل  
 العراق ابنه الحسن رضی الله عنه وزحف اليه معاوية في أهل الشام ورأى الحسن ما في حق دمائه  
 المسلمين وجع كلهم من الثواب عند الله والكرامة لديه فاختر الاخرى على الدنيا وقدم الاجل  
 على العاجل وسلم الامر الى معاوية على شروط معروفة وأصلح الله بين قنيتين عظيمتين من المسلمين  
 كما قال جده صلى الله عليه وسلم وحاز معاوية الخلافة وصفت له وتوارثه ابناؤا أمية من بعده بعد  
 مقاتلات ومنازعات كانت من بني هاشم وغيرهم لهم يطول جلبها وكان السواد الاعظم من المسلمين  
 يرون ان بني هاشم أحق بالامر من بني أمية لان بني هاشم هم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعقبرته  
 الاقربون وهم أهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا  
 فهم أحق بمنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم وهذا الرأي صواب غير ان ذلك ليس بطريق  
 الوجوب عند أهل السنة بل بطريق الاحقية والاولوية اذا توفرت الشروط فيهم وفي غيرهم من سائر  
 بطون قريش والا فنفردت به الشروط وجب المصير اليه وكان شيعة علي بن أبي طالب رضی الله عنه  
 يوجبون الخلافة لبنيه دون من عداهم ويزعمون ان ذلك كان بوصية من النبي صلى الله عليه وسلم لعلي  
 رضی الله عنه وهذه الوصية لم تثبت عند أهل السنة من طريق صحيح ومذهب هؤلاء الشيعة في كيفية  
 سوق الخلافة في عقب علي رضی الله عنه متعددة لاحاجة لنا بذلك وكان بنو علي رضی الله عنه في  
 الصدر الاول كثيرا ما يثورون في النواحي شرقا وغربا طالبتهم في الخلافة منازعين فيها بنو أمية  
 اولاً ثم بنو العباس من بعدهم ثانياً وخذ برهم في ذلك معروف وجلبه يطول الى ان كان منهم عبد الله بن  
 الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضی الله عنهم وكان من سادة أهل البيت يومئذ  
 وكان له عدة اولاد منهم محمد المعروف بالنفس الزكية وابراهيم ويحيى وسليمان وادريس وغيرهم ولما  
 صار أمر بنو أمية الى الاختلال لالأيام مر وان الحارث بن ابي شامة اجتمع أهل البيت بالمدينة وتشاوروا  
 فيمن يقدمونه للخلافة فوقع اختيارهم على محمد بن عبد الله النفس الزكية فبايعوا له بالخلافة وسلموا له  
 الامر باجمعهم وحضر هذا العقد أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو المنصور وذلك  
 قبل ان تنتقل الخلافة الى بني العباس فبايع للنفس الزكية فيمن بايع له من أهل البيت وأجمعوا على ذلك  
 لتقدمه فيهم لما علموا له من الفضل عليهم **قال ابن خلدون** ولهذا كان مالك وأبو حنيفة رجحوا الله  
 يحتجان له حين خرج بالحجاز ويريان ان امامته أصح من امامة أبي جعفر المنصور لانهقاد هذه البيعة اولاً  
 وكان أبو حنيفة يقول بفضلته ويحتج لحقه فتأدت الى الامامين المنحة بسبب ذلك أيام أبي جعفر المنصور  
 حتى ضرب مالك رضی الله عنه على الفتيا في طلاق المكرة وحبس أبو حنيفة رضی الله عنه على القضاء  
 ولما انقرضت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس وصار الامر الى أبي جعفر المنصور منهم سعى عنده  
 بالبيت وان محمد بن عبد الله يروم الخروج عليه وان دعواته قد ظهروا بخراسان فأمر المنصور عامه  
 على المدينة فرباح بن عثمان المري بحبس عبد الله بن حسن ومن اليه من آل الحسن بن علي بن أبي طالب  
 فحبسه في جماعة من بنيه واخوته وبني عمه **قال ابن خلدون** في خمسة وأربعين من أكابرهم وقدم

المنصور المدينة في حجة جهات ساقهم معه الى العراق وحبسهم بمصر ابن هبيرة من ظاهر الكوفة حتى  
 هلكوا في حبسهم وجدا المنصور في طلب محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه ابراهيم لكونهم ماتعيا  
 فلم يجبا في جلة من حبس من عشيرتهم \* ثم لما كانت سنة خمس وأربعين ومائة وأرهبه محمد بن عبد الله  
 الطلب وأعت عليه المذهب ظهر بالمدينة المنورة ودعا للناس الى بيعته فبايعوه واستفتى أهل المدينة  
 الامام مالكا رضى الله عنه في الخروج مع محمد بن عبد الله وقالوا في أعناقنا بيعة للمنصور فقال انما يا نعم  
 مكرهين فتسارع الناس الى محمد وأجابوا دعوته ولزم الامام مالك بيته وخطب محمد بن عبد الله على منبر  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المنصور بما تقدم عليه ووعده الناس واستصرجهم وتسمى بالمهدى  
 ولم يتخلف عن بيعته من وجوه الناس الا القليل وبلغ المنصور خبر محمد بن عبد الله وما كان منه بالمدينة  
 فأشفق من ذلك غاية الاشفاق وكتب الى محمد كتاب أمان ويعدده الجليل ان هوراجع الطاعة فأجابته محمد  
 بعدم قبول ذلك منه ودارت بينهما مكاتبات ومحاورات في الافضية واستحقاق الخلافة وقد ذكر  
 مكاتبتهم ما البردي كامله وابن خلدون في تاريخه وآخر الامر أن المنصور بعث لحرب محمد المهدي ابن عمه  
 عيسى بن موسى العباسي فاستعد المهدي للقتال وأدار على المدينة الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يوم الاحزاب وقدمت جيوش العباسيين وتزلوا على المدينة وخرج اليهم محمد بن عبد الله فيمن بايعه  
 واقتتل الناس قتالا شديدا وأبلى محمد المهدي في ذلك اليوم بلاء عظيمًا وقتل بيده سبعين رجلا ولما اشتد  
 القتال وعان مخايل الاختلال انصرف فاعتسل وتحنط وجع بين الظهر والعصر ومضى فاحرق الديوان  
 الذي كان فيه أسماء من بايعه وجاء الى السجن فقتل رباح بن عثمان عامل المنصور على المدينة وقتل معه  
 جماعة كانوا مسجونين عنده ثم عاد الى المعركة وقد تفرقت عنه جل أصحابه ولم يبق معه الا نحو الثلاثمائة  
 فقال له بعضهم نحن اليوم في عدة أهل بدر ثم تقدم فقاتل حتى قتل ضرب فسقط لركبته وطعنه جيد  
 ابن قسطنطين في صدره ثم احتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى فبعث به الى المنصور وكان مقتل محمد المهدي  
 رجه الله في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وقتل معه جماعة من أهل بيته وأصحابه ولحق  
 ابنه علي بن محمد بالسند الى ان هلك هناك واختفى ابنه الآخر عبد الله الاشرار الى ان هلك أيضا في خبر  
 طويل ثم خرج ابراهيم بن عبد الله أخو المهدي المذكور بالبصرة عقب ذلك فبعث اليه المنصور عيسى  
 ابن موسى المذكور أنما فقاتله آخر ذي القعدة من السنة فانهزم ابراهيم وقتل رجه الله بعد أن بايعه  
 أكثر من مائة ألف ثم لما كانت سنة تسع وستين ومائة في أيام موسى الهادي ابن محمد المهدي ابن أبي جعفر  
 المنصور خرج بالمدينة الحسين بالتصغير ابن علي بن الحسن المثلث ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط  
 ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكان معه جماعة من أهل بيته منهم ادريس ويحيى وسليمان بنو  
 عبد الله بن الحسن المثنى وهما أخو محمد النفس الزكية فاشتد أمر الحسين المذكور بالمدينة وجرى بينه  
 وبين عامل الهادي على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال  
 فانهزم عمر المذكور وبايع الناس الحسين المذكور على كتاب الله وسنة نبيه للرضى من آل محمد وكانوا  
 يكونون بذلك عن الامام المستور الى ان يقدر على اظهار أمره وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة يتجهزون  
 أياما ثم خرجوا الى مكة يوم السبت لست بقين من ذي القعدة فانهى الحسين الى مكة وانضم اليه جماعة  
 من عبيدها وكان قد حج تلك السنة جماعة من وجوه بني العباس وشيعتهم فنهض سليمان بن أبي جعفر المنصور  
 ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وانضم اليهم من حج من قوادهم ومواليهم واقتتلوا مع  
 الحسين المذكور يوم التروية الثامن من ذي الحجة فانهزم الحسين وأصحابه وقتل فاحتزوا رأسه  
 وأحضره أمام بنى العباس وهو مضر وب علي قفاه وجهته ثم جمعت رؤس أصحابه فكانت مائة ونيفا  
 وكان فيهما رأس سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنى في قول واختلط المنهزمون بالحاج فذهبوا في كل وجه

وكان مقتلهم بوضع يقال له فمخ على ثلاثة أميال من مكة سنة تسع وستين ومائة كما قلنا وفي ذلك يقول  
 بعض شعراء ذلك العصر فلا يكين على الحسين بعولة وعلى الحسن  
 وعلى ابن عاتكة الذي \* واروه ليس له كفن  
 تركوا بفتح غمدوة \* في غير منزلة الوطن

في آيات والحسن الذي ذكره في هذه الآيات هو الحسن بن محمد بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط  
 ابن علي بن أبي طالب وكان أسرى في ذلك اليوم فضربت عنقه صبيرا وابن عاتكة الذي ذكره هو عبد الله  
 ابن اسحق بن ابراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب ثم حمل رأس الحسين ومعه  
 باقي الرأس الى الهادي فانكر عليهم حمل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضبا عليهم

﴿دخول ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاقصى﴾

قد تقدم لنا ان يحيى وادريس ابني عبد الله حضروا وقعة فمخ مع الحسين بن علي المذكور آنفا فاما يحيى فانه  
 فر من الوقعة المذكورة الى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته  
 ثم ان الرشيد جهز اليه الفضل بن يحيى البرمكي في جيش كثيف فكاتبه الفضل وبذل له الامان  
 وما يختاره فاجابه يحيى بن عبد الله الى ذلك وطلب عين الرشيد وان يكون بخطه ويشهد فيه الا كما فعل  
 ذلك وحضر يحيى بن عبد الله الى بغداد فاكرمه الرشيد وأعطاه مالا كثيرا ثم حبسه حتى مات في السجن  
 \* واما ادريس فانه فر من الوقعة المذكورة ولحق بمصر وعلى يدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور  
 ويعرف بالمسكين وكان واضح يتشيع لآل البيت فعمل شأن ادريس وآنأه الى الموضع الذي كان مستخفيا  
 به ولم ير شيئا خاص له من ان يحمله على البريد الى المغرب ففعل ولحق ادريس بالمغرب الاقصى هو ومولاه  
 راشد فنزل بمدينة وليلى سنة ثنتين وسبعين ومائة وبها يومئذ اسحق بن محمد بن عبد الجيد أمير اوربة من  
 البربر البرانس فاجاره وأكرمه وجمع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع  
 في ذلك وانتهى الخبر الى الرشيد بما فعله واضح في شأن ادريس فقتله وصلبه \* وقال ابن أبي ذرع  
 في كتاب القرطاس ان ادريس بن عبد الله لما قتلت عشيرته بفتح فر بنفسه مستترا في البلاد يريد المغرب  
 فسار من مكة حتى وصل الى مصر ومعه مولى له اسمه راشد فدخلها والعامل عليها يومئذ ليني العباس  
 هو علي بن سليمان الهاشمي فبينما ادريس وراشد عيشيان في شوارع مصر اذ مر ايدار حسنة البناء فوقفا  
 يتأملانها واذا بصاحب الدار قد خرج فسلم عليهما وقال ما الذي تنظرانه من هذه الدار فقال راشد اجبنا  
 حسن بناها قال واظنك كما غر بين ليسا من هذه البلاد فقال راشد جعلت فداك ان الامر كما ذكرت قال  
 فن أي الاقاليم انما قال من الحجاز قال فن أي بلاده قال من مكة قال واخالك كما من شيعة الحسينيين الفارين  
 من وقعة فمخ فها بالانكار ثم توسمافيه الخير فقال راشد يا سيدي أرى لك صورة حسنة وقد توسمت فيك  
 الخير أرايت ان أخبرناك من نحن أكنت تستر علينا قال نعم ورب الكعبة وأبذل الجهد في صلاح حالنا  
 فقال راشد هذا ادريس بن عبد الله بن حسن وآنأه مولاه راشد ففررت به خوفا عليه من القتل ونحن  
 قاصدون بلاد المغرب فقال الرجل لتطمئن نفوسكما فاني من شيعة آل البيت وأول من كتم سرهم فأنما  
 من الآمنين ثم أدخلهم مامنزله وبالغ في الاحسان اليهما فاذهبا خبرهما به لي بن سليمان صاحب مصر  
 فبعث الى الرجل الذي هما عنده فقال له انه قد رفع الى خبر الرجلين الذين عندك وان أمير المؤمنين قد كتب  
 الي في طلب الحسينيين والبحث عنهم وقد بث عيونهم على الطرقات وجعل الرصادة على أطراف البلاد  
 فلا يمر بهم أحد حتى يعرف نسبه وحاله واني أكره ان أتعرض لدماء آل البيت فلك ولهم الامان فاذهب  
 اليهما واطمئنهما ما بقا لي وأمرهما بالخروج من عملي وقد أجلتهم ما تلا نافسار الرجل فاشترى راحلتين  
 لادريس ومولاه واشترى لنفسه أخرى وصنع زاداً يبلغهم الى افر بنية وقال راشد ان خرج أنت مع الرقعة

على الجادة وأخرج آتوا ادريس على طريق غامض لا تسلكه الرفاق وموعدا مدينة برقة فخرج راشد مع  
الرفقة في زى التجار وخرج ادريس مع المصري فسلكا البرية حتى وصلوا الى برقة واقام بها حتى لحق  
بهما راشد ثم جدد المصري لهما زاد او ودعهما وانصرف وسار ادريس وراشد يجذبان السير حتى وصلا  
الى القيروان فاقام بها مدة ثم خرجا الى المغرب الاقصى وكان راشد من أهل النجدة والحزم والدين  
والنصيحة لآل البيت فعمد الى ادريس حين خرجا من القيروان فالبسه مدرعة صوف خشينة وعمامة  
كذلك وصيره كالتحام له يأمره وينهاه كل ذلك خوفا عليه وحياطة له ثم وصلوا الى مدينة تلمسان  
فارا حابها أياما ثم ارتحلوا نحو بلاد طنجة فسار حتى عبروا وادي ملوية ودخلوا بلاد السوس الاذنى وتقدما  
الى مدينة طنجة وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب الاقصى وأم مدنها فاقام بها أياما فلما لم يجد ادريس بها  
مراده خرج مع مولا راشد حتى انتهى الى مدينة وايلي قاعدة جبل زرهون وكانت مدينة متوسطة  
حصينة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لها سور عظيم من بنيان الاوائل يقال انها المسماة اليوم  
بقصر فرعون فترجل بها ادريس على صاحبها ابن عبد الحميد الاوربي فاقبل عليه ابن عبد الحميد وبالغ  
في اكرامه وبره فعرفه ادريس بنفسه وأفضى اليه بسره فوافق على مراده وأترله معه في داره وتولى  
خدمته والقيام بشؤنه وكان دخول ادريس المغرب وتزوله على ابن عبد الحميد مدينة وايلي غرة ربيع  
الاول سنة اثنتين وسبعين ومائة

### هجيرة الامام ادريس بن عبد القرضى الله عنه

لما استقر ادريس بن عبد الله بمدينة ويلي عند كبيرها اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي أقام عنده ستة  
أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم بنسب ادريس  
وقرأته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخيرية فقالوا الحمد  
لله الذى أكرمنا به وشرفنا بجواره وهو سيدنا ونحن الصيديقاتريد منا قال تبايعونه قالوا ما مننا من يتوقف  
عن بيعته فبايعوه بمدينة ويلي يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومائة وكان أول  
من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر  
أحكامهم وكانت أوربة يومئذ من أعظم قبائل البربر بالمغرب الاقصى وأكثرها عددا وتلتها فى نصره  
ادريس والقيام بأمره متيلة وصدينة وهما معا من ولد تافرقت بن ضرى والابو يع ادريس رحمه الله  
خطب الناس فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس لا تمدن الاعناق الى غيرنا  
فان الذى تجدون من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناتة والبربر مثل  
زواغة وزواوة وسدراتة وغيانة ومكاسة ونخارة وكافة البربر بالمغرب الاقصى فبايعوه أيضا ودخلوا  
في طاعته فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته ولحق به من اخوته سليمان بن عبد الله ونزل يارض  
زناتة من تلمسان ونواحيها كذا عند ابن خلدون فى أخبار الادارسة والذى عنده فى أخبار بنى العباس  
وكذا عند أبى القداءن سليمان بن عبد الله بن حسن قتل بوقعة فخرج مع رأسه مع رؤس القتل والله أعلم

### هجيرة ادريس بن عبد الله بلاد المغرب الاقصى وقصه اياها

ثم ان ادريس بن عبد الله رضى الله عنه اتخذه جيشا كثيرا من وجوه زناتة واوربة ووصفها حاجة وهوارة  
وغيرهم وخرج غازيا لبلاد تامسانا ثم زحف الى بلاد تادلا ففتح معاقها وحصونها وكان أكثر أهل هذه  
البلاد لازوا على دين اليهودية والنصرانية وانما الاسلام بها قليل فاسلم جميعهم على يده وقفل الى مدينة  
وليلى مؤيدا منصورا فدخلها وأخرى الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائة فاقام بها شهر محرم فاقم سنة  
ثلاث وسبعين وثمانستراخ الناس ثم خرج برسم غزو ومن كان بقى من قبائل البربر بالمغرب على دين  
المجوسية واليهودية والنصرانية وكان قد بقى منهم بقية متحصنون فى المعقل والجبال والحصون المنبئة



فلما نزل ادريس رحمه الله يجهدهم في حصونهم ويستتر لهم من معاقلم حتى دخلوا في الاسلام طوعا  
وكرها ومن ابي الاسلام منهم ابياده قتلا وسبيا وكانت البلاد التي غزاها في هذه المرة حصون فندلاوة  
وحصون مديونته وبها لولة وقلاع غياثة وبلاد قازز ثم عاد الى مدينة ويلي فدخلها في النصف من جمادى  
الاخرة من السنة المذكورة

### غزو ادريس بن عبد الله أرض المغرب الاوسط وفتح مدينة تلمسان

لما قفل ادريس رضي الله عنه من غزو بلاد المغرب الاقصى سنة ثلاث وسبعين ومائة اقام بوليلي بقية  
جمادى الاخرة ونصف رجب التالي لهما فيما استراح جيشه ثم خرج منتصف رجب المذكور برسم غزو  
مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبنو يفرن فانتهى اليها وتزل خارجها فخرج اليه صاحبها محمد  
ابن خور من ولد صولات المغراوي مستأما ومبايعا له فأمنه ادريس وقبل بيعته ودخل مدينة تلمسان  
فأمن أهلها ثم أقمن سائر زناته وبنو مسجد تلمسان وأتقنه وأمر به عمل منبر نصبه فيه وكتب عليه  
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الامام ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم  
وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة قال ابن خلدون واسم ادريس مخطوط في صفحة المتبر  
لهذا العهد اه ثم رجع ادريس رحمه الله الى مدينة ويلي فدخلها مويدا منصورا

### وفاة ادريس بن عبد الله والسبب في ذلك

لما حصل لادريس رحمه الله ما حصل من التمكّن والظهور واتصل خبر ذلك بالخليفة ببغداد وهو هرون  
الرشيد العباسي وبلغه ان ادريس قد استقام له أمر المغرب وانه قد استخجل أمره وكثرت جنوده وقد فتح  
مدينة تلمسان وبنو مسجدها وانه عازم على غزوا فريقية تخاف الرشيد عاقبة ذلك وانه ان لم يتدارك أمره  
الا أن يهاجز عنه في المستقبل مع ما يعلم من فضل ادريس خصوصا ومحبة الناس في آل البيت عموما  
فقلق الرشيد من ذلك واستشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال ان الرجل قد فتح تلمسان وهي باب  
افريقية ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار وقد همت ان أبعث اليه جيشا ثم فكرت في بعد الشقة  
وعظم المشقة فرجعت عن ذلك فقال يحيى الراي يا أمير المؤمنين ان تبعث اليه برجل داهية يحتال عليه  
ويقتله وتستريح منه فاعجب الرشيد ذلك فوقع اختياره على رجل من موالى المهدي والد الرشيد واسم  
الرجل سليمان بن جبر ويعرف بالشماخ فاحضره يحيى وأعلمه بما يريد منه ووعدته على قتل ادريس الرفعة  
والمنزلة العالية عند الرشيد وزوده مالا وطرفا يستعين به على أمره وأحسبه الرشيد كتابا منه اليه على  
افريقية ابراهيم بن الاغلب كذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وفيه ان ابن الاغلب لم يكن واليا على  
افريقية في هذا التاريخ وانما وليها سنة أربع وثمانين ومائة حسبما سبق فوصل الشماخ الى والي افريقية  
بكتاب الرشيد فجازاه الى المغرب وقدم الشماخ على ادريس بن عبد الله مظهر التزوع اليه فيمن تزع اليه  
من وحدان العرب متبرئا من الدعوة العباسية منتحلا الدعوة الطالبية فاختمه ادريس رحمه الله  
وحلى بعينه وعظمت منزلته لديه وكان الشماخ مملثا من الادب والطرف والبلاغة عارفا بصناعة الجدل  
فكان اذا جلس الامام ادريس الى رؤساء البربر ووجوه القبائل تكلم الشماخ فذكر فضل أهل  
البيت وعظيم بركتهم على الامة ويقرر ذلك ويحجج لامامة ادريس وانه الامام الحق دون غيره فكان ذلك  
يجب ادريس ويقع منه الموقع فاستولى الشماخ عليه حتى صار من ملازميه ولا يأكل الا معه وكان  
راشدا كالتا لادريس ملازمه ايضا فلما ينفر عنه لانه كان يخاف عليه من مثل ما وقع فيه لاكثره أعداء  
آل البيت يومئذ وكان الشماخ يترصد الغرة من راشد ويترقب الفرصة في ادريس الى ان غاب راشد ذات  
يوم في بعض حاجاته فدخل الشماخ على ادريس فجلس بين يديه على المادة وتحدثا مليا ولما لم ير الشماخ  
راشدا بالحضرة انتهز الفرصة في ادريس فقيل انه كانت مع الشماخ قارورة من طيب مسموم فخرجهما

وقال لا دريس هذا طيب كنت استخبطته معي وهو من جيد الطيب فرأيت ان الامام أولى به مني وذلك من بعض ما يجب له على ثم وضع القارورة بين يديه فشكره ادريس وتناول القارورة ففحصها واشتم ما فيها فصعد السم الى خياشيمه وانتهى الى دماغه فغشى عليه وقام الشماخ للحين كأنه يريد حاجة الانسان فخرج وأتى منزله فركب فرس له عتيقا كان قد أعدّه لذلك وذهب لوجهه يريد المشرق واقتصد الناس الامام ادريس فاذا هو مغشى عليه لا يتكلم ولا يعلم أحد ما به وقيل ان الشماخ سمه في سنون والسنون بوزن صبور ما يستاك به وكان ادريس يشتكي وجع الاسنان واللثة وقيل سمه في الحوت الشابل وقيل في عنب أهدها اليه في غير ابانه والله أعلم ولما اتصل خبر ادريس بولاه راشد أقبل مسرعا قد دخل عليه وهو يحرك شفتيه لا يبين كلاما قد أشرف على الموت فجلس عند رأسه مشيرا لا يدري ما دهاه واستمر ادريس على حاله تلك الى عشي النهار فتوفي في مهل ربيع الاخر سنة سبع وسبعين ومائة وتفقد راشد الشماخ فلم يره فعلم انه الذي اغتال ادريس ثم جاء الخبر بان الشماخ قد لقي على أميال من البلد فركب راشد في جمع من البربر واتبعوه وتقطعت الخيل في النواحي وطلبوه ليلتهم الى الصباح فلحقه راشد بوادي ملاوية عابرا فشد عليه راشد بالسيف وضربه ضربات قطع في بعض اماكنه وشجبه في رأسه شجاجا ونجى الشماخ بجر يعاء الذقن وأعي فرس راشد عن اللحاق به فرجع عنه ويقال ان الشماخ رى به بذلك فيغداد وهو مقطوع اليد ولما رجع راشد الى منزله أخذ في تجهيز الامام رضى الله عنه وصلى عليه ودفنه بعصن رابطة عند باب ويلي لبترك الناس بتريته رجه الله ورضى عنه

﴿ امر البربر بعد وفاة ادريس بن عبد الله رجه الله ﴾

قالوا ان الامام ادريس لما توفي لم يترك ولدا الا حـ سلام من أمة له بربرية اسمها ككزة فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه جمع رؤساء البربر ووجوه الناس فقال لهم ان ادريس لم يترك ولدا الا جلامن أمتة ككزة وهي الآن في الشهر السابع من حملها فان رأيتم ان تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فان كان ذكر أحسن تاريخته حتى اذ يبلغ مبلغ الرجال بايعناه تمسكا بدعوة آل البيت وتبركا بذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان جارية نظرت لا تنفسكم فقالوا له أيها الشيخ المبارك ما لنا رأى الا ما رأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بامورنا كما كان ادريس يقوم بها وتصل بنا وتغضى بيننا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونصبر حتى تضع الجارية حملها ويكون ما أشرت به على انها ان وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الامر لفضلك ودينك وملكك فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا فقام راشد بامر البربر تلك المدة ولما تمت للجارية أشهر حملها وضعت غلاما أشبه الناس بابيه ادريس فانخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كأنه لم يميت فسماه راشد ادريس ونشأ الصبي نشأة حسنة الى ان كان من أمره ما نذكره

﴿ الخبر عن دولة ادريس بن ادريس رجه الله ﴾

كانت ولادة ادريس بن ادريس بن عبد الله يوم الاثنين ثالث رجب سنة سبع وسبعين ومائة فكفله راشد مولى أبيه وقام بامره أحسن قيام فأقرأه القرآن حتى حفظه وهو ابن ثمان سنين ثم علمه الحديث والفقه والفقه في الدين والعريضة ورواه الشعر وأمثال العرب وحكمها وأطلعها على سير الملوك وعرفه أيام الناس ودربها على ركوب الخيل والرعي بالسهم وغير ذلك من مكائيد الحرب فلم يمض له من العمر مقدار إحدى عشرة سنة الا وقد اضطلع بما جمل وترشح للامر واستحق لان يبايع قبايعه البربر وآتوه صفقتهم عن طاعة منهم واخلاص ﴿ قال ابن خلدون ﴾ بايع البربر ادريس الا صغرا ثم رضيعا ثم فصيلا الى ان شب قبايعوه بجامع مدينة ويلي سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن إحدى عشرة سنة وكان ابراهيم

ابن الاغلب صاحب افريقية قدس الى بعض البربر الاموال واستمالهم حتى قتلوا راشدا مولاه سنة سد  
 وثمانين ومائة وجلاوا اليه رأسه وقام بكفالة ادريس من بعده أبو خالد بن يزيد بن الياس العبدى ولم يزل عاج  
 ذلك الى ان بايعوا لادريس فقاموا بامره وجددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته وفي القرطاس  
 ان مقتل راشد كان في السنة التي بويع فيها ادريس بن ادريس قال وكانت بيعة ادريس يوم الجمعة غر  
 ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة بعد مقتل راشد بعشرين يوما وادريس يوم ثمان احدى عشر  
 سنة وخمسة أشهر قاله عبد الملك الوراق في تاريخه وفيه بعض مخالفة لتاريخ الولادة المتقدم وفي قتل  
 راشد يقول ابراهيم بن الاغلب في بعض ما كتب به الى الرشيد يعرفه بنصه وكال خدمته  
 ألم ترفى بالكيد أريدت راشدا \* وانى بانخري لابن ادريس راصد  
 تناوله عزى على بعد داره \* بمحتومة يحظى بها من يكيد  
 ففاه أخوعك بمقتل راشد \* وقد كنت فيه شاهدا وهو راقد

يريد باخى عك محمد بن مقاتل العمى والى افريقية فانه لما حاول ابن الاغلب قتل راشد وتم له ذلك كتب  
 العمى الى الرشيد يعلمه انه هو الذى فعل ذلك فكتب صاحب البريد الى الرشيد بحقيقة الامر وان ابن  
 الاغلب هو الفاعل لذلك والمتولى له فثبت عند الرشيد كذب العمى وصدق ابن الاغلب فعزل الرشيد  
 العمى عن افريقية وولى ابن الاغلب عليها وانما كان قبل ذلك عاملا للعمى على بعض كورها هكذا حكى  
 صاحب القرطاس هذا الخبر وفيه ان عزل العمى عن افريقية وتولية ابن الاغلب عليها كان في سنة أربع  
 وثمانين قبل وفاة راشد بستين أو باربع سنين على الخلاف المتقدم وقال البكرى والبرنسى ان راشد الميعت  
 حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب وان ادريس لما تم له من العمر احدى عشرة سنة ظهر من وفور عقله  
 ونباهته وفصاحته ما أذهل عقول الخاصة والعامة فانخذله راشد البيعة على البربر يوم الجمعة سابع ربيع  
 الاول من السنة المذكورة فصعد ادريس المنبر وخطب الناس فقال الحمد لله أحمده وأستغفره وأستعين  
 به وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله  
 المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آل بيته  
 الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أيها الناس اتاقدولينا هذا الامر الذى  
 يضاعف فيه للحسن الاجر وعلى المسىء الوزر ونحن والمجد لله على قصد قلائد والاعناق الى غيرنا فان  
 الذى تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا ثم دعا الناس الى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته  
 فحجب الناس من فصاحته وقوة جاشه على صغر سنه ثم نزل فتسارع الناس الى بيعته وازدجوا عليه  
 يقبلون يده فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له  
 البيعة وبعد بيعته بقليل توفي مولاه راشد والله أعلم

### وفود العرب على ادريس بن ادريس رجه الله

لما استقام أمر المغرب لادريس بن ادريس وتوطد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه وأتباعه وفدت  
 عليه الوفود من البلدان وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان فاستمر بيعة سنة ثمان وثمانين يصل  
 الوفود ويبذل الاموال ويستميل الرؤساء والاقبال ولما دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفدت عليه  
 وفود العرب من افريقية والاندلس نازعين اليه وملتفين عليه فاجتمع لديه منهم نحو خمسة مائة فارس  
 من قيس والازد ومنذج ويحصب والصدف وغيرهم فسر ادريس بوفادتهم وأجزل صاتهم وأدنى منزلتهم  
 وجعلهم بطانته دون البربر فاعتز بهم وأنس بقربهم فانه كان غريبا بين البربر فاستوزر منهم عمير بن مصعب  
 الازدى المعروف بالمجوم من ضربته ضربها في بعض حربهم وسمته على الخططوم وكان عمير من فرسان  
 العرب وسادتها ولا يبيده مصعب ما تر بافريقية والاندلس ومواقف في غز والفرج واستغضى منهم

عاصم بن محمد بن سعيد القيسي وكان من أهل الورع والفقہ والدين سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا وكان قد خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم أجاز الى العدو فوجد بها علي ادريس فبين وقد عليه من العرب فاستقضاه واستكتب منهم أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر حتى كثرت الناس لديه وضاق بهم مدينته وليلى وانتهى الى ابن الاغلب ما عليه أمر ادريس من الاستئصال فأرهب عزمه للتضريب بين البربر واستفسادهم على ادريس فكان منهم بهلول بن عبد الواحد المضي مري من خاصة ادريس ومن أركان دولته فكانت بهلول الاغلب واستموا به بالمال حتى بايع الرشيد وانحرف عن ادريس واعتزله في قومه فصالحه ادريس وكتب اليه يستعطفه بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه وكان فيما كتب به ادريس الى بهلول المذكور قوله

أهل اول قد جلت نفسك خطة \* تبدلت منها ضلة برشاد  
أضلك ابراهيم مع بعد داره \* فأصحت منقادا بغير قياد  
كانت لم تسمع بكرا بن أغلب \* وقدمارعي بالكيده كل بلاد  
ومن دون ما منتك نفسك خاليا \* ومناك ابراهيم شوك قتاد

ثم أحس ادريس من اسحق بن محمد الاوربي بانحراف عنه وموالاة لابن الاغلب فقتله سنة ثنتين وتسعين ومائة ووصفاه المغرب وتمكن سلطانه به والله غالب على أمره

### بناء مدينة فاس

كثرت الوفود من العرب وغيرهم على ادريس رجه الله وضاق بهم مدينته وليلى أراد أن يبني لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته فركب يوما في جماعة من حاشيته وخرج يتخير البقاع فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب هوائه وتربته فاخذت بسنده مدينة سماه ايلي الجوف وشرع في بنائها فبني بهضامن الدور ونحو الثلث من السور فأتى السيل من أعلى الجبل في بعض الليالي فهدم السور والدور وحل ما حول ذلك من الخيام والزرع والقاها في نهر سبوا فكف ادريس عن البناء واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ثم خرج ثانية يتصيد ويرتاد لنفسه موضعا يبني فيه ما قد عزم عليه فأنتهى الى نهر سبوا حيث هي اليوم حجة حولان فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولاجل الحمة التي هناك والحمة كافي القاموس كل عين فيها ماء حار ينبع منها ويستشفى به فمزم ادريس على أن يبني هناك مدينة وشرع في حفر الاساس وعمل الجيار وقطع الخشب وابتدأ بالبناء ثم فكر في نهر سبوا وما يأتي به من المدود والسيول زمان الشتاء وما يحصل بذلك من الضر والعظيم للناس فكف عن البناء ورجع الى وليلى ثم بعث وزيره عمير بن مصعب الازدي يرتاد له موضعا يبني فيه المدينة التي عزم عليها فسار عمير في جماعة يقص الجهات ويتخير البقاع والترب والمياه حتى انتهى الى شخص سايس فأعجبه المحل فنزل هناك على عين ماء تطرد في مرج أخضر فتوضأ وصلى الظهر وهو وجماعة القوم الذين معه ثم دعا الله تعالى ان يبسر عليه مطالبه ثم ركب وحده وأمر الجماعة أن ينتظروه حتى يعود اليهم فنسبت العين اليه من يومئذ ودعيت عين عمير الى الآن وعمير هذا وجدني المجوم من بيوتات فاس وكبرائهم فأوغل عمير في فحص سايس حتى انتهى الى العيون التي ينبع منها وادى فاس فرأى بها من عناصر الماء ما ينيف على الستين عنصرا ورأى مياهها تطرد في فسح من الارض وحول العيون شعرا من شجر الطرفاء والطخس والعسعار والكخن وغير ذلك فشرب من الماء فاستطابه ونظر الى ما حوله من المزارع التي ليست على نهر سبوا فأعجبه فالتحق مع مسيل الوادي حتى انتهى الى موضع مدينة فاس اليوم فنظر فاذا ما بين الجبلين غيضة مائة الأشجار مطردة العيون والانهار وفي جانب منها خيام من شعري سكنها قوم من زواغة يعرفون ببني الخبير وقوم من زناتة يعرفون ببني يرغش وكان بنو يرغش على دين الجوسية وكان بيت

نارهم بالموضع المعروف بشيدوبه وكان البعض منهم على دين اليهودية والبعض على دين النصرانية  
 وكان بنو الخير يتزلون بعدوة القرويين وبنو يرغش يتزلون بعدوة الاندلس وكانوا قداما يفترون عن  
 القتال لاختلاف أهوائهم وتباين أديانهم فرجع سيرالى ادريس وأعلمه بما رأى من الغيضة  
 وساكنيها وما وقع عليه اختياره فيها فجاء ادريس لينظر الى البقعة فالى بنى الخير وبنى يرغش يقتتلون  
 فأصلح بينهم وأسلموا على يده واشترى منهم الغيضة بستة آلاف درهم فرفضوا بذلك ودفع لهم الثمن وأشهد  
 عليهم بذلك على يد كاتبه أبى الحسن عبد الله بن مالك الخزر جى ثم ضرب أبنته بكر وواوة وشرع فى بناء  
 المدينة فأختط عدوة الاندلس غرة ربيع الاوّل سنة اثنتين وتسعين ومائة وفى سنة ثلاث بعدها اختط  
 عدوة القرويين وبنى مساكنها وانتقل اليها وقد كان أولاد ادراسور على عدوة الاندلس وبنى بها  
 الجامع المعروف بجامع الاشياخ وأقام فيه الخطبة ثم انتقل نانيا الى عدوة القرويين كما قلنا ونزل  
 بالموضع المعروف بالمقرمدة وضرب فيه قيطونه وأخذ فى بناء جامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة أيضا  
 ثم شرع فى بناء داره المعروفة الا ان بدار القيطون التى يسكنها الشرفاء الجوطيون من ولده ثم بنى  
 القيسارية الى جانب المسجد الجامع وأدار الاسواق حوله وأمر الناس بالبناء وقال لهم من بنى موضعا  
 أو اغترسه قبل تمام السور فهو له فبنى الناس من ذلك شيئا كثيرا واغترسوا ووفد عليه جماعة من الفرس  
 من أرض العراق فاتزلهم بغيضة هناك كانت على العين المعروفة اليوم بعين علون وكان علون عبدا أسود  
 يأوى الى تلك الغيضة ويقطع الطريق بها على المارة فتصاحى الناس غيضته وتناذروها فأعلم ادريس  
 رجه الله بشأنه فبعث فى طلبه خيلا قبضوا عليه و جاؤا به اليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة كانت على  
 العين فأضيفت اليه العين من يومئذ وقيل عين علون ثم أدار ادريس السور على عدوة القرويين وكانت  
 من لدن باب السلسلة الى غدير الجوزاء فقال عبد الملك الوراق كان من مدينته فاس فى القديم بلدين لكل  
 بلد منهما سور يحيط به وأبواب تحتص به والنهر فاصل بينهما ما سميت احدى العدوتين عدوة القرويين  
 لتزول العرب الواقدين من القيروان بها وكانوا ثلاثمائة أهل بيت وسميت الاخرى عدوة الاندلس  
 لتزول العرب الواقدين من الاندلس بها وكانوا جماعة غفيرا يقال أربعة آلاف أهل بيت وكان الحكم بن  
 هشام الاموى صاحب الاندلس صدق منه لاول امارته هبات أوجبت قيام جماعة من أهل الورع  
 عليه وكان فيهم يحيى بن يحيى الليثى صاحب مالكا وراوى الموطأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فخلعوا  
 الحكم ويايعوا بعض قرابته وكانوا بارض الغربى من قرطبة فقاتلهم الحكم وكثروه وكادوا يأتون عليه  
 ثم أظفروه الله بهم ووضع فيهم السيف ثلاثة أيام وهدم دورهم ومساجدهم وفر الباقون منهم فلقوا  
 بفاس المغرب الاقصى وبلا سكندرية من أرض مصر فأما الللاحقون بفاس فاتزلهم ادريس رجه الله  
 بعدوة الاندلس فأضيفت اليهم وأما الللاحقون بلا سكندرية فثاروا بهم ابعدين فرحف اليهم عبد الله  
 ابن طاهر الخزاعى صاحب مصر من قبل المأمون بن الرشيد فقاتلهم ونفاههم الى جزيرة اقريطش فلم  
 يزالوا بها الى ان ملكها الفرنج من أيديهم بعد مدة فوذكرا بن غالب فى تاريخه ان الامام ادريس لما  
 فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الاولى سعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه فى آخر الخطبة  
 فقال اللهم انك تعلم انى ما أردت بيناء هذه المدينة مباحاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكاراة وانما  
 أردت أن تعبدىها ويطلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه  
 وسلم ما بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعظم عليهم وأكفهم مؤنة أعدائهم وادبر عليهم  
 الارزاق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شىء قدير فأمن الناس على دعائه فكثرت  
 الخيرات بالمدينة وظهرت بها البركات فوومن محاسن فاس ان نهرها يشقها بنصفين وتتشعب جداوله  
 فى دورها وجساماتها وشوارعها وأسواقها وتطحن به أرحاؤها ثم يخرج منها وقد حمل أقدارها وأزبالها

الى غير ذلك من عيون الماء التي تتبع بداخلها وتتفجر من بيوتها تتجاوز الحصر كثيرة وقد مدحها الفقيه الزاهد أبو الفضل ابن النخعي بقوله

يا فاس منك جميع الحسن مسترق \* وساكنوك ليهنهم بمارزقوا  
هذان سيمك أم روح راحتنا \* وماؤك السلسل الصافي أم الورق  
أرض تخلها الانم اداخلها \* حتى المجالس والاسواق والطرق  
وقال الفقيه الكاتب أبو عبد الله المغيلي يتشوق الى فاس وكان يلي خطة القضاء بمدينة آزمو  
يا فاس حيا الله أرضك من ترى \* وسالك من صوب الغمام المسبل  
ياجنة الدنيا التي أربت علي \* حصن بمنظرها الهبي الاجل  
غرف علي غرف ويجري تحتها \* ماء ألد من الرحيق السلسل  
وبساتن من سندس قدزخرقت \* بجداول كاليم أو كالمصبل  
وبجامع القروين ترف ذكره \* أنس بذكره بهيج تامل  
وبعنه زمن المصيف محاسن \* فجع العشي الغرب منه استقبال  
واجلس ازاء النخلة الحسنة \* واكرع بها عني فديتسك وانهل

✽ غزو ادريس بن ادريس المغربي واستيلاؤه عليهما ✽

لسافر غ ادريس من بناء مدينة فاس وانتقل اليها بحمته واستوطنها بحاشيته وأرباب دولته واتخذها دار ملكه أقام بها الى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج غازيا ببلاد المصامدة فانتهى اليها واستولى عليها ودخل مدينة نفيس ومدينة اعجمات وفتح سائر بلاد المصامدة وعاد الى فاس فأقام بها الى سنة تسع وتسعين ومائة فخرج في المحرم برسم غزو قبائل نفزة من أهل المغرب الاوسط ومن بقى هناك على دين الخارجية من البربر فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر في أحوالها وأصلح سورها وجامعها وصنع فيها منبرا يقول أبو عمرو ان عبد الملك الوراق ✽ دخلت مدينة تلمسان سنة خمس وخمسين وخمسمائة فرأيت في رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هنالك مكتوبا فيه هذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومائة اه وقد تقدم لنا ما يخالف هذا والله أعلم وأقام ادريس بمدينة تلمسان وأحوالها يدبر أمرها ويصلح أحوالها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس ✽ قال داود بن القاسم الاوربي ✽ شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته مع الطوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا فلما تقارب الجمع انزل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للاقتال قالفة تلمناهم قتالا شديدا فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ويكفر في هذا الجانب الاخر مرة ولم يزل كذلك حتى ارتفع النهار ثم رجع الى رايته فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه فطفت أنا قلبه وأديم النظر اليه وهو تحت ظلال البنود يمرض الناس ويشجعهم فأعجبني ما رأيت من ثباته وقوة جاشه فالتفت نحوى وقال يا داود مالي أراك تديم النظر الي ✽ قلت أيها الامام انه قد أعجبني منك خصال لم أرها اليوم في غيرك قال وما هي قلت أولاها ما أراه من ثبات قلبك وطلاقة وجهك عند لقاء العدو قال ذلك ببركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا ووراثته من أئينا على بن أبي طالب قلت وأراك تبصق بصاقا مجتمعا وأنا أطلب قليل الريق في في فلا أجده قال يا داود ذلك لقوة جاشي واجتماع لبي عند الحرب وعدم ريقك لطيش عقلك واقتراق قلبك قلت وأنا أيضا أتجيب من كثرة تقبلتك في سرجك وقلة قرارك عليه قال ذلك مني رجع الى القتال وصرامة فيه فلا تظنن رعبا وأنشأ يقول

أليس أبوتنا هاشم شذا زره \* وأوصى بنيه بالطمان وبالضرب

## فلسنا نخل الحرب حتى قلنا \* ولا نتشكى ما يؤول من النصب

﴿ وفاة ادريس بن ادريس رحمه الله ﴾

﴿ قال ابن خلدون ﴾ انتظمت لادريس بن ادريس كلمة البربر وزنانية ومحي دعوة الطوارج منهم واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى وادي شلف ودافع ابراهيم بن الاغلب عن حماه بعد ما ضابقه بالمكاند واسد تفساد الاوياء حتى قتله واراشد امولاه وارتاب ادريس بالبربر فصالح ابن الاغلب وسكن من غربه و ضرب السكة باسمه وبجز الاغلبة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الادارسة ودافعوا خلفاء بني العباس بالماذير الباطلة وصفا ملك المغرب لادريس واسم عمر يدار ملكه من قاس ساكنا وادعاهم مقمدا اريكته مجتيا ثم رته الى ان توفاه الله ثاني جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين وعمره نحو ست وثلاثين سنة ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقي منه ﴿ وقال البرنسي ﴾ انه توفي بمدينة وليلى ودفن الى جنب ابيه وكان سبب وفاته انه اكل عنبا فشرق بحبته منه فمات لحينه وخلف من الولد اثني عشر ذكرا اولهم محمد وعبد الله وعيسى وادريس واجد وجعفر ويحيى والقاسم وعمر وعلي وداود وجزرة كذا في القرطاس وزاد ابن حزم الحسن والحسين وولي الامر منهم بعده محمد وهو اكبرهم

﴿ الخبر عن دولة محمد بن ادريس رحمه الله ﴾

لما توفي ادريس بن ادريس رحمه الله قام بالامر بعده ابنه محمد بعده منه اليه ولما ولي قسم بلاد المغرب بين اخوته وذلك باشارة جدته كثره ام ادريس واختص القاسم منها بطنجة وسبنة وقصر معمودة وقنعة حجر النسر وتطوان وما انضم الى ذلك من القبائل والبلاد واختص عمر منها بتيكساس وترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة واختص داود ببلاد هوارة وتسول وتازا وما بين ذلك من قبائل مكاسة وغياثة واختص يحيى باصيلا والعرايش والبصرة وبلاد ورغة وما الى ذلك واختص عيسى بسلا وشالة وآزمور وتامسنا وما انضم الى ذلك من القبائل واختص جزرة بمدينة وليلى واعمالها واختص احمد بمدينة مكاسة ومدينة تادلا وما بينهما من بلاد فازان واختص عبد الله باغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد اطمة والسوس الاقصى وابقى الاخرين في كفالته وكفالة جدتهم كثره لاهمهم وبقيت تلمسان لولد عمه سليمان بن عبد الله فان ادريس بن ادريس لما غزا تلمسان واقام بها ثلاث سنين كما سبق ودوخ بلاد زنانية واسد توسقت له طاعتهم عقد عليها النبي عمه سليمان بن عبد الله فلما توفي ادريس واقسم بنوه اعمال المغرب كانت تلمسان في سهم عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله واستمرت بايديهم الى ان تلاشى امرهم بدخول العبيديين عليهم قاله ابن خلدون واقام محمد بن ادريس بدار ملكه من قاس مقته اريكته واخوته وولاية علي بلاد المغرب قد ضبطوا اعمالها وسدوا ثغورها وامنوا سبلها وحسنت سيرتهم في ذلك الى ان كان ما ذكره

﴿ حدوث الفتنه بين بني ادريس ﴾

ثم خرج علي محمد بن ادريس اخوه عيسى بن ادريس بمدينة آزمور ونبذ طاعته وطلب الامر لنفسه فكتب محمد الى اخيه القاسم صاحب طنجة يا امره بحرب عيسى فامتنع من ذلك فكتب محمد الى اخيه عمر صاحب تيكساس بمثل ما كتب به الى القاسم فاهتم مثل امره وزحف الى عيسى في قبائل البربر واوله محمد بالف فارس من زنانية فأوقع عمر بعيسى وهزمه وطرده عن عماله وكتب الى الامير محمد بد بالفتح فشكره على ذلك وولاه علي ما فتحه من عمل عيسى وامره مع ذلك بالسير الى قتال القاسم الذي عصى امره اولاً

فرحف عمر الى القاسم ونزل عليه بظاهر طنجة فخرج اليه القاسم ودارت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم واستولى عمر على ما بيده من البلاد فصار الريف البصرى كله في عمل عمر من تيكيساس وبلاد غمارة الى سبتة ثم الى طنجة وهذا ساحل البصرى الى آصيلا والعرايش ثم الى سلا ثم آزمور وبلاد تامسنا وهذا ساحل البحر المحيط وتزهد القاسم بعد هذه الحرب فبنى مسجدا بساحل البحر قرب آصيلا بموضع يعرف بتاهذارت على ضفة النهر هناك وأعرض عن الدنيا وأقام يعبد الله الى ان مات رحمه الله واتسعت ولاية عمر بن ادريس وخلصت طويته لآخيه محمد الامير الى ان توفي عمر بموضع يعرف بشيخ الفرس من بلاد صنهاجة في دولة آخيه محمد سنة عشرين ومائتين فحمل الى فاس وصلى عليه الامير محمد ودفن مع آبيه وعمر هذا هو جد الاشراف اليهوديين المسالكين للاندلس بعد بني أمية وعقد الامير محمد على عمه لولده على بن عمر الى ان كان من أمره ما ذكره وأما عيسى فيقال انه توفي بآيت عتاب وله بها ذرية والله أعلم

### ﴿ وفاة محمد بن ادريس رحمه الله ﴾

وأقام الامير محمد بن ادريس بعد وفاة آخيه عمر سبعة أشهر وتوفي بمدينة فاس في ربيع الثاني سنة احدى وعشرين ومائتين ودفن بشارقي جامعها مع آبيه وآخيه بعد ان عهد بالامر لابنه على بن محمد المعروف بجيدرة على ماسياتي

### ﴿ الخبر عن دولة على بن محمد بن ادريس ﴾

لما توفي محمد بن ادريس بايع الناس لابنه على بن محمد بعد منه اليه ولقب على هذا بجيدرة على لقب على ابن أبي طالب رضى الله عنه وهو جد الاشراف العلميين أهل جبل العلم ومنهم المشيشيون أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه والوازاميون أولاد مولانا عبد الله الشريف وينتهي نسب هؤلاء الى المولى علي بن مشيش أخى المولى عبد السلام بن مشيش وكان سقى على جيدرة يوم بيع تصع سنين وأربعة أشهر فقام بأمره الاولياء والحاشية من العرب والبربر وأحسنوا كفالتة وطاعته وكانت أيامه خيرا أيام ﴿ وقال ابن أبي زرع ﴿ ظهر لعلى هذا من الذكاء والفضل ما يقتضيه شرفه وسار بسيرة آبيه وجده في العدل فكان الناس في أيامه في أمن ودعة الى ان توفي في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وعهد بالامر لآخيه يحيى بن محمد على ماسياتي

### ﴿ الخبر عن دولة يحيى بن محمد بن ادريس ﴾

﴿ قال ابن خلدون ﴿ قام يحيى بن محمد بن ادريس بالامر وامتد سلطاناه وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستبحر عمران فاس وبنيت بها الجماعات والقنادق للتجار وبنيت خارجها الارياض ورحل اليها الناس من الثغور القاصية ﴿ وقال ابن أبي زرع ﴿ قصد اليها الناس من الاندلس وافريقية وجميع بلاد المغرب

### ﴿ بناء مسجد القرويين بفاس ﴾

﴿ قال ابن أبي زرع ﴿ كان موضع مسجد القرويين ارضيا ضاعل رجل من هوارة كان والده قد حازها بآم بناء فاس ولما قدم وفد القيروان على ادريس الاصرر حسبا تقدم كان فيهم امرأة اسمها فاطمة بنت محمد الفهرى وتكنى أم البنين فنزلت في أهل بيتها بالقرب من موضع المسجد المذكور ثم مات زوجها



واخوتها فورثت منهم ما لا جسيما وكان من حلال فأرادت أن تنفقه في وجوه الخير وكانت لها نية  
صالحة فعزمت على بناء مسجد تجدوا به عند الله فاشترت البقعة من ربهما وشرعت في حفر أساس المسجد  
وبناء جدرانها وذلك يوم السبت فاتح رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين فبنته بالطابية والكثان  
وكانت الطريقة التي سلكتها في بنائه ان تأخذ التراب وغيره من مادة البناء من نفس البقعة  
دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها فخفرت في أعماقها كهوفا وجعلت تستخرج منها التراب الجيد  
والخمر الكذان وتبني به وأنبتت بها بئر يستقي منها الماء للبناء والشرب وغير ذلك وكان ذلك كله مخريا منها  
أن لا تدخل في بناء المسجد شبهة فعادت بركة نيتها وورعها على المسجد المذكور حتى كان منه ما ترى  
قالوا ولم تزل فاطمة المذكورة صائحة من يوم شرع في بنائه الى ان تم وصلت فيه شكرا لله تعالى وكانت  
مساحة المسجد يوم بنى أربع بلاطات ومخناص غير او جعلت محرابه في موضع الثريا الكبرى وجعلت  
طوله من الغرب الى الشرق مائة وخمسين شبرا و بنت به صومعة غير مرتفعة بموضع القبلة التي على  
رأس العترة اليوم واستمر الحال على ذلك الى ان انقضت دولة الادارسة وجاءت دولة زناتة من  
بعدها وأداروا السور على العدو وتين مع القرويين والاندلس وزادوا في مسجديهما زيادة كثيرة  
فقتلوا الخطبة من مسجد الشرفاء الى مسجد القرويين ومن مسجد الاشياخ الى مسجد الاندلس  
وذلك صدر المائة الرابعة ثم لما استولى عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس على قاس وبلاد  
العدوة استعمل على قاس عاملا له اسمه أحمد بن أبي بكر الزناتي ثم اليفرنى فاستأذن الناصر في  
اصلاح مسجد القرويين والزيادة فيه فاذن له وبعث اليه جمال من خمس الفناثم فزاد فيه زيادة بينة  
وأزال الصومعة القديمة عن موضعها وبنى الصومعة الموجودة الآن وكتب على بابها في أربعة بالخص  
واللازور وهذا ما أمر به أحمد بن أبي بكر الزناتي هداه الله وفقه ابتغاء ثواب الله وجزيل احسانه وابتدأ  
العمل في هذه الصومعة يوم الاثنين غرة رجب سنة أربع وأربعين وثلاثمائة و فرغ من بنائها في  
شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وركب في أعلى المنارة سيف الامام ادريس بن  
ادريس تبركاه وذلك ان بعض حفدة ادريس رحمه الله تنازعوا في السيف المذكور وأراد كل أن  
يحوزه لنفسه فقال لهم الامير أحمد بن أبي بكر هل لكم في ان تبيعوني هذا السيف قالوا وما  
تصنع به قال أجعله في أعلى المنارة فقالوا اما اذ أردت هذا فنسبته لك مجانا فهو هبوه له فركبه في أعلى  
المنارة وكانت مبنية من الخمر المنجور وفيها ثقب يعشش فيها الطير من الحمام والزور وغيرهما ويتأذى  
المسجد والناس بها واستمر الحال على ذلك الى ان كانت سنة ثمان وثمانين وسبعمائة أيام السلطان يوسف  
ابن يعقوب بن عبد الحق المريني فاستأذن القاضي أبو عبد الله ابن أبي الصبر السلطان يوسف المذكور  
في تلييس المنارة وتبييضها فاذن له فلبسها وبيضا ودلكها حتى صارت كالمرآة الصقيلة وهو قال  
ابن خلدون ثم أوسع في خطة المسجد المذكور المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس وأعد له السقاية  
والسلسلة بباب الحفاه ثم أوسع في خطته على بن يوسف اللتوني ثم ملوك الموحد بن وبنى مرين واستمرت  
العمارة به وانصرفت مهمهم الى تشييده والمنافسة في الاهتبال به فبلغ الاحتفال فيه ما شاء حسبيما هو  
مذكور في تواريخ المغرب اه وفي أيام يحيى بن محمد صاحب الترجمة وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين  
قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعى النبوة وتاول القرآن على غير وجهه فاتبعه خلق كثير من الغوغاء  
وكان من بعض شرايعه انه ينهى عن قص الشعر وتقليم الاظفار وتنق الابطين والاستحداد وأخذ الزينة  
ويقول لا تغيب عن خلق الله فامر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسى هتسين الى  
الاندلس فشاع بها أيضا خبره وتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة فبعث اليه ملك الاندلس فاستتابه  
فلم يتب فقتله وصلبه وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله

﴿الخبر عن دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس﴾

لما توفي يحيى بن محمد الذي بنى مسجد القرويين في أيامه ولي الأمر من بعده ابنه يحيى بن يحيى بن محمد ابن ادريس فأساء السيرة وكثر عيته في الحرم ودخل على جارية من بنات اليهود في الحمام وكانت بارعة الجمال فراودها عن نفسها فاستغاثت وبادر الناس اليه بالانكار وثابت العامة عليه وتولى كبر ذلك عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي وكانت زوجة يحيى المذكور وهي عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس صاحب الريف والسواحل أشارت عليه بالاختفاء بعد وفاة الاندلس ريثما تسكن الفتنة فتواري بها هات من ايلته أسفعا على ما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار واستولى عبد الرحمن بن أبي سهل على فاس وقام بأمرها فكتب عاتكة بنت علي إلى أبيها تسلم بالخبر واستدعاه مع ذلك أهل الدولة من العرب والبربر والموالي فجمع حشمه وبيشيه وجاء إلى فاس فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعده ذاتارة يكون في عقب عمر بن ادريس صاحب الريف وذاتارة يكون في عقب القاسم بن ادريس الزاهد على ما ذكره

﴿الخبر عن دولة علي بن عمر بن ادريس﴾

لما دخل علي بن عمر مدينة فاس واستقر بها يابيه الناس ودخلت الكافة في طاعته وخطب له علي جميع منابر المغرب واستقام له الأمر إلى أن ثار عليه عبد الرزاق الفهري وكان من الخوارج الصفرية وأصله من وشقة بلد بالاندلس فقام بجبال مديونة من أعمال فاس على مسيرة يوم ونصف منها قبة خلق كثير من البربر من مديونة وغياثة وغيرهم فبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقة باسم بلده قال ابن أبي زرع ﴿وهي باقية بتلك الناحية حتى الآن ثم زحف إلى قرية صفرون فدخلها وبايعه كافة البربر الصفرونية ثم زحف بهم إلى فاس فخرج اليه علي بن عمر بن ادريس في عسكر ضخم فكانت بينهم حرب شديدة كان الظفر في آخرها لعبد الرزاق فانهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده وفر بنفسه إلى بلاد اوربة فدخل عبد الرزاق مدينة فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها وامتدح منه أهل عدوة القرويين وبعثوا إلى يحيى بن القاسم الزاهد وكان ما ذكره

﴿الخبر عن دولة يحيى بن القاسم بن ادريس﴾

لما قرع علي بن عمر عن فاس واستولى عبد الرزاق الصفري على عدوة الاندلس بعث أهل فاس إلى يحيى بن القاسم بن ادريس ويعرف يحيى هذا بالعوام فوصل اليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم ويحيى العوام هذا هو جد الاشراف الجوطيين بفاس فانهم أولاد يحيى الجوطي ابن محمد بن يحيى العوام وانما قيل له الجوطي نسبة إلى جوطه بضم الجيم وبالطاء المهملة قرية كانت على نهر سبوا بالعدوة الجنوبية منه تزها يحيى ابن محمد فنسب اليها وقبره معروف بها إلى الآن ولما استقل يحيى بن القاسم بالأمر قاتل عبد الرزاق حتى أخرجه من عدوة الاندلس فدخلها وبايعه أهلها وجميع من تزها من أهل الاندلس الرضيين ورض قرطبة واستعمل يحيى بن القاسم عليهم نعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي من ولد المهلب بن أبي صفرة وهو رضى أيضا فلم يزل واليا على عدوة الاندلس إلى أن توفي فاستعمل يحيى مكانه ولده عبد الله ابن نعلبة المعروف بعبود إلى أن توفي أيضا فاستعمل الأمير يحيى مكانه ولده محارب بن عبود بن نعلبة وخرج الأمير يحيى بن القاسم إلى قتال الصفرية فكانت له مهم حروب ووقائع كثيرة ولم يزل أميرا على

فاس وأعمالها إلى ان اغتاله الربيع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت في أيام هؤلاء الامراء  
 أحداث نذكرها في سنة ثلاث وخمسين ومائتين كان ببلاد العدو والاندلس قحط شديد فنضبت  
 منه المياه واستمر إلى سنة ستين وفي سنة أربع وخمسين كسف القوم من أول الليل حتى أصبح  
 ولم ينجل وفي سنة ستين ومائتين عم القحط والغلاء جميع بلاد الاندلس والمغرب وافريقية ومصر  
 والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام ولم يبق بها الا نفر يسير مع سدة الكعبة ثم كان بالمغرب  
 والاندلس وبأعظم مع غلاء في الاسمار وعدمت الاقوات فهلك خلق كثير وفي سنة ست وستين  
 ومائتين كانت بالسمااء جرة شديدة من أول الليل إلى آخره لم يعهد قبلها مثلها وذلك ليلة السبت لتسع  
 بقين من صفر من السنة المذكورة وفي سنة سبع وستين ومائتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من  
 شوال منها كانت زلزلة عظيمة لم يسمع بمثلا تمدمت منها القصور وانحطت منها الصخور من الجبال وفرّ  
 الناس من المدن إلى البرية من شدة اضطراب الارض وتساقطت السقوف والحيطان وفرت الطيور  
 عن أوكارها وماجت في السماء زمانا حتى سكنت الزلزلة وسمت هذه الرجفة جميع بلاد الاندلس سهلا  
 وجبالها وجميع بلاد العدو من تلسان إلى طنجة ومن الجزائر إلى أقصى المغرب الا انهم لم يموت فيها  
 أحد لطفامن الله تعالى بخلقه وفي سنة ست وسبعين ومائتين طبقت الفتنة جميع آفاق الاندلس  
 والمغرب وافريقية وفي سنة خمس وثمانين ومائتين كانت الجماعة الشديدة التي سمت جميع بلاد  
 الاندلس وبلاد العدو حتى أكل الناس بعضهم بعضا ثم عقب ذلك وباء ومرض وموت كبير هلك فيه  
 من اطلاق ما لا يحصى فكان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم وكانوا  
 يدفنون من غير غسل ولا صلاة والامر لله وحده

### الخبر عن دولة يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس

لما قتل يحيى العوام في التاريخ المتقدم والى الامر من بعده يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس فبايعه  
 أهل عدوق فاس وخطب له بهما وامتد ملكه على جميع أعمال المغرب وخطب له على سائر منابره وكان  
 يحيى هذا واسطة عقد البيت الادريسي أعلاهم قدرا وأبعدهم ذكرا وأكثرهم عدلا وأغزروهم  
 فضلا وأوسعهم مالا وكان فقيها حاقظا للحديث ذافصاحا وبيان بطلا شجاعا طازما ذا صلاح ودين  
 وورع قال ابن خلدون لم يبلغ أحد من الادارسة مبالغته في الدولة والسلطان إلى ان طماعا على ملكه  
 عباب العبيدين القاعين بافريقية فاغرقه

### استيلاء العبيدين من الشيعة على المغرب الاقصى وقدم قاندهم مصالة بن حبوس إلى فاس

قد قدمنا عند ذكر ولاية المغرب ان ابراهيم بن الاغلب كان آخرهم وانه أورش بافريقية ملكا لبنيه فاستمرت  
 دولتهم إلى أواخر المائة الثالثة وانقرضت على يد أبي عبد الله المحتسب داعية العبيدين من الشيعة فان  
 المحتسب حج في بعض السنين واجتمع عنده بحجاج كتامة من أهل المغرب فتعرف اليهم ووعدهم بظهور  
 المهدي من آل البيت على يدهم ويكون لهم به الملك والسلطان فتبعوه على رأيه وصحبهم إلى بلادهم ورأس  
 فيهم رياسة دينية وقررت لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتمسكوا به ثم بايعوا مولا عبيد الله المهدي أول  
 خلفاء العبيدين فاستولى على افريقية في خبر طويل ثم سمت إلى تلك المغرب الاقصى فاغزاه قائده  
 مصالة بن حبوس المكناشي صاحب تاهرت والمغرب الاوسط فزحف مصالة إلى المغرب الاقصى سنة  
 خمس وثلاثمائة وانتهى إلى فاس فبرز اليه يحيى بن ادريس لمداقته في جوع العرب والبربر والموالي  
 والتقوا بقرم مكاسة فانهم لم يحمي وعاد مفاولا إلى فاس ثم تقدم مصالة إلى فاس وحاصرها إلى ان صالحه

يضي على مال يؤديه اليه وعلى البيعة لعبيد الله المهدي فقبل يحيى الشرط وخرج عن الامر وانفذ بيعة  
الى المهدي وأبقى عليه مصالة في سكنى فاس وعقد له على عملها خاصة وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية  
المكاسي على ما سوى ذلك من بلاد المغرب وكان موسى هذا صاحب تسول وبلاد تازا وكان كبير مكاسية  
بالمغرب الاقصى على الاطلاق وكان قد خدم مصالة حين قدم المغرب وتعرف اليه وهاداه وقتل معه في  
جميع حروب المغرب فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدى فاسا وعمالها فانه تركها للامير  
يحيى كما قلنا وصار المغرب الاقصى في ملكه العبيديين واندرجت دولة الادارسة في دولتهم فكان موسى  
ابن أبي العافية بعد ذهاب مصالة كلما أراد الظهور بالمغرب والاستبداد به فخره يحيى بن ادريس بحسبه  
ونسبه وفضله ودينه فقطع به كلما كان يريد فاس فكان على قلب موسى منه جل ثقيل فلما قدم مصالة المغرب  
في كرتة الثانية وذلك سنة تسع وثلاثمائة سعى موسى بن أبي العافية عنده يحيى بن ادريس حتى أوغر  
صدره عليه فلما قرب مصالة من فاس خرج اليه يحيى للقائه والسلام عليه في جماعة من وجوه دولته  
فقبض مصالة عليهم وقيدهم بالحديد وتقدم الى فاس فدخلها ويحيى بين يديه موثقا على جمل ثم عذبه  
بأنواع العذاب حتى استصفى أمواله وذخائره ثم نفاه الى نواحي أصيلا وقد ساءت حاله وانقض جمعه فأقام  
عند بني عمه ببلاد الريف مدة فاعطوه مالا ووصلوه بما يقيم به أوده ويستعين به على أمره فلم يرض ذلك  
وارتحل عنهم يريد افريقية فعرض له موسى بن أبي العافية في طريقه فقبض عليه وسجنه بمدينة الكاي  
قربا من عشرين سنة ثم أطلقه بعد ذلك قالوا وكان أبوه ادريس بن عمر قد دعا عليه أن يعينه الله بما  
غريبا فاستحيب له فيه فخرج يحيى من سجن ابن أبي العافية الى افريقية وهو في فقر وذلة قد بلغ سوء الحال  
منه كل مبلغ فوصل الى المهدي على تلك الحال فوافق بما فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني وحصاره  
اياها فأتها جماعة غريبان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة رحمه الله

✽ عود المغرب الاقصى الى الادارسة وظهور الحسن الحجام ابن محمد بن القاسم بن ادريس ✽

لما قبض مصالة على يحيى بن ادريس واستصفى أمواله كما قلنا استعمل على فاس ريمان الكامي وعاد الى  
القيروان فأقام ريمان عاملا على فاس وأحوارها نحو ثلاثة أشهر وثار عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن  
ادريس المعروف بالحجام وعرف بذلك لانه كان بينه وبين عمه أحمد بن القاسم بن ادريس حرب فعمل  
الحسن على فاس من أصحاب عمه فطعمته في موضع المحاجم ثم فعل ذلك بثان وثالث لا يطعمهم الا في موضع  
المحاجم فقال عمه أحمد ان أخى الحجام فازمه ذلك اللقب وفي ذلك يقول بعضهم

وسميت حجاما ولست بمحاجم \* ولكن لطن في مكان المحاجم

وكانت ثورة الحجام على ريمان سنة عشر وثلاثمائة أتى الى فاس في جمع من شيعته وأنصاره وكان مقداما  
شجاعا فدخلها على حين غفلة من أهلها فاستولى عليها وقتل ريمان وقيل نفاه عنها واجتمع الناس على  
بيعته ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر بالمغرب وملك عدة مدن مثل مدينة لواتة وصفر وون ومدين  
ومدائن مكاسة والبصرة واستقام له الامر بالمغرب الى ان كان منه مع موسى بن أبي العافية ما نذكره

✽ خروج الحسن الحجام الى قتال موسى بن أبي العافية ✽

✽ قال في القرطاس ✽ وفي سنة احدى عشرة وثلاثمائة خرج الامير الحسن الحجام الى قتال موسى بن أبي  
العافية فالتقى معه بخص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس وتازا فوقع الحجام بين أبي  
العافية وقعة عظيمة لم يقع في دولة الادارسة مثلها قتل فيها من عسكر ابن أبي العافية نحو ألفين وثلاثمائة  
من جلته ابنه منال بن موسى بن أبي العافية وقتل من عسكر الحجام نحو السبع مائة ثم كانت العافية  
لموسى على الحجام فانقض عسكر الحجام وعاد مغلولا الى فاس فعمل الحجام ودخل فاسا وحده وترك عسكره  
خارج المدينة فتدبر به عامله عليها حامد بن جدان الحمداني ويقال الاوربي من قرى افريقية دخل عليه

ليلا في داره فقيده وأخذته اليه وأغلق المدينة في وجه الجند وطير الى موسى بن أبي العافية يستدعيه الى فاس وكان ما ذكره

### ✽ الخبر عن دولة آل أبي العافية المكاسيين الناصخة لدولة آل ادريس بفاس وأعمالها ✽

كان موسى بن أبي العافية متمسكاً في هذه المدة بدعوة العبيديين من الشيعة فلما قبض حامد بن جردان على الحسن الخجامة واستدعى ابن أبي العافية بادر نحوه فدخل عدوة القرويين واستولى عليها ثم قاتل أهل عدوة الاندلس حتى ملكها فلما ملك المدينة تنبى معاطب حامد بن جردان باحضار الحسن الخجامة وقال أقتله بولدي منال وكان حامد قد ندّم على فعلته تلك فدافع موسى وسوفه وكره المجاهرة بسفك دماء آل البيت ولما جئ الليل خالف حامد الى الحسن ففك عنه قيده وأرسله فقتل الحسن من السور فسقط وانكسرت ساقه فتحامل حتى انتهى الى عدوة الاندلس فاتحت في بها الى ان مات لمضى ثلاث من سقطته رحمه الله وذلك سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وأراد ابن أبي العافية قتيل حامد بن جردان لعدم تمكينه اياه من الخجامة ففر الى المهديّة وكانت دولة الحسن الخجامة بفاس نحو سنتين وانقرضت دولة آل ادريس من فاس وأعمالها وتداول المغرب الاقصى العبيديون أصحاب افريقية والمرانيون أصحاب الاندلس مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء وتجدت للدارسة دولة أخرى ببلاد الريف نذ كرها عن قريب ان شاء الله وصفت فاس وأعمالها لابن أبي العافية وملك معها كثيراً من أعمال المغرب وبايعته القبائل والاشياخ وهو في ذلك كله متمسك بدعوة الشيعة كما قلنا فكان كالتائب عنهم بالمغرب والله غالب على أمره

### ✽ طرد موسى بن أبي العافية آل ادريس من أعمال المغرب وحصره اياهم بحجر النسر ✽

لما استولى موسى بن أبي العافية على فاس والمغرب شمر لطراد الادارسة عنه فاخرجهم من ديارهم وأجلاهم عن بلادهم من شالة وأصيلا وغيرهما من البلاد التي كانت في أيديهم ولجؤا باجمعهم الى قلعة حجر النسر مغلوبين على ملكهم مطرودين عن دار عزهم التي أسسها سلفهم وكانت قلعة حجر النسر حصنا منيعا بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس شامخا في عنان السحاب فنزل عليهم موسى بن أبي العافية وشدّ عليهم الحصار وأراد استئصالهم وقطع دارهم فعذله على ذلك أكارب دولته وقالوا له أتريد أن تقطع ديار أهل البيت من المغرب وتخليه منهم هذا شي لا نوافقك عليه ولا نتركك له فاستحيى عند ذلك وارتحل عنهم الى فاس وخلف على حصارهم قائده أبا الفتح التسولي في ألف فارس ينعوهم من التصرف وكان ذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة

### ✽ استيلاء موسى بن أبي العافية على تلمسان وأعمالها ✽

لما ارتحل موسى بن أبي العافية عن حجر النسر سار الى فاس فاقام بها أياما وقتل عامله على عدوة الاندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود الأزدي وولى مكانه أخاه محمد بن ثعلبة ثم عزله وولى مكانه طوال بن أبي يزيد فلم يزل عاملا عليها الى ان خرجت فاس عن يد ابن أبي العافية واستعمل موسى على المغرب الاقصى ولده مدين بن موسى بن أبي العافية وأنزله بعد عدوة القرويين ثم نهض الى تلمسان سنة تسع عشرة وثلاثمائة فلكها وأعمالها وكانت بيد الحسن بن أبي العيش من أعقاب سليمان بن عبد الله أخي ادريس الأكبر وفر الحسن الى مدينة مايلة من جزائر ملوية وبني هناك حصنا وتحصن به ثم زحف ابن أبي العافية الى مدينة نكور فلكها أيضا وحاصر الحسن في حصنه مدة ثم عقده سلا على حصنه وكان ذلك في شعبان سنة عشرين وثلاثمائة ثم عاد الى فاس وقد دوح البلاد والاقطار وانتظم المغربان الاقصى والاوسط في ملكه

### ﴿ انحراف موسى بن أبي العافية عن الشيعة الى بني مروان وما نشأ عن ذلك ﴾

كان عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب الاندلس قد سعى له أمل في التملك على المغرب الاقصى لما بلغه من تراجع امر بني ادريس به وانحراف دولتهم على الهرم فلك سبته من يدي بني عصام القاطنين بها بالدعوة الادريسية ولما استولى موسى بن أبي العافية على المغرب خاطبه الناصر في القيام بدعوته ووعدده الجليل على ذلك وآتاه من بين يديه ومن خلفه حتى أجابه الى مراده وتقص طاعة الشيعة وخطب للناصر على منابر عمله فاتصل الخبر بعبيد الله المهدي صاحب افريقية فسرّح اليه قائده حميد بن بصليت المكاسبي صاحب تاهرت في عشرة آلاف فارس وهو ابن أخي مصالة بن جوس المتقدم الذكر فالتقى حميد وموسى بنفخص مسون فكانت بينهم حرب سجال ثم ان حميد ابيت موسى ليلة فضرب في عسكره فانهمز موسى وأصحابه ومضى الى عين اسحاق من بلاد تسول فحصن بها وتقدم حميد الى فاس فلما شارفها فرغ عنها مدين بن موسى ولحق بابيه فدخلها حميد واستعمل عليها حامدا مدين حمدان الحمداني وكان في جلته ثم عاد الى افريقية وقد قضى اربعة من المغرب وكان ذلك سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ولما اتصل ببني ادريس المحمورين بحجر النسر خبر هزيمة موسى بن أبي العافية وفرار ابنه عن فاس وولاية حامدا مدين حمدان عليها قويت نفوسهم وتظاهروا على أبي الفتح التسولي فزلوا اليه وقاتلوه وهزموه ونهبوا معسكره وخرجوا الى القضاء بعد ان حصارهم بالقلعة المذكورة اربع سنين

### ﴿ ثورة أحمد بن بكر الجذامي بدعوة المروانيين بفاس وما نشأ عن ذلك ﴾

وأقام حامدا مدين حمدان واليساعلى فاس من قبل الشيعة الى ان ثار عليه أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي وذلك عقب وفاة عبيد الله المهدي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فقتل حامدا مدين حمدان وبعث برأسه وبولده الى موسى بن أبي العافية فبعث به موسى الى عبد الرحمن الناصر بقربطبة واستولى على المغرب وعادت الدعوة به الى بني مروان ولما اتصل الخبر بصاحب افريقية أبي القاسم بن عبيد الله المهدي المتولى بعد ابيه سرّح قائده ميسور الخصى الى المغرب فقدمه ميسور سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وخام ابن أبي العافية عن لقائه واعتصم بحمص الكاى وتقدم ميسور الى فاس فحاصرها أياما الى ان خرج اليه أحمد بن بكر مبايعا وقدم بين يديه هدية نفيسة ومالاجيلا فقبض ميسور الهدية والمال ثم قبض على أحمد بن بكر وقيده وبعث به الى المهديّة ولما نذر أهل فاس بتغدره امتنعوا عليه وأغلّقوا أبوابهم دونه وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصروهم ميسور سبعة أشهر ولما طال عليهم الحصار رغبوا في السلم فصالحهم على ان اعطوه ستة آلاف دينار وأنطا عا ولبو داو قرب الماء وأثانا وكتبوا يبيعهم الى أبي القاسم الشيعي وكتبوا اسمه في سكتهم وخطبوا له على منابرهم فقبل ميسور ذلك منهم وأقر عليهم حسن بن قاسم اللواتي وارثل عنهم واستمر حسن عاملا على فاس الى ان قدم أحمد بن بكر من المهديّة مطلقا مكرما فتخلى له عن ما كان بيده وذلك في سنة احدى وأربعين وثلاثمائة فكانت ولاية حسن بن القاسم على فاس ثمان عشرة سنة قاله في القرطاس ﴿ وقال ابن خلدون ﴾ ان أحمد بن بكر الجذامي قدم من افريقية سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فسار الى فاس وأقام بها متمكرا الى ان وثب بعام لها حسن بن قاسم اللواتي فتخلى له عن العمل والله أعلم

### ﴿ حرب ميسور مع موسى بن أبي العافية ﴾

لما صالح ميسور أهل فاس نهض الى حرب ابن أبي العافية فدارت بينهم حرب كان الظهور في آخرها لميسور وأسر البوري بن موسى بن أبي العافية وغرّبه الى المهديّة وطرده موسى عن أعمال المغرب الى نواحي مابوية ووطاط وماوراءها من بلاد الصغراء ثم قفل القيروان ﴿ وقال ابن زرع في كتاب

القرطاس بن يحيى بن ادريس تولوا معظم الحروب التي دارت بين ميسور وابن أبي العافية وانهم قاتلوا ابن أبي العافية حتى فرأماهم إلى الصحراء قال وتملك الادارسة أكثر ما كان بيد ابن أبي العافية قاعين بدعوة الشيعة فلم يزل ابن أبي العافية شريدا في الصحراء وأطراف البلاد التي بقيت بيده وذلك من مدينة آكر سيف إلى مدينة نكور إلى ان قتل بعض بلاد ملوية وذلك سنة احدى وأربعين وثلاثمائة وقيل انه قتل سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة قاله البرنسي اه كلام ابن أبي زرع **﴿**وقال ابن خلدون **﴿** ان موسى ابن أبي العافية رجع من الصحراء إلى أعماله بالمغرب فأسكنها وولى على عدوة الاندلس أبا يوسف بن محارب الأزدي قال وهو الذي مدن عدوة الاندلس وكانت حصونا ثم زحف إلى تلمسان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فاستولى عليها قال واستفحل أمر ابن أبي العافية بالمغرب الاقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزم ملك مغراوة وصاحب المغرب الاوسط وبثوا دعوة الاموية في أعمالها والله أعلم

### **﴿**بقية أخبار آل أبي العافية بالمغرب **﴿**

قال ابن أبي زرع لما هلك موسى بن أبي العافية ولى بعده ابنه ابراهيم إلى ان توفي سنة تسعين وثلاثمائة فولى بعده ابنه عبد الله ويقال عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية إلى ان توفي سنة ستين وثلاثمائة فولى عمله من بعده ابنه محمد وعليه انقرضت دولة آل أبي العافية سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (وذكر بعض المؤرخين لا يأمهم) انه لما توفي محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية ولى بعده ابنه القاسم بن محمد المحارب للتونة فكانت بينه وبينهم حروب إلى ان غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستأصل شافة ذرية موسى بن أبي العافية بالمغرب وكانت دولتهم مائة وأربعين سنة من سنة خمس وثلاثمائة إلى سنة خمس وأربعين وأربعمائة اه ولكن دولتهم بفاس انتهت إلى قدوم ميسور النخعي كما مر وبقيت رياستهم بالأطراف إلى دولة اللتونيين والله أعلم وكان في هذه المدة من الاحداث ما ذكره **﴿** في يوم الاربعاء **﴿** التاسع والعشرين من شوال سنة تسع وتسعين ومائتين كسفت الشمس كسوا فاكليا وكان ذلك بعد صلاة العصر فغاب القمر من كله وظهرت النجوم وأذن أكثر الناس بالمساجد للمغرب ثم تجأت مضيئة بعد ذلك ومكنت مقدار ثلث ساعة ثم غربت **﴿** وفي سنة ثلاث وثلاثمائة **﴿** كان بافريقية والمغرب والاندلس فتن كثيرة ومجاعة عظيمة أشبهت مجاعة سنة ستين ومائتين ثم وقع الموت في الناس حتى هجر واعن دفن موتاهم **﴿** وفي سنة خمس وثلاثمائة **﴿** أحرقت النار أسواق مدينة فاس وأسواق ناهرت قاعدة زناتة وأحرقت أسواق قرطبة وأرباض مكاسة من بلاد جوف الاندلس وكان ذلك كله في شوال من السنة المذكورة فسميت سنة النار **﴿** وفي سنة سبع وثلاثمائة **﴿** كان بافريقية والمغرب والاندلس رخاء مفرط وطاعون ووباء كثير وفيها كانت الريح السوداء الشديدة المهبوب التي قلعت الاتجار وهدمت الدور بفاس فتاب الناس ولزموا المساجد وارتدوا عن كثير من الفواحش **﴿** وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة **﴿** ظهر حاميم المتنبئ بجبال غمارة **﴿** قال ابن خلدون **﴿** كانت غمارة غريقة في الجهالة والبعدهن الشرائع بسبب البداوة والانتباذ عن مواطن الخير وتنبأ فيهم من قبيلة يقال لها محكسة حاميم بن من الله يكنى أبا محمد ويكنى أبوه من الله أبا يخلف وكان ظهوره بجبل حاميم المشتهر به قريبا من تطوان واجتمع اليه كثير من غمارة وأقربا وبنبؤته وشرع لهم شرائع وعبادات وضح لهم قرآنا كان يتأوه عليهم بلسانه فحما شرع لهم صلاتان في كل يوم واحدة عند طلوع الشمس والاخرى عند غروبها ثلاث ركعات في كل صلاة ويصعدون وبطون أيديهم تحت وجوههم ومن قرأهم الذي كانوا يقرؤنه بعد تهليلهم للون به بلسانهم خفي من الذنوب يامن خلى النظر ينظر في الدنيا أخرجني من الذنوب يامن أخرج يونس من بطن الحوت وموسى من البحر ثم يقول في ركوعه آمنت بحاميم وبأبيه أبي يخلف من الله وآمن رأسي وعقلي وما يمكنه صدرى وما أحاط به دى ولجى وآمنت بتالية حمسة حاميم

أخت أبي خلف من الله ثم يسجد وكانت تالية هذه امرأة كاهنة ساحرة وكان حاميم يلقب المغتري  
وكانت أخته دوا كاهنة ساحرة أيضا وكانوا يسمنغيتون بها في الحروب والقحوط وفرض عليهم صوم  
الاثنين وصوم الخميس الى الظهر وصوم الجمعة وصوم عشرة أيام من رمضان ويومين من شوال ومن  
أفطر في يوم الخميس عمدا فكفارته أن يتصدق بثلاثة أتوار ومن أفطر في يوم الاثنين فكفارته أن  
يتصدق بشورين وفرض عليهم في الزكاة العشر من كل شيء وأسقط عنهم الحج والوضوء والغسل من  
الجنابة وأحل لهم أكل الاثني من الخنزير وقال انما حرم قرآن محمد الخنزير بالذكر وأمر أن لا يؤكل  
الحوت الا بذكاة وحرم عليهم أكل البيض وأكل الرأس من كل حيوان فبعث اليه عبد الرحمن الناصر  
صاحب الاندلس عسكريا فالتقوا بصرهم صمودة من أحواز طنجة فقتلوه وقتلوا أتباعه وصلبوا شاوله  
بالقصر المذكور وبعثوا برأسه الى الناصر بقرطبة ورجع من بقي من أتباعه الى الاسلام وذلك سنة  
خمس عشرة وثلاثمائة **✽** قال ابن خلدون **✽** وكان لابنه عيسى بن حاميم من بعده قدر جليل في غمارة  
وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة **✽** ظهر ببلاد المغرب غمام كثيف دام خمسة أيام لم ير الناس فيها شمساً  
وكان الشخص لا يرى من الارض فيه الاموضع قدميه قباب الناس وأخرجوا الصدقات فكشف الله  
عنهم ما بهم وسميت سنة الغمام **✽** وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة **✽** نزل برد عظيم الواحد منه ترن رطلا  
وأكثر قتل الطير والوحش والبهائم وكثيرا من الناس وكسر الاشجار وأفسد الثمار وكان ذلك باثني عشر  
شديداً وغلاء عام **✽** وفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة **✽** نزل أيضا برد كثير لم يعهد مثله كثرة قتل المواشي  
وأفسد الثمار وجاءت السيول العظيمة بجميع بلاد المغرب وكان بهار عودا قاصفة وبروق خاطفة  
ودام ذلك أياما واستقى الناس واستعموا في هذه السنة وفيها أيضا كانت ريح شديدة هدمت المباني **✽** وفي  
سنة أربع وأربعين وثلاثمائة **✽** كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس هلك فيه أكثر الخلق وفي هذه  
المدّة كان الشيخ أبو سعيد المصري المعروف بابي سلهامة موجودا وهو من كبار صلحاء المغرب وقبره  
شهير قرب مخرج الحضرة على ساحل البحر وعليه قبة عجيبية الصنعة محكمة العمل بالنقش والاصباغ  
الزليج الملائون **✽** قال أبو عبد الله محمد العربي القاسمي في مرآة المحاسن **✽** كان علي وأسن قبر الشيخ أبي سلهامة  
لوح مذهب مكتوب عليه هذه القبور الثلاثة التي أحق الله تعالى فيها قبر الشيخ أبي سعيد المكني بابي  
سلهامة وكانت وفاته سنة نيف وأربعين وثلاثمائة قال أبو عبد الله المذكور ثم ان النصاري نزلوا امرأة  
هناك فاقتلوا اللوح وذهبوا به قال وكان النيف الزائد على الاربعين مسمى في اللوح وليكني أنسيته  
ومع ذلك فهو لا يزيد على السبع والله تعالى أعلم

### ✽ الخبر عن الدولة الثانية للدارسة ببلاد الريف ✽

هذه الدولة التي كانت للدارسة ببلاد الريف لم تكن لهم على سبيل الاستقلال والاستبداد كما كانت لهم  
أولا بفاس والمغرب انما كانوا فيها تحت نظر المتغلب على بلاد المغرب امامن الشيعة أصحاب افريقية  
وامامن الروانيين أصحاب الاندلس كما ستقف عليه واعلم اننا قد قدمنا ان بني ادريس كانوا قد اقتسموا  
أعمال المغرب بعد وفاة أبيهم م ادريس وجه الله وذلك بإشارة جنتهم كنزة وان بلاد الريف منها كانت  
في سهم عمر بن ادريس وانه قاتل أخويه عيسى والقاسم وأضاف أعمالهما الى عمله فبقيت بلاد الريف  
بيد بني عمر بن ادريس يتوارثونها خلفا عن سلف فلما انقرضت دولة آل ادريس بفاس على يد موسى  
ابن أبي العافية انحاز والي بني عمهم وعشيرتهم ببلاد الريف وتحصنوا بقاعة حجر النسر كما سبق ولما قدم  
ميسور الخصى من افريقية وأجلى موسى بن أبي العافية الى الصحراء أقام بنو ادريس بر بقهم يتداولون  
رياسته تحت نظر الشيعة تارة وتحت نظر الروانيين أخرى الى ان انقرضت دولتهم وذهبت رياستهم



من المغرب بالسكاية والله غالب على أمره

✽ الخبر عن رياسة القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس ✽

لمافر موسى بن أبي العافية أمام القائد ميسور إلى الصمصرة أصارت الرياسة في المغرب بعده لابن محمد بن القاسم بن ادريس وهما القاسم الملقب بكنون وشقيقه ابراهيم وهما معا أخوان للحسن الحجام الذي تقدم ذكره فاجتمع بنو ادريس وبادعوا القاسم المذكور فلك أكثر بلاد المغرب الا فاسا فانه لم يملكها وكان سكاها بقاعة حجر النسر واستمر على امارته مقيما الدعوة الشيعية الى ان توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فولى بعده ابنه أبو العيش

✽ الخبر عن دولة أبي العيش أحمد بن القاسم كنون ✽

كان أبو العيش هذافقيه اورع حافظا للسياسة عارفا باخبار الملوك وأيام الناس وأنساب قبائل العرب والبربر شجاعا جوادا وكان يعرف في بني ادريس بأحمد الفاضل وكان مائلا إلى بني مروان ولما ولى بعده أبيه قطع دعوة العبيديين في جميع عمله وبايع لعبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس وخطب له على جميع منابر عمله وبايع أبو العيش كافة أهل المغرب إلى سجد ماسة وكان السواد الاعظم من أهل المغرب الاقصى لهم محبة في جانب آل ادريس وايتار لهم لا يبغون بهم بدلا مهما وجدوا إلى ذلك سبيلا

✽ تغلب عبد الرحمن الناصر على بلاد المغرب ومضايقته لابي العيش بها ✽

لما بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر وخطب له اقترح عليه أن ينزل له عن طنجة ليضيفها إلى ستة التي كان استولى عليها من قبل فامتنع أبو العيش من ذلك فبعث إليه الناصر بالاسطول والمقاتلة فحاصره وضيق عليه ولما رأى أبو العيش أنه لا طاقة له بحربه أجابه إلى ما سأل وتزل له عن طنجة وبقي أبو العيش مع اخوته وبني عمه من الادارسة بمدينة البصرة وأصيلا تحت بيعة الناصر وفي كنفه متمسكين بدعوته وكانت قواد الناصر وجيوشه تميز من الاندلس إلى العدو يعاتلون من خالف الادارسة من البربر ويستألفونهم والناصر عمدان عجز منهم برجاله مقولان ضعف عماله حتى ملك أكثر بلاد المغرب وبايعته قبائله من زناتة والبربر وخطب له على منابره من تاهرت إلى طنجة ما عدا سجد ماسة فانه قام بها في ذلك الوقت منادرا البربري وبايع الناصر أهل فاس فبين بايعه من بلاد العدو فولى عليهم محمد بن الخير المغراوي وكان من أبسط ملوك زناتة يدا وأعظمهم شأنا وأحسنهم إلى ملوك بني أمية انحياسا وأخلصهم طوية وكان لبني يفرن ومغراوة من زناتة ولاية الامويين وتشيع لهم وذلك بولاية عثمان ابن عفان رضي الله عنه لجدتهم صولات بن وزمار المغراوي الذي وقد عليه وأسلم على يده كما سبق في اخبار الفتح والله أعلم فسرت تلك الولاية في عقب زناتة الامويين عموما كما كان لاحتياج من البربر ولاية آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأقام محمد بن الخير والياعلى مدينتي فاس نحو سنة وارتحل عنها إلى الاندلس برسم الجهاد واستخلف عليها ابن عمه أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الزناتي وهو الذي بنى صومعة مسجد القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثمائة كما سبق وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة فولى الناصر على مدينة طنجة وأحوارها يعلى بن محمد اليفرنى فتر لها في قبائل يفرن وأمضى أمره ونهيه فيها

✽ هجرة أبي العيش إلى الاندلس بقصد الجهاد ✽

لم رأى أبو العيش غلبة الناصر على بلاد العدو هانت عليه رياستها كتب اليه بقرطبة يستأذنه في  
الجهاد فأذن له وأمر أن يبني له في كل منزل ينزله قصر وذلك من الجزيرة الخضراء الى الثغر وأن يجرى له  
فيها ألف دينار في كل يوم ضيافته ومن الفرش والاثاث والطعام والشراب ما يقوم بالقصر فلم يزل على  
ذلك حتى وصل الى الثغر فكانت منازل من الجزيرة الى الثغر ثلاثين منزلا ومات أبو العيش رحمه الله  
شهيدا في جهاد الفرج سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

### ﴿الخبر عن دولة الحسن بن كنون﴾

لم يخرج أبو العيش الى الاندلس برسم الجهاد استخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون وهو القاسم بن  
محمد بن القاسم بن ادريس وهو آخر ملوك الادارسة بالمغرب ولم يزل مواليا للمروانيين متمسكا بدعوتهم  
الى ان كان ما ذكره

### ﴿قدوم القائد جوهر الشيعي من افريقية الى المغرب واستيلائه عليه﴾

لما اتصل بخليفة الشيعة وهو المعز لدين الله معد بن اسمعيل العبيدي غلبة الناصر على بلاد العدو  
وأن جميع من به من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا في دعوة بني أمية عظم الامر عليه  
وبعث قائده جوهر بن عبد الله الرومي المعروف بالكاتب في جيش كثيف يشتمل على عشرين ألف  
فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم وأمره أن يطأ بلاد المغرب وينزلها ويستتزل من به من  
التوارق ويشدوطأته عليهم فخرج جوهر من القيروان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة يؤتم بلاد المغرب  
فاتصل خبره يعلي بن محمد اليغري صاحب طنجة وخليفة الناصر على بلاد العدو فحشد قبائل زناتة  
ونمض الى القائد جوهر فكان اللقاء على تاهرت فالتحمت الحرب بين الفريقين فانخرج القائد جوهر  
الاموال وبذلها في قواد كتامة فضعوا له قتل أمير زناتة يعلي بن محمد فلما اشتد القتال صممت عصاة  
من قواد كتامة وأصحابها وقصدوا الى يعلي بن محمد فقتلوه واحتزوا رأسه وأتوا به الى جوهر فيذل لهم مالا  
جليلا بشارة عليه وبعث بال رأس الى مولاه المعز فطيف به بالقيروان ووذكر ابن خلدون ﴿أن يعلي بن  
محمد يادر الى لقاء جوهر عند قدومه وأذعن له ويأدعه فاطهر جوهر القبول ثم دس اليه من اغتاله وتفرق  
بنو يفرن وزناتة بعد مقتل أميرهم وبعدهم مدة التأم ملكهم على ولده يدو ابن يعلي بن محمد اليغري ثم تقدم  
جوهر الى سجلماسة وكان قد قام بها محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بالشاكر لله وقد تقدم لنا  
انه ادعى الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وضرب السكة باسمه وكتب عليها تفتت عزة الله وكانت سكوته  
تعرف بالشاكرية وكانت في غاية الطيب وكان سنيما لمجي المذهب قد خالف سلفه في مذهب الصفرية  
فتزل عليه جوهر وحاصره بسجلماسة ثم اقتحمها عنوة بالسيف وأقلت الشاكر ثم عاد بعد يومين أو ثلاثة  
فدخل سجلماسة متنكرا فعرف وقبض عليه وأتى به الى جوهر فاوثقه في الحديد وساقه أسيرا بين يديه  
حتى نزل على فاس بعد ان أفتى جماعة الصفرية ورجالها بالسيف وكان نزوله على فاس سنة تسع وأربعين  
وثلاثمائة فحاصرها وأدار بها القتال من كل جهة قريبا من نصف شهر ثم اقتحمها عنوة بالسيف على يد  
زيري بن مناد الصنهاجي فانه تسعتم أسوارها ليلا ودخلها فقتل بها خلقا كثيرا وقبض على أميرها آجدين  
أبي بكر الزناتي الذي ولاه الناصر عليها ونهب المدينة وقتل جاتها وشيوخها وسبأ أهلها وهدم أسوارها  
وكان الحادث بها عظيما وكان دخول جوهر اياها خصوة يوم الخميس الموفى عشرين من رمضان سنة تسع  
وأربعين وثلاثمائة ثم سار جوهر في بلاد المغرب يقتل أولياء المروانيين ويسبي ويفتح البلاد والمعقل  
وحاقته البربر وقرت أمامه قبائلها فانفذ الامر في المغرب الاقصى ثلاثين شهرا وانتهى الى البحر المحيط

وصاد من سمكه وجعله في قلال الماء وأرسله إلى مولاه المعز ثم انصرف راجعا بعد ان دقخ البلاد وأتخن فيها وقتل جانتها وقطع دعوة المر وانين منها وورد ها إلى العبيديين فخطب لهم على جميع منابر المغرب وانتهى القائد جوهر إلى المهديّة دار المعز لدين الله وقد جعل معه أحد بن أبي بكر اليفرقى أمير فاس وخمسة عشر رجلا من أشياخها وجل أيضا محمد بن أبي الفتح أمير سجلماسة ودخل بهم أسارى بين يديه في أقفاص من خشب على ظهور الجمال وجعل على رؤسهم فلانس من لبد مس تطيلة منبته بالقرون فطيف بهم في بلاد إفريقية وأسواق القيروان ثم ردوا إلى المهديّة وحبسوا بها حتى ماتوا في سجنها

بوقدوم بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الشيعي من إفريقية إلى المغرب

كان الأمير الحسن بن كنون قد بايع العبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب فلما انصرف جوهر إلى إفريقية أو نحو سنة تسع وأربعين وثلاثمائة نكث الحسن بن كنون ببيعة العبيديين وعاد إلى المر وانين فمسك بدعوة الناصر ثم بدعوة ابنه الحكم المستنصر خوفا منهم لا محبة فيهم لقرب بلاده من بلادهم وأقام على ذلك إلى ان قدم الأمير بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي من إفريقية إلى المغرب لاخذ ثار أبيه فقطل زناته واسم تأصلهم وملك المغرب بأسره وقطع أيضا منه دعوة الامويين وقتل أولياءهم وأخذ البيعة على جميع أهل المغرب للعزم معد بن اسمعيل كما فعل جوهر قبله فكان أول من سارع إلى بيعته ونصرته وقاتل أولياء المر وانين معه الحسن بن كنون صاحب مدينة البصرة وكشف وجهه في ذلك وأعمل فيه جهده فاتصل خبره بالحكم المستنصر ففقد عليه لذلك فلما انصرف بلكين بن زيري إلى إفريقية بعث الحكم المستنصر صاحب الأندلس قائده محمد بن القاسم بن طماس في جيش كثيف إلى قتال الحسن بن كنون فاجاز اليه من الجزيرة الخضراء إلى سبتة في عدد كثير وعدة كاملة وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فرحف الحسن إلى قتاله في قبائل البربر فكان اللقاء باحواز طنجة بموضع يعرف بقصص بنى مصرخ فكانت بينهما حرب شديدة قتل فيها محمد ابن القاسم قائد الحكم المستنصر وقتل معه خاق كثير من أصحابه وفر الباقون فدخلوا سبتة وتحصنوا بها وكتبوا إلى الحكم يستغيثون به فبعث اليهم صاحب حروبه غالب مولاه البعيد الصيت المعروف بالشهامة والنجدة والدهاء وأعطاه الحكم أموالا جليلية وجيوشا كثيرة وعددا وافر وأمره بقتال آل ادريس واستنزاهم من معاقلهم وقال له عند دواعه يا غالب سر مسير من لا اذن له في الرجوع الا حيا منصورا أو ميتا معذورا ولا تشع بالمال وابسط يدك به يتبعك الناس

بوقدوم غالب الاموي إلى المغرب وتغريب آل ادريس إلى الأندلس

ثم خرج غالب من قرطبة في آخر شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فاتصل خبر قدومه بالحسن بن كنون فخاف منه وأخذ إلى مدينة البصرة وجعل منها حومه وأمواله وذخائره إلى قلعة حجر النسر القريبة من سبتة واتخذها مقلا يتحصن بها وأجاز غالب البحر من الجزيرة الخضراء إلى قصر مصمودة فلقبه الحسن ابن كنون هناك في جوع البربر وقتله أياما وسرب غالب الاموال إلى رؤساء البربر الذين مع الحسن ابن كنون ووعدهم ومناهم فانقضوا عن الحسن حتى لم يبق معه الا خاصته ورجاله فلما رأى ذلك سار إلى حجر النسر فتمحصن به واتبعه غالب فحاصره به ونزل عليه بجميع جيوشه وقطع عنه المواد وأمدّه الحكم بعرب الدولة الذين بالاندلس ورجال الثغور فوصل المدد إلى غالب غرة المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة فاشتد الحصار على الحسن بن كنون فطلب من غالب الامان على نفسه وأهله وماله ورجاله وينزل اليه فيسير معه إلى قرطبة فيكون بها فاجابه غالب إلى ذلك وعاهده عليه فنزل الحسن بأهله وماله ورجاله وأسلم الحصن إلى غالب فداكه واستنزل غالب جميع العلويين الذين بارض العدو من معاقلهم وأخرجهم عن أوطانهم ولم يترك بالعدو رهينة منهم وسار إلى مدينة فاس فداكها واستعمل عليها محمد

ابن أبي علي بن قشوش بعدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة بعدوة والاندلس فلم تزل قاسم ييدني أمية  
 الى ان غلب عليها زيري بن عطية الغراوي وانصرف غالب الى الاندلس وساق معه الحسن بن كنون  
 وجميع ملوك الادارسة وقد وطأ جميع بلاد المغرب وفرق العمال في فواحيه وقطع دعوة بني عبيد  
 من جميع آفاقه وورد الدعوة الى الاموية فخرج بهم غالب من قاسم آخر رمضان سنة ثلاث وستين  
 وثلاثمائة ووصل الى سبتة فركب البحر منها واستقر بالخضراء وكتب الى مولاه الحكم المستنصر بالله يعلمه  
 بقدمه وعن قدم معه من العلويين فلما وصل كتابه الى الحكيم أمر الناس بالخروج الى لقاءهم وركب  
 هو في جمع عظيم من وجوه دولته فلقاهم فكان يوم دخولهم قرطبة يوماً مشهوداً وذلك أول يوم من المحرم  
 سنة أربع وستين وثلاثمائة وسلم الحسن بن كنون على الحكيم فاقبل عليه وعفاه عنه ووفى له بعهدده وأوسع له  
 ولرجاله في العطاء وأجرى عليهم الجرايات الكثيرة وخلع عليهم الخلع الرفيعة وأثبت جميع أهله ورجاله  
 في ديوان العطاء وكانوا سبعة عشر رجلاً أنجاد يعدون بسبعة آلاف وأسكنه قرطبة وأقام الحسن وعشيرته  
 في كنف الحكيم في أمن وعظيمة الى ان كان ما ذكره

﴿ حدوث النفرة بين الحكم والحسن والسبب في ذلك ﴾

لما استقر الحسن بن كنون وعشيرته بقرطبة تحت كنف الحكم المستنصر بالله الاموي على ما وصفناه  
 استمر الحال على ذلك الى سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان للحسن قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الحرم  
 ظفريها في بعض سواحله من بلاد العدو أيام ملكه بها فسقواها منشورة يتوسدها ويرتفق بها فبلغ أمير  
 المؤمنين الحكيم خبرها فسأله جلها اليه وضمها الى ذخائره على ان له حكمه مسقطاً فامتنع الحسن  
 من ذلك وأبى أن يسلمها اليه فنكبه عليها وسلبه جميع أمواله وسلبه القطعة أيضاً فبقيت في خزنة  
 الامويين الى ان غلب ابن جود الادريسي على ملك الاندلس ودخل قرطبة واستقر بالقصر منها فالتقى  
 تلك العنبرة لازالت قاعة العين قد عقبها الايام حتى صارت الى أيدي العلوية أربابها ولما نكب الحكيم  
 الحسن أمر بانواجه وانحرج عشيرته من قرطبة واجلاهم الى المشرق فركبوا البحر من المرية الى تونس  
 سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان قصد الحكيم بتغييرهم الخفيف منهم والراحة من نفقاتهم مع ما كان  
 قومه يعدلونه عليهم فسار الحسن بن كنون وعشيرته الى مصر فنزلوا بها على خليفة الشيعة وهو العزيز  
 بالله تزار بن المعز العبيدي وكان العبيديون قد ملكوا مصر يومئذ فوعدوا كرمي خلافتهم اليها فاقبل  
 العزيز تزار على الادارسة وبالغ في اكرامهم ووعده الحسن النصره والاخذ بثارهم عن غابه على ملك سلفه

﴿ عود الحسن بن كنون الى المغرب وما كان من أمره الى مقتله وانقراض دولته ﴾

لما استقر الحسن بن كنون بمصر عند العزيز تزار أقام عنده مدة طويلة الى ان دخلت سنة ثلاث وسبعين  
 وثلاثمائة في أيام هشام المؤيد بالله الاموي فكتب تزار للحسن بعهدده على المغرب وأمر عامه له على  
 اقرية بليكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أن يقويه بالجيش فسار الحسن الى بليكين فاعطاه عسكراً  
 يشتمل على ثلاثة آلاف فارس فاقتم بهم بلاد المغرب فسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة فشرع  
 في اظهار دعوته واتصل خبره بالمنصور بن أبي عامر حاجب هشام المؤيد والقائم بملكه فبعث اليه ابن عمه  
 الوزير أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر المعروف بعسكالا جسة في جيش كثيف وقلده أمر المغرب  
 وسائر أعماله وأمره بقتال الحسن بن كنون فنفذ لوجهه وركب البحر الى سبتة ونرج الى حرب الحسن  
 فاحاط به وحاصره أياماً ثم أجاز المنصور بن أبي عامر وولده عبد الملك في أثر الوزير أبي الحكم في جيش كثيف  
 بمذاه فلما رأى ذلك الحسن بن كنون سقط في يده ولم يجد حيلة فطلب الامان على نفسه على ان يسير الى  
 الاندلس كمثل حالته الاولى فاعطاه الوزير أبو الحكم من ذلك ما وثق به وكتب الى ابن عمه المنصور يخبره

بذلك فامر بتجهيله الى قرطبة موكلابه فبعث به اليه ولما انتهى الخبر الى المنصور بقدم الحسن لم يحض  
 أمان ابن عمه وأنفذ اليه من قتلته في طريقه وأناه برأسه ودفن شلوه بمكان مقتله وذلك في جمادى الاولى  
 سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وركدت ريح العلوية بالمغرب وتفرقت جمعهم وانقرضت دولتهم وتفرقت  
 الادارسة في قبائل المغرب ولا ذوا بالاختفاء الى ان خلعوا الشارة ذلك النسب الشريف واستحالت صيغتهم  
 منه الى البداوة واستمر الحال الى ان أشرفت دولة بني أمية بالاندلس على الانقراض وكان بالاندلس  
 رجلان من آل ادريس دخلوها في جملة البربر الذين كانوا هناك وهم على والقاسم ابنا جود بن ميمون  
 ابن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس فطار لهما ما ذكر في الشجاعة والاقدام ثم تفرقت بهم الاحوال  
 الى ان ورثوا خلافة الاندلس من يد الامويين بها في خبر طويل ولما قتل الحسن بن كعون هبت ريح  
 عاصف احتملت رداءه فلم يوجد بعد قالوا وكان الحسن هذا قاطعا غليظا قاسي القلب كان اذا نظر بعدد  
 أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من ذروة قلعة المسماة بحجر النمر في هوى منها الى الارض مذ  
 البصر يدفع الرجل بخشبة عمدا اليه فلا يصل الى الارض الا وقد تقطع وقال ابن أبي زرع كان مدة ملك  
 الادارسة بالمغرب من يوم بويع ادريس بن عبد الله وذلك يوم الخميس السابع من ربيع الاول سنة اثنتين  
 وسبعين ومائة الى ان قتل الحسن بن كعون وذلك في جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة مائتي  
 سنة وثلاث سنين سوى شهرين تقريبا وكان عملهم بالمغرب من السوسن الاقصى الى مدينة وهران  
 وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة وكانوا يكابدون دولتين عظيمتين دولة العبيديين بافريقية ودولة  
 بني أمية بالاندلس وكانوا يراجون الخلفاء الى ذروة الخلافة ويقعد بهم عنها ضعف سلطانهم وقلة ما لهم  
 فكان سلطانهم اذا امتد وقوى ينتهي الى مدينة تلمسان واذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لا يجاوز  
 سلطانهم البصرة وأصيلا وجرج النسر الى ان انقضت أيامهم وانقرضت مدتهم والبقاء لله وحده وكان  
 في هذه المدة من الاحداث انه في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة كانت ريح شديدة قلعت الاشجار  
 وهدمت الديار وقتلت الرجال (وفي ليلة الثلاثاء الثامن عشر من رجب منها ظهر في البحر شهاب ناقب  
 مائل كالعمود العظيم أضاء الليل لسطوع نوره وأشبهت تلك الليلة ليلة القدر وقارب ضوءها ضوء النهار  
 (وفي هذا الشهر أيضا) كسف النيران فحسف القمر ليلة أربع عشرة منه وطلعت الشمس كاسفة في اليوم  
 الثامن والعشرين منه (وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة كان الجراد بالمغرب (وفي سنة اثنتين  
 وستين بعدها دخل مغراوة المغرب وملكوه وتعرف هذه السنة بسنة لقمان المغراوى وفيها  
 توفي الشيخ الفقيه الصالح الفاضل أبو ميمونة دراس بن اسمعيل وهو أول من أدخل مدونة صحنون مدينة  
 فاس وذكر الرشاطي ان وفاته كانت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ولعله أصح (وفي سنة سبع وسبعين  
 وثلاثمائة عم الجراد بلاد المغرب كلها (وفي سنة ثمان وسبعين بعدها كان الفيض الذي فاضت منه  
 جميع أودية المغرب (وفي سنة تسع وسبعين بعدها كانت ريح الشرقية بالمغرب ودامت ستة أشهر  
 فاعقبت وباء عظيمًا وأمر أيضا كثيرة (وفي سنة ثمانين وثلاثمائة تدارك الله عباده وكان الرخاء المضطرب  
 بالمغرب فكان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثيره وكان الفلاحون وأصحاب الحرث يتركونه قائما في  
 محافلهم لا يحصدونه لخصه

الخبر عن دولة زناتة من مغراوة وبنى يفرن بفاس والمغرب

ينبغي أن نقدم هنا كلاما يكون كالتوطئة لاخبار هذه الدولة المغراوية فتنقول ان هذه الدولة لم يكن لها  
 استقلال بالمغرب وفاس وانما كانت رياستها تحت نظر الامويين بالاندلس ثم ان مغراوة وبنى يفرن  
 قبيلتان من أعيان قبائل زناتة وكان مغراوو يفرن أخوين شقيقين وهما ابنا صليتين بن مسرى بن زاكيا

ابن ورسيلك بن الديديت بن زانا وهو أبو زناتة وقد تقدم لنا في أخبار الفتح ان العمالة رضى الله عنهم  
 أسروا صولات بن وزمار كبير مغراوة لذلك العهد وبعثوا به الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فاسلم على يده  
 وولاه على قومه وقيل ان صولات هاجر الى عثمان رضى الله عنه طائعا من غير أسرفا كرمه وولاه فكان  
 بيت صولات بسبب هذه المزية نبيا في قومه مغراوة وسائر زناتة ولما مات صولات ورثها رياسته  
 من بعده ابنه حفص بن صولات ثم من بعده خزي بن حفص بن صولات ثم ابنه محمد بن خزي وهو الذي  
 غزاه ادريس بن عبد الله عدينة تلمسان وانقاد له وأجاب دعوته ودخل ادريس معه تلمسان وأصلح شأنها  
 وبني مسجد ها حسمات قدم الخبر عن ذلك مستوفي ثم لم تزل ذرية محمد بن خزي هذا تتوارث رياسة سلفهم  
 من بعدهم الى ان كان منهم في صدر المائة الرابعة أربعة أخوة وهم محمد بن خزي وعبد الله بن خزي ومحمد  
 ابن خزي وقليل بن خزي وكلهم رئيس شريف في قومه ولهم أخبار مع خلفاء الشيعة بأفريقية والمر وانين  
 بالاندلس يطول ذكرها مع انها ليست من موضوعنا ولما كانت سنة تسع وستين وثلاثمائة زحف بلطكين  
 ابن زيري بن مناد الصنهاجي صاحب أفريقية بعد العبيديين الى المغرب الأقصى وأناخ على مدينتي فاس  
 وقتل عاملها محمد بن أبي علي بن قشوش صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة  
 الاندلس واستعمل عليها محمد بن عامر المكاسي وأجفلت ملوك زناتة من بني خزي المغراويين وبني محمد  
 ابن صالح اليفرنيين أمامه وانحازوا جميعا الى سبته وعبر محمد بن الخير من آل خزي البحر الى المنصور بن أبي  
 عامر صريخان فخرج المنصور في عسكروه الى الجزيرة الخضراء عمدا لمهم بنفسه ووقفه بلطكين على  
 ابن جدون على حرب بلطكين الصنهاجي وأجاز له البحر وأمدته بمائة رجل من المال فاجتمعت اليه ملوك  
 زناتة وضمروا مصافهم بساحة سبته وجاء بلطكين الصنهاجي حتى صعد جبال تطوان وتسلم هضابها وأطل  
 على عساكر زناتة وأهل الاندلس بساحة سبته فرأى ما لا قبل له به ويقال انه لما عين ذلك قال هذه  
 أفقى فغرت الينا فها وكتر راجعا على عقبه فاجتاز على مدينة البصرة وكان بها حامية أهل الاندلس  
 وبها يومئذ هامة عظيمة فهدهما ثم صعد الى برغواطية ببلاد تامسان فجاهدهم وقتل ملكهم عيسى بن أبي  
 الانصار واستولى على المغرب أجمع وعفى دعوة بني أمية من نواحيه ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعين  
 وثلاثمائة وقدم الحسن بن كنون الادريسي من مصر الى المغرب يطلب ملك سلفه انضم اليه يدوان يعلى  
 ابن محمد بن صالح اليفرني في قومه وشايعه على مراده وسرح المنصور بن أبي عامر صاحب الاندلس اليه  
 ابن عمه أبا الحكم الملقب بعسكلاجة وانضم اليه آل خزي المغراويون وهم محمد بن الخير الأصغر وخزي ون  
 ابن قفل بن خزي ومقاتل وزيري ابتاعه بن عبد الله بن خزي وانضم اليهم سائر مغراوة وظاهروا  
 أبا الحكم عسكلاجة على شأنه في حصار الحسن بن كنون حتى طالب الامان لنفسه حسم استوفينا خبره  
 أنفتم تقدم عسكلاجة الى فاس فدخلها واستولى على عدوة الاندلس سنة خمس وسبعين وثلاثمائة  
 وخطب بها النبي أمية وبقي محمد بن عامر المكاسي عامل الشيعة بعدوة القرويين الى سنة ست وسبعين  
 وثلاثمائة فأتى أبو يباش فدخل عدوة القرويين بالسيف وقبض على محمد بن عامر المكاسي فقتله  
 وخطب بها النبي أمية أيضا هكذا في القرطاس ووقال ابن خلدون ان المنصور بن أبي عامر عدى على  
 المغرب بعد انصرف عسكلاجة عنه للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي وأطلق يده في الاموال  
 والرجال وأرسله اليه سنة ست وسبعين وثلاثمائة وأوصاه بالاحسان الى مغراوة ولاسيما ما اتل وزيري  
 ابتاعه طية لحسن انحياتهم الى المر وانين وصدق طاعتهم لهم واغراه بيدوان يعلى اليفرني لتمريره في  
 الطاعة وقيامه مع الحسن بن كنون فنفذ الوزير حسن بن عبد الودود اعلمه ونزل بفاس وضبط المغرب  
 أحسن ضبط واجتمعت عليه مغراوة ثم هلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين ورث رياسته على يادية  
 قومه أخوه زيري بن عطية وحسنت صحبتته للوزير حسن بن عبد الودود ومعاملته له ثم ان المنصور

ابن أبي عامر استدعى زيري بن عطية للوفادة عليه بقرطبة فوعد عليه وأحسن المتصور إليه ورفع منزلته ثم عاد إلى المغرب وأمره بقتال يدو بن يعلى اليفرقي فاجتمع عليه هو والوزير ابن عبد الودود فقَاتلوه فانتصر عليهم يدو بن يعلى وقتل الوزير ابن عبد الودود ثم عقد المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية من بعده على المغرب وقاس وكان ذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة هذا ملخص ما عند ابن خلدون في هذا الخبر ثم حكى بعده ما يخالفه مما ذكره مبسوطاً عن قريب وتوقف في أيهما الصواب والله أعلم

### خبر عن دولة زيري بن عطية المغرأوي بقاس والمغرب

هو زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغرأوي وعبد الله المذكور هو أحد الأخوة الأربعة من بني خزر يقال في القرطاس ملك على زناتة سنة ثمان وستين وثلاثمائة فقام في المغرب بدعوة هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور بن أبي عامر وذلك بعد انقراض دولة الأدارسة منه وبنى أبي العافية المذكورين فغلب زيري أولاً على جميع بوادي المغرب ثم ملك مدينتي قاس بعد عسكلاجة وأبي يياش دخلها سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فاستوطنها وصيرها دار ملكه واستقام له أمر المغرب فملا قدره وقوى سلطانه وارتفع شأنه وهو في ذلك متمسك بدعوة بني مروان أصحاب الأندلس والله غالب على أمره

### حديث أبي البهار الصنهاجي مع المنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك

كان أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي قد خالف على ابن أخيه منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أمير إفريقية وظهير الدولة العبيدية وخلع دعوة الشيعة ومال إلى دعوة المرأتين وغلب على المهديّة وتونس وشلسال وتلسان ووهران وشاف وكتير من بلاد الزاب وخطب للمؤيد وحاجبه المنصور ابن أبي عامر وبعث يبيعه اليهم وذلك في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فلما وصلت بيعته إلى المنصور بن أبي عامر بعث إليه بعهدته على ما بيده من البلاد وهدية وخلع وباربعين ألف دينار فلما قبض أبو البهار المال والهدية أقام على بيعتهم نحو الشهرين ثم خلعهم وعاد إلى العبيديين فبلغ ذلك المنصور فغاضبه وكتب إلى زيري بن عطية بعهدته على بلاد أبي البهار وأمره بقتاله عليها فسار إليه زيري بن عطية من قاس في جيوش لا تحصى من قبائل زناتة وغيرهم ففر أبو البهار أمامه ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين وترك له البلاد فلما ذلك زيري بن عطية تلسان وسائر أعمال أبي البهار فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الأقصى إلى الزاب وكتب بالفتح إلى المنصور بن أبي عامر وبعث له بهدية عظيمة فيها ما تافرس من عتاق الخيل وخمسون جلامهراً بأسبقة وألف درقة من جلود اللط وأجال كثيرة من قسي الزان وقطوط الغالية والزرافة وأصناف الوحوش الصراوية كاللظ وغيره وألف جل من التمر الجيد في جنسه وأجال كثيرة من ثياب الصوف الرقيقة فسرى بها المنصور وكافأه عليها وكتب له بتجديد عهده على المغرب وذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وأقام زيري بن عطية بقاس وأسكن قبيلة بأصنامها بالقرب منها في قباطينهم ودفع بني يفرن عن قاس وأحوالها إلى نواحي سلا فاستولوا عليها كما سيأتي

### وفادة زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر بالأندلس

لما كانت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة استدعى المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية أن يقدم عليه بقرطبة فاستخلف على المغرب ولده المغز بن زيري وأمره بسكني تلسان واستخلف على عدوة الأندلس من قاس عبد الرحمن بن عبد الكريم بن نعلبة وعلى عدوة القرويين منها على بن محمد بن أبي علي بن قشوش وولى قضاء المدينتين الفقيه الفاضل أبا محمد قاسم بن عامر الأزدي وسار إلى الأندلس وقدم بين يديه هدية عظيمة من جلته طائر فصيح يتكلم بالعريسة والبربرية ودابة من دواب المسك ومهارة وحشية تشبه الفرس وحيوانات غريبة وأسدان عظيمان في قفه من حديد وثني كثير من التمر في غاية الكبر

الواحدة منه تشبه الخيارة عظما وحل معه من قومه وعبيده ثلاثمائة فارس وثلاثمائة راجل فاحتفل المنصور لقدمه احتفالا عظيما وبرز الخاصة والعامة للقائه وأنزله بقصر جعفر الحاجب وتوسع له في الجرايات والاكرام ولقبه باسم الوزير وأفاض عليه أموالا جسيمة وخلعنا نفيسة وعجل بسراجه الى عمله بعد ان جدد له عهده على المغرب وعلى جميع ما غلب عليه منه فعبر البحر واحتل مدينة طنجة فلما استقرت بها وضع يده على رأسه وقال الا ان علمت انك في فاستقل ما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذي سماه به ولقد خاطبه به بعض رجاله فقهاء عن ذلك وقال وزير من يالكع لا والله الا أمير بن أمير واعجبا لابن أبي عامر ومخرقته لان نسمع بالمعدي خير من أن تراه والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله وان له مناليوما وبلغت مقاتله المنصور فصرّ عليها أذنه وزاد في اصطناعه الى ان كان ما ذكره

### ﴿استيلاء يدو بن يعلى اليفرنى على قاس ومقتله﴾

تقدم لنا ان بني يفرن من أعيان قبائل زناتة وكان يدو بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى قد قام بأمر بني يفرن بعد مقتل أبيه يعلى بن محمد حين قتله جوهر الكاتب قائد الشيعة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة فملك يدو كثيرا من وادى المغرب واتصلت رياسته الى هذا التاريخ وتقدم لنا ان مغراوة دفعوا بني يفرن الى سلا وأحوازها فاستولوا عليها وكان الامير يدو بن يعلى مضاهيا لزي بن عطية في الحسب والفضل والمال ولما استدعى المنصور بن أبي عامر زيري بن عطية للوفادة المتقدمة أراد أن يفعل بيدو بن يعلى مثل ذلك وكان قصده أن يكرهه لانه كان لا يطمئن اليه اطمئنان زيري بن عطية فأساء يدو بن يعلى اجابة المنصور وقال متى عهد المنصور رجرا الوحش تنقاد لياطرة فاقصر عنه المنصور وكانت بين زيري ويدو بن يعلى منافسات ومنازعات على الرياسة بالمغرب فكان يدو بن يعلى اذا غلب على زيري دخل مدينة قاس واستولى عليها واذا غلب عليه زيري أخرجه عنها وملكها وكانت الحرب بينهما مباحا ولا ستمت الرعية بقاس كثرة تعاقبهم عليها ثم لما سافر زيري بن عطية الى الاندلس انتهز يدو بن يعلى الفرصة في غيبته فزحف الى قاس ودخل منها عدوة الاندلس بالسيف في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وقتل بها خلقا كثيرا من مغراوة فلما نزل زيري بن عطية بطنجة اتصل به خبر يدو بن يعلى واستيلائه على قاس فامرع السير نحوه حتى نزل قريبا من قاس فكانت بينهما حرب شديدة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبني يفرن الى ان هزمه زيري واقطمع عليه فاساعته وقتله ومثله به وبعث برأسه الى المنصور بن أبي عامر بقرطبة وذلك سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

### ﴿بناء مدينة وجدة﴾

لما قتل زيري بن عطية يدو بن يعلى صفاله أمر المغرب ولم يبق له به منازع وهابته الملوك وبقى الامر مستقيما بينه وبين المنصور في الظاهر فسمت هتمته الى بناء مدينة تكون خاصة به ويقومه وأرباب دولته فبنى مدينة وجدة وشيّد أسوارها وأحكم قصبها وركب أبوابها وسكنها بأهلها وحشمه ونقل اليها أمواله وذخائره وجعلها قاعدة ملكه لكونها واسطة البلاد وتغرا للعمالين المغرب الاقصى والاوسط وكان اختطاطه اياها في شهر رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ولم يزل زيري بن عطية في علو سلطان وارتفاع شان الى سنة ست وثمانين وثلاثمائة ثم حدث ما ذكره

### ﴿حدوث النفرة بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر وما نشأ عن ذلك﴾

ثم فسد ما بين المنصور وبين زيري بن عطية واتصل بالمنصور أن زيري يتنقصه ويعرض في شأنه ويحججه على المؤيد ويتكلم فيه بالتبعية فقطع المنصور عنه رزق الوزارة الذي كان يجريه عليه في كل سنة ومضى اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه فغرم زيري على خلافه فقطع ذكره من الخطبة واقصر على ذكر



هشام المؤيد وطرد عماله من المغرب وألجأهم إلى سبتة فأنفذ إليه المنصور بن أبي عامر مولاه وأخما  
الفتى في جيش عظيم وأمده بالحجارة من سائر الطبقات وأزاح عائلهم وأفاض عليهم أموال اللنعات  
وأشوع السلاح والسكبي فعبروا وفتح البصر واستقر بمدينة طنجة فأنضم إليه بعض قبائل البربر من غمارة  
وصنهاجة وغيرهم وبايعوه على قتال زيري بن عطية ومن معه من قبائل زناتة فأفاض عليهم أموال  
والأموال ثم أمده المنصور بمن كان معه بالاندلس من ملوك البربر النازعين عن زيري بن عطية إليه  
فتكاملت جيوشه وخرج بهم ووضح من طنجة يؤتم فاسا فاقبل خبره بزيري بن عطية فخرج إليه من فاس  
في عساكر زناتة فالتقى الجمعان بوادي زادات فكانت بينهما حرب وبعد العهد بمثلها مدة من ثلاثة أشهر  
إلى أن انهزم ووضح وقتل أكثر جيشه وفر واضح إلى طنجة فدخلها منهزما وكتب إلى المنصور يطلب منه  
المدد وهو قال إن خلدون يهجم إن وأصحابه برز من طنجة وزحف إليه زيري بن عطية توافقا ثلاثة أشهر  
ثم تناول واضح أصيلا ونكور فضبطهما واتصلت الوقائع بينهما وبين زيري ثم بيت واضح معسكر زيري  
بنواحي أصيلا وهم غارتون فواقع بهم وخرج المنصور من قرطبة فوصل إلى الجزيرة الخضراء ثم أجاز ابنه  
عبد الملك المظفر بجميع عسكر الاندلس وقوادها حتى بقي المنصور وحده وأمره بحرب زيري بن عطية  
فركب المظفر البحر من الجزيرة الخضراء إلى سبتة واتصل بحسب المظفر بزيري بن عطية فخافه وأخذ في  
الاستعداد للافاته وكتب إلى جميع قبائل زناتة يستصرخهم فأتته الوفود من بلاد ملوية وتلمسان  
والزاب وسائر بوادي زناتة فنهض بهم إلى قتال عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبرز عبد الملك من  
طنجة ومعه واضح الفتى في جيوش لا تحصى والتقى الجمعان بوادي منى من أحواز طنجة فكانت بينهم  
حرب أعظم من الأولى ودام القتال بينهم يوما إلى الليل وكان في عسكر زيري بن عطية غلام أسود اسمه  
سلام كان زيري قد قتل أخاه فوجد القرصة إليه فانتزها وضربه بسكين في نحره ثلاث ضربات فاشواه  
أي لم يصب مقتله ومر الأسود يشتم نحو المظفر وبشره بقتل زيري فاستكذبه ثم سقط إليه الخبر الصحيح  
بان زيري قد أئبت فشد عليهم عبد الملك وهم في حال دهشة من جرح أميرهم فهزمهم واستمرت الهزيمة  
على زيري وأصحابه وأئخن فيهم عبد الملك بالقتل وملك محلة زيري بأسرها واحتوى على جميع ما فيها من  
المال والسلاح والكرع والأبل والعدة فاستولى من ذلك على ما لا يأخذ هذه الحصر ومضى زيري على  
وجهه حتى انتهى إلى موضع يعرف بمضيق الحية بالقرب من مكاسة فعسكر به واجتمع إليه الفل من  
قومه وعزم على الرجوع لئلا تجزأ المظفر فاتصل الخبر بالمظفر فانتخب من عسكره خمسة آلاف فارس  
وقدم عليهم وأخما الفتى ونهضوا إلى زيري بن عطية فاضروا في محله ليلًا بمضيق الحية وهم آمنون  
فاوقعوا بهم وقعة عظيمة أسرف فيها من أشرف مغراوة نحو ألفي رجل وذلك في منتصف رمضان سنة سبع  
وثمانين وثلاثمائة فامتن عليهم عبد الملك المظفر وأركبهم معه فكانوا من جنده وفرز زيري بن عطية  
في شردمة من أصحابه وبني حمة فأنتهى إلى فاس فأغلق أهلها الأبواب ودونه فسألهم أن يخرجوا إليه عياله  
وأولاده فخرجوهم إليه وأعطوه مع ذلك الزاد والدواب فأخذهم وانصرف إلى الصحراء فنزل بلاد  
صنهاجة وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى

وقدوم عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر مدينة فاس وما كان من شأنه بها

لما انهزم زيري بن عطية من مضيق الحية إلى الصحراء نهض عبد الملك المظفر من معسكره يوم فاسا  
فدخلها يوم السبت منسج شوال سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فاستقبله أهلها مستبشرين به فأحسن  
لقاءهم وكتب إلى أبيه المنصور بالفتح فقرأ الكتاب على منبر جامع الزهراء من قرطبة وعلى منابر مساجد  
الاندلس كلها شرقا وغربا وأعتق المنصور ألفا وخمسمائة مملوك وثلاثمائة مملوك تشكرا لله تعالى وفرق  
أموالا كثيرة على الفقراء وذوي الحاجات وكتب إلى ولده المظفر بهدده على المغرب وأوصاه بحسن

السيرة والعدل فقري كتابه على منبر مسجد القرويين وذلك يوم الجمعة آخر ذي القعدة من السنة المذكورة وانصرف واضح الى الاندلس واستوطن عبد الملك مدينة فاس وعدل فيها عدلا لم يعهدوه من أحد قبله وأقام بها ستة أشهر ثم صرفه والده عنها الى الاندلس وبعث اليها عوضا منه عيسى بن سعيد صاحب الشرطة فأقام واليا عليها الى صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة فعزله المنصور عنها وعما كان ولاءه من بلاد العدو وولي عليها واخا الفتي وانصرف عيسى بن سعيد الى الاندلس من السنة المذكورة

### ﴿بقية أخبار زيري بن عطية﴾

لما نزل زيري بن عطية ببلاد صنهاجة وجدهم قد اختلفوا على ملكه - مباديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد صاحب افريقية فارسل زيري بن عطية في قبائل زناتة حائرين فأتى منهم - مخلق كثير من مغراوة وغيرهم فأغتم زيري تلك الفرصة من صنهاجة فزحف اليهم وأوغل في بلادهم وهزم جيوشهم ودخل مدينة تاهرت وجملة من بلاد الزاب وملك مع ذلك تلمسان وشلف والمسيلة وأقام بها الدعوة للتوحيد وحاصر مدينة أشير فاعده ببلاد صنهاجة وكتب الى المنصور بن أبي عامر بذلك يسترضيه ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان أعيد الى ولايته وبينما هو محاصر لا شير يباكرها ويرأوحها بالقتال انتقضت عليه جراحاته التي كان جرحه الاسود فمات منها سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

### ﴿الخبر عن دولة المعز بن زيري بن عطية المغربي﴾

لما هلك زيري بن عطية اجتمع آل خزر وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيري فبايعوه ووضبط أمرهم وأقصر عن محاربة صنهاجة وصالح المنصور بن أبي عامر وقام بدعوته ورجع الى طاعته ولم يزل على ذلك الى ان توفي المنصور وولي ابنه بعده عبد الملك المظفر فبايعه المعز أيضا ودعا له على منابر فعزل المظفر واخا الفتي عن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الاندلس وكتب الى المعز بن زيري بهده على فاس وسائر أعمال المغرب حواضره وبواديه وذلك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وشرط له المعز ان يؤدي اليه في كل سنة مالا معلوما وخيلا ودرقا يصل ذلك الى قرطبة وأعطاه مع ذلك ولده معنصر بن المعز رهنا وكانت نسخة كتاب العهد بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وصلى الله على سيدنا محمد وآله من الحاجب المظفر سيف الدولة دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الى كافة أهل مدينتي فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله (أما بعد) أصح الله شأنكم وسلم أنفسكم وأديانكم فالجهد لله علام الغيوب وغفار الذنوب ومقلب القلوب ذي البطش الشديد المبدي المعيد الفعالم لما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه بل له الملك والامر ويده الخير والشر اياه نعبد وياه نستعين واذ قضى أمر افاغما يقول له كن فيكون وصلّى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وجميع الانبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين وان المعز بن زيري ابن عطية أكرم الله تابع رسوله لدينا وكتبه متصلا من ههنا دفعته اليها ضرورات ومستغفرا من سيئات حطمتها من توبته حسنات والتوبة مجحاة الذنوب والاستغفار منقذ من العيب واذا أذن الله بشئ يسره وعسى أن تكرهوا شيئا ولم يكن فيه خيرة وقد وعد من نفسه استشهارة الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة وحسن المعونة وخفة المؤنة فولينا ما قبلكم وعهدنا اليه ان يعمل بالعدل فيكم وأن يرفع أعمال الجور عنكم وأن يعمر سبلكم وأن يقبل من محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم الا في حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى بالله شهيدا وقد وجهنا الوزير أبا علي بن حذيم أكرم الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ بشأنه ويؤكده العهد فيه عليه بذلك وأمرناه بأشراككم فيه ونحن بأمركم معتنون ولا حوالكم مطلقون وأن يقضى على الاعلى للادنى ولا يرضى

فيكم بشئ من الادنى فثقوا بذلك واسكنوا اليه وليعض القاضى أبو عبد الله أحكامه مشدودا ظهره بنا معقودا سلطانه بسلطاننا ولا تأخذه في الله لومة لائم فذلك ظنتا به اذوليناه وأملنا فيه اذ قلدناه والله المستعان وعليه التكلان لا اله الا هو ولتبلغوا مناسلا ما طيبا جزيلا ورحمة الله وبركاته ولما وصل الى المعز بن زيري العهد بولايته على المغرب ما عدا كورة سجلماسة فانها كانت لبني خزرون بن فلفل ضم نشره وثاب اليه نشاطه وبث عماله في جميع كور المغرب وجبا خراجها ولم تزل ولايته متسقة وطاعة رعاياه منتظمة الى ان افترق أمر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة بها فاضطرب أمر المغرب على المعز وأقام على ذلك الى ان هلك سنة سبع عشرة وأربعمائة كذا عند ابن خلدون وفي القرطاس لم تزل بلاد المغرب أيام المعز في غاية الهدنة والعافية والرخاء والامن الى ان توفي في جادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة والله أعلم \* وأما ابنه معنصر فانه أقام بقرطبة الى ان قامت الفتنة بالاندلس وانقرضت الدولة العامرية فانصرف معنصر الى أبيه وعشيرته بفاس ووحى في القرطاس انه لما كانت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وتوفي عبد الملك المنظروولى بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور ابن أبي عامر بعث اليه المعز بن زيري بهدية نفيسة فيها خسون فرسا وكان ولده معنصر من تنها عنده بقرطبة كما قلنا فأحضر الحاجب عبد الرحمن معنصر بن المعز حين وصلت اليه هدية أبيه فباع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه بالهدية وبعث به الى أبيه مكرما فجمع مع المعز كل فرس كان عنده وبعث به الى قرطبة وكان مبلغ عدد الخيل تسعمائة فرس ولم تصل من المغرب الى الاندلس هدية أعظم منها

#### الخبر عن دولة جماعة بن المعز بن عطية المغراوي

لما توفي المعز بن زيري بن عطية وولى به ابن عمه جماعة بن المعز بن عطية وليس باين له كما زعم بعض المؤرخين وانما هو ابن عمه وقع الاتفاق في بعض الاسماء فنشأ الغلط واستولى جماعة على عمل فاس والمغرب واستفحل ملكه وقصده الامراء والعلماء وآتته الوفود ومدحه الشعراء وكانت الدولة بالاندلس قد تداعت الى الاختلال فكان ذلك من أسباب استئصال الدولة المغراوية بفاس والمغرب واستقلالها بالامر فكان لجماعة من الظهور ما ذكرناه الى ان أصابته عين الكمال بمنازعة أبي الكمال على ما نذكره

#### الخبر عن ثورة أبي الكمال تميم بن زيري اليفرنى واستيلائه على فاس وأعمالها

قد تقدم لنا ان بني يفرن كانوا قد تحيزوا الى نواحي سلا فاستولوا عليها وعلى مدينة شالة ثم ملكوا تادلا وما والاها من البلاد ثم لما كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة كان الامير على بني يفرن أبا الكمال تميم بن زيري بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى فزحف من سلا الى فاس في قبائل بني يفرن ومن انضاف اليهم من زناتة وبرزالية جماعة في جوع مغراوة ومن اليهم فكانت بينهم حرب شديدة أجلت عن هزيمة جماعة ومات من مغراوة أم واستولى تميم على فاس وأعمال المغرب ودخلها في جادى الاخرة من السنة لمذكورة واستباح يهود فاس فقتل منهم أكثر من ستة آلاف يهودى وسباح مهم واصطلم نعتهم بالمرءة يلحق جماعة بوجدة فاستمد من كان هنالك من قبائل مغراوة وزناتة وانجاد قبائل ملوية وانتهى الى فاس فاستنصر من هنالك من زناتة وبعث الحاشدين في قباطينهم الى جميع بلاد المغرب الاوسط وكاتب من بعد عنه من رجالهم فاجتمع له من ذلك جم غفير ثم زحف الى فاس سنة تسع وعشرين وأربعمائة فأفرج عنها أبو الكمال وولق ببلده ومقر ملكه من شالة وأقام بها الى ان هلك سنة ست وأربعين وأربعمائة كانت مدة استيلائه على فاس وأعمالها خمس سنين وقيل سبع سنين وكان أبو الكمال اليفرنى يقلب عليه لجفاء والجهل ومع ذلك فقد كان صابا في دينه مستقيما فيه مولعا بجهاد برغواطة كان يغزوهم مرتين في لسنة الى ان توفي ولما كانت سنة اثنتين وستين وأربعمائة وقتل ابنه في حرب لتونة جاؤا به ليهدقوه لي جانب قبر أبيه أبي الكمال فسمعوا من قبره تكبيرا وتشهدا كثيرا فنبشوا قبره فالفوه لم يتغير منه شئ

ثم راه بعض قرابته في النوم فقال له ما هذا التكبير والتشهد الذي سمعناه من قبرك قال تلك الملائكة وكلمهم الله بقبري يكبرون ويهللون ويسبحون ويكون ثواب ذلك لي الى يوم القيامة قال وبم نلت ذلك قال بجهادى برغواطة حكي هذا الخبر في القرطاس والله على كل شئ قدير وأقام حمامة في سلطان فاس والمغرب الى ان توفى سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقيل غير ذلك

### الخبر عن دولة دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي

لما توفى حمامة بن المعز ولي بعده ابنه دوناس بن حمامة ويكنى أبا العطف واستولى على فاس وسائر ما كان لآبيه من مدن المغرب وأعماله وخرج عليه لأول دولته ابن عمه جاد بن معنصر بن المعز بن عطية فحزرت له معه حروب وخطوب وكثرت جوع حصاد وغلب على ضواحي فاس وحاصرها حصارا شديدا وقطع عن عدوة القرويين جوية الوادي واحتقر السياج المعروف بسياج جاد ويقال ان دوناس خندق به على نفسه واستمر جاد محاصر الفاس الى ان هلك سنة خمس وثلاثين وأربعمائة فاستقامت دولة دوناس وانقضت أيامه وصار الناس في هدنة ودعة ورخاء كثير وفي أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحي فأدار دوناس السور على أرباضها وبني بها المساجد والحمامات والفنادق واستجر عمرانها فصارت حاضرة المغرب من يومئذ ولم يشغل دوناس من يوم ولي الى ان توفى الابالبناء والتشييد وكانت وفاته في شوال سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

### الخبر عن دولة فتوح بن دوناس المغراوي

لما توفى دوناس بن حمامة ولي بعده ابنه الفتوح بن دوناس وتزل بعد دولة الاندلس ونازعه الامر أخوه الاصغر واسمه عجيصة وكان شهما محر با فاستولى على عدوة القرويين واستبد على أخيه وافترق أمر فاس وأعمالها بافتراقها وقامت الحرب بينهما ما على ساق وبني الفتوح بعد دولة الاندلس قصة منيعة بالموضع المعروف بالكتكان وبني عسيجة أيضا قصة مثلها برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين وكثرت العداوة بينهما واستحكمت فكانا لا يفتران عن القتال ليل لاونهارا وعظم الخوف بالمغرب وكثرا المخرج وغلت الاسعار واشتدت الجماعة وظهرت لمتونة على أطراف البلاد فلكوها والامر لازل والحال ما حال وليس لاهل فاس شغل الا القتال واستمر الامر على ذلك ثلاث سنين الى ان بيت الفتوح عسيجة فاقصم عليه عدوة القرويين ليل لا فقتله واستولى على العدوتين معا والفتوح بن دوناس هذا هو الذي بنى باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلي وبه عرف الى الآن وأخوه عسيجة هو الذي بنى باب عسيجة برأس عقبة السعتر من عدوة القرويين من ناحية الجوف وبه عرف أيضا الى الآن فلما نظر الفتوح عجيصة وقتله أمر بتغيير اسم الباب المنسوب اليه فاسقط الناس العين من عجيصة وعوضوا عنها الالف واللام فمما لبث الباب عجيصة قاله في القرطاس وهو قال ابن خلدون خففوه لكثرة الاستعمال ولم يزل لفتوح مستوليا على فاس الى ان دهم المغرب مادهم من أمر المرابطين من لمتونة وخشى الفتوح مغبة لك فافرج عن فاس وتخلى عنها وزحف صاحب القلعة بالكين بن محمد بن جاد الصنهاجي الى المغرب سنة أربع وخمسين وأربعمائة ودخل فاسا واحتمل من أسكابه وأشرافها عدد ارهنا على الطاعة فقل الى قلعته

### الخبر عن دولة معنصر بن جاد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوي

اتخذ الفتوح بن دوناس على ملك فاس وأعمالها فاقام بالامر به سنة قريية معنصر بن جاد بن معنصر بن المعز بن عطية فبايعته قبائل مغراوة الذين بفاس وأحوارها وذلك في رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة وكان معنصر ذا حزم ورأى وشجاعة واقدام وشغل بمسألة كانت له عليهم الواقعة

المشهوره ثم غلب يوسف بن تاشفين على قاس وخلف عليها عام له وارتحل الى غماره وفتح الكثير من بلادها حتى اشرف على طنجة ثم رجع الى حصار قاعة فازاز فخالفه معنصر الى قاس وملكها وقتل العامل ومن معه من لمتونة ومثل بهم بالحرق والصلب واتصل الخبير بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقاعة فازاز فاستدعى مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مكاسة ليستجيش به على قاس فاستعرضه معنصر في طريقه قبل أن تتصل أيديهم ما وناجزه الحرب ففض جوعه وقتله وبعث برأسه الى وليه الحاجب سكوت البرغواطى صاحب سبتة واستصرخ أهل مكاسة بيوسف بن تاشفين فسرح عساكر لمتونة الى حصار قاس فأخذوا بمخنقها وقطعوا المرافق عنها وألجوا بالقتال عليها حتى اشتد بها الهل الحصار ومسهم الجهد وبرز معنصر لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه وفقد في المحمة ذلك اليوم سنة ستين وأربعمائة فلم يدربا فعل الله به سبحانه وتعالى

### الخبر عن دولة تميم بن معنصر المروى

لما فقد معنصر بن حماد في المحمة التي كانت بينه وبين اللتونيين بايع أهل قاس من بعده لابنه تميم ابن معنصر فكانت أيامه أيام حصار وقتنة وجهد وغلا وشغل يوسف بن تاشفين عنهم بفتح بلاد غماره حتى اذا كانت سنة اثنتين وستين وفتح من فتح غماره صمد الى قاس فحاصرها أياما ثم اقتحمها غنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكاسة وغيرهم وهلك تميم بن معنصر في جلتهم حتى عجز الناس عن مواراتهم فرادى فاتخذوا لهم الاخاديد وقبر واجاعات وخلص من نجاس القتل منهم الى تلسان قاله ابن خلدون (وقال في القرطاس) دخل يوسف بن تاشفين مدينة قاس الدخلة الثانية الكبرى فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن في أزقتها وجوامعها ما يزيد على العشرين ألف رجل وذلك سنة اثنتين وستين وأربعمائة وانقرضت دولة مغراوة من المغرب والبقاء لله وحده وكانت مدة دولتهم نحو مائة سنة وفي دولتهم عظم شأن قاس وبنيت الاسوار على أرباضها وحصنت أبوابها وزيد في مسجد فيها القرويين والاندلس زيادة كثيرة واتسع الناس في أيام مغراوة في البناء فعظمت قاس واستبحر عمرانها وكثرت خيراتها واتصل الامن والرخاء جل أيامهم الى ان ضعفت أحوالهم وجاروا على رعيتهم بأخذ أموالهم وسفك دماهم والتعرض لحرهم فانقطعت عنهم المواد وكثر الخوف في البلاد وغلت الاسعار وبلا الله عباده بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والتمرات وذلك في دولة الفتوح ابن دوناس ومن بعده فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يلجئون على الناس دورهم فيأخذون ما يجدون بها من الطعام ويتعرضون لنسائهم وصبيانهم ويأخذون أموال التجار فلا يقدر أحد أن يصددهم عن ذلك وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على قنة جبل العرض فينظرون الى الدور التي بالمدينة فاذا رأوا دارا بها ادخان قصدها وأخذوا ما وجدوا بها من طعام أو غيره ومن قمرض لهم في ذلك قتالوه فلما ارتكبوا هذه العظائم سلمهم الله ملكه وغير ما بهم من نعمه والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فسلط الله عليهم المرابطين فحوا آثارهم من المغرب ونفروهم عنه بالكيفية وطهروه من جورهم وفي أيامهم اتخذ أهل قاس المطامير في بيوتهم للطبخ لئلا يسمع دوى الرحي فتقصدهم سفهاء مغراوة (وفيها أيضا) اتخذوا غرقالا هراقي لما حتى اذا كان عشى النهار صعد الرجل باهله وعياله اليها بسلم ثم رفع السلم معه لئلا يدخل عليه فجأة وكان من هذا شئ كثير \* وكان من الاحداث في هذه المدة انه في ليلة الخميس الثالث والعشرين من رجب سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ظهر نجم في السماء كان في رأى العين مثل الصومعة العظيمة طلع من جهة المشرق وتمافت جريا فبما بين المغرب والجوف وتطير منه شرر عظيم فزع الناس منه واستغاثوا بهم في صرف مكر وهه عنهم \* وفي سنة اثنتين وثمانين بعدها كان الكسوف الكلى الذي أذهب جميع القرص \* وفي سنة خمس وثمانين

وثلاثمائة كانت الرياح الهائلة التي تظفر الناس فيها الى البهايم تمس بين السماء والارض نعوذ بالله من  
سخطه \* وفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة طلع الكوكب الوقاد وهو نجم عظيم ضخم الجرم كثير الضياء  
\* وفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة طلع نجم عظيم من ذوات الاذنان شديد الارتعاد \* وفي سنة سبع  
وأربع مائة انقضت دولة بني أمية بالاندلس وقامت بهادولة بني حو ودفكانت مدتها نحو سبع سنين  
وانقضت أيضا واقترق أمر الجماعة بالاندلس وصار الملك بها طوائف الى ان نسخ ذلك يوسف بن  
تاشفين \* وفي سنة إحدى وعشيرة وأربعمائة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تاهرت الى سجلماسة  
وكثر الفناء في الناس نسأل الله العافية \* وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة كانت الزلزلة العظيمة بالاندلس  
اضطربت لها الارض وانهدت الجبال \* وفي سنة سبع عشرة وأربعمائة توفي الفقيه ابن الجوز  
يفاس \* وفي سنة ثلاثين وأربعمائة توفي الشيخ الفقيه أبو عمران الفاسي قال في التشوف أبو  
عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي أصله من مدينة فاس ونزل بالقيروان فأخذ عن أبي الحسن  
القاسبي ثم رحل الى بغداد فحضر مجلس القاضي أبي بكر بن الطيب ثم عاد الى القيروان وبها مات لثلاث  
عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة وكان مقدا في الفضل والامانة اه

### الخبر عن الدولة الصنهاجية المتوالية المرابطية وأوليتها

قد تقدم لنا عند الكلام على نسب البربر وشعوبها أن صنهاجة إحدى قبائل البرانس من البربر وانهم  
أعظم قبائلها بالمغرب لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسية حتى زعم كثير  
من الناس انهم ثلاث البربر وتقدم لنا ان النسايين من العرب زعموا ان صنهاجة وكثارة من حير خلفهم  
الملك افريقيش بالمغرب فاستحالت لغتهم الى البربرية والتحقيق خلاف ذلك وانهم من كنعان بن حام  
كسائر البربر وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي الى السبعين منهم مأتونة وكذاتة ومسوفة ومسراتة  
ومداسة وبنو وارث وبنو دخير وبنو زيا وبنو موسى وبنو فشتال وغير ذلك وتحت هذه القبائل بطون  
وأفخاذ تغوت الحصر وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان احدهما دولة بني زيري بن مناد الصنهاجين  
بافريقية ورواها لكها من يد الشيمية العبيديين والاخرى دولة الملقين بالمغرب الأقصى والوسط  
والاندلس كاسياتي وموطن هؤلاء الملقين أرض الصراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد  
السودان ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولها في أربعة عرضا وفيهم قوم لا يعرفون حراث ولا زرا  
ولا فاكهة وانما أموالهم الانعام وعيشهم اللحم واللبن يقيم أحدهم عمره لا يأكل خبزا الا أن يمر ببلادهم  
التجار فيمتصونهم بالخبز والدقيق وانما قيل لهم الملقون لانهم يتلقون ولا يكشفون وجوههم أصل  
يقال ابن خلدكان \* اللثام سنة لهم يتوارثونها خلعها عن سلف وسبب ذلك على ما قيل ان حير كانت تنتم  
لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم فكثير ذلك حتى صار تفعله عامة م ر قيل كان سببه ان قوما من  
أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحى فيأخذون المال والحريم فأشار  
عليهم بهض مشائخهم ان يبعثوا النساء في زى الرجال الى ناحية ويقعدوهم في البيوت متلقين في زى  
النساء فاذا آتاهاهم العدو وظنواهم نساء خرجوا عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيف فقتلواهم  
فلزموا اللثام تبركابه بما حصل لهم من الظفر بالعدو \* وقال عز الدين ابن الاثير في كامله ما مثاله \* وقيل  
ان سبب تلثمهم ان طائفة من لتون تنزجوا مغيرين على عدوهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها  
الا المشائخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشائخ انه العدو وأمر النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويتلقن  
ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشائخ والصبيان أمامهن واستدار النساء  
باليوت فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فظنهن رجالا وقالوا هؤلاء عند حريمهم يقتالون عنهن قتال  
الموت والرأى ان نسوق النعم ونغضى فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فيمتاهاهم في جمع النعم من

المراعي اذا قبل الرجال الى الحى فبقي العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو خاقا كثيرا وكان من قتل النساء أكثر في ذلك الوقت جمعوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزلونه ليللا ولا نهارا وفي ذلك يقول أبو محمد بن حامد الكاتب

قوم لهم شرف العلى من حير \* واذا اتقوا صنهجة فهم هم  
لما حووا احراز كل فضيلة \* غلب الحياء عليهم قتلتموا

وقال ابن خلدون كان دين صنهجة أهل اللثام الميوسية شأن برابرة المغرب ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات الصحراوية حتى كان اسلامهم بعد فتح الاندلس وكانت الرياسة فيهم للتونة واستوسق لهم ملك ضخم عند دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس توارثه ملوك منهم من بنى ورتنطوا وطالت أعمارهم فيه الى الثمانين ونحوها وودقوا تلك البلاد الصحراوية وجاهدوا من بهامن أمم السودان وحاولهم على الاسلام فدان به كثير منهم واتقاهم آخرون بالجزيرة فقبلاوها منهم ثم افترق أمرهم من بعد ذلك وصلر ملكهم طوائف ورياستهم شيعا واستمر واعلى ذلك مائة وعشرين سنة الى ان قام فيهم الامير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت المتوفى فاجتمعوا عليه وأحبوه وبايعوه وكان من أهل الفضل والدين والجهاد والحج فلبث فيهم ثلاث سنين ثم استشهد في بعض غزواته

والخبر عن رياسة يحيى بن ابراهيم الكدالى وما كان من أمره مع الشيخ أبي عمران الفاسى رحمه الله

لما توفي أبو عبد الله بن تيفاوت قام بأمر صنهجة من بعده يحيى بن ابراهيم الكدالى وكداة ولتونة اخوان يجتمعان في أب واحد وكل منهما قبيل كبير يسكنون الصحراء التي تلي بلاد السودان ويليهم من جهة المغرب البحر المحيط فاستمر الامير يحيى بن ابراهيم على رياسة صنهجة وجرهم لاعدائهم الى ان كانت سنة سبع وعشرين وأربع مائة فاستخلف على صنهجة ابنه ابراهيم بن يحيى وارتحل الى المشرق برسم الحج فلما قضى حجه وزيارته نقل الى بلاده فمقر في عوده بالقيروان فلقى بها الشيخ الفقيه أبا عمران الفاسى وحضر مجلس درسه وتأثر بوعظه فراه الشيخ أبو عمران محباني الخير فأعجبه حاله وسأله عن اسمه ونسبه وبلده فأخبره بذلك كله وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق فقال له الشيخ وما ينتحلون من المذاهب قال انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كبير علم فاخبره الشيخ وسأله عن فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيئا الا انه حريص على التعلم صحيح النية والعقيدة فقال له الشيخ وما يمنعك من تعلم العلم قال يا سيدي عدم وجود عالم بارضى وليس في بلادى من يقرأ القرآن فضلا عن العلم ومع ذلك فأهل أوضى يجوبون الخير ويرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن ويدرس لهم العلم ويفقههم في دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الاسلام فلورغبت في الثواب من الله تعالى لبعثت معي بعض طلبتك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين فينتفعون به ويكون لك وله الاجر العظيم عند الله تعالى اذ كنت سبب هدايتهم فندب الشيخ أبو عمران تلامذته الى ذلك فاستصعبوا دخول أرض الصحراء وأشفقوا منها فقال الشيخ أبو عمران ليحيى بن ابراهيم انى أعرف ببلد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقا ورعا أخذ عنى علما كثيرا واسمه واجاح بن زلوا اللطى من أهل السوس الاقصى اكتب له كتابا لينظر في تلامذته من يبعثه معك فسر اليه لعلك تجد حاجتك عنده فكتب اليه الشيخ أبو عمران كتابا يقول فيه أما بعد اذا وصلك حامل كتابي هذا وهو يحيى بن ابراهيم الكدالى فابعث معه من طلبتك من تثق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الاسلام ويفقههم في دين الله ولك وله في ذلك الثواب والاجر العظيم والله لا يضيع أجر من أحسن عملا وأبو محمد واجاح هذا من رجال التسوف قال فيه ومنهم واجاح بن زلوا اللطى من أهل السوس الاقصى رحل الى القيروان وأخذ عن أبي عمران الفاسى ثم عاد الى السوس فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراء القرآن وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه

وإذا أصابهم قحط استسقوا به اه فسار يحيى بن ابراهيم بكتاب الشيخ أبي عمران حتى وصل الى الفقيه  
واچاح بمدينة نفيس فسلم عليه ودفع اليه الكتاب وكان ذلك في رجب سنة ثلاثين وأربع مائة فنظر  
الفقيه واچاح في الكتاب ثم جمع تلامذته فقرأ عليهم وندبهم لما أمر به الشيخ أبو عمران فانتدب لذلك  
رجل منهم يقال له عبد الله بن ياسين الجزولي وكان من حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والورع  
والسياسة مشار كافي العلوم فخرج مع يحيى بن ابراهيم الى العمراء وكان من أمره ما نقصه عليك

والخبر عن دخول عبد الله بن ياسين أرض العمراء وابتداء أمره بهم

لما انتهى يحيى بن ابراهيم الى بلاده ومعه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي تلقاه قبائل كدالة وبتونة  
وفرحو وبعدهما وتيمنوا بالفقيه وبالغوا في اكرامه وبرد فشرع يعلمهم القرآن ويقيم لهم رمم الدين  
ويسوسهم باداب الشرع وألغاهم يتزوجون أكثر من أربع حرائر فقال لهم ليس هذا من السنة  
وانما سنة الاسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حرائر فقط وله فيما شاء من ملك اليمين سعة وجعل  
يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وكبهم عن كثير من مآلوفاتهم الفاسدة وشد في ذلك فاطر حوه  
واستصعوا عمله وتركوا الاخذ عنه لما جشمهم من مشاق التكليف فلما رأى عبد الله بن ياسين  
اعراضهم عنه واتباعهم لاهوائهم عزم على الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا في دين الاسلام  
يومئذ فلم يتركه يحيى بن ابراهيم لذلك وقال له انما أتيت بك لانتفع بملك في خاصة نفسي وما على فيمن ضل  
من قومي وكان قومه ليس عندهم من الاسلام الا الشهادة دون ما عداها من أركان الاسلام وشرائعه  
ثم قال يحيى بن ابراهيم لعبد الله بن ياسين هل لك في رأي أشير به عليك ان كنت تريد الاخرة قال وما هو  
قال ان ههنا جزيرة في البحر قال ابن خلدون هو بحر النيل يحيط به من جهاتها يكون خجضا  
في المصيف يخاض بالاقدام وغمر في الشتاء يعبر بارز وارق قال يحيى بن ابراهيم وفيها الحلل المحض من  
شجر البرية وصيد البر والبحر تدخل فيها ونقتات من حلالها ونعبده الله تعالى حتى تموت فقال عبد الله بن  
ياسين ان هذا الرأي حسن فهم بنا فلندخلها على اسم الله فدخلها ودخل معهم سبعة نفر من كدالة  
وابتقى عبد الله وابطة هناك وأقام في أصحابه يعبدون الله تعالى مدة من ثلاثة أشهر فتمسح الناس بهم  
وانهم اعترلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثروا لواردون عليهم والتواؤن لديهم فأخذ  
عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الخير ويرغبهم في ثواب الله ويحذرهم ألم عقابه حتى تمكن  
حبه من قلوبهم فلم تمر عليه الامدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل وكان من أمرهم  
ما سمعته عن قريب

وشروع عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه بالدعوة وما كان من أمره في ذلك

لما اجتمع الى عبد الله بن ياسين من أشرف صنهجة نحو ألف رجل سماهم المرابطين للزومهم رابطة  
ولما تقهروا ورشح فيهم الدين قام فيهم خطيبا فوعظهم وشوقهم الى الجنة وخوفهم من النار وأمرهم  
بتقوى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخبرهم بما في ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم جزائه  
ثم ندبهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهجة وقال لهم معشر المرابطين انكم اليوم جمع كثير نحو ألف  
رجل ولن يغلب ألف من قلة وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد أصحكم الله تعالى وهذاكم  
الى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم بان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر  
وتجاهدوا في الله حق جهاده فقالوا له أيها الشيخ المبارك من تأبنا شئت تجدنا سامعين لك مطيعين  
ولو أمرتنا بقتل آبائنا فعلنا فقال لهم انرجوا على بركة الله وانذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وابغروهم  
حجته فان تابوا انفلوا سبيلهم وان أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم

وجاهدناهم



وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته فوعظهم  
 وأنذرهم ودعاهم الى الاقلاع عما هم بسبيله فلم يرفعوا بذلك رأسا فخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه  
 وجع أشياخ قبائلهم ووجوهها وقرأ عليهم بحجة الله ودعاهم الى التوبة ورجعهم في الجنة وخوفهم من  
 النار وأقام ينذرهم سبعة أيام وهم في ذلك كله لا يلتفتون الى قوله ولا يزدادون الافسادا فلما يش من  
 قال لاصحابه قدا باعنا في الحجة وأنذرنا وأعدنا وقد وجب علينا الا أن جهادهم فاعزروهم على بركة الله فبدأ  
 أولا بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فانهم زموا بين يديه وقتل منهم خلقا كثيرا  
 وأسلم الباقون اسلا ما جديدا وحسنت حالهم وأدوا ما يلزمهم من كل ما فرض الله عليهم وكان ذلك  
 في صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ثم سار الى قبيلة لمتونة فنزل عليها وقتلهم حتى أظهره الله عليهم  
 وأذعنوا الى الطاعة وبايعوه على اقامة الكتاب والسنة ثم سار الى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى أذعنوا له  
 وبايعوه على ما بايعته لمتونة وكدالة فلما رأى ذلك سائر صنهاجة ساروا الى التوبة والمبايعة وأقروا له  
 بالسمع والطاعة فكان كل من أتاه تابعا منهم يطهره بان يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرآن وشرايع  
 الاسلام وكان يأمرهم بالصلاة والزكاة وأداء العشر واتخذ لذلك بيت مال يجمع فيه ما يرفع اليه من ذلك  
 ثم أخذ في اشتراء السلاح واركاب الجيوش من ذلك المال وجعل يغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد  
 الصحراء وذل قبائلها ثم جمع أسلاب القتلى في تلك المغازي وجعلها فريشا للمرابطين وبعث بعالم دثرعما اجتمع  
 لديه من الزكوات والاعشار والانجاس الى طلبه العليم لاد المصامدة فاشترى أمره في جميع بلاد الصحراء  
 وما والاها من بلاد السودان وبلاد القبيلة وبلاد المصامدة وسائر أقطار المغرب وانه قام رجل بكدالة  
 يدعو الى الله تعالى والى الصراط المستقيم ويحكم بما أنزل الله وانه متواضع زاهد في الدنيا وطاره ذكر  
 في العالم وتمكن ناموسه من القلوب وأحبه الناس ثم توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي على أثر ذلك وحكى  
 ابن خلدون ان وفاة يحيى بن ابراهيم كانت قبل اعتزال عبد الله بن ياسين وأصحابه في الجزيرة والله أعلم

الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكلان المتوفى

لما توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي عزم عبد الله بن ياسين على تقديم رجل يقوم بأمر المرابطين في حربهم  
 وجهادهم لعدوهم وكانت قبيلة لمتونة من بين قبائل صنهاجة أكثر طاعة لله تعالى ودينا وصلا فإمكان  
 عبد الله بن ياسين بكرمهم ويقدمهم على غيرهم وذلك لما أراد الله تعالى من ظهور أمرهم وتعاكهم على  
 انطلق فجمع عبد الله بن ياسين رؤس القبائل من صنهاجة وولى عليهم يحيى بن عمر المتوفى وعبد الله بن ياسين  
 هو الامير على الحقيقة لانه هو الذي يأمر وينهى ويعطي ويمنع وعن رأيه يصدر ون فكان يحيى بن عمر  
 يتولى النظر في أمر الحرب وعبد الله بن ياسين ينظر في أمر الدين وأحكام الشرع ويأخذ الزكوات  
 والاعشار وكان يحيى شديدا لانقياد لعبد الله بن ياسين واقفا عند أمر مؤنبيه فن حسن طاعته له انه قال  
 له يوما قد وجب عليك أدب قال يحيى فيما ذا يا سيدي قال لا أعرفك به حتى آخذ منك فكشف له يحيى  
 عن بشرته فضر به عشرين سوطا ثم قال له اغاضرتك لانك باشرت القتال واصطلمت بنا الحرب بنفسك  
 وذلك خطأ منك فان الامير لا يقاتل وانما يقف ويحرض الناس ويقوى نفوسهم فان حياة الجندي حياة  
 أميره وهلاكه بهلاكه واستقام الأمر ليحيى بن عمر وملك جميع بلاد الصحراء وغزى بلاد السودان ففتح  
 كثيرا منها وكان من أهل الزهد والدين والصلاح

الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر مجلماسة والسبب في ذلك

ند تقدم لنا عند الكلام على بني مدرار المكاسبين أصحاب مجلماسة ان انقراض دولتهم كان على يد  
 خرون بن قفل بن خزر المقرائى وانه زحف الى مجلماسة سنة ست وستين وثلاثمائة وبرز اليه صاحبها

أبو محمد المعتز بالله آخر ملوك بني مدرار الصغرى فهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيره وبعث برأسه إلى قرطبة وكان ذلك لأول حجابة المنصور بن أبي عامر واستمر خزرون بن فلفل واليداعي سجلماسة إلى أن هلك وولى بعده ابنه وانودين بن خزرون إلى أن هلك أيضا وولى بعده ابنه مسعود بن وانودين ولما انقرضت الدولة الاموية بالاندلس واسترق أمر الجماعة بها وصار الملك طوائف استبدت أمراء الاطراف وملوك زناتة بالمغرب كل بما في يده وعدم الوازع وتصرفوا في الرعايا بقتضى أغراضهم وشهواتهم فقال قاسا وأعمالها من جور بنى عطية المغراوين ما حكينا بفضله قبيل ونال أهل سجلماسة ودرعة من بنى خزرون بن فلفل المغراوين مثل ذلك أو أكثر فلما كانت سنة سبع وأربعين وأربعمائة وقد انتشر ذكر عبد الله بن ياسين وأصحابه المرابطين في العالم اجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة وكتبوا إلى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبون اليهم في الوصول إلى بلادهم ليظهر وهما ما هي فيه من المنكرات وشدة العسف من الامراء وعرفوهم بما هم فيه أهل العلم والدين وسائر المسلمين من الذل والصفار مع أميرهم مسعود بن وانودين المغراوى فلما وصل الكتاب إلى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم وشاورهم في الامر فقالوا أيهم الققيه هذا بما يلزمنا ويلزمك فسر بنا على بركة الله فدعاهم بخير وحضهم على الجهاد وخرج بهم في عشرين من صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة في جيش كثيف من المرابطين وقيل كان خروجه سنة خمس وأربعين وأربعمائة فسار حتى وصل إلى بلاد درعة فوجد بها عامل مسعود بن وانودين ففاه عنها ووجد بها خمسين ألف ناقة لسعود المذكور وكانت تربي في حياها هناك فاختصها عبد الله بن ياسين واتصل الخبر بسعود فجمع جيوشه وخرج نحوه فالتقى الجمعان في ما بين درعة وسجلماسة فكانت بينهما ما حرب قطيعة منح الله فيها المرابطين النصر على مغراوة فقتل أميرهم مسعود وأكثرت جيشه وقرت الباقرن واستولى عبد الله بن ياسين على دوابهم وأسلحتهم وأموالهم مع الابل التي كان اكتصها في درعة فخرج الخس من ذلك كله وفرقه على فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحتهم ما وقسم الاربعة أخماس على المرابطين وأرتحل من فوره إلى سجلماسة فدخلها وقتل من وجدها من مغراوة وأقام بها حتى أصلح شأنها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو وأحرق الدور التي كانت تباع بها الخور وأزال المكوس وأسقط المغارم الخزنية ومحي ما أوجب الكتاب والسنة محوه واستعمل على سجلماسة عاملا من لتونة وانصرف إلى الصحراء ثم توفي الأمير أبو بكر بن يحيى بن عمر في بعض غزواته ببلاد السودان سنة سبع وأربعين وأربعمائة

### الخبر عن رياسة أبي بكر بن عمر اللتوني وفتح بلاد السوس

لما توفي الأمير يحيى بن عمر اللتوني ولى عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر وذلك في محرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وقلده أمر الحرب والجهاد ثم ندب المرابطين إلى غزو بلاد السوس والمصامدة فزحف إليها في جيش عظيم في ربيع الثاني من السنة المذكورة وكان أبو بكر بن عمر رجلا صالحا ورعا فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللتوني ثم سار حتى انتهى إلى بلاد السوس فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة يقال لهم الجيلية نسبة إلى علي بن عبد الله الجلي الرافضي كان سقط إلى بلاد السوس أيام قيام عبيد الله الشيعي بأفريقية فاشاع هذا المذهب الرافضة فتوارثوه عنه جيلا بعد جيل وعضوا عليه فكانوا لا يرون الحق إلا ما في أيديهم فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا مدينة تارودانت عنوة وقتلوا بها خلقا كثيرا ورجع من بقي منهم إلى مذهب السنة والجماعة وحاز عبد الله بن ياسين أسلاب القتلى منهم فجعلها فتيئا وأظهر الله المرابطين على من عاداهم ففتحوا معقل السوس وخضعت لهم قبائله وفرق عبد الله بن ياسين عماله بنواحيه وأمرهم بإقامة العدل وإظهار السنة وأخذ الزكوات والاعشار وأسقط ما سوى ذلك

## فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطه وفتح بلادهم

ثم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بلاد المصامدة ففتح جبل درون وبلاد رودة ومدينة شفشواوة بالسيف ثم فتح مدينة نفيس وسائر بلادهم كدميووة ووقدت عليه قبائل رجاجة وحاحه قبايعوه ثم ارتحل الى مدينة أشمات وبها يومئذ أميرها القوط بن يوسف بن علي المغراوي فنزل عليها وحاصرها حصارا شديدا ولما رأى لقوط مالا طاقة له به أسلمها وفر عنها يأسها هو وجميع حشمه الى تادالا فاستجار ببني يفرن مساوكة سلا وتادالا ودخل المرابطون مدينة أشمات سنة تسع وأربعين وأربعمائة فأقام بهم لعبد الله بن ياسين نحو الشهرين ريثما استراح الجند ثم خرج الى تادالا ففتحها وقتل من وجد بها من بني يفرن ما لو كها وظفر بلقوط المغراوي فقتله وكان للقوط هذا امرأة اسمها زينب بنت اسحق النفزاوية **قال ابن خلدون** وكانت من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف ابن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ وريكة فلما قتل المرابطون لقوط بن يوسف المغراوي خلفه أبو بكر ابن عمر علي امرأته زينب بنت اسحق المذكورة الى ان كان من أمرها ما نذكره ثم تقدم عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسانا ففتحها واستولى عليها ثم أخبر بان يساحل تامسانا قبائل برغواطه في عدد كثير وجمع عظيم ولندكر هذا كلاما ملخصا في برغواطه ودولتهم ثم رجع الى ما نحن بصدده فنقول اختلف الناس في نسب برغواطه هؤلاء الى أي شيء يرجع فبعضهم يلحقهم بزنانة وبعضهم يقول في متنبهم صالح بن طريف البرغواطى انه يهودى الاصل من سبط شمعون بن يعقوب عليه السلام نشأ برباط حصن من عمل شذونة من بلاد الاندلس ثم رحل الى المشرق وقرأ على عبيد الله المعتزلى واشتغل بالسكر وجمع منه فتنوا وقدم المغرب فنزل بلاد تامسانا فوجد بها قبائل جهالا من البربر فأظهر لهم الصلاح والزهد وموته عليهم وخطبهم بلسانه وسخرهم بنيرانه فصدقوه واتبعوه فادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآنا حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى فكان يقال لمن تبعه ودخل في دينه برباطى ثم عربته العرب فقالوا برغواطى فسموا برغواطه **قال ابن خلدون** وهذا من الاغاليط البينة وضح ان القوم من المصامدة بشهادة الموطن والجوار وغير ذلك والتحقيق ان برغواطه قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد وانما هم انحلاط من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف الذى ادعى النبوة بتامسانا سنة خمس وعشرين ومائة من الهجرة في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وتسمى بصالح المؤمنين وشرع لاتباعه الديانة التى أخذوها عنه وكان صالح قد شهد مع أبيه طريف حروب ميسرة المدكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه طريف يكنى أباصبيج ومن كبار اصحاب ميسرة المدكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه الشرائع ثم هلك سنة سبع وعشرين ومائة وقام بامر ابنه صالح بن طريف المدكور وفعفت مخارقه على مخارق أبيه وكان أولا من أهل العلم والدين ثم انسلخ من آيات الله واتحل دعوى النبوة وأتى من الهتان بما أوحىناه قبل في ولاية حنظلة بن صفوان الكلابى على المغرب ثم خرج صالح بن طريف الى المشرق سنة أربع وسبعين ومائة بعد ان ملك أمرهم سبعا وأربعين سنة ووعدهم انه يرجع اليهم في دولة السابع منهم وأوصى بشريعته الى ابنه الياس بن صالح ولم يزل الياس مظهر الاسلام مصر على ما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم وكان متظاهرا بالعفاف والزهد الى ان هلك سنة أربع وعشرين ومائتين لمضى خمسين سنة من ولايته ثم ولى من بعده ابنه يونس بن الياس فآظهم دينهم ودعا الى كفرهم وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرق مدائن تامسانا وما والاها يقال انه حرق منها ثلاثمائة وثمانين مدينة واستلم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه وقتل منهم بموضع يقال له تاملو كالات وهو حجر عال نابت وسط الطريق سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين نفسا **قال زمر بن صالح** ثم رحل يونس بن الياس الى المشرق ورجع ولم ينجح أحد

من أهل بيته قبله ولا بعده وهلك سنة ثمان وستين ومائتين لاربعم وأربعين سنة من ملكه وانتقل الأمر عن بيته إلى غيرهم من قرابته فولى أمرهم أبو غنير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف فاستولى على ملك برغواطية وأخذ بدين آبائه واشتدت شوكته وعظم أمره وكانت له في البربر وقائع مشهورة وأيام مذكورة أشار إلى شيء منها سعيد بن هشام المصمودي في أبيات منها قوله

وهذي أمة هلكوا وضلوا \* وعاروا لاسقوا ماء معينا

يقولون النبي أبو غنير \* فانزى الله أم السكاذيينا

سيعلم أهل تامسنا اذا ما \* أتوا يوم القيامة مقطعينا

هنالك يونس وبنو آييه \* يقودون البرابر حارثينا

واتخذ أبو غنير من الزوجات أربعا وأربعين لأنهم يبيحون في ديانتهم الحسيمة أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء وكان له من الولاد مثل ذلك أو أكثر وهلك أو أواخر المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه ثم ولى بعده ابنه أبو الانصار عبد الله بن أبي غنير فاقتفى سنته وكان كبير الدعوة مهيبا عند ملوك عصره يهادونه ويدافعونه بالمواصله وكان يلبس الخففة والسراويل ويلبس الخيط من الثياب ولا يعم أحدى بلاد الإغرياء وكان حاقظا للجار وأفيا بالعهد وتوفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة لاربعم وأربعين سنة من ملكه ودفن بتاسلاخت وبها قبره وولى بعده ابنه أبو منصور عيسى بن أبي الانصار وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فسار سيرة آبائه وادعى النبوة واشتد أمره وعلا سلطانه وادانت له قبائل المغرب (قال زمر بن صالح) كان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطية وعشرة آلاف من سواهم وقد كان ملوك العدوتين في غزو برغواطية هؤلاء وجهادهم آثار عظيمة من الإدارة سنة والاموية والشيعية وغيرهم ولما زحف بالكين بن زيري بن مناد الصنهاجي إلى المغرب زحفه المشهور وأجفلت قبائل زناتة ومالوكها بين يديه وانحازوا إلى سبته وأطل عليهم من جبل تطوان وعان جمعهم الكثرة فراجع عنهم إلى جهاد برغواطية فأوقع بهم موقتل أميرهم أبا منصور عيسى بن أبي الانصار وبعث بسبيهم إلى القيروان وذلك سنة تسع وستين وثلاثمائة ثم حاربهم أيضا جنود المنصور بن أبي عامر لما عقد ابنه عبد الملك المظفر مولاه واضح على جهاد برغواطية فمظم أثره فيهم بالقتل والسبي ثم حاربهم أيضا بنو يفرن لما استقل بنو يعلى بن محمد بن صالح منهم بناحية سالا وقتطعوها عن عمل زيري بن عطية المغربي صاحب فاس وكان لابي الكيال تميم بن زيري اليفرني فيه هم جهاد كبير حسمه أتم التنبية عليه وذلك أعوام العشرين وأربعمائة فقلهم هم على تامسنا رولى عليها من قبله بعد أن اتخن فيهم سبيا وقتلوا ثم تراجعوا من بعده إلى أن جاءت دولة المرابطين ودخلوا أرض المغرب دخلتهم الثانية وقتلوا بلاد المصامدة وبلاد تادلا وتامسنا فأخبر عبد الله بن ياسين بان بساها قبائل برغواطية في عدد كثير وجمع عظيم وانهم مجوس أهل ضلالة وكفر وأخبر بما تمسكوا به من ديانتهم الخبيثة وقيل له ان برغواطية قبائل كثيرة وأخلاق شتى اجتمعوا في أول أمرهم على صالح بن طريف المتنبئ الكذاب واستمر حالهم على الضلالة والكفر إلى الآن فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطية وما هم عليه من الكفر رأى ان الواجب تقديم جهادهم على جهاد غيرهم فسار إليهم في جيوش المرابطين والامير يومئذ على برغواطية هو أبو حفص عبد الله من ذرية أبي منصور عيسى بن أبي الانصار عبد الله بن أبي غنير محمد بن معاذ بن اليسع ابن صالح بن طريف فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين ملاحم عظام مات فيها من الفريقين خلق كثير وأصيب فيها عبد الله بن ياسين الجزولى مهدي المرابطين فكان فيها شهاده روجه الله ولما حضرته الوفاة قال لهم يا معشر المرابطين اني ميت من يومى هذه الاحماله وانكم في بلاد عدوكم فاياكم ان تقيموا أو تنازعوا فقتلوا وتذهب ربيكم وكونوا أعوانا على الحق واخوانا في ذات الله واياكم والتاسد على

الرياسة فان الله يوفى ما له من يشاء من خلقه ويستخلف في أرضه من أراد من عباده في كلام غير هذا وتوفي عبد الله بن ياسين عشية ذلك اليوم وهو يوم الاحد الرابع والعشرين من جادى الاولى سنة احدى وخمسين وأربعمائة ودفن بموضع يعرف بكر بظلة وبني على قبره مسجد وهو مشهور به الى الآن وكان عبد الله بن ياسين رحمه الله شديد الورع في المطعم والمشرب اغما يتعیش من لحوم الصيد ونحوها لم يأكل شيئا من لحوم صنهاجة ولا من ألبانها مدة اقامته فيهم وكان مع ذلك كثير الذكاح يتزوج في كل شهر عددا من النساء ثم يطلقهن ولا يسمع بامرأة جيلة الا خطبها ومن حسن سياسته انه أقام في صنهاجة السنة والجماعة حتى انه ألزمهم ان من فاتته صلاة في جماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط ومن كراماته ان المرابطين خرجوا معه في بعض غزواته ببلاذ السودان فقدم معهم من الماء حتى أشرفوا على الهلاك فقام عبد الله فقيم وصلى ركعتين ودعا الله تعالى وأمن المرابطون على دعائه فلما فرغ من الدعاء قال لهم احضروا تحت مصلاى هذا فحضروا فصادفوا الماء على نحو شهر من الارض عذبا باردا فشربوها واستقروا وملثوا وأوعيتهم ومن تقواه وورعه انه لم ينزل صاعا من يوم دخل بلاد صنهاجة الى ان توفي رحمه الله واستمر الامير أبو بكر بن عمر على رياسته وحدث له البيعة بعد وفاة عبد الله بن ياسين فكان أول ما فعله بعد تجهيزه اياه ودفنه ان زحف الى برغواطة مصمما في حربهم متوكلا على الله في جهادهم فأتحن فيهم قتلا وسبيها حتى تفرقوا في المكامن والغياب واستأصل شافتهم وأسلم الباقون اسلا ما جديدا وحى أبو بكر بن عمر أترد عوتهم من المغرب وجمع غنائمهم وقسمها بين المرابطين وعاد الى مدينة أنعمات

### ✽ غزوى أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحها اياها ✽

لما استقر الامير أبو بكر بن عمر با نعمات أقام بها الى صفر من سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وخرج غازيا بلاد المغرب في أم لا تحصي من صنهاجة وجزولة والمصامدة ففتح جبال فازاز وسائر بلاد زناتة وفتح مدائن مكاسة ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها حتى اقتحمها عنوة بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بني يفرن وغزوها فلم تعمر بعد الى الآن وكان تخريبه اياها في آخر يوم من ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم رجع الى مدينة أنعمات

### ✽ عود أبي بكر بن عمر الى بلاد الصحراء والسبب في ذلك ✽

كان الامير أبو بكر بن عمر اللتوني قد تزوج زينب بنت اسحق النفاوية وكانت بارعة الجمال والحسن كما قلنا وكانت مع ذلك حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأى متين ومعرفة بادارة الامور حتى كان يقال لها الساحرة فأقام الامير أبو بكر عندها با نعمات نحو ثلاثة أشهر ثم ورد عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال أمر الصحراء ووقوع الخلاف بين أهلها وكان الامير أبو بكر رجلا متورا فاعظم عليه ان يقتل المسلمون بعضهم بعضا وهو قادر على كفهم ولم ير انه في سعة من ذلك وهو متولى أمرهم ومسؤل عنهم فعزم على الخروج الى بلاد الصحراء ليصلح أمرها ويقم رسم الجهاد بها ولما عزم على السفر طلق امرأته زينب وقال لها عند فراقه اياها يا زينب اني ذاهب الى الصحراء وأنت امرأة جيلة بصلة لا طاقة لك على حرارتها وانى مطلقك فاذا انقضت عدتك فانكحى ابن عمي يوسف بن تاشفين فهو خليفتي على بلاد المغرب فطلقها ثم سافر عن انعمات وجعل طريقه على بلاد تادلا حتى أتى سجلماسة فدخلها وأقام بها أياما حتى أصحح أحوالها ثم سافر الى الصحراء ونقل ابن خاسكان عن كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب في سبب رجوع الامير أبي بكر بن عمر الى الصحراء ما مثاله قال كان أبو بكر بن عمر رجلا ساذجا خيرا بطباع مؤثر البلاد على بلاد المغرب غير ميل الى القاهرة وكانت ولاية المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا للمتمين

فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان الى ساحل البحر المحيط فلما حصلت البلاد لابي بكر بن عمر سمع ان جهوراني الصعراء ذهبت لها ناقة في غداة فيكت وقالت ضيعنا أبو بكر بن عمر يدخوله الى بلاد المغرب فحمله ذلك على ان استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع الى بلاده الجنوبية اه وكان سفر أبو بكر بن عمر الى الصعراء في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ولما وصل اليها أصح شأنها ورتب أحوالها وجمع جيشا كثيفا وغزاه بلاد السودان فاستولى منها على نحو تسعين مرحلة وكان يوسف بن تاشفين قد استعمل أمره أيضا بالمغرب واستولى على أكثر بلاده فلما سمع الامير أبو بكر بن عمر بما آل اليه أمر يوسف بن تاشفين وما منحه الله من النصر أقبل من الصعراء ليخبر أحواله ويقال انه كان مضمرا العزلة وتولية غيره فأحس يوسف بذلك فشاور زوجته زينب بنت اسحق وكان قد تزوجها بعد أبي بكر بن عمر فقالت له ان ابن عمك متورع عن سفك الدماء فاذا القيتنه فترك ما كان يعهده منك من الادب والتواضع معه وأظهر أثر الترفع والاستبداد حتى كأنك مساو له ثم لطفه مع ذلك بالهدايا من الاموال والخلع وسائر طرف المغرب واستكثر من ذلك فانه بارض صحراء وكل ما جلب اليه من هنافس ومستهطرف لديه فلما قرب أبو بكر بن عمر من أعمال المغرب خرج اليه يوسف بن تاشفين فلقبه على بعد وسلم عليه وهو راكب سلا ما مختصرا ولم ينزل له ولا تأدب معه الادب المعتاد فنظر أبو بكر الى كثرة جيوشه فقال له يا يوسف ما تصنع بهذه الجيوش قال استعين بها على من خالفني فارتاب أبو بكر به ثم نظر الى ألف بعير قد أقيمت موقرة فقال ما هذه الابل الموقرة قال أيها الامير اني قد جئت بك بكل ما معي من مال واثاث وطعام وأدام لتستعين به على بلاد الصعراء فازداد أبو بكر تعروفا من حاله وعلم انه لا يتخلى له عن الامر فقال له يا ابن عم انزل أو صيكتنزل معا وجلسا فقال أبو بكر اني قد وليتكم هذا الامر واني مسؤل عنك فأتق الله تعالى في المسلمين واعتقني واعتق نفسك من النار ولا تضع من أمور وعيتك شيئا فانك مسؤل عنه والله تعالى يصلي اليك ويعدك ويوقفك للعمل الصالح والعدل في رعيتك وهو خليفتي عليك وعليهم ثم ودعه وانصرف الى الصعراء فأقام بها مواظبا على الجهاد في كفار السودان الى ان استشهد من سهم مسموم أصابه في شعبان سنة ثمانين وأربعمائة بعد ان استقام له أمر الصعراء كافة الى جبال الذهب من بلاد السودان والله غالب على أمره

### في الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللتوني

لما غزم الامير أبو بكر بن عمر على الصعراء دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللتوني فعقد له على بلاد المغرب وقوض اليه أمره وأمره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبني يفرن وسائر زناتة والبربر واتفق على تقديعه أشيخ المرابطين لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمين تقيته فعاد يوسف من سجلماسة بنصف جيش المرابطين بعد ارتحال أبي بكر بن عمر بالنصف الآخر وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ولما انتهى يوسف بن تاشفين الى ملوية ميز جيوشه فوجدها أربعين ألفا من المرابطين فاختر منهم أربعة من القواد وهم سير بن أبي بكر اللتوني ومحمد بن تميم الكدالي وعمر بن سليمان المسوفي ومدرك التاكاني وعقد لكل قائد منهم على خمسة آلاف من قبيلته وجعلهم مقدمة بين يديه لقتال من بالمغرب من مغراوة وبني يفرن وسائر قبائل البربر القاطنين به ثم سار هوفي أثرهم يتقرى المغرب بلدا بلدا ويتبع أهله قبيلة قبيلة فقوم يقاتلونه ثم يظفرونهم وقوم يفررون بين يديه وقوم يلحقون اليه السلم ويبدلون الطاعة حتى دقخ بلاد المغرب ثم سار حتى دخل مدينة اغمات ولما استقر بها تزوج زينب بنت اسحق النضراوية التي كانت تحت أبي بكر بن عمر فكانت عنوان سعده والقائمة بملكه والمدبرة لأمره والقائمة عليه بحسن سياستها لكثير بلاد المغرب ومن

ذلك اشارت عليه في امر أبي بكر بن عمر وكيفية ملاقاته حسبما ذكرناه آنفاً وهكذا كان أمرها في كل ما تحاوله رجعها الله **﴿﴾** وما يستطاب من حديثه ما حكاه ابن الاثير في كامله وقد تكلم على يوسف بن تاشفين هذا فقال كان حسن السيرة خيراً عادلاً يعيل الى أهل العلم والدين بكرهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن رأيهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام من ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتحنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتحنى الآخر عملاً يعمل فيه لامير المسلمين وتحنى الآخر زوجته وكانت من أحسن النساء ولها الحكيم في بلاده فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى مئتي الممال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذي تحنى زوجته يا جاهل ما جلك على هذا الذي لا تصل اليه ثم أرسله الى زوجته فتركته في خيمة ثلاثة أيام ثم أمرت بان يحمل اليه في كل يوم طعام واحد ثم أحضرته وقالت له ما أكلت في هذه الثلاثة الايام قال طعاماً واحداً فقالت له كل النساء شي واحداً وأمرت له بمال وكسوة وسرحتة الى حال سبيله وكانت وفاتها سنة أربع وستين وأربعمائة

**﴿﴾ بناء مدينة مرا كش ﴿﴾**

لما دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة كان امر يوسف بن تاشفين قد استعمل بالمغرب جنداً وورسخت قدمه في الملك وعظم صيته فسمت همته الى بناء مدينة بأوى اليها بحشمه وجنده وتكون حصناله ولا رباب دولته فاشترى موضع مدينة مرا كش عن كان يملكه من المصامدة **﴿﴾** وقال صاحب المغرب **﴿﴾** كان ملكاً لجهوز منهم ثم نزل الموضع المذكور بجنيام الشعرو بنى به مسجد الصلاة وقصبة صغيرة لا اختزان ماله وسلاحه ولم يبن على ذلك سورا **﴿﴾** وقال أبو انطاب بن دحية في كتاب التبراس **﴿﴾** ان موضع مدينة مرا كش كان مزرعة لاهل نفيس فاشترى يوسف منهم بماله الذي خرج به من الصغراء **﴿﴾** وفي كتاب المغرب **﴿﴾** ان يوسف بن تاشفين اختط مدينة مرا كش بموضع كان يسمى بذلك الاسم ومعناه بلغة المصامدة امش مسرعاً وكان ذلك الموضع مكمناً للصوم فكان للمارون فيه يقولون لفقائهم تلك الكلمة فعرف الموضع بها وضبط هذه الكلمة بضم الميم وقبح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الألف كلف مكسورة ثم شين مجعمة ويقال كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاخطها يوسف وبنى بها القصور والمسكن الانيقة وهي في مرجح فسج وحوها جبال على فراخ منها وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعتدل من اجها وحرها **﴿﴾** وقال ابن خلدون **﴿﴾** اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مرا كش لتزونه ونزول عسكره ولتترس بقبائل المصامدة المقيمة بجوانبهم منها في جبل دون اذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جماعاً **﴿﴾** وفي القرطاس **﴿﴾** لما شرع يوسف بن تاشفين في بناء مسجد مرا كش كان يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعاً منه لله تعالى قال والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسورا الحجر من مدينة مرا كش جو قام من جامع الكتبيين منها ويعرف اليوم بالسجينة ولم يكن بالموضع ماء فحفر الناس آباراً فظهر لهم الماء على قرب فاستوطنوها وبنوا بها قالوا ولم تزل مدينة مرا كش لاسور لها الى ان توفي يوسف بن تاشفين رجع الله وولى بعده ابنه علي بن يوسف ومضى معظم دولته فأدار عليها السور سنة ست وعشرين وخمسمائة يقال كان ذلك باشارة القاضي أبي الوليد محمد بن رشد الفقيه المشهور فإنه كان قد قدم على السلطان عمراً كاش فأشار عليه بذلك عند ما نبغ محمد بن تومرت مهدي الموحدين بجبال المصامدة وكانت مدة البناء ثمانية أشهر وكان الاتفاق على السور سبعين ألف دينار وبنى علي بن يوسف أيضاً الجامع الاعظم المنسوب اليه الى اليوم والمنار الذي عليه وأنفق عليه ستين ألف دينار أخرى ورأيت في كتاب ابن عبد العظيم الازموري الموضوع في مناقب بني امغار رضي الله عنهم ان أمير المسلمين علي بن يوسف التوفيق لما عزم على ادارة السور على مرا كش شاور الفقهاء وأهل الخبر في ذلك فنهىهم من تبطله ومنهم

كذا ضبطها صاحب كشف الظنون الامام القسطنطيني رحمه الله

من ندبه اليه وكان من جملة من ندبه القاضي أبو الوليد بن رشد ثم شاور أبا عبد الله محمد بن اسحق المعروف  
بامغار صاحب عين الفطرف أشار بينائه وبعث له من ماله الحلال وأمره أن يجعله في صندوق صائر البناء  
ويتولى الاتفاق في ذلك رجل فاضل فقبل السلطان إشارته وعمل برأيه فسهل الله أمر البناء ثم لما جاءت  
دولة الموحدين وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذي كراعتني بمدينة مرا كش واحتفل في تشييدها  
وبالغ في تفتيح مساجدها وتعمير مصانعها ومعاهدها على ما نذر كرا بعض منه في محله ان شاء الله ولم تزل  
مرا كش دار ملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم سائر أيامهم ثم لما جاءت دولة بني مرين من بعدهم  
اتخذوا كرسى عملاكتهم بمدينة فاس وبنوا بها المدينة البيضاء ثم جاءت الدولة السعدية من بعدهم ففعلوا  
الكبرى الى مرا كش وبنوا قصر البديع المشهور ثم جاءت الدولة الشريفة العاوية فاتخذ المولى  
اسماعيل بن الشريف كرسى ملكه بمكاسة الزيتون واحتفل في بنائها احتفالا عظيما على ما نذر كره ان  
شاء الله ثم لما كانت دولة المولى محمد بن عبد الله رد كرسى الملك الى مرا كش وبني بها قصوره ومصانعها  
واستمرت كرسى المملككتهم الى الآن وفضل مرا كش أشهر من أن يذكر لاسيما ما اشتملت عليه من  
مزارات الاولياء ومساقن الصالحين الكبار والائمة الاخيار حتى قال الوزير ابن الخطيب في مقامات  
البلدان عند ذكره مدينة مرا كش هي تربة الولي وحضرة الملك الاول وعبر عنها أبو العباس المقرئ  
في فتح الطيب ببغداد المغرب حرسها الله وعماها من ريب الزمان وطوارق الحدثان

### فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة المذكورة جند يوسف بن تاشفين الاجناد واستكثر القواد وفتح كثيرا  
من البلاد واتخذ الطبول والبنود ورتب العمال وكتب العهود وجعل في جيشه الاغزاز والراماة كل ذلك  
ارهابا لقبائل المغرب فكمل له من الجيش في تلك السنة أكثر من مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة  
وجزولة والمصامدة وزناتة والاعزاز والراماة فخرج بهم من حضرة مرا كش قاصدا مدينة فاس فتلقتهم  
قبائلها من زواغة ولواية وصدية وسدارتة ومغيلة وبهولة ومدبونة وغيرهم في خلق عظيم  
فقاتلوه فكانت بينه وبينهم ملاحم عظام انهزموا فيها من بين يديه وانحصر ابعدينة صدبينة فدخلها  
عليهم بالسيف عنوة فهدم أسوارها وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف ثم رحل الى فاس فنازلها بعد  
ان فتح جميع أحوازها وذلك في آخر سنة أربع وخمسين وأربعمائة ووقال ابن خلدون في ان يوسف بن  
تاشفين نازل أول قلعة فازاز وبها مهدى بن تولى اليحفي وبني يحفش بطن من زناتة وكان أبوه تولى  
صاحب تلك القلعة وليها هو من بعده فنازله يوسف بن تاشفين ثم استجاش به على فاس مهدى بن يوسف  
الكرزناي صاحب مكاسة لانه كان عدوا لمنصر المرابطين صاحب فاس فزحف في عساكر المرابطين الى  
فاس وجع اليه معنصر فرفض جوعه اه والله أعلم ثم أقام يوسف على فاس أياما قظف بها ملها بكار بن  
ابراهيم فقتله وارتحل عنها الى مدينة صقر وافدخلها من يومه عنوة وقتل ما وكها أولاد مسعود بن  
أفودين المرابطين صاحب سجلماسة وكانوا قد استولوا عليها ثم رجع يوسف الى فاس فحاصرها حتى قضاها  
وهو الفتح الاول وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة فاقام بها أياما واستعمل عليها عاملا من امونة  
ونخرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى أشرف على طنجة وبها يومئذ الحاجب سكوت البرغواطى  
من موالى بني جود ثم رجع الى منازلة قلعة فازاز فخالفه بنو منصر بن حماد المرابطين الى فاس فدخلوها  
وقتلوا عامل يوسف الذي كان بها وكان مهدى بن يوسف الكرزناي صاحب بلاد مكاسة قد بايع يوسف  
ابن تاشفين ودخل في طاعة المرابطين فافتره يوسف على عمله وأمره أن يخرج بين يديه بجيشه لفتح بلاد  
المغرب فجمع مهدى بن يوسف جيشه ونخرج من مدينة عومجة يريد الاجتماع بيوسف بن تاشفين وهو  
محاصر قلعة فازاز فسمع بذلك عم بن منصر المرابطين صاحب فاس فعاجله في انجاب مغراوة وقبائل زناتة



وأدركه ببعض الطريق وناجزه الحرب ففض جوعه وقتله وبعث برأسه الى الحاجب سكوت صاحب سبتة وطنجة ولما قتل مهدي بن يوسف بعث أهل مدائن مكاسة الى ابن تاشفين بالخبر وبذلوا له الطاعة فلك بلادهم ثم توالى عساكر المرابطين على تميم بن معنصر بالغازات والنهب واشتد عليه الحصار وعمدت الاقوات بفاس فلما رأى ما نزل به من المرابطين جمع مغراوة وبنى يفرن وخرج اليهم لاحدى الراحتين فكانت عليه الهزيمة فقتل تميم وجماعة من عشيرته وتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية المدكاسي فجمع قبائل زناتة وخرج بهم الى المرابطين فالتقى معهم على وادي صيفير فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من قريسانهم واتصل الخبر بيوسف بن تاشفين وهو على قلعة فازاز فارتحل عنها وخاف جيشا من المرابطين لحصارها فاقاموا عليها تسع سنين ثم دخلوها صالحة سنة خمس وستين وأربعمائة ولما رحل يوسف عن قلعة فازاز وذلك سنة ست وخمسين سار الى بني مرسان وأميرهم يومئذ يعلى بن يوسف فغزاهم وقتل منهم خلقا وفتح بلادهم ثم سار الى بلاد فنسلاوة فغزاهم وفتح جميع تلك الجهات ثم سار منها الى بلاد ورغة ففتحها وذلك في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وفي سنة ستين فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة وفي سنة اثنتين وستين أقبل الى فاس فنزل عليها بجميع جيوشه بعد ان فرغ من جميع بلاد المغرب سوى سبتة وشيعة الحصار على فاس حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكاسة وغيرهم خلقا كثيرا حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الاتدلس ما يزيد على ثلاثة آلاف وفرن من بقي منهم الى احواز تلمسان وهذا هو الفتح الثاني لمدينة فاس وكان يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وأربعمائة وفي هذا الخبر بعض مخالفة لما قدمناه في أخبار مغراوة وذلك نقلناه عن ابن خلدون وهذا عن ابن زرعور بك أعلم عن هوأهدى سيلا فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس أمر بهدم الاسوار التي كانت فاصلة بين المدينتين عدوة القرويين وعدوة الاتدلس وصيرهما مصرا واحدا وحصنها وأمر ببناء الحمامات والقنادق والارحاء وأصلح بناءها ورتب أسواقها وأقام بها الى فيه مسجدا عاقب أهله وأمر ببناء الحمامات والقنادق والارحاء وأصلح بناءها ورتب أسواقها وأقام بها الى صفر سنة ثلاث وستين وأربعمائة ثم خرج الى بلاد مابوية ففتح حصون وطاط وفي سنة أربع وستين بعدها استدعى يوسف أمراء المغرب وأشياخ القبائل من زناتة وغمارة والمصامدة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه وبايعوه وكساهم وصلحهم بالاموال ثم خرج للطواف على أعمال المغرب وتمقداً حوال الرعية والنظر في سيرة ولاتة وعماله فيها وهم في صحبته فصلح على يده الكثير من أمور الناس وفي سنة خمس وستين بعدها غزا يوسف مدينة الذممة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان وفي سنة سبع وستين وأربعمائة فتح يوسف جبال غماتة وبنى مكود وبنى رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها فرق عماله على بلاد المغرب فولى سير بن أبي بكر على مدائن مكاسة وجبلات مكالثة وفازاز وولى عمر بن سليمان على فاس وأحوازها وداردين عائشة على سجلماسة ودرعة وولى ابنه تميم بن يوسف على مدينة مراکش وغمات وبلاد السوس والمصامدة وتادلا وتامسنا وصفا ملك المغرب ليوسف بن تاشفين سوى سبتة وطنجة وكان من خبرهما ما نذكره

بفتح سبتة وطنجة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس

كانت سبتة وطنجة لبني جود الادريسيين من لدن دولة الامويين بالاندلس ولما انقرضت دولتهم وخلفهم بنو جود المذكورون بها استنابوا على سبتة وطنجة من وثقوا به من موالهم الصقلية ولم يزل أمر المدينتين الى نظرها لولا النواب واحدا بعدوا الى ان استعمل بهم الحاجب سكوت البرغواطى وكان عبدا الشيخ حداد من موالى اليهوديين اشتراه من سبي برغواطية في بعض أيام جهادهم ثم صار الى على

ابن جود فاخذت العجاجة بضبعيه الى ان استقل بالامر واقتعد كرسي عماله بطنجة وسبته وأطاعته قبائل  
 غمارة واتصلت أيام ولايته الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب ونازل  
 بلاد غمارة فدعا الحاجب سكوت الى مظاهرتهم فاجابهم فاهم بالاجلاب معه ومظاهرتهم على عدوه ثم ثناه  
 عن ذلك ابنه الفائل الرأى فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أهل الدمنة واقاد المغرب اطاعته صرف  
 عزمه الى الحاجب سكوت وكان المعتمد بن عباد صاحب اشيلية قد كتب الى يوسف بن تاشفين يستدعيه  
 للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد فأجابه يوسف بقوله لا يمكنني ذلك الا اذا ملكت طنجة وسبته فراجع  
 ابن عباد يشير عليه بان يسير هو اليها بعساكره في البر فينازلها ويبعث ابن عباد قطائعهم في البحر  
 فينازلوها أيضا حتى يتملكها فأخذ يوسف في محاولة ذلك وصرف عزمه اليه ثم دخلت سنة سبعين  
 وأربعمائة فجهز اليها قائده صالح بن عمران في اثني عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من  
 سائر قبائل المغرب فلما قربوا من طنجة برز اليهم الحاجب سكوت بجيوشه وهو شيخ كبير قد ناهز  
 التسعين سنة وقال والله لا يسمع أهل سبته طبول المتونى وأنا حي أبدا فالتقوا الجمعان بوادي منى من  
 أحواز طنجة والتحم القتال فقتل سكوت وفضت جوعه وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها واستولوا  
 عليها ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبته فاعتصم بها وكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف  
 وفي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدي بن تيمان كان اللتوني لغزو تلمسان  
 والمغرب الاوسط فسار اليها في عشرين ألفا من المرابطين وكان تلمسان يومئذ العباس بن يحيى من ولد  
 يعلى بن محمد بن الخبير بن محمد بن خزر المقرأوى فدوخوا المغرب الاوسط وتقرروا بلاد زناتة وظفروا ويعلى  
 ابن الامير العباس بن يحيى فقتلوه وانكفأوا راجعين الى يوسف فألقوه بمراكش ثم دخلت سنة ثلاث  
 وسبعين فيها غير يوسف بن تاشفين السكة في جميع عمله وكتب عليها اسمه وفيها فتح مدينة آكريف  
 ومدينة مليلة وجميع بلاد الريف وفتح مدينة تكور ونحوها فلم تعمر بعد ثم دخلت سنة أربع وسبعين  
 وأربعمائة فيها زحف يوسف بن تاشفين الى مدينة وجدة ففتحها وفتح بلاد بني يزناسن وما والاها ثم سار  
 الى تلمسان ففتحها واستلم من كان بها من مغراوة وقتل أميرها العباس بن يحيى المقرأوى وأزل بها  
 عامله محمد بن تينعمر المسوفي في عساكر المرابطين فصارت تلمسان ملكته واختط بها مدينة تاكرارت  
 بكان محامته وهو اسم المحلة بلسان البربر ثم افتتح مدينة تنس وهران وجبل وان شريس وجميع أعمال  
 شلف الى الجزائر وانكفأ راجعا الى المغرب فدخل مراكش في ربيع الآخر سنة خمس وسبعين  
 وأربعمائة ثم ورد عليه بها كتاب المعتمد بن عباد يعلمه بحال بلاد الاندلس وما آل اليه أمرها من تغلب  
 العدو على أكثر نفورها ويسأله النصر والاعانة فأجابه يوسف بقوله اذا فتح الله على سبته اتصلت بكم  
 وبذلت جهدي في جهاد العدو ووسكان الفتن قد تحرك في هذه السنة في جيوش لا تحصي من  
 الأفرنج والبشكنس والجلالقة وغيرهم فشق بلاد الاندلس شقايقف على كل مدينة منها فيفسده  
 ويخرب ويقتل ويسبي ثم يرتحل الى غيرها ونزل على اشيلية فاقام عليها ثلاثة أيام فافسد وخرّب وكذلك  
 فعل في شذونة وأحوازها ونزح بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فدخل  
 قواثم فرسه في البحر وقال هذا آخر بلاد الاندلس قد ووطئته ثم رجع الى مدينة سرقسطة فزّل عليها  
 وحاصرها وحلف أن لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت دونها وأراد ان يقدمها بالفتح على غيرها  
 فبذل اليه أميرها المستعين بن هو دمالا عظيما فلم يقبله منه وقال المال والبلاد لي وبعث الى كل قاعدة  
 من قواعد الاندلس جيشا لحصارها والتصديق عليها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر  
 ابن ذى النون سنة سبع وسبعين وأربعمائة فكان ذلك من أقوى الأسباب المحركة لعزائم المسلمين  
 بالاندلس والمغرب على الجهاد

## الخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من أرض الاندلس

لما انقرضت دولة بني أمية بالاندلس صدر المائة الخامسة بعد نزاع بين أعيانها شديد وقتال منهم عريض مديد ونحقت الدولة الجودية فلم يطل أمدها حتى اقتسمت رؤساء الاندلس مملكتها وتوزعوا أعمالها وصارت الحال الى ما قال ابن الخطيب

حتى اذا سلك الخلافة انتثر \* وذهب العين جميعا والائر

قام بكل بقعة مليك \* وصاح فوق غصن ديك

فوجد العدو والسبيل الى الاستيلاء على ثغور المسلمين وانتهاز الفرصة فيها بالتضريب بين ملوكها واغراء بعضهم ببعض وكان منهم ابن عباد باشبيلية وابن الافطس بيطليوس وابن ذى النون بطليطلة وابن هودب سرقسطة ومجاهد العامري بدانية وغير هؤلاء وكلهم يداري الطاغية ويتقيه بالجزية الى ان كان من أمر الادفونش ما كان من تخريب بلاد المسلمين واستيلائه على طليطلة بعد حصاره اياها سبع سنين ثم حصاره سرقسطة فلما رأى رؤساء الاندلس ما نزل بهم من مضايقة عدو الدين واستطالته على ثغور المسلمين أجمع رأبهم على اجازة يوسف بن تاشفين فكاتبه أهل الاندلس كافة من الخاصة والعامة يستصرخونه في تنفيس العدو عن مخنقهم ويكونوا معه يدا واحدة عليه فلما تواترت رسالهم وكتبهم عليه بعث ابنه المعز بن يوسف في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فجاز لها برا وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بجرا فاقتموها عنوة في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقبض على صاحبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت البرغواطي وجيء به الى المعز أسير افاقته صبرا وبعث بكتاب الفتح الى أبيه وهو بفاس ينظر في أمر الجهاد ويستعد له ففرح يوسف بفتح سبتة وخرج من حينه قاصدا نحوها ليعبر منها الى الاندلس ولما سمع المعتمد بن عباد بفتح سبتة وكب البحر الى المغرب لاستنقار يوسف الى الجهاد فلقبه مقبلا ببلاد طنجة بموضع يعرف ببليطة على ثلاث مراحل من سبتة وهو قال ابن خلدون \* لقيه بفاس فأخبره بحال الاندلس وما هي عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب وما يلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والاسر والحصار كل يوم فقال له يوسف ارجع الى بلادك وخذ في أمرك فاني على أثرك ورجع ابن عباد الى الاندلس وتزلزلت لبوسه ف عن الجزيرة الخضراء لئلا يكون رباط الجهاده ودخل يوسف سبتة فنظر في أمرها وأصلح سبقتها وقدمت عليه بها جنود الله من المغرب والعصر والقبلة والزاب فشرع في اجازتها الى الاندلس ولما تكاملت بساحل الخضراء عبره في أثرها في موكب عظيم من قواد المرابطين وانجادهم وصلحائهم فلما استوى على ظهر السفينة رفع يديه وقال اللهم ان كنت تعلم ان في جوازنا هذا صلاحا للمسلمين فسهل علينا هذا البحر حتى نعبره وان كان غير ذلك فصعبه حتى لا نعبره فسهل الله عليهم العبور في أسرع وقت وكان ذلك يوم الخميس عند الزوال منتصف ربيع الاول سنة تسع وسبعين وأربعمائة وتزلزلت الخضراء فصلى بها الظهر من يومه ذلك ولقيه المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس واتصل الخبر بالادفونش وهو محاصر لسرقسطة فارتحل عنها وقصد نحو أمير المسلمين وبعث الى ابن ردمير والبرهانس وغيرهما من كبار النصرانية واستنفر أهل قسالة وجليقية وسائر المجاورين له من أمم النصرانية فاجتمع له منهم ما يفوت الحصر وصعد الى ابن تاشفين والمسلمين هكذا وقع مساق هذه الغزوة عند ابن خلدون وابن أبي زرع وغيرهما وساقها ابن الاثير وابن خلكان وابن عبد المنعم الجيري مساقا غير هذا ولندكر بعض ما نقلوه من ذلك فنقول لما ملك يوسف بن تاشفين المغرب وبني مراکش وتلمسان الجديدة وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة وتمهدت له الاقطار العريضة المديدة تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهمم بذلك وأخذ في انشاء السفن والمراكب ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس

كرهوا الممامه بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد الا انهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته وكرهوا  
 أن يصبوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم والمثمنين عن جنوبهم وكانت الفرنج قد اشتدت وطأتها عليهم  
 فتغير وتنب ور بما يقع بينهم صلح على شيء معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين والفرنج مع ذلك تهرب  
 جانب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره ونقله دولة زناته وملك  
 المغرب اليه في أسرع وقت مع ما ظهر لابطال المثمنين ومشائخ صنهاجة في المعارك من ضربات السيوف  
 التي تقدر الفارس والطعنات التي تنظم الكلى فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم  
 وكان ملوك الاندلس يفيون الى ظل يوسف ويحذرونه خوفا على ملكهم مهم ما عبر اليهم وعان بلادهم  
 فلما رأوا عزيمته متوفرة على العبور راسل بعضهم بعضا يستجدون آراءهم في أمره وكان فرزعهم في ذلك  
 الى المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم عاكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته وقد تحققوا انه يقصدهم  
 يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس يقول أما بعد فانك  
 ان أعرضت عما نسبت الي كرم ولم تنسب الي عجز وان أجبناد اعيك نسبنا الى عقل ولم تنسب الي وهن  
 وقد اخترنا لانفسنا أجل نسبنا فاخترنا نفسك أكرم نسبتيك فانك بالمحل الذي لا يجوز ان تسبق فيه  
 الى مكرمة وان في استبقائك ذوى البيوت ماشئت من دوام لأمرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب  
 مع تحف وهدايا وكان يوسف لا يعرف اللسان العربي لكنه كان ذكي الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له  
 كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك  
 فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم في منزلة الاعادي  
 فانهم مسلمون وهم من ذوى البيوت فلا تغيرهم وكفهم من وراءهم من الاعداء الكفار وبلد هم  
 ضيق لا يحتمل العساكر فاعرض عنهم اعراضك عن أطاعتك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين  
 لكتابه فأتري أنت فقال أيها الملك اعلم ان تاج الملك وبهجه وشاهده الذي لا يردبانه خليف بما حصل  
 في يده من الملك أن يعفو اذا استعفى وأن يهب اذا استوهب وكل ما وهب جزيل كان أعظم لقدرة فاذا  
 عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم  
 يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لا آخرته واعلم ان بعض الملوك الا كبار والحكام  
 البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاساد ومن ساد قادم من قادم ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا  
 الكلام على السلطان يوسف فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرا  
 على كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
 تحية من سالمكم وسلم اليكم وحكمه التأييد والنصر فيمن حكم عليكم وانكم مما بأيديكم من الملك في أوسع اباحة  
 مخصوصون منابا كرام ايثار وسماحة فاستدعوا ووافاءنا بوفائكم واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم  
 والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن  
 به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللط مما لا يكون الا في بلاده وأنفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرأوا  
 كتابه فرحوا به وعظموه واعتزوا بولايته وتفقوت نفوسهم على دفع الفرنج وأزمعوا ان رأوا من الفرنج  
 ما يريهم ان يجيزوا اليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه عليه فتأق ليوسف بن تاشفين برأى  
 وزيره ما أراد من محبة أهل الاندلس له وكفاه حربهم وقال ابن الاثير في الكامل محمد كان المعتمد بن عباد  
 أعظم ملوك الاندلس ومملكالا كبر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدي الضريبة الى  
 الادفونش كل سنة فلما ملك الادفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم  
 يقبلها منه ثم أرسل اليه يتهدده ويتوعده بالسيير الى قرطبة وتملكها من يده الا أن يسلم اليه جميع  
 الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسة مائة فارس فأترله

المعتمد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر القواد أن يقتل كل منهم من عنده وأحضر الرسول فصنعه  
 حتى برزت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فمادوا إلى الأذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها إلى  
 قرطبة ليحاصرها فلما بلغه هذا الخبر رجع إلى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويستعد استعدادا غير الذي  
 سبق وعاد المعتمد إلى أشبيلية وأقام بها وترك قرطبة بدون مدافع يدافع عنها وقال ابن عبد المنعم الحميري في  
 كتابه الروض المعطار ما لم يخصصه به ان المعتمد بن عباد آخر في سنة من السنين الضريبة التي كان يدفعها  
 للأذفونش عن وقتها ثم أرسلها إليه بعد دفع غضب الأذفونش واشتتط وطلب بعض الحصون زيادة على  
 الضريبة وأمعن في التجني حتى طلب ان تأتي زوجته إلى الجامع الأعظم بقرطبة قتله فيه إذ كانت حاملا  
 وكان بالجانب الغربي من المسجد المذكور وموضع كنيسة قديمة بنى المسلمون عليها المسجد فأشار عليه  
 الأطباء والقسيسون أن تكون زوجته ساكنة قرب ولادتها بمدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن  
 الناصر لدين الله وأبدع في تشييدها وتشييدها وترددت المرأة مع ذلك إلى الجامع المذكور حتى تكون  
 ولادتها بين طيبين نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة وكان الرسول في ذلك يهوديا وكان وزيراً  
 للأذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجع اليهودي وأعظ له في القول ولسه بكلمة أسفته فأخذ  
 ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي فانزل دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوساً  
 بقرطبة ولما سكن غضبه استفتى الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي فبادره الفقيه محمد بن الطلاع  
 بالخاصة في ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة إلى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء  
 انما بادرت بالفتوى خوفا ان يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله ان يجعل في  
 عزيمته للمساكين خيرا وبلغ الأذفونش ما صنعه ابن عباد فاقسم بالله انه ليغزونه بأشبيلية ويحاصرنه  
 في قصره ثم زحف في عسكرين أحدهما عليه والآخر على بعض قواده حتى نزل على ضفة النهر الأعظم  
 بأشبيلية قبالة قصر ابن عباد وفي أيام مقامه هنالك كتب إلى ابن عباد زاريا عليه كثر بطول مقامه  
 في مجلسي هذا على الذباب واشتد الحرقا تحفني من قصرك بمروحة أروح بها على نفسي وأطرد بها  
 الذباب عن وجهي فوقه له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك  
 وسأ نظرك في مراوح من جلود اللط تروح منك لأعليك ان شاء الله فلما وصلت رسالة ابن عباد  
 الأذفونش وقرئت عليه وفهم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك بيال وفسا في الاندلس توقيع  
 ابن عباد وما أظهر من العزيمة على اجازة يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس  
 وفرحوا بذلك وانفتحت لهم أبواب الآمال وأماموا لك طوائف الاندلس فلما تحقق قوا عزم ابن عباد  
 وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه فنههم من كاتبه ومنهم من شاقه وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم  
 والسيقان لا يجتمعان في غم فأجابهم ابن عباد بكلمته التي صارت مثلا وهي الجمال خير من رعي الخنازير  
 ومعناه ان كونه ما كولا ليوسف بن تاشفين أسير ابري جاله في الصحراء خير من كونه ممزقا للأذفونش  
 أسيراله برعي خنازيره وقال لمن لاهه يا قوم اني من أمرى على حالتين حالتي يقين وحالة شك ولا بد لي من  
 احدهما أما حالة الشك فاني ان استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الأذفونش فاني الممكن ان يني لي ويبقى  
 على وفائه ويمكن ان لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فاني ان استندت إلى ابن تاشفين فاني أرضى  
 الله وان استندت إلى الأذفونش أسخط الله فاذا كانت حالة الشك فيهما عارضة فلا يسيء ما يرضى  
 الله وآتى ما يسخطه فحينئذ أقصر أصحابه عن لومه ولما عزم ابن عباد على رأيه أمر صاحب بطليوس  
 المتوكل على الله عمر بن الافطس وصاحب غرناطة عبد الله بن حبوس الصنهاجي أن يبعث إليه كل منهما  
 قاضي حضرته ففعلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة عبد الله بن محمد بن أدهم وكان أعقل أهل زمانه  
 فلما اجتمع عند ابن عباد القضاة بأشبيلية أضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسوله

الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف وترغيبه في الجهاد وأسند الى الوزير  
 مالا بد منه من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تغد عليه وفود تغور الاندلس  
 مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع  
 اليهم ويصغي لقولهم وترقى نفسه لهم ولما انتهت رسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم متواهم وجرت  
 بينه وبينهم مراضات ثم انصرفوا الى مرسلهم ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء  
 فخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوفا جاوبوا اليه ما عندهم من سائر  
 المرافق وأذوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلات المساجد والرحاب بالمطوعة وتواصوا بهم  
 خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار **يو** وقال ابن الاثير لما رجع المعتمد بن عباد الى اشبيلية وترك  
 قرطبة بدون مدافع وسمع مشائخها يجري من قتل ابن عباد لليهودى ورأوا قوة الفرنج وضعف  
 المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها  
 الفرنج ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما ترى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى  
 القاضي أبي بكر عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنتظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطاهم  
 الجزيرة بعد ان كانوا يأخذونها وقد رأينا ما تعرضه عليك قال ما هو قالوا كتب الى عرب افرقية  
 ونشرت لهم اذا وصلوا اليها فاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله قال أخاف اذا وصلوا  
 اليها ان يخذلوا بلادنا كما فعلوا بافرقية ويتركوا الفرنج ويبدؤا بنا والمرابطون أصح منهم وأقرب اليها  
 قالوا له فكاتب يوسف بن تاشفين وأرغب اليه في العمور اليها أو يرسل بعض قواده وبينما هم يتفاوضون  
 اذ قدم عليهم ابن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت  
 رسولى اليه في ذلك فامتنع القاضي وانما أراد ان يبرى نفسه من تهمة تلحقه فألح عليه المعتمد فعب  
 القاضي البحر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من  
 الاذفونش وكان أمير المسلمين يومئذ بمدينة سبتة في الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس  
 وأرسل الى مراکش في طلب من بقي من عساكره فأقبل اليه يتلوا بعضها بعضها فلما تكاملت عنده  
 عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل  
 قرطبة عسكرا كبيرا وقصد المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع  
 عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبته له  
 بعض غواة أدباء المسلمين يعاظم له في القول ويصف مامعه من القوة والعدد وبالغ في ذلك فلما وصل وقرأه  
 يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبها مغلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين  
 قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب على ظهره الذي يكون ستره وأرسله اليه فلما  
 وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم انه بلى برجل له دهاء وعزم فوجد كرايا خلدون **يو** أن يوسف بن تاشفين  
 أمر بعبور الجبال فعبور منها ما أعص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا  
 جلاقط ولا خيلاهم رأوا فصاروا الخيل تجوع من رؤية الجبال ووغائرها وكان ليوسف في عبورها  
 رأى مصيب فكان يمدق بها عساكره ويحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تجوع منها وقدم يوسف بن  
 تاشفين بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه الدخول في الاسلام أو الجزيرة أو الحرب كما هي السنة  
 ومن جملة ما في الكتاب بلغنا يا أذفونش انك دعوت الله في الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك سفن  
 تعبر عليها البحر اليها فقد عبرناه اليك وقد جمع الله تعالى في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك  
 وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما سمع الاذفونش ما كتب اليه يوسف جاش بمرغيبته وزاد في طغيانه  
 وأقسم أن لا يبرح من موضعه حتى يلقاه (ولنرجع الى كلام صاحب الروض المعطار) قال رحمه الله فلما عبر

يوسف وجميع جيوشه البحر الى الخضراء نهض الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا  
بعد أمير وقبيل بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بيجاب الاقوات والضيقات  
ورأى يوسف ماسره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على اشبيلية وخرج المعتمد الى لقاء  
يوسف من اشبيلية في مائة فارس من وجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف ركض نحوهم وركضوا نحوه  
ثم برز اليه يوسف وحده والتقى منفردين وتصافوا وتعانقا وأظهرا كل منهما صاحبه المودة والخلاص  
وشكرا نعم الله وتواصيا بالصبر والرجة وبشرا أنفسهم بما استقبلاه من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله  
في أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه واقتراقا فعاذ يوسف لمحلته وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد  
ما كان أعده من هدايا وتحف وضيقات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين وباوتانك الليلة فلما  
أصبحوا وصاوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ورأى الناس  
من عزة سلطانهم ماسرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من يادرأوأعان وكذلك فعل  
العصراويون مع يوسف أهل كل صقع من أصقاعه رابطوا وكابدوا وكان الاذفونش لما رأى اجتماع  
العزائم على مناجزته علم انه عام نطاح فاستنفر الفريجة للخروج ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة  
صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالة والافرغ ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق  
تردد من الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان صاحبكم يوسف قد تعنى بالنجي من بلاده وخوض  
البحر وأنا كفيه العناء فيما بقي ولا أكلفكم تعباً أمضى اليكم وألماكم في بلادكم رقابكم وتوفيرا عليكم  
وقال لخاصته وأهل مشورته اني رأيت اني ان أممكتهم من الدخول الى بلادى فناجزوني فيها وبين  
جدرها وربما كانت الدائرة على يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكني أجعل  
يومهم مهي في حوز بلادهم فان كانت على اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الا بعد أهبة أخرى  
فيكون في ذلك صون لبلادى وجبريل كاسرى وان كانت الدائرة عليهم كان مني فيهم وفي بلادهم ما خفت  
أن يكون في وفي بلادى اذا ناجزوني في وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأتجاد جوعه على باب دربه  
وترك بقية جوعه خلفه وقال حين نظرت الى ما اختاره منهم هؤلاء أقاتل الجن والانس وملائكة السماء  
فالقليل يقول المختارون أربعون ألف دارع ولكل واحد اتباع وأما النصرارى فيجبون من يزعم ذلك  
ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل ان عدد المسلمين كان أقل من عدد الكفار ورأى  
الاذفونش في نومه كأنه راكب في لاد بين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقصر رؤياه على القسيسين فلم  
يعرفوا تأويلها فأحضر رجلا مسلما عالما بنفسه ير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يقفه فقال  
تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر  
السورة وقوله تعالى فاذا نقر في الناقر فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وذلك يقتضى  
هلاك هذا الجيش الذى تجمهه فلما اجتمع جيشه ورأى كثرة أعجبه فأحضر ذلك المعبر وقال له بهذا  
الجيش ألقى الله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه  
وذكر الحديث ثلاث مهلكات وفيه واعجاب المرء بنفسه ثم خرج الاذفونش الى بلاد الاندلس وتقدم  
السلطان يوسف نحوه أيضا وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم انزعج يقفوا أثره بجيش فيه حاة الثغور  
ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته وسار وهو ينشد متغائلا بيت سائر مجيزه بأبيات  
من شعره

لا بد من فرج قريب \* يأتيك بالعجب العجيب غزو عليك مبارك \* سيعود بالفتح القريب  
لله سعدك انه \* نكس على دين الصليب لا بد من يوم يكو \* ن له أخا يوم القليب  
ووافى الجيوش كلها بطليوس فأناخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس

فلقبهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل المجهود ثم جاءهم الخبر بشخص الاذفونش اليهم وهو قال  
ابن أبي ذرع **ع** ارتحل يوسف بن تاشفين من الخضراء قاصدا نحو الاذفونش وقدم بين يديه قائده  
أبا سليمان داود بن عائشة وكان بطلامن الابطال في عشرة آلاف فارس من المرابطين بعد ان قدم أمامه  
المعتمد بن عباد مع أمراء الاندلس وجيوشهم منهم ابن صمادح صاحب المربة وابن حبوس صاحب  
غرناطة وابن مسلمة صاحب النغر الأعلى وابن ذى النون وابن الافطس وغيرهم فأمرهم يوسف ان  
يكونوا مع المعتمد فتكون محلة ملوك الاندلس واحدة ومحلة المرابطين أخرى فتقدم بهم ابن عباد فكانوا  
اذا ارتحل ابن عباد من موضع نزله يوسف بمحلته فلم يزلوا كذلك حتى نزلوا مدينة طرطوشة فأقاموا بها  
ثلاثا وكتب منها يوسف الى الاذفونش يدعوهم الى الاسلام أو الجزية أو الحرب وكان جواب الاذفونش  
ما تقدم ثم ارتحل يوسف وارتحل الاذفونش حتى نزلوا معا بالقرب من بطليوس وكان نزول يوسف بموضع  
يعرف بالزلاقة وتقدم المعتمد فنزل ناحية أخرى تجزي بينه وبين يوسف روبة وبين المسلمين والقرمخ نهر  
بطليوس حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء فأقاموا ثلاثة أيام والرسل تختلف بينهم الى ان وقع اللقاء على  
ما نذكره ولما زلقت بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عينونه في محلات الصمرا وبين حوقا عليهم من مكائد  
الاذفونش اذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصمرا وبين  
كان لا يخرج الى طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنقسه مطيقا بالمحلة بعد ترتيب الخيل  
والرجال على أبواب المحلات ثم قامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على  
الموت وعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون في الناس مقام الوعظ وحضوهم على  
الصبر والنبات وحذروهم من الفشل والفرار وجاءت الطلائع تخبران العدو مشرف عليهم صبيحة  
يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكبح الاذفونش ورجع الى أعمال المكر  
والخدعة فعاد الناس الى محلاتهم وياتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول  
غد يوم الجمعة وهو عيدكم والا حد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان  
يوسف وأعلم انه حاجبه منه وخديعة وانما قصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم  
الجمعة كل النهار ويقال ان الاذفونش واعدتهم ليوم الاثنين ويات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس  
كما أشار ابن عباد وبعدهم من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن وميلة القرطبي وكان  
في محلة ابن عباد فرح مسرورا يقول انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في النوم فبشره بالفتح  
والموت على الشهادة في صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن  
عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر العدو والكافر ثم جاء بالليل فارسان من طلائع  
المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعوا ضوضاء الجيش وختخشة السلاح ثم تلاحق بقية  
الطلائع محققين لتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلاتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا  
الاذفونش يقول لأصحابه ابن عباد مسر هذه الحروب وهؤلاء الصمرا ويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى  
بصائر في الحرب ففهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاهجموا عليه واصبروا له فان انكشف  
لكم هان عايكم الصمرا ويون بعده ولا أراه يصبر لكم ان صدقتموه المحلة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب  
أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش ويستحث نصرته فغضى ابن القصيرة  
يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بجاية الامر فقال له قل له اني سأثر اليك ان شاء الله وأمر  
يوسف بعض قواده أن يعضى بكتيبة رسمهاله حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا مادام الاذفونش  
مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيتة جنود الطاغية فصدم ابن  
عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحى



الوطيس واستخر القتل في أصحاب ابن عباد وصبر صبر الم يهد مثله واستبطأ السلطان يوسف وهو  
 يلاحظ طريقه وعضته الحرب واشتد عليه وعلى أصحابه البلاء وماءات الظنون وانكشف اليه بعض منهم  
 وفيهم ابنه عبد الله بن المعتمد وأثنى هو جراحات في رأسه وبدنه وعقرت تحته في ذلك اليوم ثلاثة أفراس  
 كلها هلك واحد قدم له آخر وتذكر في تلك الحالة ابنا له صغيرا يكنى أباهاشم وكان قدره كه باشيلية  
 علي الاقبال أباهاشم هسفتني الشفار \* فله صبري لذلک الاوار  
 ذكرت شخصك تحت الجهاد \* فلم يثنى ذكره للفرار

ثم كان أول من وافي ابن عباد من قواد يوسف بن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا شهما قنص بجيشه على  
 ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله قدملا ت أصواتها الجوفلا أبصره الاذفونش وجه جلته اليه  
 وقصده معظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصددهم صدمة ردتهم الى مركزهم وانتظم به شمل  
 ابن عباد واستنشق الناس ريح الظفر وتباشروا بالنصر ثم صدقوا جميعا الحلة فزلت الارض من حوافر  
 الخيل وأظلم النهار بالجهاج وخاضت الخيل في الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى  
 يوسف وجعل معه جملة جاء معها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتمام الفتيين  
 وصدقوا الحلة فانكشف الطاغية ومرها ربا منهزما وقد طعن في احدى ركبتيه طعنة بقي يجمع بها بقية  
 عمره قالوا وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على فرس يومئذ أنى يربين ساقات المسلمين وصفوفهم  
 يحرثهم ويقوى نفوسهم على الجهاد ويحضهم على الصبر فقاتل الناس في ذلك اليوم قتال من يطلب  
 الشهادة ويرغب في الموت ويوعى سياق ابن خلكان ان ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر  
 العدو في يوم الاربعاء وكان الموعد بالمناجزة يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر فلما كان صبر يوم الجمعة  
 منته فرجب أقبلت طلوع ابن عباد والروم في أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبت  
 الخيل في العساكر فاجت بأهلها اورجفت الارض وصارت الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهتهم  
 خيل العدو فمرت ابن عباد وحطمت ماتعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وصرع ابن عباد  
 وأصابه جرح أشواه وفرر رؤساء الاندلس وأسلموا محلاتهم وظنوا انه وهي لا يرفع ونازلة لا تدفع وطق  
 الاذفونش ان أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم ان العاقبة للثقين فتقدم أمير المسلمين وأحدقت به أنجاد  
 خيله ورجاله من ضهاجة ورؤساء القبائل وقصدوا محلة الاذفونش فاقصموها وقتلوا حاميتها وضربت  
 الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والافاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد ان  
 علموا ان أمير المسلمين فيها فقصدوه فافرح لهم عنانهم كرت عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فأفرج لهم  
 عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى ان أمر أمير المسلمين حشمة السودان فترجل منهم زهاء أربعة  
 آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللط وسيف الهند ورض اريق الزان فخالطوا الخيل وطعنوها فمحت  
 بفرسانها وأجمت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش باسود نغدت من أريقه فاهوى ليضربه بالسيف  
 فلصق به الاسود وقبض على عنانه وانتضى خنجرا كان ممتنطقا به فانبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك  
 فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وهبت  
 ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحلة على الاذفونش وأصحابه  
 فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا اقفاءهم والسيوف تصفغهم والراح تطعنتهم الى ان  
 لحقوا برؤة لجوا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من  
 الرؤة وأفاتوا من بعد ما نشبت فيهم أظفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الاناث  
 والانية والمضارب والاسلحة وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم  
 ووقال صاحب الروض المطار بجلبا الاذفونش الى تل كان يلي محلته في نحو خمسمائة فارس ما منهم

الامكالم وأباد القتل والاسر من عداهم من أصحابه وعمل المسلمون من رؤسهم ما آذن يؤذون عليها  
 والمخذول ينظر الى موضع الوقعة ومكان الهزيمة فلا يرى الانكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على  
 السلطان يوسف وصاحفه وهنأه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبرا بن عباد ومقامه وحسن بلائه  
 وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهم زامهم عنه فقال له ها هم هؤلاء قد حضر وا بين يديك فليضربوك  
 وكتب ابن عباد الى ابنه باشيلية كتابا مضمونه كتابي هذا اليك من المحلة المنصورة يوم الجمعة منتصف  
 رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب  
 الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسنأه من هذه المسرة العظيمة والنعمة الجسيمة في  
 تشتيت شمعل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلا والله تكال الجيم ولا أعدمه الوبال  
 العظيم بعد اتيان النهب على محلاته واستصال القتل بجميع أبطاله وجاته حتى اتخذ المسلمون من  
 هاماتهم صوامع يؤذون عليها فله الحمد على جيل صنعه ولم يصنني والحمد لله الاجرات يسيرة آلمت  
 لكذا قرحت بعد ذلك فله الحمد والمنة والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء مثل  
 ابن زميلة صاحب الرويا المذكورة وقاضي مراکش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحم الله  
 الجميع **و** حتى **ب** ان موضع المعترك كان على اتساعه ما فيه موضع قدم الاعلى ميت أودم وأقامت  
 العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف فعمف عنها وأثر بها  
 ملوك الاندلس وعرفهم ان مقصوده الجهاد والاجوال العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما  
 رأته ملوك الاندلس اثار يوسف لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له صنعه وأمر أمير المسلمين  
 بقطع رؤس القتلى وجعلها فقطعت وجمع بين يديه منها أمثال الجبال فبعث منها الى اشيلية عشرة آلاف  
 رأس والى قرطبة مثل ذلك والى بلنسية مثلها والى سرقسطة ومرسية مثلها وبعث الى بلاد العدو  
 أربعين ألف رأس فقسمت على مدن العدو ليراها الناس فيشكروا الله على ما منحهم من النصر  
 والظفر العظيم **ب** قال ابن زرع **ب** وفي هذا اليوم تسمى يوسف بن تاشفين بأمر المسلمين ولم يكن يدعى به  
 قبل ذلك وأظهر الله تعالى الاسلام وأعز أهله وكتب أمير المسلمين بالفتح الى بلاد العدو والى عم بن المعز  
 الصنهاجي صاحب افريقية فعملت المفترحات في جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس واجتمعت كلمة  
 الاسلام وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل  
 عن أصحابه وأبطاله فقدمهم ولم يسمع الا نواح الشكالي عليهم اغتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك أسفا ونحما  
 وراح الى أمه الهاوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فحصنت بطليطلة ورجل المعتمد الى  
 اشيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام يوسف بظاهر اشيلية ثلاثة أيام وورد عليه الخبر بوفاة  
 ولده أبي بكر بن يوسف وكان قد تركه مريضاً بسبته فاغتم لذلك وانصرف راجعا الى العدو وذهب معه ابن  
 عباد يوم ما وليه فغزم عليه يوسف في الرجوع الى منزله وكانت جراحاته قد تورمت عليه فسير معه ولده  
 عبد الله الى ان وصل البحر وعبر الى المغرب وكان أمير المسلمين عند مجيئه الى بلاد الاندلس وقصده ملاقاته  
 الاذفونش قد تحركت السير بالمرء من غير ان يمر بمدينة اورستاق حتى نزل الرلاقة تجاه الاذفونش  
 وهناك اجتمع بعساكر الاندلس قاله ابن خلدكان ولما فرغ من الوقعة رجع عوده على بدته كل ذلك  
 نورع منه وتكرّم وتخفيف عن الرمايا رجه الله ورضى عنه ولما رجع ابن عباد الى اشيلية جلس للناس  
 وهنئ بالفتح وقرأت القرءاء وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه **ب** قال عبد الجليل بن وهبون **ب** حضرت  
 ذلك اليوم وأعدت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأ قارى الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعد الى ولشعري  
 والله ما بقت لي هذه الآية معنى أحضره وأقوم به اه ومن هنا اختلفت أقوال المؤرخين في حال أمير  
 المسلمين في الجهاد فقيل لانه لم يرجع الى بلاد الاندلس بعد هذه المرة لكنه ترك قواده فيها ورسم لهم

بالجهاد وشن الغارات على بلاد العدو وقيل انه عاد اليها ثانيا والثا على هذا القول فاختلصوا في زمان ذلك العود وتاريخه والله تعالى أعلم

ببقية اخبار أمير المسلمين في الجهاد وما اتفق له مع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عباد

اعلم ان اقوال المؤرخين اختلفت في امر يوسف بن تاشفين بعد غزوة الزلاقة فحكى ابن خلكان وغيره ان أمير المسلمين لما عزم على النهوض الى بلاد المغرب ترك قائده سير بن أبي بكر المتوفى بارض الاندلس وخلف معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح سير بن أبي بكر أياما قلائل ثم دخل بلاد الازفونش وشن الغارات قهبا وقتل وسبأ وفتح الحصون المنيعه والمعقل الصعبة وتوغل في بلاد العدو وحصل على أموال جليله وذخائر عظيمة ورتب رجالا وقرسانا في جميع ما استولى عليه وأرسل الى السلطان يوسف بجميع ما حصله وكتب اليه يعرفه ان الجيوش الثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال في أضيق عيش وأنكده وملوك الاندلس في بلادهم وأهلهم في أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه ان يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدو فن فعل فذالك ومن أبي فاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدأ بن والى الثغور منهم ولا تتعرض لابن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول عليه أمير من عسكرك فامثل سير بن أبي بكر أمره واستتزلهم واحدا بعد واحد حتى كان آخرهم ابن عباد فالحقه بهم ونظمه في سلكهم على ما ذكره ووقال ابن أبي زرع يعلما كانت سنة احدى وعثانين وأربعمائة جازأه أمير المسلمين الى الاندلس الجواز الثاني برسم الجهاد قال وسبب جوازه ان الازفونش لعنه الله لما هزم وجرح وقتلت جوعه محمد الى حصن لبيط الموالى لعامل ابن عباد فشقته بالخيال والرجال والرماة وأمرهم ان يكونوا ينزلون من الحصن المذكور فيغيرون في أطراف بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الاندلس اذ كان السبب في جواز أمير المسلمين الى الاندلس فكانوا ينزلون من الحصن في الخليل والجل فيغيرون ويقتلون ويأسرون قد جعلوا ذلك وظيفة عليهم في كل يوم فساء ابن عباد ذلك وضاق به ذرعا ثم عبر البحر الى العدو مستنغرا لا أمير المسلمين فلقية بالمعمورة من حلق وادى سبوا وهذه المعمورة هي السماء اليوم بالمهدية من أحواز سلا فشبكي اليه حصن لبيط وما يلقاه المسلمون من أهله فوعده الجواز اليه فرجع المعتمد دوسار يوسف في أثره فركب البحر من قصر الجواز الى الخضراء فلقاه ابن عباد بها بالغ دابة تحمل الميرة والضيافة فلما نزل يوسف بالخضراء كتب منها الى أمراء الاندلس يدعوهم الى الجهاد وقال لهم الموعد بيننا وبينكم حصن لبيط ثم تحرك يوسف من الخضراء وذلك في ربيع الاول من السنة المذكورة فنزل على حصن لبيط وفي القاموس لبطيط كرتيبيل بلد بالجزيرة الخضراء الاندلسية ولعله هو هذا فلما نزل أمير المسلمين لم يأت به عن كتب اليه من أمراء الاندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية وابن عباد صاحب أشبيلية فنازلا معه الحصن وشرعوا في القتال والتضييق عليه وكان يوسف رحمه الله يشن الغارات على بلاد الفرنج كل يوم ودام الحصار على الحصن أربعة أشهر لم ينقطع القتال فيها يوما واحدا الى ان دخل فصل الشتاء وقع بين ابن عبد العزيز وابن عباد نزاع وشنان فشبكي المعتمد الى أمير المسلمين ابن عبد العزيز فقبض عليه أمير المسلمين وأسلمه الى ابن عباد فاختل أمر المحلة بسبب ذلك وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ووقع بها الغلاء ولما علم الازفونش بذلك حشد أم النصرانية وقصد الى حامية الحصن في أم لا تحصى فلما قرب من الحصن انصرف له يوسف عنه الى ناحية لورقة ثم الى المرية ثم جاز الى العدو وقد تغير على أمراء الاندلس لكونهم لم يأت به منهم أحد عند مادعاهم الى الجهاد ومنازلة الحصن ولما أفرج أمير المسلمين عن الحصن المذكور أقبل الازفونش حتى نزل عليه فاخلاه مما كان فيه من آلة الحصار ومادته وأخرج من كان فيه من بقية النصراني المتغلبين من مخالف المنية وعاد الى طليطلة فاستولى ابن عباد عليه بعد خلافه وقتناه جميع جماته بالقتل والجوع سوى

تلك الصبابة المنفضة وكان فيه عند ما نازله أمير المسلمين اثنا عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية فأتى عليهم القتل والجوع حتى لم يبق فيه سوى نحو المائة وهم المنقلتون منه عند اخلائه ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثالث برسم الجهاد فسار حتى نزل على طليطلة وحاصرها الأذقونش وشنق الغارات باطرافها فاكنتسحها واتسفت عمارها وزروعها وخرت عمراؤها وقتل وسبوا ولم يأتها من ملوك الأندلس أحد ولا عرج عليه منهم معرج فغناظه ذلك ولما قفل من غزو طليطلة عمدا إلى غرناطة فنازلها وكان صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس قد صالح الأذقونش وظاهره على أمير المسلمين وبعث إليه عيال واشتغل بتحصين بلده وفي ذلك يقول بعض شعراء عصره يبنى على نفسه سفاها \* كأنه دودة الحرير دعوه يبنى فسوف يدري \* إذا أتت قدرة القدير ولما انتهى أمير المسلمين إلى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلكين وأغلق أبوابها وانه فحاصره أمير المسلمين نحو شهرين ولما اشتد عليه الحصار أرسل يطلب الأمان فأقننه أمير المسلمين وتسلم منه البلاد فملكها وبعث بعبد الله وأخيه عيم بن بلكين صاحب مالقة إلى مراکش مع حريمها وأولادها فأقام بها وأجرى عليهما الاتفاق إلى أن ماتا بها ولما خلع أمير المسلمين بني باديس وملك غرناطة ومالقة وما أضيف إليهما خاف منه المعتمد بن عباد وانقبض عنه ويقال إن ابن عباد طمع في غرناطة وإن أمير المسلمين يعطيه أياها فعرض له بذلك فاعرض عنه أمير المسلمين فخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عليه ثم سعى بينهما الوشاة فتغير عليه أمير المسلمين وعبر إلى العدو في رمضان سنة ثلاث وثمانين المذكورة ولما انتهى إلى مراکش ولّى على الأندلس قائده سير بن أبي بكر اللتوني وقوض إليه جميع أمورها كلها ولم يأمره في ابن عباد بشيء فسار سير بن أبي بكر نحو اشبيلية وهو يظن إن ابن عباد إذا سمع به يخرج إليه ويتلقاه على بعد ويحمل إليه الضيافات على العادة فلم يفعل وتحصن منه ولم يلتفت إليه فراسله سير بن أبي بكر أن يسلم إليه البلاد ويدخل في طاعة أمير المسلمين فامتنع ابن عباد فعند ذلك تقدم سير إلى حصاره وقتاله وبعث بعض قواده إلى قرطبة ليحاصرها وبها يومئذ المأمون بن المعتمد بن عباد فنازلها في عساكر المرابطين حتى فتحها يوم الأربعاء ثالث صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة وقتل صاحبها المأمون بن المعتمد ثم فتح ياسة وأبدة وحصن البلاط والمدور والخصيرة وشقورة ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى لم يبق لابن عباد بلدا الا وقد ملكه المرابطون ماء داقرمونة واشبيلية ثم ارتحل سير بن أبي بكر إلى قرمونة فنازلها حتى دخلها عنوة زوال يوم السبت السابع عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة فاشتد الأمر على ابن عباد وطال عليه الحصار فبعث إلى الأذقونش لعنه الله يستغيث به على لتونة ويعدده باعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد إن هو كشف عنه ما هو فيه من الحصار فبعث إليه الأذقونش قائده القومس في جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف فرج فلما علم سير بقدم الفرغ إليه انتخب من جيشه عشرة آلاف فارس من أهل الشجاعة والنجدة وقدم عليهم إبراهيم بن اسحق اللتوني وبعثه للقاء الفرغ فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور فكانت بينهما حرب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين ومنعهم الله النصر فهزموا الفرغ وقتلواهم حتى لم يفلت منهم الا القليل ثم شد سير بن أبي بكر في الحصار والتضييق على اشبيلية حتى اقتحمها عنوة وقبض على المعتمد وجاعة من أهل بيته فقيدهم وحلهم في السفين بنهر اشبيلية وبعث بهم إلى أمير المسلمين عمراکش فامر أمير المسلمين بإرسال المعتمد إلى مدينة انجات فسجن بها واستمر في السجن إلى أن مات به لاحدى عشر ليلة خلت من شوال سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وكان دخول سير بن أبي بكر مدينة اشبيلية يوم الاحد الثاني والعشرين من رجب سنة أربع وثمانين ثم ملك المرابطون بعد ذلك ما بقي من بلاد الأندلس إلى أن خلصت لهم ولم يبق ملوك الطوائف بها ذكر وهذه الاخبار نقلناها عن ابن أبي زرع عمزوجة باليسير من كلام غيره

واعتمدنا كلامه لانه موضوع بالقصد الاوّل لاخبار المغرب فيكون أعنى به من غيره وفي تاريخ ابن خلدون بعض مخالفة لما مرّ قال **ب** أجاز يوسف بن تاشفين البحر الى الاندلس الجواز الثاني سنة ست وثمانين وأربعمائة وتشاغل أمر الطوائف عن لقائه لما أحسوا من تكبره عليهم لم يلبسوا به رعاياهم من الظلمات والمكوس وتلاحق المغارم فوجد عليهم وعهد برفع المكوس وتحري المعدلة (وقال أيضا) ان الفقهاء بالاندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلمات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فاجابوه بالامتنال حتى اذا رجع عن بلادهم رجعوا الى حالهم فلما أجاز ثانية انقبضوا عنه الا ابن عباد فانه بادر الى لقائه وأغراه بالكثير منهم فتقبض على ابن رشيق البناء وأمكن ابن عباد منه للعداوة التي بينهم ما وبعث جيشا الى المريفة ففر عنها صاحبها ابن صمادح ونزل بجاية من أرض افرنجية وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكر أمير المسلمين ومحلاته ففساه نظره وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم وصارت اليه بذلك فتاوى أهل المشرق الاعلام مثل الغزالي والطرطوشي وغيرهما فعمد الى غرناطة واستنزل صاحبها عبد الله بن بلكين وأخاه عينا عن مالقة بعد ان كان منهم ما مداخلة للطاغية في عداوة يوسف بن تاشفين وبعثهم الى المغرب فخاف ابن عباد عن ذلك منه وانقبض عن لقائه وفشت السعايات بينهم وانفض أمير المسلمين الى سبتة فاستقر بها وعقد لامير سير بن أبي بكر على الاندلس وأجازته فانتهى اليها وقعد ابن عباد عن تلقيه وميرته فاحفظه ذلك وطالبه بالطاعة لأمير المسلمين والنزول عن الأمر ففسد ذات بينهم ما غلبه على جميع عمله ثم صعد الى اشبيلية فحاصره بها واستجد الطاغية فعمد الى استنقاذه من هذا الحصار فلم يقف عنه شيئا وكان دفاع لتونة عاقت في عضده واقطم الرابطين اشبيلية عنوة سنة أربع وثمانين وأربعمائة وتقبض سير على المعتمد وقاده أسيرا الى مراکش فلم يزل في اعتقال يوسف بن تاشفين الى أن هلك في محبسه من انجات سنة تسعين وأربعمائة ثم عمد الى بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الافطس فقتله وابنيه يوم الاضحى سنة تسع وثمانين وأربعمائة بما صح عنده من مداخلتهم الطاغية وأن يملكوه مدينة بطليوس ورتاهم الاديب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول في أولها

الدهر يجمع بعد العين بالآثر \* فالالبكاء على الاشباح والصور

وهي قصيدة غريبة في منوالها وموضوعها عتد فيها أهل النكبات ومن عثر به الزمان بما يبكي منه الجواد وتستشرف لسماعه الانجاد والوهاد ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث الى الاندلس سنة تسعين وأربعمائة وزحف اليه الطاغية فبعث أمير المسلمين عساكر الرابطين لنظر محمد بن الحاج اللتوني فانهمز النهاري أمامه وكان الظهور للمسلمين ثم أجاز الامير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث وتسعين وانضم اليه محمد بن الحاج وسير بن أبي بكر فافتحو اعمامة الاندلس من أيدي ملوك الطوائف ولم يبق منها الا سرقة في يد المستعين بن هود معصما بالنصاري وأغزى الامير مزدي صاحب بلنسية الى بلاد برش لونة فانتخنها فيها وبلغ الى حيث لم يبلغ أحد قب له ورجع وانتظمت بلاد الاندلس في ملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن واستولى أمير المسلمين على المدوتين معا واتصلت هزائم الرابطين على القرخي مرارا والله غالب على أمره فهذا كلام ابن خلدون في سياقه هذه الاخبار **ب** واعلم **ب** انه قد يوجد ههنا لبعض المؤرخين حظ من رتبة أمير المسلمين وغض عليه اما في كونه كان بربري من أهل الصحراء بعيدا عن مناحي الملك والادب ورقة الحاشية واما في كونه تعامل على ملوك الاندلس حتى فعل بهم ما فعل وذلك حيث عين حسن بلادهم ورفاهية عيشهم واعلم ان هذا الكلام جدير بالرد وأصله من بعض أدباء الاندلس الذين كانوا يتنادمون ملوكها ويستهطلون بظلمهم ويغدون ويروحون في نعمتهم فحين فعل أمير المسلمين بسادتهم ورؤسائهم ما فعل أخذهم من ذلك

ما يأخذ النفوس البشرية من الذب عن الصديق والمحاماة عن الغريب حتى باللسان والافتقد كان أمير المسلمين رجه الله من الدين والورع على ما قد علمت ومن ركوب الجادة وتحري طريق الحق على الوصف الذي سمعت وهذا ابن خلدون امام الفن ومتهجرى الصدق قد نقل أن ملوك الاندلس كانوا يظلمون رعياهم بضرب الكوس وغيرها ثم وصلوا أيديهم بالطاغية وبذلوا الاموال في مظاهرتة اياهم على أمير المسلمين ثم لم يقدم على قتالهم واستتزلهم عن سرير ملكهم حتى تعددت لديه فتاوى الائمة الاعلام من أهل المشرق والمغرب بذلك فافهم هذا واعرفه والله تعالى يقابل الجميع بالعفو والصغح الجليل عنه وكرمه

### بقية أخبار أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سوى ما تقدم

قال ابن خلدون كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حاز ما ساءت اللامور ضابط المصالح عمالته موثرا لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم قال وبلغني ان الامام حجة الاسلام ابا حامد الغزالي رجه الله لما سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة وميله الى أهل العلم اعزم على التوجه اليه فوصل الى الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج اليه فاجاء اليه الخبر بوفاته فرجع عن ذلك العزم قال وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب وقد ذهب عنى في هذا الوقت من أين وجدته (وكان أمير المسلمين يوسف) معتدل القامة أسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت وكان يخطب لبني العباس وهو أول من تسمى بأمير المسلمين ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه الى ان توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة ثمان مائة وعاش تسعين سنة ملك منها مدة تسعين سنة رجه الله وقال ابن خلدون تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين وخطب الخليفة لعهد بيغداد وهو أبو العباس أحمد المستظهر بالله العباسي وبعث اليه عبد الله ابن محمد بن العربي المعافى الاشبيلي وولده القاضي أبا بكر بن العربي الامام المشهور قتل طغافى القول وأحسن فى الابلاغ وطلب من الخليفة أن يمدد قدامير المسلمين بالمغرب والاندلس فمدد له وقدمه ذلك مكتوب من الخليفة منقول فى أيدي الناس وانقلبا اليه بتقليد الخليفة وعهده على ما الى نظره من الاقطار والاقاليم وخطبه الامام الغزالي والقاضي أبو بكر الطرطوشي يحضانه على العدل والتمسك بالخير ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع الى الاندلس سنة سبع وتسعين وأربعمائة اه كلام ابن خلدون وانما احتاج أمير المسلمين الى التقليد من الخليفة المستظهر بالله مع انه كان بعيدا عنه وأقوى شوكة منه لتكون ولايته مستندة الى الشرع وهذا من ورعه رجه الله وانما تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أدب مع الخليفة حتى لا يشاركه فى لقبه لان لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة والخليفة من قريش كما فى الحديث فافهم ومن أخبار يوسف بن تاشفين أيضا ما نقله غير واحد من الائمة ان أمير المؤمنين طلب من أهل البلاد المغربية والاندلسية المعونة بشئ من المال على ما هو بصدده من الجهاد وانه كتب الى قاضى المرية أبى عبد الله محمد بن يحيى عرف بابن البراء يأمره بفرض معونة المرية ويرسلها اليه فامتنع محمد بن يحيى من فرضها وكتب اليه يخبره بان لا يجوز له ذلك فاجابه أمير المسلمين بان القضاة عندى والفقهاء قد أباحوا فرضها وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فرضها فى زمانه فراجعته القاضى عن ذلك بكتاب يقول فيه الحمد لله الذى اليه ما آتينا وعليه حسابنا وبعد فقد بلغنى ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان أبا الوليد الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أقتوه بان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقتضاهما فالقضاة والفقهاء الى النار دون زبانية فان كان عمر اقتضاهما فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيره وجميعه فى قبره ولا يشك فى عدله وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بوزيره ولا بجميعه فى قبره ولا بمن لا يشك فى عدله فان كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلته فى العدل فانه تعالى سائلهم وحسيبهم عن تقادهم فيك

وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم وحلف ان ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم واحد ينفقه عليهم فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع محضرة من هناك من أهل العلم وليحلف أن ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم وحيثئذ تجب معونته والله تعالى على ذلك كله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته فلما بلغ كتابه الى أمير المسلمين وعظه الله بقوله ولم يعد عليه في ذلك قولا والاعمال بالنيات وكان أمير المسلمين حين ورد عليه التقليد من الخليفة ضرب السكة باسمه ونقش على الدينة اول الاله الا الله محمد رسول الله وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب على الدائرة ومن يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الناسرين وكتب على الصفحة الاخرى عبد الله أحد أمير المؤمنين العباسي وعلى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكنه وكان ملكه قد انتهى الى مدينة أفرغة من قاصية شرق الاندلس والى مدينة أشبونة على البحر المحيط من غرب الاندلس وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا وفي العرض ما يقرب من ذلك وملك بعدوة المغرب من جزائر بني مرغنة الى طنجة الى آخر السوس الاقصى الى جبال الذهب من بلاد السودان ولم يرق في بلد من بلاده ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا خراج لافي حاضرة ولا في بادية الا ما أمر الله به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكوات والاعشار وجزيات أهل الذمة وأخماس الغنائم وقد جبي في ذلك من الاموال على وجهها ما لم يجبه أحد قبله يقال انه وجد في بيت ماله بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربيع من الورق وخمسة آلاف وأربعون ربعيا من مطبوع الذهب وكان وجهه الله زاهدا في زينة الدنيا وزهرا في عظمة شغفها بالاسم الصوف لم يلبس قط غيره وما كلفه الشـعير ولحوم الابل والبانها مقتصر على ذلك لم ينقل عنه مدة عمره على ما مضى من سعة الملك وخوله من نعمة الدنيا وقد رد أحكام البلاد الى القضاة وأسقط مادون الاحكام الشرعية وكان يسير في أعماله بنفسه فيتنقذ أحوال الرعية في كل سنة وكان محبا للفقهاء وأهل العلم والفضل مكرما لهم صادرا عن رأيهم يجري عليهم أرزاقهم من بيت المال وكان مع ذلك حسن الاخلاق متواضعا كثير الحياء جامعا لخصال الخير رحمه الله تعالى ورضي عنه

### عن الخبر عن دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين التوفي

لما توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في التاريخ المتقدم بايع الناس ابنه علي بن يوسف المذكور عمرا كمش بعهد من أبيه اليه وتسمى بأمير المسلمين وكان سنه يوم بوع ثلاثا وعشرين سنة وملك من البلاد ما لم يملكه أبوه لانه صادف البلاد ساكنة والاموال وافرة والرعايا آمنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة وسلك طريقة أبيه في جميع أموره واهتدى بهديه

### عن خروج يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين على عمه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين

لما توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سماه ابنه علي بن يوسف بثوبه وخرج الى المرابطين ويده في يد أخيه أبي الطاهر تميم بن يوسف فمضى لهم أباه ثم وضع أبو الطاهر يده في يد أخيه علي بن يوسف فبايعه ثم قال للمرابطين قوموا فبايعوا أمير المسلمين فبايعه جميع من حضر من لتونته وسائر قبائل صنهاجة وبايعه الفقهاء وأشياخ القبائل فمضى له البيعة عمرا كمش ثم كتب الى سائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد القبلة يعلمهم بوفاته أبيه واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة فأنته البيعة من جميع البلاد وأقبلت نحوهم الوفود للتعزية والتهنئة الا أهل مدينة فاس فان ابن أخيه يحيى بن أبي بكر بن يوسف كان أميرا عليها من قبل جده يوسف فلما انتهى اليه الخبر بعوت جده وولاية عمه عظم عليه ذلك وأنف من مبايعة عمه فخرج عليه وواقفه على ذلك جماعة من قواد لتونته فزحف اليه علي بن يوسف من مرراكش حتى اذا دنى من فاس خاف يحيى بن أبي بكر على نفسه وعلم أنه لا طاقة له بحرب عمه فأسلم فأسلمه فخرج منها خائفا

يترب قد دخلها على بن يوسف يوم الأربعاء الثامن من ربيع الآخر سنة خمس مائة واستقام له الأمر وقيل  
 أن علي بن يوسف لما دنا من فاس نزل بمدينة مغيلة من أحوازها ثم كتب إلى ابن أخيه يعاتبه على  
 ما ارتكبه من الخلاف ويدعوه إلى الدخول في الطاعة كما دخل الناس وكتب كتابا آخر إلى أشياخ البلد  
 يدعوهم فيه إلى بيعته ويتهددهم ويتوعددهم فلما وصل الكتاب إلى يحيى وقرأه جمع أهل البلد  
 واستشارهم في المقاتلة والحصار فلم يوافقوه فلما يش منهم خرج فارا إلى مرزدي بن تيلكان وكان عاملا  
 على تلمسان فلقبه مرزدي بوادي ماوية مقبلا برسم البيعة لعلي بن يوسف فاعلمه يحيى بما كان من شأنه  
 فضمن له مرزدي عن عمه العفو والصقح فرجع معه حتى إذا وصل إلى فاس دخل مرزدي على أمير المسلمين  
 علي بن يوسف ونزل يحيى مستخفيا بحومة وادي شردوع ولما اجتمع مرزدي بأمير المسلمين وسلم عليه  
 ورأى منه أكراما وقبولاً أعلمه بخبر يحيى وما ضمن له من العفو فأجابته إلى ذلك وعفا عنه وأمنه ثم جاء يحيى  
 فبايعه وخيره أمير المسلمين بين أن يسكن بجزيرة ميورقة بشرق الأندلس أو ينصرف إلى بلاد الصغراء  
 فاختار الصغراء فانصرف إليها ثم سافر منها إلى الحجاز فحج البيت ورجع إلى عمه فاستأذنه أن يكون في جلته  
 ويكون سكناه معه بمحضرة مراکش فاذن له في ذلك فسكنها مدة ثم أتته عمه بالتشغيب عليه فثقفه  
 وبعث به إلى الجزيرة الخضراء فاستمر بها إلى ان مات

### أخبار الولاية بالمغرب والأندلس

لما بويع أمير المسلمين علي بن يوسف عزل عن قرطبة الأمير أباعبد الله محمد بن الحاج اللتوني وولى مكانه  
 القائد أباعبد الله محمد بن أبي زلفي قفزي طليطلة وأوقع بالنصارى فقتلهم قتلا ذريعا باب القنطرة أخذهم  
 على غرة وفي سنة إحدى وخمسة مائة عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف بن تاشفين عن بلاد المغرب وولى  
 مكانه أباعبد الله بن الحاج فاقام واليا على فاس وسائر أعمال المغرب نحو ستة أشهر ثم عزله وولاه بلنسية  
 وأعمالها من بلاد شرق الأندلس ولما عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولاه غرناطة  
 وأعمالها من بلاد الأندلس فكانت له على النصارى وقعة أفليج وذلك أنه خرج غازيا لبلاد الفرنج سنة  
 اثنتين وخمسة مائة فنزل حصن أفليج وجمع عظيم من الفرنج فحاصروهم حتى اقتحم عليهم الحصن فارز  
 النصارى إلى القصبية فحصنوا بها وانتهى خبرهم إلى الفتنس فاستعد للخروج لاعتصم فاشارت عليه  
 زوجته أن يبعث ولده عوضا منه لأن تميم بن يوسف ابن ملك المسلمين وسانحة ابن ملك النصارى فامتثل  
 أشارتها وبعث ولده سانحة في جيش كثيف من زعماء الفرنج وأتجادهم فسار حتى إذا دنا من أفليج  
 أخبر تميم بن يوسف بدمه فعزم على الإفراج عن الحصن وأن لا يلقى الفرنج فاشار عليه قوادلتونة  
 منهم عبد الله بن محمد بن فاطمة ومحمد بن عائشة وغيرهم بالمقام وشجعوه وهو نوا عليه أمرهم فقالوا انما  
 قدموا في ثلاثة آلاف فارس وبيننا وبينهم مسافة فرجع إلى رأيهم فلم يكن الا عشي ذلك اليوم حتى  
 واقتهم جيوش الفرنج في ألوف كثيرة فهم تميم بالقرار فلم يجد له سبيلا ثم صمم قوادلتونة على مناخزة العدو  
 وصعدوا إليه فكانت بينهم حرب عظيمة بعد العهد بمنزلها فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين وقتل ولد  
 الفتنس وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف ودخل المسلمون أفليج بالسيف عنوة واستشهد في  
 هذه الواقعة جماعة من المسلمين رجعهم الله واتصل الخبر بالفتنس فاعتصم لقتل ولده وأخذ بلده وهلاك جنده  
 فرض ومات أسفا لعشرين يوما من الواقعة وكتب تميم بن يوسف إلى أمير المسلمين بالفتح (واعلم) أنه يقال في  
 ملوك الجلالة الذين نسميهم اليوم الاصبنيول الاذقونش ويقال الفتنس فقال ابن خلكان الاذقونش  
 بضم الهزرة وسكون الذال المجهمة وضم الفاء وسكون الواو بعد هاتون ثم شين مبهمة هو اسم لا كبير ملوك  
 الافرنج وهو صاحب طليطلة (وقال ابن خلدون) بنواذقونش هم ولداذقونش بن بطرة أول ملوك  
 الجلالة اه وأما قولهم الفونش فهو اسم علم لبعض ملوكهم وليس لقبيا لجميعهم وكان محمد بن الحاج



رحمه الله مدة مقامه ببلنسية قد ضيق على النصارى تضييقا فاحشا بالغارات والنهب فخرج في غزاه له  
 ذات مرة فأخذ على طريق البرية فغنم وسببا وكان معه جماعة من قوادمتونة فبعث بالمغنم على الطريق  
 الكبير وأخذ هو على بركة تقرب من بلاد المسلمين وكان أكثر الناس مع المغنم وكان طريق البرية الذي  
 أخذ عليه محمد بن الحاج لا يسلك الأعلى سرب واحد اصعوبته وشدة وعورته فلما توسطه محمد بن الحاج  
 وأخذته الأوعار والمضايق من بين يديه ومن خلفه وجد النصارى قد كنوا له في جهة من تلك الجهات  
 فقاتلهم قتال من أيقن بالموت واغتتم الشهادة اذ لم يجد منفذ يخرج منه فاستشهد رحمه الله واستشهد معه  
 جماعة من المتطوعة وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة في نفر يسير بجيلة عمالها واتصل خبر الواقعة بأمير  
 المسلمين فأسفه موت أبي عبد الله بن الحاج وولى مكانه أبا بكر بن ابراهيم بن تافوت وهو محمد ووح ابن  
 خضاجة ومخدوم أبي بكر بن باجة الحكيم المعروف بابن الصائغ وكان عاملا على مرسية فوصل اليه العهد  
 الولاية على بلنسية وطرطوشة وما والأما وهو بمرسية ثم خرج بجيش مرسية الى بلنسية فاجتمع اليه  
 من كان بها من الجنود ثم زحف بهم الى برشالونة فنازلها وأقام عليها عشرين يوما فانتسف ما حولها وقطع  
 ناراها وخرّب قراها فأتاه ابن وذمير من قرابة الأذقونش في جيوش كثيرة من حشود بسيط برشالونة  
 وبلادار وونة فكانت بينهم حرب عظيمة مات فيها خلق كثير من الفرنج واستشهد فيها من المسلمين نحو  
 لسيب ما نقرهم الله تعالى

### ﴿ أخبار أمير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد وجوارحه الاقوال الى بلاد الاندلس ﴾

لما دخلت سنة ثلاث وخمسة مائة جاز أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى الاندلس برسم الجهاد  
 بعد البربر من سنة منتصف المحرم من السنة المذكورة في جيوش عظيمة تزيد على مائة ألف فارس  
 فانتهى الى قرطبة فأقام بها شهرا ثم خرج منها غازيا الى مدينة طلائوت ففتحها عنوة بالسيف وفتح من  
 أعمال طلائطة سبعة وعشرين حصنا وفتح مجريط ووادي الحجارة وانتهى الى طلائطة فحاصرها شهرا  
 وانتسف ما حولها وبالغ في النكاية ثم قفل الى قرطبة بعد ان دقخ البلاد ﴿ وفي سنة أربع وخمسة مائة ﴾ فتح  
 لا ميرسير بن أبي بكر شنترين وبطليوس وياورة وبرتقال واشبونة وغير ذلك من بلاد غرب الاندلس وكان  
 ذلك في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وكتب بالفتح الى أمير المسلمين ﴿ وفي سنة سبع وخمسة مائة ﴾  
 توفي الامير سير بن أبي بكر باشيلية ودفن بها وولى اشيلية عوضا منه أبو عبد الله محمد بن فاطمة فلم يزل  
 عليها الى ان توفي سنة عشر وخمسة مائة ﴿ وفي سنة سبع المذكورة ﴾ غزى الامير من دلى طلائطة وأعمالها  
 ندوخها وفتح حصن أرجنة عنوة فقتل المقاتلة وسبب النساء والذرية واتصل الخبر بالبرهانس كبير الفرنج  
 فأقبل انصرتهم واستنقادهم فصعد القائد من دلى للقاته ففرر أمامه ليلالا وعاد من دلى الى قرطبة ظافرا  
 غائبا ثم كانت له في الفرنج وقائع أخرى الى ان توفي رحمه الله غازيا ببلاد الفرنج سنة ثمان وخمسة مائة  
 فولى أمير المسلمين مكانه علي قرطبة ابنه محمد بن من دلى فأقام واليا عليها ثلاثة أشهر ثم توفي شهيدا في بعض  
 غزواته أيضا

### ﴿ استيلاء العدو على سرقسطة ﴾

كانت سرقسطة وأعمالها من شرق الاندلس بيد بني هود الجذاميين تغلبوا عليها في صدر المائة  
 الخامسة أيام الطوائف وتوارثوها الى ان كان منهم أحد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله فرحف اليه ابن  
 رذمير سنة ثلاث وخمسة مائة فخرج اليه المستعين فالتقوا وابطاها سرقسطة فانتهزم المسلمون واستشهد  
 منهم جماعة منهم المستعين بن هود ثم لما كانت سنة اثنتي عشرة وصاحب سرقسطة يومئذ عبد الملك بن  
 المستعين بن هود الملقب بعماد الدولة فرحف ابن رذمير اليها فنازلها وزحف الفتحش أيضا في أمم من  
 النصرانية الى لاردة من بلاد الجوف فنازلها واتصل الخبر بأمير المسلمين فيكتب الى أمير غرب الاندلس

يا مريمهم بالمسير الى اخيه تميم بن يوسف وكان يومئذ واليا على شرق الاندلس فيسيرون معه لاستنقاذ  
 سرقسطة ولاردة فقدم على تميم عبد الله بن مزدي وأبو يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة بعساكرهم  
 فخرج تميم بن يوسف من بلنسية مع امرأه الاندلس فصدت لاردة وكان بينه وبين الفتنش قتال عظيم  
 أزجه عن لاردة خاسئا صاعرا بعد ان بذل جهده في حصارها وأقدم من جيوشه عليها ما يزيد على العشرة  
 آلاف فارس ورجع تميم الى بلنسية ولم أرأى ابن رذمي بذلك بعث الى طوائف الاقربى يستصرخهم على  
 سرقسطة فأتوا في أمم كالنمل حتى نازلوا هامة وشرعوا في القتال وصنعوا أبراجا من خشب تجرى على  
 بكرات وقرت بوهامنها ونصبوا فيها الرعادات ونصبوا عليها عشرين من منجنيقا وقوى طمهم فيها فاشتد  
 الحصار واستمر حتى فنتت الاقوات وهلك أكثر الناس جو عا فراسل المسلمون الذين بهم ابن رذمي على ان  
 يرفع عنهم القتال الى أجل فان لم يأتهم من ينصرهم أحلوا له البلد وأسلموه اليه فعاهدهم على ذلك فتم  
 الاجل ولم يأتهم أحد فدفعوا اليه المدينة وخرجوا الى مرسية وبلنسية وذلك سنة اثنى عشرة وخمسمائة  
 وبعد استيلاء النصارى عليها وصل من بالعدوة جيش فيه عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين  
 لاستنقاذها فوجدها قد فرغ منها ونفذ حكم الله فيها وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة هجرت ابن  
 رذمي على بلاد شرق الاندلس وهلك قلعة أيوب التي ليس في بلاد شرق الاندلس أمنع منها وألح  
 بالغارات على بلاد الجوف فاتصلت هذه الاخبار بأمر المسلمين وهو يعرا كس فجاز الى الاندلس برسم  
 الجهاد وضبط الثغور وهو جواز الثاني فخازمه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة  
 والمصامدة وسائر قبائل البربر فوصل بجيوشه الى قرطبة ونزل خارجها وأتته وفود الاندلس للسلام عليه  
 فسألهم عن أحوال بلادهم ونغورهم بلباد بلد افرم فوه بما كان وعزل القاضي أبا الوليد بن رشد عن قضاء  
 قرطبة وولى مكانه أبا القاسم بن حدين ويقال انما عزل ابن رشد لانه استعفاء وكان قد اشتغل بتأليف  
 البيان والتحصيل ثم سار أمير المسلمين حتى نزل على مدينة شنتمرية ففتحها عنوة وسار في بلاد الفرنج يقتل  
 ويسبي ويقطع الثمار ويخرب القرى والديار حتى دوح بلاد غرب الاندلس وفرأ امامه الفرنج وتحصنوا  
 بالمعاقل المنيعه وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة هجرت عاد أمير المسلمين الى بلاد العدو بعد ان ولى أخاه تميم  
 ابن يوسف على جميع بلاد الاندلس فلم يزل عليها الى ان توفي سنة عشرين وخمسمائة

### ولاية الامير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الاندلس وأخباره في الجهاد

لما توفي الامير تميم بن يوسف في التاريخ الممتدة دم ولى أمير المسلمين على بلاد الاندلس ابنه تاشفين بن علي  
 ابن يوسف ما عدا الجزائر الشرقية فانه قد عقد عليها للمجد بن علي المسوفي المعروف بابن غانية فعبر الامير  
 تاشفين البحر الى الاندلس في خمسة آلاف من الجنود وبعث الى أجناد البلاد فأتوه فخرج بهم غازيا  
 طليطلة ففتح بعض حصون ابالسييف وانسلف ما حولها وفي السنة المذكورة هجرت أعنى سنة عشرين  
 وخمسمائة هزم الامير تاشفين النصارى بفتح عن الصواب وقتلهم قذالذريعا وفتح ثلاثين حصنا من حصون  
 نوب الاندلس وكتب بالفتح الى أبيه وفي سنة ثلاثين وخمسمائة هزم الامير تاشفين جوع الفرنج  
 فخص عطية وأقنى منهم خلقا كثيرا بالسييف وفي سنة احدى وثلاثين بعدها دخل الامير تاشفين  
 مدينة كركي بالسييف فلم يبق بها بشرا وفي سنة اثنتين وثلاثين بعدها جاز الامير تاشفين من الاندلس  
 الى المغرب بعد ان غزى مدينة أشكونية ففتحها عنوة وحمل معه من سبيها الى العدو ستة آلاف سبية  
 انتهى الى مراكش وخرج أمير المسلمين للقائه في زى عظيم وسرور كبير وفي سنة ثلاث وثلاثين  
 ودها هجرت أخذ أمير المسلمين البيعة لولده تاشفين وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة كانت وفاة أمير  
 المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المتوفى رحمه الله وذلك لسبع خلون من رجب من السنة المذكورة  
 وقال ابن خلد كان أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين رجلا حليما قورا صالحا عادلا متقادا

الى الحق والعلماء تجي اليه الاموال من البلاد ولم يزعرعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه  
 فقلت قد طاف به في آخر دواته اعظم مكروه وذلك محمد بن تومرت النابغ تحت ابطه بجبال المصامدة  
 كما يأتي خبره ان شاء الله

الخبر عن دولة أبي المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللخوني

لما توفي أمير المسلمين علي بن يوسف في التاريخ المتقدم ولحقه ابنه أبو المعز تاشفين بن علي بعهد من أبيه  
 اليه وأخذ بطاعته وبيعتة أهل العدوتين معا كما كانوا في عهد أبيه وكان أمير المؤمنين بن علي يومئذ  
 قد استعمل بتبملل وسائر بلاد المصامدة أهل جبل درن وقال ابن الخطيب كان تاشفين بن علي قد  
 استخلفه أبوه علي بلاد الاندلس ثم استقدمه لمداخلة أصحاب محمد بن تومرت مهدي الموحدين فلم ينجح  
 أمره بخلاف ما عوده الله في بلاد الاندلس من النصر لما قضاه الله من الادبار على دولتهم ولما خرج  
 عبد المؤمن بن علي من تبملل يريد فتح بلاد المغرب وكان مسيره على طريق الجبال سيرا أمير المسلمين علي بن  
 يوسف ابنه تاشفين المذكور معارضاه على طريق السهل وأقاموا على ذلك مدة توفي أمير المسلمين علي بن  
 يوسف في أثناءها وأفضى الأمر الى ابنه تاشفين وهو في الحرب وقدم أهل مراکش اسحق بن علي بن  
 يوسف نائباً عن أخيه تاشفين بمراكش وأعمالها ومضى تاشفين بعد البيعة له متبعاً لعبد المؤمن حتى  
 انتهى الى تلمسان فنزل عبد المؤمن بكهف الضمك بين الصخرتين من جبل تيطرى المطل عليها ونزل  
 تاشفين بالبيضا على الصفاة ووصله هناك مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية مع  
 قائده طاهر بن كباب لعصية الصنهاجية وفي يوم واصله أشرف على عسكر الموحدين وكان يدل بأقدام  
 وشجاعة فقال لجيش لتونة إن اجتمعتكم لا نخلصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومي فامتعض  
 تاشفين لكلامه وأذن له في المناجزة فحمل على القوم فركبوا وصعدوا للقائه فكان آخر العهد به وبعسكره  
 وكان الموحدون قد قتلوا قبل ذلك الروبرق قائد تاشفين على الروم وقتلوا عسكره في بعض الغارات ثم  
 فتكروا بعسكر ثالث من عساكر تاشفين ونالوا منه أعظم النيل وفي القرطاس زحف المرابطون  
 لقتال الموحدين فهاهم تاشفين فلم ينتهوا وتعلقوا في الجبل لقتالهم فهبط عليهم الموحدون فهزموهم  
 هزيمة شنعاء ولما توالى هذه الوقائع على تاشفين أجمع الرحلة الى وهران فبعث ابنه ابراهيم ولي عهده  
 الى مراكش في جماعة من لتونة وبعث كتابا معه أحمد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين  
 وخمسمائة فأقام عليها شهرا ينتظر قائد اسطوله محمد بن ميمون الى ان وصل اليه من المرية بعشرة أساطيل  
 فأرسل قريبا من مراكش وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى  
 فقدموا وهران وفضوا جموع المرابطين الذين هاجروا لتاشفين الى رابية هناك فأحسد قواها وأضرموها  
 النيران حولها حتى اذا غشيهم الليل خرج تاشفين من الحصن راكبا على فرسه فتردى من بعض حافات  
 الجبل وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ونجاقل العسكر الى وهران  
 فانحصروا مع أهلها حتى جهدهم العطش وزلوا جميعا على حكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة  
 المذكورة فأتى عليهم القتل رجهم الله وقال في القرطاس ان تاشفين بن علي خرج ذات ليلة وهو  
 بوهران ليضرب في محلة الموحدين فكثرت عليه الخيل والرجل ففرا ما مهم وكان بجبل عال مشرف على  
 البحر فظن ان الأرض متهمة به فأهوى من شاهق بازا رابطة وهران فبات رجحه الله وكان ذلك في ليلة  
 مظلمة ممطرة وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة آنفا فوجد من الغديزاء  
 البصر ميتا فاحترأسه وحمل الى تبملل فعلق على شجرة هناك وذلك بعد ملازمة الحرب مع الموحدين في  
 البيداء لم يأت الى ظل قط من يوم يبيع الى ان مات وكانت مدة ولايته سنة وستين وشهرا ونصف شهر وقال  
 ابن خلكان لما تيقن تاشفين بن علي ان دولتهم ستروا الى مدينة وهران وهي على البحر وقد صد أن

بجعلها مقرة فان غلب على الامر ركب منها الى الاندلس وكان في ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب  
الكلب وباعلاها رباط يأوي اليه المتعبدون وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع  
وثلاثين وخمسة مائة صعد ناشقين الى ذلك الرباط ليحضر الختم في جماعة يسيرة من خواصه وكان  
عبد المؤمن يجتمع في تاكرارت وهي وطنه واتفق انه ارسل منسرا من الخليل الى وهران فوصلوها في  
اليوم السادس والعشرين من رمضان ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدي فكمنوا  
عشية وأعلموا بانفراد ناشقين في ذلك الرباط فقصده وأحاطوا به وأحرقوا باباه فأيقن الذين فيه بالهلاك  
فخرجوا كباقرسه وشدة الر كض عليه ليثبت الفرس النار وينجو فترامى الفرس نازيلا وعته ولم يملكه  
اللبام حتى تردى من جرف هذا الك الى جهة البحر على بحارة في محل وعرفت كسر الفرس وهلاك ناشقين في  
الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه وكان عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى في ذلك الليل وجاء  
الخبر بذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ومن ذلك  
الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل الى السهل ثم توجه الى تلمسان وهي مدينتان قريبة وحادثه بينهما ماشوط  
فرس ثم توجه الى فاس فحاصرها واستولى عليها سنة أربعين وخمسة مائة ثم قصد مراکش سنة إحدى  
وأربعين بعدها فحاصرها أحد عشر شهرا وفيها اسحق بن علي بن يوسف بن ناشقين وجماعة من مشايخ  
دواتهم فقدموه بعد موت أبيه علي بن يوسف ناشقين فاستولى عليها وقد بلغ القحط من  
أهلها كل مبلغ وأخرج اليه اسحق بن علي ومعه سيرب الحاج وكان من الشجعان ومن خواص دواتهم  
وكانا مكتوفين واسحق دون بلوغ فمزم عبد المؤمن أن يعفوعن اسحق لصغر سنه فلم يوافقوه خواصه وكان  
لا يخالفهم فحلى بينهم وبينهم ما فقتلوهما ثم نزل عبد المؤمن القصر وذلك سنة اثنتين وأربعين وخمسة مائة  
ووقال ابن خلدون رحمه الله أقام الموحدون على مراکش تسعة أشهر وأمير الملمتين يومئذ اسحق بن علي بن  
يوسف يابعموه صيبا صغيرا عند بلوغ خبر أخيه ولم ياطال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى  
مدافعة الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون ياقتل واقتصموا عليهم المدينة في آخريات شوال سنة  
أحدى وأربعين وخمسة مائة وقتل عامة الملمتين ونجى اسحق في جلته وأعيان قومه الى القصبية حتى  
نزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم وتولى كبر ذلك  
أبو حفص عمر بن واكك منهم وانحى أمر الملمتين واستولى الموحدون على جميع البلاد والله غالب على أمره  
وقال ابن جنون رحمه الله كانت اتونة أهل ديانة وصدقونية خالصة وصحة مذهب ملكوا بالاندلس من بلاد  
الافرنج الى البحر الغربي المحيط ومن بلاد العدو من مدينة بجاية الى جبال الذهب من بلاد السودان  
وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر بالثنية وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن  
تناهى القمح في أيامهم الى ان يبيع أربعة أوسق بنصف مثقال ويبيع الثمار ثمانية أوسق بنصف  
مثقال والقطن لا يتباع ولا تشتري وكان ذلك مصورا باطول أيامهم ولم يكن في عمل من أعمالهم خراج ولا  
معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف الخزنية حاشي الزكاة والعشر وكثرت الخيرات في دولتهم  
وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع طريق ولا من يقوم عليهم وأحبهم  
الناس الى ان خرج عليهم محمد بن تومرت مهدي الموحدين سنة خمس عشرة وخمسة مائة وهو أما الاحداث  
الواقعة في أيامهم ففي شهر ذي الحجة من سنة سبع وستين وأربع مائة ظهر النجم المكفب بالمغرب  
وهو في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة كسفت الشمس الكسوف الكلي الذي لم يهدق له مثله  
وكان ذلك يوم الاثنين عند الزوال في اليوم الثامن والعشرين من الشهر وهو في سنة اثنتين وسبعين  
بعدها كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس مثله بالمغرب انهدمت منها الابنية ووقعت الصوامع  
والمنازل ومات فيها خلق كثير تجتهد الهدم ولم تنزل الزلزلة تتعاقب في كل يوم وليلة من أول يوم من ربيع

الاول الى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة  
 ولد الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ المعروف بابن المناصف صاحب الأرجوزة توفي سنة  
 سبع وتسعين وأربعمائة توفي الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن الطلاع توفي سنة ثلاث عشرة  
 وخمسمائة توفي أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي بقلعة جناد صاحب أبي الحسن  
 النخعي وغيره من المشايخ وكان أبو الفضل من أهل العلم والدين على هدى السلف الصالح وكان مجاب  
 الدعوة ولما أفتى فقهاء المغرب بأحراق كتب الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه وأمر أمير المسلمين  
 علي بن يوسف بحرقها انتصر أبو الفضل هذا لابي حامد رحمه الله وكتب الى أمير المسلمين في ذلك وحدث  
 صاحب التشوف وهو أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المراكشي الدار عرف بابن الزيات بسنده عن  
 أبي الحسن علي بن حزم قال لما وصل الى فاس كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بالتحريم على كتاب  
 الاحياء وأن يحلف الناس بالآيمان المغلظة ان كتاب الاحياء ليس عندهم ذهب الى أبي الفضل استفتيه  
 في تلك الآيمان فأفتاني بانها لا تلزم وكانت الى جنبه أسفار فقال لي هذه الاسفار من كتاب الاحياء ووددت  
 اني لم أنتظر في عمري سواها وكان أبو الفضل قد انتسخ كتاب الاحياء في ثلاثين جزاً فإذا دخل شهر  
 رمضان قرأت في كل يوم جزءاً أو مناقبه كثيرة وجهه الله بوقلت لم يقع في دولة المرابطين أشنع من هذه النازلة  
 وهي احراق كتاب الاحياء فانه لما وصلت نسخته الى بلاد المغرب تصفحها جماعة من فقهاء منهم القاضي  
 أبو القاسم بن جدين فانتقدوا فيها أشياء على الشيخ أبي حامد رضى الله عنه وأعلموا السلطان بأمرها  
 وأفتوه بانها يجب احراقها ولا تجوز قراءتها بحال وكان علي بن يوسف واقفاً كآبئه عند إشارة الفقهاء  
 وأهل العلم قدر جميع الاحكام اليهم فلما أفتوه بأحراق كتاب الاحياء كتب الى أهل مراكش في سائر  
 الامصار والاقطار بان يبحث عن نسخ الاحياء بحثاً كيداً ويحرق ما عثر عليه منها فجمع من نسخته عدد  
 كثير ببلاد الاندلس ووضعت بصحن جامع قرطبة وصب عليها الزيت ثم أوقد عليها بالنار وكذا فعل بما  
 ألفي من نسخته بمراكش وتولى الاحراق عليها في سائر بلاد المغرب ويقال ان ذلك كان في حياة الشيخ  
 أبي حامد رحمه الله وانه دعا بسبب ذلك على المرابطين أن يعزق ملكهم فاستجيب له فيهم فان كان كذلك  
 فتاريخ الاحراق يكون فيما بين الخمسمائة والحس بعدها لان بيعة علي بن يوسف كانت على رأس الخمسمائة  
 ووفاته الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه كانت يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس  
 وخمسمائة توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفي الفقيه الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى  
 ابن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف كان متناهما في الفضل والدين والزهد في الدنيا منقطعاً  
 الى الخير يقصد به الناس وبألقونه فيحمدون محبته وسعى به الى أمير المسلمين علي بن يوسف فأمر  
 بانتخاذه الى حضرة مراكش فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة الثالث والعشرين من صفر من السنة  
 المذكورة واحتفل الناس لجنائزه وندم أمير المسلمين على ما كان منه له في حياته وظهرت له كرامات  
 رحمه الله ودفن بقرب الجامع القديم الذي بوسط مراكش في روضة القاضي موسى بن أحمد الصنهاجي  
 بوقلت وقبره الآن مشهور بسوق العطارين من مراكش عليه بناء محفيل وفي هذه السنة أيضاً  
 أعني سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفي أبو الحكم بن برجان بوقال ابن خلكان وهو أبو الحكم عبد السلام  
 ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن النخعي عرف بابن برجان بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء بعدها  
 جيم وبعد الالف نون وكان عبداً صالحاً وله تفسير القرآن الكريم وأكثر كلامه فقه على طريق أرباب  
 الاحوال والمقامات اه (وقال في التشوف) لما أشخص أبو الحكم بن برجان من قرطبة الى حضرة مراكش  
 وكان فقهاء العصر انتقدوا عليه مسائل قال أبو الحكم والله لا عشت ولا عاش الذي أشخصني بعد موتي  
 يعني أمير المسلمين علي بن يوسف فمات أبو الحكم فأمر أمير المسلمين أن يطرح على المنزلة ولا يصلى

عليه وقد فيه من تكلم فيه من الفقهاء وكان أبو الحسن علي بن حزم يومئذ عمرا كمش فدخل عليه  
وجلس أسود كان يخدمه ويحضر مجلسه فأخبره بما أمر به السلطان في شأن أبي الحكم فقال له أبو الحسن  
إن كنت تبغ نفسك من الله فاقبل ما أقول لك فقال له مرني بما شئت أفعله فقال له تنادي في طرق  
مرا كش وأسواقها يقول لكم ابن حزم احضروا جنازة الشيخ الفقيه الصالح الزاهد أبي الحكم بن  
برجان ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله ففعل ما أمره فبلغ ذلك أمير المسلمين فقال من  
عرف فضله ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله قال ابن عبد الملك في كتاب الذيل والتكملة أبو الحكم بن  
برجان مدفون بمراكش برحبة الخنطة منها قال وهو الذي تقول له العامة سيدي أبو الرجال وكان الشيخ  
أبو ينور المشتراي موجودا في هذه المدة إلا أني لم أقف على تاريخ وفاته قال في التشوف هو أبو ينور  
عبد الله بن واكريس الدكالي من مشتراية من أشياخ أبي شعيب أبوب السارية كبير الشأن من أهل  
الزهد والورع حدثوا عنه انه مات أخوه فتزوج امرأته فقدمت اليه طعاما يأكله فوقع في نفسه ان فيه  
نصيب الايتام الذين هم أولاد أخيه فأمسك عنه وبات طاويا وجاء رجل من أشياخ مشتراية فقال له  
إن عامل علي بن يوسف تهتدني بالقتل والصلب وقد خرج من مرا كش متوجها الى دكالة فقال له  
أبو ينور رده الله عنك فسار الى ان بقي بينه وبين قرية يليساكون وهي التي تسميها العامة بوسكاون نصف  
يوم فأصاب العامل وجع قضى عليه من حينه في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة في نار القاضى  
أبو القاسم بن جدين بقرطبة مع العامة على المرابطين فقتلهم والله وارث الارض ومن عليها وهو خير  
الوارثين

الخبر عن دولة الموحدين من المصامدة وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف باباهدى

قال ابن خلدون كان للمصامدة في صدر الاسلام بجبال درن عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة  
لاخوانهم برغواطة في نخلة كفرهم وكان منهم قبل الاسلام ملوك وأمراء ولهم مع لتونة ملوك المغرب  
حروب وقتن سائر أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم بدعوتهم فكانت لهم دولة عظيمة  
أدالت من لتونة بالعدوتين ومن منهاجة باقرية حسيما هو مشهور ويأتي ذكره ان شاء الله تعالى  
وقال وأصل المهدي من هرغة من بطون المصامدة يسمى أبوه عبد الله وتومرت وكان يلقب في صغره  
أيضا مغار وزعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت فبعضهم ينسب به الى سليمان بن عبد الله  
الكامل ابن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب وبعضهم ينسب به الى العباس بن محمد بن  
الحسن بن علي بن أبي طالب والله أعلم بحقيقة الامر وكان أهل بيته أهل نسك ورباط وكانت ولادته  
على ما عند ابن خلدون يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة وشب المهدي قارنا محبا للعلم ثم ارتحل  
في طلبه الى المشرق على رأس المائة الخامسة ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهي يومئذ دار علم ثم لحق  
بالاسكندرية ووج ودخل العراق ولقي به جملة من العلماء وخول النظار وأفاضل علماء واسعا وكان يحدث  
نفسه بالدولة لقومه على يده ولقي أباحامد الغزالي وفاوضه بذات صدره في ذلك فأراد عليه وقال ابن  
خلكان في اجتماع محمد بن تومرت بأبي حامد الغزالي والكيا الهراسي والطرطوشي وغيرهم ووج وأقام بمكة  
مدة مديدة وحصل قدرا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين وكان ورعانا ساكا  
متقشفا مخشوشنا مخلوفا كثيرا الاطراق بساما في وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يعصبه من متاع  
الدنيا الا عاصور كوة وكان شجاعا فصيفا في لساني العرب والبربر شديد الانكار على الناس فيما يخالف  
الشرع لا يقنع في أمر الله بغير اظهاره وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك متحملا لا الذي من الناس بسببه  
وناله بمكة ثم رثها الله شي من المكروه من أجل ذلك فخرج منها الى مصر وبان في الانكار فزادوا في آذاه

وطردته الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب الى الجنون فخرج من  
 مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجها الى بلاده وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه  
 شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم إقامة  
 الصلوات وقراءة آخواب من القرآن العظيم ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهديّة من أرض افرقيّة  
 وكان ملكها يومئذ يحيى بن عليم بن العزيز باديس الصنهاجي وذلك في سنة خمس وخمسة مائة هكذا ذكره  
 ابن أخيه أبو محمد عبد العزيز بن شاذان بن عليم الصنهاجي في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان وقيل  
 ان ارتحال محمد بن تومرت عن بلاد المشرق كان سنة عشر وخمسة مائة واجتيازه بمصر كان سنة إحدى  
 عشرة بعد هداؤه الى الصواب ولما انتهى الى المهديّة نزل بمسجد معلق وهو على الطريق وجلس في  
 طاق شارع الى المحجة ينتظر الى المارة فلا يرى منكر من آله الملاحى أو أوفى الخمر الا نزل اليها وكسرهما  
 فتسمع الناس به في البلد فجاءوا اليه وقرأوا عليه كتابا من أصول الدين فبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه مع  
 جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصلمك الله لعيتك  
 ولم يقم بعد ذلك بالمهديّة الا أياما يسيرة ثم انتقل الى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله في الانكار فاخرج  
 منها الى بعض قرأها واسمها ملالة فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي وهو قال ابن خلدون  
 انطوى المهديّ راجعا الى المغرب بجماعة من العلم وشهابا وارياما من الدين وكان قد لقي بالمشرق أئمة  
 الاشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالجمع  
 العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة وذهب الى رأيهم في تأويل المتشابه من الآسى والاحاديث بعد ان  
 كان أهل المغرب يعزل عن اتباعهم في التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل واقرار  
 المتشابهات كما جاءت فبطل المهديّ أهل المغرب في ذلك وحلهم على القول بالتأويل والاخذ بتبذاهب  
 الاشعرية في كافة العقائد وأعلن بامانتهم ووجوب تقليدهم وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في  
 التوحيد وكان من رأيه القول بعصمة الامام على رأي الامامية من الشيعة ولم تحفظ عنه قلته في البدعة  
 سواها واحتل بطرابلس الغرب معنيًا بذهبه ذلك مظهر النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه أخذوا  
 نفسه بتدريس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع حتى اتي بسبب ذلك اذيات في نفسه  
 احتسبها من صالح عمله ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن التاصر بن علناس بن حادم  
 امره صنهاجة وكان من المقترفين فأغلظ له ولا يتابعه بالنكير وتعرض يومئذ بالتغيير بعض المنكرات في  
 الطرق فوقعت بسببها هيعة نكرها السلطان والخاصة وأمر وابه فخرج منها خائفًا يتربص ولحقه بمالته على  
 فرسخ منها وبها يومئذ بنو وريا كل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فأووه وأجاروه وطلبهم  
 السلطان صاحب بجاية باسلامه اليه فأبوا وأمضوه وأقام بينهم يدرّس العلم أياما وكان يجلس اذا فرغ  
 على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة وهناك لقيه كبير أصحابه عبد المؤمن بن علي حاجا مع  
 فاجب بعلمه وصرف عزمه اليه فاخص به وشمر للاخذ عنه وهو في كتاب المغرب عن سيرة ملوك  
 المغرب ان المهديّ كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت يقال انه عثر عليه عند الشيخ  
 أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وانه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس وهو  
 من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم  
 هجاء مرفقته تى ن م ل ل ورأى فيه أيضا ان استقامة ذلك الامر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل  
 من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م ن ويجاوز وقته المائة انعاما للهجرة فأوقع الله سبحانه في نفسه  
 انه القاتم بهذا الامر وان انه قد أرفق فما كان محمد بن عيسى موضع الا ويسأل عنه ولا يرى أحدا الا أخذ اسمه  
 وتفقد حليته وكانت حلية عبد المؤمن معه فبينما هو في الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التي

معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوزته ما اسمك يا شاب فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال له الله أكبر أنت  
 بغيتي ونظر في حليته فوافقته ما عنده فقال له من أين آقبت قال من كومية قال أين مقصدك فقال  
 المنشق قال ما بغيتي قال علما وشرفا قال قد وجدت علما وشرفا وذكرنا احببني تنبئه فوافقته على ذلك قال في  
 محمد اليه بامره وأودعه سره **يو** قال ابن خلدون **يو** وارتحل المهدي الى المغرب وعبد المؤمن في جلته ولحق  
 بوانشريس فصعبه منها أبو محمد عبد الله الوائشريسي المعروف بالبشير **يو** قال ابن خلدون **يو** وكان جيلا  
 فصيفا في لغتي العرب والبربر فقاوضه المهدي فيما عزم عليه من القيام فوافقته على ذلك أتم موافقة وكان  
 البشير عن تهمته وقرأت فها فتذاكر ايوما في كيفية الوصول الى المطاوب فقال المهدي للبشير أرى أن تستر  
 ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من الجهر واللكن والحصر والتعري عن القضاة  
 ما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة سيلا الى المطاوب  
 ويقوم لنا ذلك مقام المهزلة عندنا اجتنا اليه فنصدق فيما نقول ففعل البشير ذلك ثم لحق المهدي بتلمسان  
 وقد تسامع الناس بخبره فاحضره القاضي بها وهو ابن صاحب الصلاة ووجهه على متخله ذلك وعلى  
 خلافه لا هل قطرته وظن القاضي ان من العدل نزعها عن ذلك فصر عن قوله واستمر على طريقه الى فاس  
 فنزل بمسجد طريانة وأقام بها يدرس العلم الى سنة أربع عشرة وخمسة ثم انتقل الى مكاسة فتهيها عن  
 بعض المنكرات فنار اليه القوغاء وأوجعوه ضربا ثم لحق بها أكش وأقام بها أخذ في شأنه واتي بها أمير  
 المسلمين علي بن يوسف بالمسجد الجامع عند صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ له في القول واتي ذات يوم أخت  
 أمير المسلمين حاسرة فناءها على عادة قومها الملمين في زى نساءهم فوبخها ودخلت على أخيها باكية  
 لما ألها من تقريره فقاوض أمير المسلمين الفقهاء في شأنه بما وصل اليه من سيرته وكأوقدملثوا منه  
 حسدا وحفيظة لما كان ينتحل من مذهب الاشعرية في تأويل التشابه وينكر عليهم جمودهم على  
 مذهب السلف في اقراره كما جاء ويرى ان الجمهور ليقنوه تجسيدا ويذهب الى تكفيرهم بذلك على أحد  
 قولي الاشعرية في التكفير فأغر والامير به فاحضره للناظرة معهم فكان له الفلج والظهور عليهم  
**يو** وقال ابن خلدون **يو** كان محمد المهدي قد استدى في أشخاص من أهل المغرب جلاد في القوي الجسمانية  
 أغمارا وكان أميل الى الاغمار من أولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة نفر سوى أبي محمد البشير  
 ثم انه رحل الى أقصى المغرب وتوجه في أصحابه الى مراكش وملكها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن  
 تاشفين وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا وكان يحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب الأندلسي  
 وكان عالما صالحا زادا بن خلدون عارفا بالنجوم فشرع محمد المهدي في الانكار على جري عاداته حتى أنكر  
 على ابنة الملك فبلغ خبره الملك وأنه يتحدث في تغيير الدولة فتحدث مع مالك بن وهيب في أمره فقال مالك  
 ابن وهيب تخاف من فتح باب بعسر علينا سدة والرأى ان تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم  
 بحضور جماعة من علماء البلاد فأتى الملك الى ذلك وكان المهدي وأصحابه مقيمين في مسجد خراب  
 خارج البلد قطابوهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما بغيتي منا فانتدب له  
 قاضي المرية واسمه محمد بن اسود فقال ما هذا الذي يذكرك عنك من الاقوال في حق الملك العادل الحليم  
 المنقاد الى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه فقال له المهدي أما ما نقل عنى فقد قلته ولى من ورائه  
 اقوال وأما قولك انه يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه  
 ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور بما تقولون له وتضرونه به مع علمكم ان الحجة متوجهة عليه فهل  
 بلغت يا قاضي ان الحجر تباع جهارا وتمشى الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى وتقدم ذلك شيا  
 كثيرا فلما سمع الملك كلامه زرفت عيناه وأطرق حياء ففهم الحاضرون من غوى كلامه انه طامع  
 في الملكة لنفسه ولما رأوا سكوت الملك واتخذاه لقوله لم يتكلم أحد منهم فقال مالك بن وهيب



وكان كثيرا لا يجترأ على الملك أيها الملك ان عندي لنصيحة ان قبلتها جردت عاقبتها وان تركتها لم تأمن  
 غايتها فقال الملك ماهي فقال اني أخاف عليك من هذا الرجل وأرى ان تعتقله وأحسبه وتنفق عليهم  
 كل يوم دينار التكنفي ثمره وان لم تفعل فلتنفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك فوافقه الملك على  
 رأيه فقال له وزيره يقم بك أن تبكي من موعظة رجل ثم تسيء اليه في مجلس واحد وان يظهر منك  
 انك تعرف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سذجوعتسه فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة  
 النفس واستهون أمره فصرفه وسأله الدعاء **﴿وقال ابن خلدون﴾** كان مالك بن وهيب خزاينتري في  
 النجوم وكان الكهان يتخذون بأن ملكا كان بالمغرب في أمة من البربر ويتغير فيه شكل السمكة  
 لقران بين الكوكبين العاويين من السيارة يقتضي ذلك فقال مالك بن وهيب احتفظوا بالدولة من الرجل  
 فانه صاحب القران والدرهم المربع فطلبه علي بن يوسف فقده وسرح الخيالة في طلبه ففاته ثم  
**﴿وحدثني صاحب المغرب﴾** ان المهدي لما خرج من عند أمير المسلمين لم يزل وجهه تلقاه وجهه الى ان فارقه  
 فقبيل له نزالك قد تأديت مع الملك اذ لم توله ظهرك فقال أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيبه  
 ما استطعت اه كلامه فلما خرج المهدي وأحسبه من عند الملك قال لهم لا مقام لكم هنا عرا كس  
 مع وجود مالك بن وهيب فانا من أن يعاود الملك في أمرنا فينا لنا منه مكروه وان لنا بمدينة أنعمت أبا  
 في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبدالحق بن ابراهيم وهو من  
 فقهاء المصامدة فخرجوا اليه ونزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعه على مقصدهم  
 وما جرى لهم مع الملك فقال عبدالحق هذا الموضوع لا يحميكم وان أحسن المواضع المجاورة لهذا البلد تينمل  
 وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم فلما سمع المهدي بهذا  
 الاسم تجدد له ذكر اسم الموضوع الذي رآه في كتاب الجفر فقصدته مع أصحابه **﴿وقال ابن خلدون﴾** لما  
 لحق المهدي باغمت غير المنكرات على عادته فأغرى به أهل أنعمت علي بن يوسف وطيرا اليه بخبره  
 فخرج منها هو وتلاميذه الذين كانوا معه في حبيته فلقوا أولادهم فيوة ثم بهنتاة ولقيه بها الشيخ  
 أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني جدا الملوكة الحفصيين أصحاب تونس وأفريقية ثم ارتحل المهدي عنهم  
 الى هرغة فزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسة وبنى رابطة للعباد فاجتمع عليه الطلبة من  
 القبائل وأخذ يعلمهم المرشدة له في التوحيد وباللسان البربري وشاع أمره ثم داخل عامل لتونة على  
 السوس اناسا من هرغة في قتله ونذريهم اخوانهم فنقلوا المهدي الى معقل من أشياعهم وقتلوا من  
 داخل في أمره ودعوا المصامدة الى مبايعته على التوحيد وقتل المجسمه دونه سنة خمس عشرة  
 وخمسة فقتلهم اليه ارجالاتهم من العشرة وغيرهم وكان فيهم من هنتاة أبو حفص عمر بن يحيى  
 وأبو يحيى بن يكيث ويوسف بن وانودين وابن يغمور ومن تينمل أبو حفص عمر بن علي الصنماكي  
 ومحمد بن سليمان وعمر بن تافراكين وغيرهم وأوعبت قبيلة هرغة قد دخلوا في أمره كلهم ثم دخل معهم  
 كدمية وكنفيسة ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان قبلها يلقب بالامام وكان يسمى أصحابه  
 الطلبة وأهل دعوته الموحدين ثم راضا بتونتي في أخذهم بالعدل عن التأويل وميلهم الى التجسيم  
 ولما تم له من أصحابه خمسون سماهم آية الحسين ثم زحف اليهم عامل لتونة على السول وهم بكانهم  
 من هرغة فاستجابوا اخوانهم من هنتاة وتينمل فاجتمعوا اليهم وأوقعوا بغيرهم فكانت تلك  
 باكورة الفتح وكان المهدي يعدهم بذلك فاستبصروا في أمره وتسابقت كافتهم الى الدخول في دعوته  
 وترددت اليهم عساكر لتونة مرة بعد أخرى ففضوهم وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تينمل  
 فأوطنه وبني داره ومسجده بينهم وحوالي منبع وادي نفيس قاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة  
 استقاموا له هذا كلام ابن خلدون في سياقه هذا الخبر جثنا به مختصرا واقتضى كلام ابن خلدون

ان ظهور المهدي ومبايعته لم تكن الا تبغفل فانه قال عقب ما سبق له من ان الفقيه عبدالحق بن  
 ابراهيم المصمودي أشار على المهدي بالمسير الى تبغفل وان المهدي لما سمع هذا الاسم تجدد له ذكر قبسه  
 فقصده مع أصحابه فلما أتوه رأهم أهل على تلك الصورة فعلموا انهم طلاب علم فقاموا اليهم وأكرمهم  
 وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم في أكرم منازلهم وسأل أمير المسلمين عنهم بعد نحو وجهم من مجلسه فقيل  
 له انهم سافروا فسرهم ذلك وقال تخصصنا من الاثم بحبسهم ثم ان أهل الجبل تسامعوا بوصول المهدي  
 اليهم وكان قد سار فيهم ذكره فخاؤه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من أتاه استداناه وعرض  
 عليه ما في نفسه من الخروج على السلطان فان أجابه أضافه الى خواصه وان خالفه أعرض عنه وكان  
 يستميل الاحداث وذوي الغرة وكان ذوو الحنكة والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من  
 من اتباعه ويخوفونهم سطوة السلطان فكان لا يتم له مع ذلك أمر وطالت المدة وخاف المهدي من  
 مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامسل وخشى ان يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى  
 اسلامه اليه والتخلي عنه فشرع في اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض  
 اولاد القوم شقراراً وقلوبهم السمرة والكحل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فالزمهم الاجابة  
 فقالوا نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج وفي كل سنة تصعدنا اليه الينا وينزلون في بيوتنا  
 ويخرجوننا عنها ويختلون بين فيهما من النساء فتأتي اولادنا على هذه الصفة ومالنا قدرة على دفع ذلك عنا  
 فقال المهدي والله ان الموت خير من هذه الحياة وكيف رضيتم بهذا وانتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعمهم  
 بالرمح فقالوا بالزعم لا بالرضى فقال أرايت لو ان ناصر انصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نقتدم  
 أنفسنا بين يديه للموت ثم قالوا ومن هو قال ضيفكم يعني نفسه فقالوا السمع والطاعة وكانوا يغالون في تعظيمه  
 فأخذ عليهم العهد والمواثيق واطمان قلبه ثم قال لهم استعدوا للحضور هو لا بالسلاح فاذا جاؤكم  
 فأجروهم على عادتكم وخواوا بينهم وبين النساء وميلاوا عليهم بالنجور فاذا سكر وافتأ ذنوبهم فلما حضر  
 المالِك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به المهدي وكان ذلك ليلاً أعلوه بذلك فأمر بقتلهم كلهم فلم يرض من  
 الليل ساعة حتى أتوا على آخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع  
 التكبير عليهم والايقاع بهم فهرب على غير الطريق حتى خلاص من الجبل ولحق بجرا كس فأخبر الملك  
 بما جرى فقدم على قوات محمد بن تومرت من يده وعلم ان الحزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به فجهز  
 من وقته خيلاً بمقدار ما يسع وادي تبغفل فانه ضيق المسلك وعلم المهدي انه لا بد من عسكر يصل اليهم  
 فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادي ومرأصده واستجد لهم بعض المجاورين فلما وصلت الخيل  
 اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي منسل المطر وكان ذلك من أول النهار الى آخره وحال بينهم  
 الليل فرجع العسكر الى الملك وأخبروه بما تم لهم فعلم انه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم فأعرض عنهم  
 وتحقق المهدي ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل فعند ذلك استدعى أبا محمد البشير وقال له هذا  
 أو ان اظهارة فضائك دفعة واحدة ليقوم لك مقام الحجرة لتستميل بذلك قلوب من لم يدخل في الطاعة  
 ثم اتفقا على أنه يصل الى الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال الجمجمة والاكنة في تلك المدة اني رأيت  
 البارحة في منامى انه نزل الى ملكان من السماء وشقا قواي وغسلاه وحشواه علماً وحكمة وقرآناً فلما  
 أصبح فعل ذلك وهو فصل يطول شرحه فانه قد اذله كل صعيب القيادة ومجربوا من حاله وحفظه القرآن في  
 النوم فقال له محمد بن تومرت فهل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء فقال له أما أنت  
 فانك المهدي القائم بامر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال اعرض أصحابك على حتى أمير أهل  
 الجنة من أهل النار وعمل في ذلك حيلة فتسل بها كل من خالف أمر محمد بن تومرت وأبقى من أطاعه  
 وشرح ذلك بطول وكان غرضه أن لا يبقى في الجبل مخالفاً لهم فلما قتل من قتل علم محمد بن تومرت

ان في الباقيين من له أهل وعشيرة قتلوا وانهم لا تطيب نفوسهم بذلك فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك  
 مراكش اليهم واعتنام أموالهم فسرههم ذلك وسلاهم عن أهلهم (وبالجملة) فان تفصيل هذه الواقعة  
 طويل ولست بناصدد ذلك وخلاصة الامر ان محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عسكرا له عشرة  
 آلاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن بن علي وأبو محمد البشير وأصحاب كلهم وأقام هو بالجبل فنزل  
 القوم لحصار مراكش وأقاموا عليها شهران ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم منهم من القتل  
 وكان فيمن سلم عبد المؤمن وقتل البشير وبلغ الخبر المهدي وهو بالجبل وقد حضرته الوفاة قبل عود أصحابه  
 اليه فأوصى من حضر ان يبلغ الغائبين ان النصر لهم وان العاقبة جيدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال  
 فان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم وان الحرب سجال وانكم ستقوون ويضعفون ويقولون  
 وتكثرون وأنتم في مبدأ أمرهم في آخره وأشبه هذه الوصايا وهي وصية طويلة اه كازم ابن خلكان  
 يقول قال ابن خلدون لما كان شأن أبي محمد البشير وميرزا الموحد من المناقق اعترز المهدي على غزو  
 لتونة فجمع كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم فلقوه بكبكب وهزمهم الموحدون  
 واتبعوهم الى أن مات فبقيتهم هنالك زحوف لتونة مع أبي بكر بن علي بن يوسف وبرايم بن تاعماشت  
 فهزمهم الموحدون وقتل ابراهيم وجنده واتبعوهم الى مراكش فنزلوا البصرة في زهاء أربعين  
 ألفا كلهم راجل الأربعة مائة فارس واحتفل على بن يوسف في الاحتشاد وبرز اليهم لاربعة من نزولهم  
 خرج عليهم من باب آبلان فهزمهم وأتخن فيهم قتلا وسببا وقد البشير واسترح القتل في هيالنة  
 وأبى عبد المؤمن في ذلك اليوم أحسن البلاء وقيل للمهدي ان الموحدين قد هلكوا فقال لهم ما فعل  
 عبد المؤمن قالوا هو على جواده الادهم قد أحسن البلاء فقال ما بقي عبد المؤمن فلم يهلك أحد  
 الخطيب في رقم الخليل كانت وقعة البصرة باحوار مراكش قد استأصلت معظم أصحاب المهدي  
 وكادت تأتي عليهم ومع ذلك فلم تضع منه ولا وهنت صبره وكان يقول مثل هذا الامر كالغجر يتقدمه  
 الفجر الكاذب وبعده ينبغ الصبح ويستعلى الضوء ويأمرهم باتخاذ رابط الخليل التي ينالون من في  
 عدوهم بعد هاوانه يعطى الرجل على قدر ما أعد من المراتب الى غير ذلك فهذا خبر المهدي مختصرا من ابن  
 خلدون عز وجل ما نقله ابن خلكان من ذلك وقد ساق ابن أبي زرع في القرطاس خبر المهدي هذا وفيه  
 بعض مخالفة لما تقدم فلنأت به وان أدى الى بعض التكرار زيادة في الامتاع وتحلية للاسماع فنقول  
 يقول ابن أبي زرع ما لمخضه ان المهدي رحل الى المشرق في طلب العلم ولقي مشايخ وسمع منهم وأخذ  
 عنهم علما كثيرا وحفظ جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبع في علم الاصول والاعتقادات  
 وكان في جملة من لقي من العلماء الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه لازمه ثلاث سنين وكان الشيخ  
 أبو حامد كثيرا ما يشير الى المهدي ويقول انه لا بد أن يكون له شأن وفي الخبر بذلك الى المهدي فلم يزل  
 يتقرب الى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطلعته على ما عنده من العلم في ذلك فلما تحققت عنده الحال استخار  
 الله وعزم على الترحال فخرج قاصدا بلاد المغرب غرة ربيع الأول سنة عشر وخمسة مائة ولازم في طريقه  
 درس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى ان اجتمع به عبد المؤمن بن علي فبايعه على موازنته  
 في الشدة والرخاء والعسر واليسر ثم قدم بلاد المغرب واستقر بمراكش وكانت له فصاحة وعليه مهابة  
 فاخذ يظعن على المرابطين وينسبهم الى الكفر والتجسيم ويشيع عندهم من يثق به ويسكن اليه انه المهدي  
 المنتظر الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وجرى منه بمراكش من تغيير المنكر ونحوه ما تقدم  
 ذكره فاتصل خبره بعلي بن يوسف اللتوني فأخبره وقال له ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انما أنا رجل فقير  
 طلب الآخرة وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأنت أيها الملك أولى من يفعل ذلك فانك المسؤول عنه  
 قد ظهرت بمراكش المنكرات وفسدت البدع وقد وجب عليك احياء السنة وامانة البدعة وقد عاب الله

تعالى أمة تركوا النهي عن المنكر فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون فلما سمع  
 أمير المسلمين كلامه تأثره وأخذته وأطرق مفكرا ثم أمر بإحضار الفقهاء فحضر منهم ما أغص المجلس  
 ثم قال أمير المسلمين اخترت الرجل فان كان عالما اتبعناه والأدبناه وكان المهدي فصيحاً السنناً ذا معرفة  
 بالاصول والجدل وكان الفقهاء الذين حضروا أصحاب حديث وفروع فدارت بينهم محاورَةٌ ومذاكرة  
 أسكتهم فيها وبان عجزهم عنه فعدلوا عن المذاكرة إلى الممالاة وأغرر أبوه أمير المسلمين وقالوا هذا رجل  
 خارجي وإن بقي بالمدينة أفسد عقائد أهلها فأمره أمير المسلمين بالخروج من البلد فخرج إلى الجبالة  
 وضرب بها خيمة جلس فيها وصار الطلبة يترددون إليه لآخذ العلم عنه فكثر جمعه وأحبته العامة  
 وعظموه وانتهى خبره إلى أمير المسلمين ثانياً ونقل إليه أنه يطعن على الدولة فأحضره مرة أخرى وقال له  
 أيها الرجل اتق الله في نفسك ألم أنك عن عقد الجوع والمحارب وأمرتك بالخروج من البلد فقال أيها  
 الملك قد امتثلت أمرك وخرجت من المدينة إلى الجبالة واشتغلت بما يعنيني فلا تسمع لأقوال المبطلين  
 فتوعد أمير المسلمين وهم بالقبض عليه ثم عصمه الله منه ليقتضى الله أمراً كان مفعولاً ولما انفصل  
 المهدي عن المجلس أغرى الحاضرون أمير المسلمين به وشرحوه حلية أمره وما يدعو إليه فاستدرك  
 أمير المسلمين فيه رأيه وبعث إليه من يأتيه برأسه فجمع بذلك بعض بطانته فخر مسرماً حتى إذا قرب من  
 الخيمة قرأ قوله تعالى يا موسى إن الملا يا عمرو بن بك ليقتلوك الآية فسمعها المهدي وقطن لها فأنسل  
 من حينه وخرج حتى أتى تيممل فأقام بها وذلك في شوال سنة أربع عشرة وخمسة مائة ثم لحق به أصحابه  
 العشرة السابقون إلى دعوته والمصدقون بإمامته وهم عبد المؤمن بن علي الكوي وأبو محمد البشير  
 الوائش ريسى وأبو حفص عمر بن يحيى المنتاق وأبو يحيى بن يكيث المنتاق وأبو حفص عمر بن علي  
 أصناك وأبراهيم بن اسمعيل الخزرجي وأبو محمد عبد الواحد الحضرمي وأبو عمران موسى بن عمار وسليمان  
 ابن مخلوف وعائس فأقاموا بتيممل إلى رمضان من سنة خمس عشرة وخمسة مائة فعظم صيته به بجيبل  
 دن وكثرت أتباعه فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعا الناس إلى بيعته فبايعه العشرة البيعة الخاصة  
 عقب صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة ولما كان الغد وهو يوم السبت خرج المهدي  
 في أصحابه العشرة متقلدين السيوف وتقدم إلى الجامع فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه المهدي  
 المنتظر ودعاهم إلى بيعته فبايعوه البيعة العامة فثبت دعائه في بلاد المصامدة يدعون الناس  
 إلى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالزهد وتحري الحق وإظهار الكرامات  
 فأنثال الناس عليه من كل جهة وسمى أتباعه الموحدين ولقبهم عقائد التوحيد باللسان البربري  
 وجعل لهم فيه الأعشار والأخزاب والصور وقال من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحداً لا تجوز  
 إمامته ولا تؤكل ذبيحته فاستولت محبته على قلوبهم وعظموه ظاهراً وباطناً حتى كانوا  
 يستغيثون به في شدائدهم ويهتدون باسمه على منابرهم ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع  
 عليه جم غفير فلما علم أن ناموسه قد رسخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيباً وندبهم إلى جهاد المرابطين  
 وأباح لهم دماءهم وأموالهم فانتدب الناس لذلك وبايعوه على الموت فانتخب منهم عشرة آلاف من  
 أتجاد الموحدين وقدم عليهم أبو محمد البشير وعقد له راية بيضاء ودعاهم وانصرفوا قاصداً إلى مدينة  
 أغمات وانتهى الخبر إلى أمير المسلمين فجهز لقتالهم جيشاً من الحشم والجناد فلما التقوا انتصر عليهم  
 الموحدون وهزموهم واتبعوههم بالسيف حتى أدخلوهم مراكش وحاصروها أياماً ثم أفرجوا عنها  
 حين تكاثرت عليهم جيوش لتونة وكان ذلك ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسة مائة وقسم المهدي  
 الغنائم التي غنمها من عسكر المرابطين وتلى عليهم قوله تعالى وعدم الله مغنايم كثيرة تأخذونها فجعل لكم  
 هذه الآية وانتشر ذكر المهدي بجميع أقطار المغرب والأندلس وأركب جل جيشه من خيل المرابطين

التي غنوها ثم غزاهم ا كس بنفسه فبعأ جيشه وسار حتى نزل بجبل كينز بقرب المدينة فأقام محاصرها ثلاث سنين يباكرها بالقتال ويراوحها من سنة ست عشرة الى سنة تسع عشرة ولما حضر من مقامه هناك نهض الى وادي نضيس وانحدر مع مسيله يدعو الناس لطاعته ويقا تل من أبي منهم فانتقاده أهل السهل والجبل وبايعته كدميوة ثم غزا بلاد كرا كة فأخذهم بالدعاء الى توحيد الله وشرائع دينه وسار في بلاد المصامدة يقاتل من أبي ويسالم من أجاب ففتح بلادا كثيرة ودخل في دعوته عالم كثير من المصامدة ورجع الى تينمل فأقام شهرين ريثما استراح الناس ثم غزا مدينة أنعمات وبلاد هزر جة في ثلاثين ألفا من الموحدين فأجمع على حربه أهل أنعمات وهزر جة وخلق كثير من الحشم وملتونة وغيرهم فانتصر عليهم الموحدون فهزموهم وقتلوا منهم م خلقا كثيرا وقسم المهدي أنقالمهم بين الموحدين ثم غزا أهل درن ففتح قلاع وحصونه وطاع له جميع من فيه من قبائل هرغة وهنتاته وكنقيسة وغيرهم ثم عاد الى تينمل فأقام بها ريثما استراح الناس ثم نذبهم الى غزوهم ا كس وجهاد المرابطين وقدم عليهم عبد المؤمن بن علي وأبا محمد البشير وخص عبد المؤمن بامامة الصلاة فساروا حتى انتهوا الى أنعمات فاقبهم بهم أبو بكر بن علي بن يوسف في جيش كثيف من ملتونة وقبائل صنهاجة فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم ثمانية أيام ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموها أبا بكر وجيشه الى هرا كس وقتلوهم في كل طريق وحصرهم ا كس أياما ثم رجعوا الى تينمل فخرج المهدي للقائهم فرحب بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ثم كانت وفاته عقب ذلك على ما ذكره ان شاء الله فهذا سياق ابن أبي زرع لهذه الاخبار والله أعلم بالصواب

• ببقية أخبار المهدي وبعض سيرته الى وفاته •

كان المهدي رجلا ربعة أسمر عظيم الهامة غائر العينين حديد النظر خفيف العارضين له شامة سوداء على كتفه الأيمن ذات سياسة ودهاء وناموس عظيم وكان مع ذلك عالما فقيها رابيا للحديث عارفا بالاصول والجدل فصيح اللسان مقداما على الامور العظام غير متوقف في سفك الدماء ويهون عليه اتلاف عالم في بلوغ غرضه وكان حصور الأياتي النساء وكان متيقظا في أحواله ضابطا لما ولى من ساطانه أنشد صاحب كتاب المغرب في حقه آثاره تنبيك عن أخباره \* حتى كأنك بالعيان تراه ثم قال له قدم في الثرى وهمة في الثريا ونفس ترى اراقه ماء الحياة دون اراقه ماء الحيا أغفل المرابطون عقله وربطه حتى دب اليهم ديب الفلق في الغسق وترك في الدنيا دويا أنشأ دولة لو شاهدتها أبو مسلم لكان لعزمه فيها غير مسلم وكان قوته من غزل أخت له في كل يوم رغيفا بقليل سمن أوزيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى أصحابه يوما وقدمالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فأمر بضم ذلك جميعه وأحرقه وقال من كان يتبعني للدنيا فليس له عندى الا مارأى ومن تبعنى للدنيا فجزاؤه عند الله وكان على خول زيه وبسط وجهه مهيبا منيع الحجاب الا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه وكان له شعر فن ذلك قوله أخذت بأعضادهم اذناوا \* وخلفك القوم اذودعوا فكم أنت تهى ولا تنتهى \* وتسمع وعظا ولا تسمع فيأجر السن حتى متى \* تسن الحديد ولا تقطع وكان كثيرا ما ينشد

تجرّدت من الدنيا فانك انما \* خرجت الى الدنيا وأنت مجرد

وكان يتمثل أيضا بقول أبي الطيب المتنبي

اذا غاصرت في شرف مروم \* فلا تقنع بما دون النجوم  
فطم الموت في أمر حقير \* كطم الموت في أمر عظيم

ويقوله أيضا ومن عرف الايام معرفتي بها \* وبالناس روى رحمه غير اراحم  
فليس بحر حوم اذا نظروا به \* ولا في الردي الجاري عليهم باثم  
ويقوله أيضا وما انا منهم بالعيش فيهم \* ولكن معدن الذهب الرغام

وقال ابن الخطيب في رقم الحال قالوا كان محمد بن تومرت يزعم انه مأمور بتبوع من الوحى والالهام  
وينكر كتب الرأى والتقليد وله باع في علم الكلام وغلبت عليه نزعة خارجية وكان يتحلل القضايا  
الاستقبالية ويشير الى الكواثر الاتية ورتب قومه ترتيبا غربيا فمنهم أهل الدار وأهل الجماعة وأهل  
الساقية وأهل خمسين وأهل سبعين والطلبة والحفاظ وأهل القبائل فأهل الدار لادامتهان والخدمة  
وأهل الجماعة للتقاوض والمشورة وأهل الساقية للباهاة وأهل سبعين وخمسين والحفاظ والطلبة  
لحل العلم والتأني وسائر القبائل لمدافة العدو وكان يعلمهم أوجه العبادات في العبادات **وقلت** من  
ذلك ان طائفة من المصاحدة عسر عليهم حفظ الفاتحة لشدة محبتهم فعدت كلمات أم القرآن ولقب بكل  
كلمة منها رجلا فصفهم صفا وقال لا ولهم اسمك الحمد لله وللثاني رب العالمين وهكذا حتى تحت كلمات الفاتحة  
ثم قال لهم لا يقبل الله منكم صلاة حتى تجمعوها هذه الاسماء على نسقها في كل ركعة فسهل عليهم الامر  
وحفظوا أم القرآن ذكره صاحب المعرب قالوا وهو أول من أحدث أصبح والله الحمد في اذان الصبح  
ومن جرائته واقدامه وتمالكه على تحصيل مرامه ما حكاها صاحب القرطاس قال كانت بين الموحدين  
والمرابطين حرب فقتل من الموحدين خلق كثير فعظم ذلك على عشائرتهم فاحتال المهدي بان انتخب قوما  
من أتباعه ودفعهم احياء بموضع المعركة وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وقال لهم اذا سئلتهم عن  
حالكم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وان ما دعا اليه الامام المهدي هو الحق فخذوا في جهاد عدوكم  
وقال لهم اذا فعلتم ذلك اخرجتكم وكانت لكم عندي المنزلة العالية وقصد بذلك ان يثبتهم على التمسك  
بذمته ويموتون عليهم ما لقوا من القتل والجراحات بسببه ثم جمع أصحابه عند السحر وقال لهم انتم يا معشر  
الموحدين حزب الله وانصار دينه واعوان الحق فخذوا في قتال عدوكم فانكم على بصيرة من امركم وان  
كنتم تترتابون فيما أقوله لكم فأتوا موضع المعركة وسلاوا من استشهد اليوم من اخوانكم بخبروكم بما لقوا  
من الثواب عند الله ثم أتى بهم الى موضع المعركة ونادى يا معشر الشهداء ماذا القيمت من الله عز وجل  
فقالوا قد اعطانا من الثواب ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقتهن الناس وظنوا  
ان الموقى قد كلوهم وحكوا ذلك لبقية اخوانهم فازدادوا وبصيرة في أمره وثباتا على رأيه والله أعلم  
بحقيقة الحال

### وفاته المهدي رحمه الله

كانت وفاة المهدي عقب وقعة البصرة قال ابن خلدون لاربعة أشهر بعدها وقال ابن الخطيب وغيره  
كانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمائة وقيل  
غير ذلك **وقال** في القرطاس لما رجع الموحدون من غزوهما كش الى تينخل خرج اليهم  
المهدي فسلم عليهم ورحب بهم وأعلمهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يعلو كونه من البلاد وبعده  
ملكهم وأعلمهم انه يموت في تلك السنة فيكواوا أسفوا ثم مرض مرضه الذي مات منه وقدم عبد المؤمن  
للصلاة ايام مرضه ثم توفي في التاريخ المتقدم **ووذ** كربعض المؤرخين ان المهدي رأى في منامه قبل  
وفاته كأن آتيا أتاه فأنشده آياتا نعى له فيها نفسه وأعلمه باليوم الذي يموت فيه فكان كذلك انظر  
القرطاس وقدمت في هذه الاخبار في ذكر كتاب الجفر وربما تشوف النفس لمعرفة حقيقة فقد قال  
ابن خلدون في كتاب طبيعة العمران واعلم ان كتاب الجفر كان أصله ان هررون بن سعيد الجعلى وهو رأس  
الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق رضى الله عنه وفيه علم ما سيقع لاهل البيت على العموم

ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لثلثهم من الأولياء وكان مكتوباً عند جعفر الصادق في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون الجعفي وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه لأن الجفر في اللغة هو الصغير فصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن الكريم وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق رضي الله عنه وذكره ابن قتيبة في أوائل كتاب اختلاف الحديث فقال بعد كلام طويل وأعجب من هذا التفسير تفسيرا وافض للقرآن الكريم وما يدعونته من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذي ذكره الجعفي ثم قال ابن قتيبة

ألم تر ان الرافضين تفرقوا \* فكلهم في جعفر قال منكرا

فطائفة قالوا امام ومنهم \* طوائف سمته النبي المطهرا

ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم \* برئت الى الرحمن عن تجفرا

في آيات غير هذه ثم قال ابن قتيبة وهو جلد جفر ادعوا انه كتب لهم فيه الامام جعفر الصادق كلما يحتاجون اليه وكل ما يكون الي يوم القيامة اه وهذا تزيف من ابن قتيبة لكتاب الجفر وخالف هذا المذهب أبو العلاء المعري فقال

لقد عجبوا لاهل البيت لما \* آتاهم علمهم في مسك جفر

ومرآة المنجم وهي صنغري \* أرتة صكل عامرة وقفر

والمسك بفتح الميم الجلد والجفر بفتح الجيم ما بلغ أربعة أشهر من أولاد المعز وكانت عادتهم في ذلك الزمان انهم يكتبون في الجلود وماشا كلها القلعة الاوراق يومئذ وقال ابن خلدون في كتاب الجفر لم تتصل روايته عن جعفر الصادق رضي الله عنه ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصح ادليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات رضي الله عنهم

الخبر عن دولة أبي محمد عبد المؤمن بن علي الكوفي وأوليتها

اعلم ان بني عبد المؤمن ليسوا من المصامدة وانما هم من كومية ثم من بني عابدمهم وكومية ويعرفون قديماً بصطغورة بطن من بني قاتن بن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الا بترقهم بنوعم زناتة يجتمعون في ضري بن زجيك هذا هو الصحيح وبعض المؤرخين يرفعون نسب عبد المؤمن الى قيس عيلان بن مضر وهو ضعيف قال ابن خلدون في كتابه كان عبد المؤمن من بني عابداً حديموتات كومية وأشرفهم قال وموطنهم بتاكرارت وهو حصن في الجبل المطل على هذين من ناحية الشرق قال ابن خلدون كان والد عبد المؤمن وسيطاني قومه وكان صانعاً في عمل الطين يعمل منه الآنية فيبيعها وكان عاقلاً من الرجال وقوراً ويحكي ان عبد المؤمن في صباه كان ناعماً تجاه أبيه وأبوه مشتغل بعمله في الطين فسمع أبوه دويان السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته أمه على تلك الحال فصاحت خوفاً على ولدها فسكتها أبوه فقالت أخاف عليه فقال لا بأس عليه بل اني متعجب مما يدل عليه ذلك ثم انه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ما يكون من أمر النحل فطار عنه باجمعه فاستيقظ الصبي ومابه من ألم فتفقدت أمه جسده فلم تربه أثر ولم يشك اليها أما وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فضى أبوه اليه فآخبره بما رآه من النحل مع ولده فقال الزجر يشك أن يكون له شأن يجتمع على طاعته أهل المغرب فكان من أمره ما اشتهر وقد تقدم لنا ان المهدي كان عنده كتاب الجفر وكان فيه ان أمره لا يتم الا على يد رجل اسمه كذا وحليته كذا وهو عبد المؤمن بن علي فاقام المهدي

يتطلبه مدة الى ان لقيه بجلافة وعبد المؤمن اذذاك شاب حدث طالب علم فلازم المهدي واستمسك بعرزه  
الى ان كان من أمره ما كان وكان المهدي يتفرس فيه النجاية وينشد اذا أبصره  
تكاملت فيك أوصاف خصصتها \* فكاننا بك مسرور ومقتبط  
السنن ضاحكة والكف مانحة \* والنفس واسعة والوجه منبسط  
والبيتان ذبي الشيص الخزاعي وكان يقول لأصحابه صاحبكم هذا غلاب الدول وكان يقول عبد المؤمن  
من صديقي هذه الدائرة \* وقال ابن خلدون \* آثر المهدي عبد المؤمن بمزيد الخصوصية والقريب بما خصه  
لله من الفهم والوعي للتعليم حتى كان خالصة المهدي وكنز حكايته وكان مؤهله لخلافته لما أظهر عليه  
من الشواهد المؤذنة بذلك وفي ذلك يقول ابن الخطيب

وخلف الامر لعبد المؤمن \* فانقادت الدنيا له في رسن

جباه بين القوم بالاماره \* اذ وضحت له فيه الاماره

ولما اجتاز المهدي في طريقه الى المغرب بالثعالبة عرب الجزائر أهدوا اليه حمارا فارها يركبه لانه كان  
ساعيا على رجليه فكان يوثر به عبد المؤمن ويقول لأصحابه اركبوه الحمار يركبكم الخيول المستومة وزعم  
بنو عبد المؤمن ان المهدي كان استخلفه من بعده \* وقال ابن خلدون \* لم يصح انه استخلفه وانما راى  
أصحابه في تقديمه اشارته فتم له الامر والله أعلم

### بيعة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها

لما توفي المهدي في التاريخ المتقدم تولى عبد المؤمن تجهيزه والصلاة عليه ثم دفنه بمسجده الملاصق لداره  
من تينمل ولما فرغ الموحدون من أمره تشوف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده وكانوا من قبائل  
شتى وأحببت كل قبيلة أن يكون الخليفة منها وان لا يتولى عليها من هو من غير هافتنا فسوا في ذلك  
فاجتمع العشرة والخمسون وتآمر وافيا بينهم وخافوا على أنفسهم النفاق وان تفسد نياتهم وتفترق جماعتهم  
فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن لكونه كان غريبا بين أظهرهم ليس من المصامدة لان المصامدة من  
البرانس وكومية قبيلة عبد المؤمن من البرتق قدموه لذلك مع ما كانوا يرون من ميل المهدي اليه  
وايثاره على غيره فتم له الامر \* وقال ابن خلدون \* لما مات المهدي خشي أصحابه من افتراق الكلمة  
وما يتوقع من سخط المصامدة لولا اية عبد المؤمن لكونه من غير جلدتهم فارجعوا الامر الى ان تحالط  
بشاشة الدعوة قلوبهم وكنمو اموتيه ثلاث سنين عتوهون فيها مرضه ويقومون سنته في الصلاة والحزب  
الراتب ويدخل أصحابه الى بيته كأنه اختصمهم ببيادته فيجاسون حوالى قبره ويتفاوضون في شؤونهم  
ثم يخرجون لانفاذ ما أمرموه ويتولى ذلك عبد المؤمن حتى اذا استحك أمرهم وتمكنت الدعوة  
من نفوس كافتهم كشفوا القناع عن حالهم وعمالاً من بقي من العشرة على تقديم عبد المؤمن وتولى كبر ذلك  
الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الممتنق جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس فأظهر والناس موت المهدي  
وعهده لصاحبه وانقاد بيقية أصحابه لذلك وروى لهم يحيى بن يعمور انه كان يقول في دعائه اثر صلواته اللهم  
بارك في صاحب الافضل فرضى الكافة وانقادوا له وأجمعوا على بيعته وزعموا أن عبد المؤمن استعمل  
في ذلك حيلة تم له بها ما أراد وذلك انه عمد الى طائر وأسد ففرضها حتى أنسابه وعلم الطائر أن يقول عند  
علامة نصبه الى النصر والتمكين لعبد المؤمن أمير المؤمنين وعلم الاسد ان يبصص له ويتمسح به كل ما رآه  
ثم جمع عبد المؤمن الموحدون وخطبهم وحضهم على الانفة واجتماع الكلمة وحذرهم عاقبة البغي  
والخلاف وبينما هو في ذلك اذا رسل سائس الاسد أسده وصفر صاحب الطائر اطاره فبصص هذا  
وأعلن بالنصر هذا فاجب الحاضرون من ذلك ورأوا انها كرامة لعبد المؤمن فازدادوا بها بصيرة في أمره  
وثباتا على بيعته مع ما كان من تقديم المهدي له في الصلاة أيام مرضه وفي ذلك يقول بعضهم



أنس الشبل ابتهاجا بالاسد \* ورأى شبه أبيه فقصد  
ودعا الطائر بالنصر لكم \* فقتل حتى حن وقد

والله أعلم

وكانت بيعة عبد المؤمن العامة بعد صلاة الجمعة لعشرين يوما من وبيع الأول سنة ست وعشرين  
وخمسمائة بجامع تينمل وأول من بايعه العشرة أصحاب المهدي ثم الخمسون من أشياخ الموحدين ثم كافة  
الموحدين لم يتخلف عن بيعته منهم أحد فاستوسق له الأمر واستولى على المغرب بأسره وفتح بلاد إفريقية  
إلى برقة وبلاد الأندلس بأسرها وخطب له على منابر هذه الأقاليم كلها على ماسياتي تفصيله إن شاء الله  
ولما تمت بيعته غزا من حينه بلاد تادلا فقتل بها وسيا ثم غزا بلاد درعة فاستولى عليها ثم غزا بلاد غمارة  
فافتح البعض منها وقتل واليهاء ثم تسابق الناس إلى دعوته أفواجا وانتقضت البر على المرابطين في سائر  
أقطار المغرب وكان ما ذكره

بغزو عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها على المغربين

ثم صرف عبد المؤمن عزمه لفتح بلاد المغرب فغزا غزوته الطويلة التي مكث فيها سبع سنين وأجلت عن  
فتح المغربين مع الأقصى والأوسط خرج لها من تينمل في صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة فلم يزل  
يتقربى بلاد المغرب ويفتح معاقله ويسد متزلجاتها ويذل صعابها إلى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة  
وكان خروجها من تينمل على طريق الجبل وخرج تاشفين بن علي في اتباعه من مراکش على طريق  
السهل إلى أن وصل إلى تلمسان حسبا فقدمناه في أخبار المرابطين **ب**قال ابن خلدون **ب**خرج عبد المؤمن  
في هذه الغزوة من تينمل يعني على طريق الجبل كما قلنا وخرج تاشفين بن علي يعني في حياة والده بعساكره  
يحاذيه في البسيط والناس يفرّون منه إلى عبد المؤمن وهو يتنقل في الجبال في سعة من الفواكه لكل  
والحطب للدفء إلى أن وصل إلى جبال غمارة واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالمغرب واقشعت الرعايا عن  
البلاد وألح الطاغية على المسلمين بالعدوة الأندلسية وهلك خلال ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف سنة  
سبع وثلاثين وخمسمائة وولي بعده ابنه تاشفين بن علي المذكور وهو في غزاته هذه **ب**وفي القرطاس **ب**  
أوتحل عبد المؤمن إلى جبال غمارة وأرتحل تاشفين بن علي في أثره فتزل بازاء عين القديم وذلك في فصل  
الشتاء فأقام بذلك المنزل شهرين حتى أحرق أهل محبته أو تادأ خبيثتهم ورماحهم وهدموا بيوتهم  
ونخيامهم انتهى ونشأت فتنة بين لتونة ومسوفة فترج جماعة من أمراء مسوفة منهم عامل تلمسان يحيى  
ابن اسحق المعروف بابن زكار ولحقوا بعبد المؤمن ودخلوا في دعوته فنبذ إليهم المرابطون العهد إلى سائر  
مسوفة واستمر عبد المؤمن على حاله فنازل سبتة فامتعت عليه وتولى كبر دقاعه عنها القاضي أبو الفضل  
عياض بن موسى الشهير بالذكر وكان رئيسها يومئذ باقوته ومنصبه وعلمه ودينه **ب**قال ابن خلدون **ب**ولذلك  
سخطه الدولة يعني دولة الموحدين آخر الأيام حتى مات مغربا عن سبتة مستعملا في خطة القضاء بالبادية  
من تادلا رجه الله وتمادى عبد المؤمن في غزاته إلى جبال غمارة وبطوية فاقتحها ثم نازل ملوية فاقتح  
حصونها ثم تخطى إلى بلاد زناتة فاطاعته قبائل مديونة وكان قد بعث إليهم جيشا من الموحدين إلى نظر  
يوسف بن واوودين فخرج إليهم محمد بن يحيى بن فانوا عامل تلمسان من قبل المرابطين فيمن معه من جيوش  
لتونة وزناتة فهزمهم الموحدون وقتل ابن فانوا وانفض جمع زناتة ورجعوا إلى بلادهم وولى تاشفين بن علي  
على تلمسان أبا بكر بن مزدي وقدم على عبد المؤمن وهو بمكانه من الريف أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن  
بدر من أمراء بني وما نوامن زناتة فبعث معهم يحيى بن يغموور ويوسف بن واوودين في عسكر فاقتحوا  
بلاد بني عبد الواد بن يابوي من زناتة سبيا وأسر أوليهم صريحهم بتاشفين بن علي فأمدتهم بعساكر لتونة  
ومعهم الروبرير قائد الروم ونزلوا منداس وانضمت إليهم قبائل زناتة من بني يابوي وبني عبد الواد مع  
شيخهم جماعة بن مطهر وأخوانهم بني توجين وغيرهم فوقعوا ببني وما نو وقتلوا أبا بكر بن ماخوخ في

ستمائة من قومه واستنقذوا غنائمهم وتحصن الموحدون وقل بني وما نوا بجبل سيرات ولحق تاشفين بن  
ماخوخ صريحاً بعبد المؤمن ومستحشابه على لمتونة وزناته فارتحل معه عبد المؤمن الى تلمسان ثم أجاز  
الى سيرات وقصد محلة لمتونة وزناته فوقع بهم ورجع الى تلمسان فنزل ما بين الصخرتين من جبل تيطرى  
ونزل تاشفين بن علي بالسبل على الصمصاف ثم وصل مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب  
بجاية لتنظر قائده طاهر بن كباب أمثوابه تاشفين بن علي وقومه لعصبة الصنهاجية وفي يوم وصوله  
أشرف على معسكر الموحدين وكان يدل بأقدام فمرّض بلتونة وأميرهم تاشفين بن علي لعودهم عن  
مناجزة الموحدين وقال انما جئتكم لخالصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومي فامتنع  
تاشفين بن علي من كلمته وأذن له في المناجزة فعمل على القوم فركبوا وصعدوا اللقائه فكان آخر العهد به  
وانقض عسكره وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم وهو الروبرتي في عسكر ضخم فاغار على  
قوم من زناته كانوا في بسط لهم فاكنتهم ورجع بالغنائم فاعترضه الموحدون من عسكر عبد المؤمن  
فقتلواهم وقتلوا الروبرتي في جلته ثم بعث تاشفين بن علي بعثاً اخرى فلقبهم تاشفين بن  
ماخوخ ومن كان معه من الموحدين واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فقالوا منهم أعظم النيل وتوالت  
هذه الوقائع على تاشفين بن علي اللتوني فأجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنته ولي عهد ابراهيم بن تاشفين  
الى مراکش في جماعة من لمتونة وبعث كاتباً معه أحمد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين  
وخمسمائة فأقام عليها شهراً ينتظر قائداً سطوله محمد بن ميمون الى ان وصله من المرية بعشرة أساطيل  
فأرسل قريبا من معسكره وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ أباحفص عمر بن يحيى  
الهنثاني ومعه بنو وما نوا من زناته فتقدموا الى بلاد زناته ونزلوا منداس وسط بلادهم وجعل له بنو يادين  
كاهم وبنو يايوى وبنو مريين ومغراوة فأثنى فيهم الموحدون حتى أذعنوا للطاعة ودخلوا في دعوتهم  
وفد على عبد المؤمن جماعة من رؤسائهم وكان منهم سيد الناس ابن أمير الناس شيخ بني يايوى وجماعة بن  
مطهر شيخ بني عبد الواد وغيرهم فلقاهم بالقبول وسار بهم في جوع الموحدين الى وهران فبیتوا لمتونة  
بعسكرهم ففضوهم ولجأ تاشفين الى رابية هناك فأحدقوا بها وأضرموا النيران حولها حتى اذا غشيهم  
الليل خرج تاشفين من الحصن راكباً فرسه فتردى به من بعض حافات الجبل وهلك لسبع وعشرين من  
رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبعث برأسه الى تينمل وتجاقل العسكر الى وهران فانحصروا بها  
مع أهلها حتى جهدهم العطش فنزلوا على حاكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة المذكورة  
فاستأصلهم القتل رحمهم الله وبلغ خبر مقتل تاشفين بن علي الى تلمسان مع قل لمتونة الذين نجوا من وقعة  
وهران وفيهم سير بن الحاج في آخرين من أعيانهم ففر معهم من كان بها من لمتونة ولما وصل عبد المؤمن  
الى تلمسان استباح أهل تاكرارت لما كان أكثرهم من الحشم بعد ان كانوا بعتوا سنة من وجوههم  
فلقبهم بصلية من مشيخة بني عبد الواد فقتلهم أجمعين وافتتح عبد المؤمن تلمسان وعفا عن أهلها ورحل  
عنها السبعة أشهر من فتحها بعد ان ولي عليها سليمان بن محمد بن وانودين وقيل يوسف بن وانودين

### فتح مدينة فاس

نقل بعض المؤرخين أن عبد المؤمن لم يزل محاصراً لتلمسان والفتوح ترد عليه وهناك وصلتته بيعة أهل  
سجلماسة الى ان اعترزم على الرحيل الى المغرب فترك ابراهيم بن جاسع محاصر التلمسان وقصد مدينة فاس  
سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقد تحصن بها يحيى بن أبي بكر الصعراوى من قل تاشفين بن علي من  
وهران فنار لها عبد المؤمن وبعث عسكر الحصار مكاثمة ثم غرض في اتباعه وترك عسكران الموحدين  
على فاس وعليهم الشيخ أبو حفص وأبو ابراهيم من صحابة المهدي العشرة فحاصروها سبعة أشهر ثم دخلهم  
ابن الجياتي فسرب البلد وأدخل الموحدين ليهـ لا وفر يحيى بن أبي بكر الصعراوى الى طنجة ثم أجاز منها الى

يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية بالاندلس وكان والياً على قرطبة من قبل المرابطين فأقام عنده الى ان كان من أمره ما نذكروه وانتهى خبر فتح قاس الى عبد المؤمن وهو بمكانه من حصار مكناسة فرجع اليها ودخلها ويوحى صاحب القرطاس في فتح قاس خلاف هذا الوجه فقال وفي سنة أربعين وخمسمائة فتح عبد المؤمن قاساً بعد حصار شديد قطع فيها ماء النهر الداخلى اليها وسده بالبناء والخشب حتى انحبس الماء فوق بساط الارض وانتهى الى مراكزه منها ثم حرق السد فانتحدر الماء على المدينة دفعة واحدة وهدم سورها ثم هدم من دورها ما يزيد على ألفي دار بالتمذية وهلك بها خلق كثير وكاد الماء يأتي على أكثرها ثم دخلها عبد المؤمن وأمن أهلها الا من كان بها من المرابطين فانه أمر أن لا يعضى لهم أمان وقتلهم قتل عاد ثم أمر بسور المدينة فهدم منه ثلث كثيرة أو سورها حتى احتجاج الى سور وانما أسوار ناسيفونا وعدلنا فلم تزل قاس لا سور لها الى ان تداركها حافده يعقوب المنصور فابتدأ ببناءه ومات فأتته اية الناصر سنة ست مائة ولما فتح عبد المؤمن قاساً ولى عليها ابراهيم بن جامع الذي خلفه على تلمسان فانه لما فتحها ارتحل الى عبد المؤمن فاتصل به وهو محاصر قاس ففتحها عبد المؤمن وولاه عليها وكان قد اعترضه في طريقه الخنض بن عسكر شيخ بنى مرين وناولوا منه ومن رفقتهم وكانت معه أموال لتبوية وذخيرتهم التي استولى عليها عبد المؤمن بوهران وكان ابن جامع ذاهباً بها الى تينمل فاعترضه بنو مرين وانزعوا منها وانتهى الخبر بذلك الى عبد المؤمن فكتب الى عامر له على تلمسان يوسف بن واودين يأمره أن يجيز العساكر الى بنى مرين فبعثها حبة عبد الحق بن منة فادشخ بنى عبد الواد فأوقعوا بنى مرين وقتل الخنض شيخهم

### فتح مراکش واستئصال بقية التونيين

ثم ارتحل عبد المؤمن من قاس عامداً الى مراکش فوافته في طريقه بيعة أهل سبتة فولى عليهم يوسف ابن مخلوف من مشيخة هنتاتة ومر على مدينة سلا فافتتحها بعد موقعة قليلة وثلث سورها كقاس ونزل منها بدار ابن عشرة وكانت هذه الدار قصر ابي ديعا مدينة سلا بناها الفقيه أبو العباس بن القاسم من بنى عشرة فشيده وأتقنه ولما فرغ منه وصفته الشعراء وهنته به ودعت له وكان بالحضرة يومئذ الاديب ابن الحمار ولم يكن أعديشياً فافكر قليلاً ثم قال

يا أوحداً للناس قد شيدت واحدة \* محل فيها حلول الشمس في الحبل  
فأكدارك في الدنيا لذي أمل \* ولا أكدارك في الاخرى لذي عمل

وهذا القصر لم يبق له اليوم اسم ولا رسم ثم عمادى عبد المؤمن الى مراکش وسرح الشيخ أبا حفص لغزو برغواطة فأتحن فيهم ورجع فلقية في طريقه وانتهوا جميعاً الى مراکش وقد انضم اليها جوع لمطة فأوقع بهم الموحدون وأتحنوا فيهم قتلاً واكنسوا أموالهم وطمعائهم وأقاموا على مراکش تسعة أشهر وأميرهم يومئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وكانوا قد يابغوا أولاً ابراهيم بن تاشفين بن علي فألقوه مضعفاً جزاً فخلعوه وبابغوا عمه اسحق بن علي المذكور وهو صبي صغير ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى مدافعة الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون بالقتل فاقتحموا عليهم المدينة في آخريات شوال سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقتل عامة الملتزمين ونجا اسحق في جلته وأعيان قومه الى القصبية حتى تزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم وتولى كبر ذلك أبو حفص بن واجاح منهم وانحى أمر الملتزمين واستولى الموحدون على جميع البلاد وقد قيل في ترتيب هذه الاخبار غير هذا الوجه فيقال ابن مطروح القيسى في باب يبيع عبد المؤمن تينمل ارتحل بجيوش الموحدين نحو مراکش فحاصرها أياماً وذلك في شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة ثم ارتحل عنها الى تادلا ثم الى سلا فلقاه أهلها سامعين مطيعين فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة وخطب له بها في سنة سبع وعشرين بعد هاج فتح عبد المؤمن بلاد

تأزا ﴿وفي سنة ثمان وعشرين بعد هاج﴾ تسمى عبد المؤمن بأمير المؤمنين واعلم ان اللقب بأمير المؤمنين كان في صدر الاسلام خاصا بالخليفة بالمشرق من بني أمية أو من بني العباس بعدهم ولما قام عبيد الله الهدي أول ملوك العبيديين بأفريقية تسمى بأمير المؤمنين لانه كان يرى انه أحق بالخلافة من بني العباس المعاصرين له بالمشرق فهو أول من زاحم الخليفة في هذا اللقب ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب الاندلس ورأى ان له في الخلافة حقا اقتداء بسلفه الذين كانوا خلفاء بالمشرق وكلاهما أعني العبيدي والاموي قرشي من بني عبد مناف ثم لم يتجاسر أحد لامن ملوك الجهم بالمشرق ولا من ملوك البربر بالمغرب على اللقب بأمير المؤمنين لانه لقب الخليفة الاعظم القرشي كما علمت الى ان جاءت دولة المرابطين وكان منهم يوسف بن تاشفين واستولى على المغرب والاندلس وعظم سلطانه واتسعت مملكته وخاطب الخليفة العباسي بالمشرق فولاه على ما بيده وتسمى بأمير المسلمين أديامع الخليفة حسيا أشرفنا اليه سالفا ولما جاء عبد المؤمن هذا لم يبال بذلك كله واتسم بالخليفة وتلقب بأمير المؤمنين وتبعه على ذلك بنوه من بعده ولما ان الحال ينشد

لقد هزلت حتى بدان هزالها \* كلاها وحتى سامها كل مقلس

﴿وفي سنة تسع وعشرين وخمسة مائة﴾ أمر عبد المؤمن ببناء رباط مدينة تازا قبليت وحصن سورها ثم كانت محاربتة تاشفين بن علي على نحو ما أسلفناه والله تعالى أعلم

### ﴿ثورة محمد بن هود السلاوي المعروف بالماسي﴾

كان محمد بن هود بن عبد الله السلاوي رجلا من سوقة أهل سلا وكان أبوه سمسارا يبيع السكايش وكان هو قصارا يمدته ثم لحق بعبد المؤمن عندما ظهر وبايعه وشهد معه فتح مراکش ثم فارقه وظهر برباط ماسة من ناحية السوس ودعا لنفسه وتسمى بالمهادي وتمكن ناموسه من قلوب العامة وكثير من الخاصة فأقبل اليه الثرأد من كل جانب وانصرفت اليه وجوه الاغمار من أهل الآفاق وأخذ يدعوته أهل سجلماسة ودرعة وقبائل دكالة ووجراجة وقبائل تامسنا وهوارة وفشت ضلالتة في جميع المغرب ﴿وقال في القرطاس﴾ بايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد المؤمن الا مراکش فسرح اليه عبد المؤمن عسكريا من الموحدون لنظري يحيى بن اسحق انه كثر النازع اليه من ايلة تاشفين بن علي حسيا تقدم فالتقى بالماسي وقاتله فانتصر الماسي عليه وعاد مهزوما الى عبد المؤمن فسرح اليه عبد المؤمن ثانيا الشيخ أباحفص المنتاقى في جيش عظيم من أشياخ الموحدون وغيرهم واحضل عبد المؤمن في الاستعداد ونهض الشيخ أبو حفص من مراکش فاتح ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين وخمسة مائة وشيخه عبد المؤمن الى وادي تانسيفت ثم دعاه وودعه وانصرف الشيخ أبو حفص في جيوش الموحدون حتى انتهوا الى رابطة ماسة فبرز اليهم محمد بن هود في نحو ستين ألفا من الرجال وسبع مائة من الفرسان فكانت بينهم حرب شديدة ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموهم وقتل محمد بن هود في المعركة مع كثير من أتباعه وفضت جوعه وكان ذلك في ذى الحجة من السنة المذكورة وكان الذي باشر قتل ابن هود هو الشيخ أبو حفص رئيس الجيش فلقبه الموحدون بسيف الله تشبيها له بخالد بن الوليد رضي الله عنه وكتب الشيخ أبو حفص الى عبد المؤمن برسالة الفتح من انشاء الفقيه أبي جعفر بن عطية القاضي الكاتب المشهور يقول فيها كتابنا هذا من وادي ماسة بعدما تجدد من أمر الله الكريم ونصره تعالى المعهود القديم وما النصر الامن عند الله العزيز الحكيم فتح بهر الانوار اشراقا وأحدق بنفوس المؤمنين احداقا ونبه للايمان الساعمة جفونا وأحداقا واستغرق غاية الشكر استغراقا فلا تطيق اللسان لكانه وصفه ادراكا ولا لحاقا جمع أششتات الطلب والارب وتقلب في التعم أكرم منقلب ولادلاء الامل الى عقد الكرب فتح تفتح أبواب السماء \* وتبرز الارض في أوام القشب

وتقدمت بشارتنا به جملة حين لم تعط الحال بشرحه مهلة كان أولئك الضالون قد بطروا وعدوانا وظلما واقتطعوا الكفر معني واسما وأملى الله تعالى لهم ليزدادوا اثما وكان مقدمهم الشقي قد استمال لنفوس بجزع لاته واستهوى القلوب بجهولاته ونصب له الشيطان من حبالته فأنته المخاطبات من عدو كذب ونسبت اليه الرسل من كل حدب واعتقدته الخواطر أوجب عجب وكان الذي قادهم الى ذلك وأوردهم تلك المهالك وصول من كان بتلك لسوا حد من ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام واشتغل على زعمه بالقيام والصيام آناء لليالي والايام لبسوا الناموس ثوبا وتدرعوا الزياء جلبابا فلم يفتح الله تعالى لهم للنوفيق بابا ولم ينها في ذكر صاحبهم المسمى المدعى للهداية فصرع بحمد الله تعالى لحينه وبادرت اليه بوادر منونه وأنته وافادات الخطايا عن يساره وعينه وقد كان يدعي أنه بشر بأن المنية في هذه الاعوام لا تصيبه والنوائب لا تنوبه ويقول في سواه قولا كثيرا ويخناق على الله تعالى اذ كاوزورا فلما رآوا هيئة اضطجاعه وما خطته الاسنة في أعضائه وأضلاعه ونفذه من أمر الله تعالى ما لم يقدر واعلى استرجاعه هزم من كان لهم من الاخراب وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب وأعطوا على بكرة أبيهم صفحات الرقاب ولم تقطر كلوهم من الاعلى الاعقاب فامتلات تلك الجهات باجسادهم وآذانت الاجال بانقراض آمادهم وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم فلم يعين منهم الامن خروصا وسقى الارض نجيبا ولقي من أمر الهنديات قطيعا ودعت الضرورة باقيهم الى الترامي في الوادي فن كان يؤمل الفرار ويرتجيه ويسبح طامعا في الخروج الى ما ينجييه اختطفته الاسنة اختطافا وأذاقته موتا ذاعا ومن لج في الترامي على لججه ورام البقاء في نجيجه قضى عليه شرقه وألوى بذقنه غرقه ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون قتلهم طعنا وضربا ويقومونهم بأمر الله تعالى هو لا عظيميا وكريا حتى انبسطت مرقات الدماء على صفحات الماء وحسكت حمرتها على زرقة حرة الشفق على زرقة السماء وجرت لعمرة للعتبر في جري ذلك الدم جري البحر (وبالجملة) فهي رسالة بليغة وهي التي أورثت منشئها الرتبة العلية والمنزلة السنية فان عبدا المؤمن لما وقف عليه استشهد بها ووقعت منه موقعا كبيرا فاستكتبه وتوأم استوزره ثانيا ثم نكبه وقتله ثالنا كما سيأتي ولما انصرف الشيخ أبو حفص من غزوة ماسية أراح عمرا كش أياما ثم خرج غازيا ببلاد القاعين بدعوة محمد بن هود بجبال دون فأوقع بأهل نفيس وهي لانة وأثن فيهم بالقتل والسبي حتى أذعنوا للطاعة ورجع ثم خرج الى هسكورة فأوقع بهم وافتتح معاقلهم وحصونهم ثم نهض الى سجامة فاستولى عليها ورجع الى مرا كش ثم خرج ثالثة الى برغواطة فخاربه مدة ثم هزموه واضطربت نار الفتنة بالمغرب وكان ما نذكره

انتفاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رجه الله معهم

قد تقدم لنا ان عبدا المؤمن كان غزا سبتة في غزوته الطويلة وان القاضي عياض رجه الله دافعه عنها وانها قتل تاشفين بن علي وفتح تاسان وفاس واستعمل أمر عبدا المؤمن بايع أهل سبتة في جملة من بايع من أمصار المغرب قالوا وبادر القاضي عياض الى لقاء عبدا المؤمن فاجتمع به بمدينة سلاحين كان ذاهبا لفتح مرا كش فاجزل صلته وولى على سبتة يوسف بن محمد الوفي التينغالي وساكن الموحدون أهل سبتة في ديارهم واطمأنوا اليهم فلما انتقض المغرب على عبدا المؤمن بسبب قيام محمد بن هود وما نشأ عن ذلك من الفتن انتقض أهل سبتة أيضا وكان انتفاضهم كافي القرطاس برأى القاضي عياض رجه الله فقتلوا عامل الموحدين ومن كان معه من أصحابه وحاميته وحقوهم بالنار وركب القاضي عياض البحر الى يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية وكان معتصما بقرطبة متمسكا بدعوة المرابطين فقيه وأدى اليه البيعة وطلب منه واليا على سبتة فبعث معه يحيى بن أبي بكر الصخراوي الذي كان معتصما بقاس أيام حصار عبدا

المؤمن لها فقر ولحق بابن غانية كما قلنا وبقي في جلته الى ان بعثه مع القاضي عياض في هذه المرة فدخل  
يحيى سبته وقام بامرها ولما اتصلت بعبد المؤمن هذه الاخبار مع ما تقدم من هزيمة برغواطة للشيخ أبي  
حقوق خرج من مراکش قاصدا بلاد برغواطة أولا ثم من بعدهم ثانيا فاستمعت برغواطة بخروج عبد  
المؤمن اليهم فكتبوا الى يحيى بن أبي بكر بكانه من سبته يستصرونه عليهم فاتاهم وبايعوه واجتمعوا  
عليه وقتلوا عبد المؤمن فهزموه ثم كانت له الكفرة عليهم فهزمهم وحكم السيف فيهم واستأصل شأقتهم  
حتى انقادوا للطاعة وتبرؤا من يحيى الصعراوى وملتونة وفر الصعراوى الى منجباته ثم طلب الامان من عبد  
المؤمن وتشفع اليه باشياخ القبائل فأمنه ووفد عليه فبايعه وحسنت طاعته لديه وكان ذلك سنة اثنتين  
وأربعين وخمسمائة ولما رأى أهل سبته ذلك كله سقط في أيديهم وندموا على صنيعهم وكتبوا يبيعتهم الى  
عبد المؤمن وقدم بها اشياخ سبته وطلبها تائبين فعفا عنهم وعن القاضي عياض وأمره بسكنى مراکش  
والصحيح انه ولاء القضاء بتادلا ثم دخل مراکش قبل دخولها امريضا مرض موته وقيل مات بالطريق  
وحمل اليها وأمر عبد المؤمن مع ذلك بهدم سور سبته فهدم وكذلك فعل بفاس وسلا (واعلم) ان ما صدر من  
القاضي عياض رحمه الله في جانب الموحدين دليل على انه كان يرى ان لاحق لهم في الامر والامامة  
وانما هم متغلبون وهذا امر لا خفاء به كما هو واضح ولما كانت شوكة عبد المؤمن لازالت ضعيفة  
وتاشفين بن علي أمير الوقت لزال قائم العيين امتنع القاضي عياض رحمه الله من مبايعة عبد المؤمن  
ودافعه عن سبته اذ لا موجب لذلك لان بيعة تاشفين في أعناقهم وهو لزال حيا فلا يعدل عن بيعته الى  
غيره بلا موجب وأما ما غالط به المهدي رحمه الله من ان المرابطين مجسمة وان جهادهم أوجب من جهاد  
الكفار فضلا عن ان تكون طاعتهم واجبة ففسطمة منه عفا الله عنا وعنه ولما قتل تاشفين وفتحت  
تلمسان وفاس وقويت شوكة عبد المؤمن بايعه القاضي عياض حينئذ وقبل صلته لان من قويت شوكته  
وجبت طاعته ثم لما ضعف أمره ثانيا بسبب قيام الماسي عليه واجماع قبائل المغرب على التمسك بدعوته  
رجع القاضي باهل سبته عن بيعته الى طاعة المرابطين الذين لهم الحق في الامامة بطريق الاصل  
ولم يأخذ بدعوة الماسي لانه نأثر أيضا هذامع ما كان ينقل عن المهدي من انه غلبت نزعة خارجية عليه  
وانه يقول بعصمة الامام وذلك بدعة كالا يخفى فتكون امامته وامامة أتباعه مقدم وحافيهام من هذه  
الحديثة لكن حيث حصل التغلب والاستيلاء وجبت الطاعة فالحاصل ان ما فعله القاضي عياض أولا  
وثانيا وثالثا كله صواب موافق للحكم الشرعي فهكذا ينبغي ان تفهم أحوال أئمة الدين واعلام المسلمين  
رضي الله عنهم ونفعنا بلوهم وأما القتل والتخريب الذي صدر من أهل سبته فالظن بالقاضي عياض  
رحمه الله انه لا يوافق على ذلك ولا يرضاه لكن العامة تتسرع الى مجاوزة الحدود ولا سيما أيام الفتن وذلك  
معروف من حالهم والله الموفق ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فتح الموحدون مدينة مكاسة  
القديمة بعد حصارهم اياها سبع سنين اقتحموها عنوة يوم الاربعاء ثالث جمادى الاولى من السنة  
الذكورة فخرت وقتل أكثر رجالها وسبي حريمهم وخسرت أموالهم ثم بنيت مكاسة تآكروا  
المدينة الموجودة الآن

### ✽ أخبار الاندلس وقنوجها ✽

كان عبد المؤمن لما فتح تلمسان وفاس بعث الى الاندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أنبياد  
الموحدين ووقال ابن خلدون بعث عبد المؤمن بعد فتح مراکش جيشا من الموحدين لنظر بدران  
ابن محمد المسوفي النازع الى عبد المؤمن من جهة تاشفين بن علي وعقد له على حرب الاندلس ومن بها  
من ملتونة والثوار وأمدّه بعسكر آخر لنظر موسى بن سعيد وبعده بعسكر آخر لنظر عمر بن صالح  
الصنهاجى ولما أجاز والى الاندلس نزلوا بابي الغمر بن عزرون صاحب شريش فكان أول بلد قصوا

من الاندلس بلد شريش خرج اليهم صاحبها أبو الغمر فيمن معه من المرابطين ويايعهم لعبد المؤمن  
ودخل في طاعته فكان الموحدون يسمون أهل شريش بالسابقين الاولين وحورت أملاكهم فلم تزل  
محررة ساثر أيامهم فلم يكن في أملاكهم رباعة وجميع بلاد الاندلس مربعة وكان ملوك الموحدين  
إذا قدم عليهم وفود الاندلس كان أول من ينادى منهم أهل شريش فكان يقال أين السابقون  
فيما دخلون للسلام فإذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا فدخل غيرهم حيثئذ وكان فتح شريش فافخ  
ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ثم زحف الموحدون الى لبلبة وكان بها من الثوار يوسف بن أحمد  
البيطروجي فبذل لهم الطاعة ثم زحفوا الى شلب ففتحوها ثم نهضوا الى باجة وبطليوس ففتحوها أيضا ثم  
زحفوا الى اشبيلية فحاصروها برا وبحرا الى ان قصوها في شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة وفر من  
كان بها من المرابطين الى قرمونة وقتل من أدركه القتل منهم وقتل في جملتهم عبد الله ولد القاضي أبي بكر محمد  
ابن عبد الله بن العربي المعافري الملقب المشهور أصيب في هبة تلك الدخلة من غير قصد وكتب الموحدون  
بالفتح الى عبد المؤمن ثم قدم عليه وفدهم بمراكش مبايعين له سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ورئيس  
الوفد يومئذ القاضي أبو بكر بن العربي المذكور فالفوا عبد المؤمن مشغولا بحرب محمد بن هود الماسي  
فأقاموا بمراكش سنة ونصف فلم يلقوه فيها حتى كان يوم عيد الاضحى من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة  
فلقوه بالمصلي فسلموا عليه سلام الجماعة ثم بعد ذلك دخلوا عليه فسلموا عليه السلام الخاص وقبلت بيعتهم  
وسأل عبد المؤمن القاضي أبا بكر بن العربي عن المهدي هل كان لقيه عند الامام أبي حامد الغزالي فقال  
ما لقيته ولكن سمعت به فقال له فما كان أبو حامد يقول فيه قال كان يقول ان هذا البربري لا بد أن يظهر  
ثم صرف عبد المؤمن أهل اشبيلية بعد ان أجازهم وكتب لهم منشورا بتحريم أملاكهم فانصرفوا عنه  
في جادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فلما قربوا من مدينة فاس توفي الامام أبو بكر بن  
العربي رحمه الله فحمل ودفن خارج باب المحروق منها بتراب القائد مظفر وقبره منارة الى الآن وعليه قبة  
حسنة وفي هذه السنة ملك الموحدون قرطبة وكان بها يحيى بن علي المسوفي المعروف بابن غانية مقيما  
لدعوة المرابطين فلما دخل الموحدون الاندلس واشتعلت نار الفتنة بحرب المرابطين انتهز الطاغية  
الفرصة في بلاد الاسلام وضايق ابن غانية بقرطبة وألح على جهاته حتى زلله عن يياسة وأبده وتقلب  
على اشبونة وطرطوشة والمرية وماردة وأقراغة وشنترين وشنقرية وغيرها من حصون الاندلس وطالب  
ابن غانية بالزيادة على ما بذل له أو الافراج عن قرطبة فارسى ابن غانية الى بدران بن محمد أمير الموحدين  
واجتمعوا باستحبة وضمن له بدران أمام الخليفة عبد المؤمن على أن يتخلى له عن قرطبة وقرمونة ففعل ثم لحق  
بغرناطة وبها ميمون بن بدر اللتوني في جماعة من المرابطين وأراد أن يكلمه في الدخول في طاعة الموحدين  
وأن يكتفهم من غرناطة كما فعل هو بقرطبة فتوفي بغرناطة يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة  
ثلاث وأربعين وخمسمائة ودفن في القصبية بآزاء قبر باديس بن حبوس الصنهاجي وانتهز الطاغية الفرصة  
في قرطبة فزحف اليها وحاصرها فجهز اليه الموحدون الذين كانوا باشبيلية بأبا الغم من عزرون لمايتها  
ووصل اليه مدد يوسف البيطروجي من لبلبة وبلغ الخبر عبد المؤمن فبعث اليها عسكريا من الموحدين  
لنظر يحيى بن يوسف وولاد دخلها أفرج عنها الطاغية لايام من مدخله وبادر ثوار الاندلس الى يحيى بن  
يغموور في طلب الامان من عبد المؤمن ثم تلاه ثوابه بمراكش فتقبلهم وصفع لهم عماسلف

وقدوم عبد المؤمن الى سلا ووفادة أهل الاندلس عليه بها

لما كانت سنة خمس وأربعين وخمسمائة قدم عبد المؤمن من مراكش الى سلا فنظر في أمرها وأجرى  
اليها ماء عن غمولة حتى وصل الى رباطها ولم تكن رباط الفتح يومئذ قد بنيت لان بانها حاقده يعقوب  
التمصور كما سياتي ان شاء الله وانما كان يقال رباط سلا ثم أذن عبد المؤمن لأهل الاندلس في الوفاة عليه

بسلامة قدموا عليه في نحو خمسمائة فارس من الفقهاء والقضاة والخطباء والاشياخ والقوادقتلقاتهم  
 الشيخ أبو حفص الممتاني والوزير الكاتب أبو جعفر ابن عطية وأشياخ الموحدين على نحو ميلين من المدينة  
 فأمر عبد المؤمن بانزالهم وأفاض عليهم سجال الاكرام وأنواع الضيافات والآنعام ويقو اعلى ذلك ثلاثة  
 أيام ثم أذن لهم في الدخول فدخلوا عليه أول يوم من المحرم فاتح سنة ست وأربعين وخمسمائة فسلموا عليه  
 وأشار الوزير ابن عطية لاهل قرطبة بالتقدم فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج فأراد أن يتكلم فدهش  
 ثم وصف حال قرطبة فقال يا أمير المؤمنين ان الفئس لعنه الله قد أضاعها اقتلافاه أبو بكر بن الجندب الحطبة  
 البليغة فجلى في ذلك الجاس واستحسن عبد المؤمن خطبته ووصل الجميع كلال على قدره وقضى مطالبهم  
 وأوصاهم بما اقتضاه الحال وأمرهم بالانصراف الى بلادهم فانصرفوا فرحين مغتربين وقال ابن  
 خلدون استدعى عبد المؤمن أهل الاندلس وهو بسلافوقدوا عليه وبايعوه جميعا وبايعه الرؤساء من  
 الثوار على الانخلاع من الامر مثل سدراتي ابن وزير صاحب باجة ويايرة ويوسف البطر ورجي صاحب  
 لبله وابن عزرون صاحب شريش ورندة ومحمد بن الجمام صاحب بطايوس وعامل بن مهيب صاحب  
 طليبة وتختلف ابن القديسي وأهل شب عن هذا الجمع فكان سببا لقتله من بعد وانصرف أهل الاندلس  
 الى بلادهم ورجع عبد المؤمن الى مراکش واستعجب الثوار فلم يزالوا يحضرونه والله تعالى أعلم

### بوغزو افريقية وفتح مدينة بجاية

ثم بلغ عبد المؤمن اضطراب بلاد افريقية بسبب تنازع ملوكها من بني زيري بن مناد الصنهاجيين  
 واستطالة العرب عليهم بها فأجمع الراحلة الى غزوها بعد ان شاور الشيخ أبا حفص وأبا ابراهيم وغيرهما  
 من المشيخة فوافقوه فخرج من مراکش أو اخر سنة ست وأربعين وخمسمائة واستخلف عليها الشيخ  
 أبا حفص الممتاني وسار حتى وصل الى سلافأقام بها شهرين ثم نهض منها الى سبتة مظهرا انه يريد العبور  
 الى الاندلس بقصد الجهاد فلما وصل الى سبتة استدعى فقهاء قرطبة واشيالية وأعيان الاندلس وقوادها  
 فاستوضح منهم أحوال البلاد وأوصاهم بما اليهم منها وودعهم ورجل عن سبتة مظهرا العود الى  
 مراکش و سار حتى وصل الى القصر الكبير وهو قصر كرامة في زنجوشه وأزح عليهم وفرق فيهم الاموال  
 وأمرهم بتجديد اذواد وخرج يعتسف الابلاد على غير طريق فجعل مدينة فاس عن يمينه وجد السير حتى  
 خرج على وادي ملوية ثم سار الى تلسان فاقام بها يوما واحدا ثم خرج منها ووالى السير قاصدا بجاية فطرق  
 الجزائر على حين غفلة من أهلها فدخلها وأمنهم وفر صاحبها القائم بن يحيى بن العزيز الى أبيه يحيى بجاية  
 وخرج الى عبد المؤمن الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهديّة وكان الفرنج قد أخرجوه منها فقصده  
 ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية فعدل به الى الجزائر وأنزله بها كالمسجون فلما طرق عبد المؤمن  
 الجزائر في هذه المرة خرج اليه الحسن بن علي المذكور فصحبه ووصل يده بيده حتى كان من أمره  
 ما نذكره ان شاء الله ثم اعترضت جيوش صنهاجة عبد المؤمن بام العلو فزعمهم وصبح بجاية من الغد  
 فدخلها وفر صاحبها يحيى بن العزيز الصنهاجي آخر ملوك بني حماد أصحاب القلعة فركب البصر في أسطوان  
 كان أعده لذلك واحتمل فيهما ذخيره وأمواله وعزم على المسير الى مصر ثم عدل الى بونة فنزل على أخيه  
 الحارث فانكسر عليه سوء صنيعه وافرجه عن البلد فارتحل عنه الى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فتحتى  
 له عن الامر وفي خلال ذلك دخل الموحدون قلعة حماد عنوة وكان عبد المؤمن ووجه جيشا من الموحدين  
 اليها وأمر عليهم ابنه أبا محمد عبد الله فدخلوها وأضرموا النيران في مساكنها وخرتوها وقتلوا بها نحو  
 ثمانية عشر ألفا وامتلات أيدي الموحدين من الغنائم والسبي ثم جمع لهم العرب الذين هنالك من الأنج  
 وزغبة ورياح وغيرهم بسطيف فاقواهم واستلموهم وسبوا نساءهم واكتسحوا أموالهم وأما يحيى  
 ابن العزيز فانه بايع لعبد المؤمن سنة سبع وأربعين وخمسمائة ونزل له عن قسنطينة واشترط لنفسه فوفى له



عبد المؤمن ونقله الى مراکش باهله وخاصته فسكنها وأفاض عليه سجال الاحسان وأنزله منزلة رفيعة ثم انتقل الى سلا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فسكن بقصر ابن عشرة منها الى ان مات من سنته وجه الله ووفد على عبد المؤمن بمراكش كبراء العرب من أهل افريقية طائعين فوصلهم ورجعوا الى قومهم معتبين

### فتح المرية وياسة وأبدة

كانت هذه البلاد قد استولى عليها الفرنج أيام قتنة الموحدين والمرابطين بالاندلس فلما كانت سنة ست وأربعين وخمسمائة عبر الشيخ أبو حفص الى الاندلس بأمر عبد المؤمن في جيش كثيف من الموحدين ومعه السيد أبو سعيد ابن أمير المؤمنين برسم الجهاد وكان بنو عبد المؤمن يسمون أبناءهم بالسادة فنزلوا المرية وضيقوا عليها بالحصار وبنى السيد أبو سعيد على محامته سوراً واستغاث نصارى المرية بالفرنس فأغاثهم محمد بن مردنيش وكان واصلا يده بيده ووجهه معه السلطين أحد قواد الفرنج في جيش كثيف فلم يتمكنوا من البلد ولا من محلة الموحدين لكونهم المحصنة بالسور وفرجع ابن مردنيش والسلطين بخفي حين واقترا فلم يجتمعا بعد ثم عمد السلطين الى ياسة وأبدة فأخلاه من النصارى الذين كانوا يخوفوا عليهم ورجع عوده على يده وأما السيد أبو سعيد فإنه شدد الحصار على المرية حتى نزلوا على الامان بواسطة الوزير ابن عطية وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وجه عبد المؤمن على يصيلتين قريب المهدي فأتى به مكبولاً من سبتة فأمر بقتله وصلبه بباب مراکش لا من رنقه عليه ثم ارتحل عبد المؤمن بعد مقتل يصيلتين الى تينمل بقصد زيارة قبر المهدي فزار وفرق في أهلها أموالاً عظيمة وأمر ببناء مسجد لها وتوسعتها

### قدوم عبد المؤمن الى سلا وتوايه أولاده على النواحي بها

لما قضى عبد المؤمن أربه من تينمل ارتحل منها الى سلا فأقام بها بقية سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ثم دخلت سنة تسع وأربعين بعد هافسابع لابنه السيد أبي عبد الله محمد بولاية العهد وأمر أن يذكر في الخطبة بعده وكتب بذلك الى جميع الاتاق ثم عقد لابنه السيد أبي الحسن علي علي فاس وأعمالها واستوزر له أبا الحاج يوسف بن سليمان وعقد لابنه السيد أبي حفص عمر علي تلمسان وأعمالها واستوزر له أبا محمد عبد الحق بن وانودين واستكتب له أبا الحسن عبد الملك بن عياش وعقد لابنه السيد أبي سعيد عثمان علي سبتة وطنجة واستوزر له أبا محمد عبد الله بن سليم وأبا عثمان سعيد بن ميمون الصنهاجي واستكتب له أبا بكر بن طفيل القيسي وأبا بكر بن حبيش الداجي وعقد لابنه السيد أبي محمد عبد الله علي بجاية وأعمالها واستوزر له أبا سعيد يخف بن الحسن وعقد للشيخ أبي زيد بن يكيث علي قرطبة وأعمالها ويقال ان قرطبة كانت في هذا التاريخ بيد يحيى بن يعقوب فأنه أعلم واستقامت الاحوال لعبد المؤمن وبنيه وصفاله المغربان والاندلس والله غالب على أمره

### ايقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى أخوي المهدي والسبب في ذلك

كان عبد العزيز وعيسى أخوا المهدي من مشيخة العسكري ووجه الجيش باشيلية أيام فتحها وفادة أهلها على عبد المؤمن بمراكش حسبما تقدم ثم ساء أثرها بها واستطالت أيديهم على أهلها واستباحوا الدماء والاموال ثم اعتزما على انقتل بيوسف البطر ورجي صاحب ليلة فلحق ببلده وأخرج الموحدين لذين بها وحول الدعوة عنهم الى المرابطين ونشأ عن ذلك فساد كبير بالاندلس ثم لحق أخوا المهدي بالعدوة في خبر طويل واستمر حالها الى ان بايع عبد المؤمن لابنه محمد بولاية العهد وعقد لاختوته على العمالات والنواحي ففسدت نية عبد العزيز وعيسى بذلك مع ما كان صدر من عبد المؤمن من قتل ابن عمهما يصيلتين وكانا يوهن ذنب فاس وعبد المؤمن بسلا فخرجا من فاس الى مراکش على طريق المعدن مضمرين للعدو

واتصل خبر خروجهما بعبدة المؤمن فخرج من سلافي أثرهما متلافياً أمرهما أكش وقدم أمامه وزيره  
أيا جعفر بن عطية فسبقاه اليها وادخل بعض الاواباش بها في شأنهما فوثبوا بعامله أبي حفص عمر بن  
تافراكين فقتلوه بكانه من القصبية ووصل على أثرهما الوزير ابن عطية ثم عبدة المؤمن على أثره فأطفا تلك  
النائرة وتقبض عبدة المؤمن على عبد العزيز وعيسى فقتلها واصلها وتبع المداخلين لها ما فالحقهم بها  
وانقطع الشعب وزال الفساد

### في ايقاع يحيى بن يعقوب بأهل لبلبة واسرافه في ذلك

لما كانت سنة تسع وأربعين وخمس مائة فتح الموحدون مدينة لبلبة وكان المتولى لفتحها يحيى بن يعقوب والى  
قرطبة واشيلية حاصرها مدة ثم اقتحمها عنوة وقبض على أهلها فخرج بهم الى ظاهر المدينة وصفهم في  
صعيد واحد ثم عرضهم على السيف أجمعين حتى خلاص القتل منهم الى الفقيه المحدث أبي الحكم بن بطال  
والفقيه الصالح أبي عامر بن الجرد وكان عددهم من قتل من أهل لبلبة في ذلك الصعيد ثمانية آلاف وقتل  
بأحوارها نحو أربعة آلاف ثم بيعت نسائهم وأبنائهم وأسراهم فعمل ذلك اقسياً على  
عبدة المؤمن وبلغه الخبر وهو بعرا كاش فسخطه وبعث اليه عبد الله بن سليمان فجاءه معتقلاً الى الحضرة  
يوم عيد الفطر فالزمه بيته وبقى على ذلك مدة ثم عفا عنه وسرحه مع ابنه السيد أبي حفص الى تلمسان  
ولم يصرف الى أهل لبلبة شيئاً مما أخذهم واستقام أمر الاندلس وتزل ميمون بن بدر اللتوني عن غرناطة  
للموحدين فذكروها وأجاز اليها السيد أبو سعيد صاحب سبته بعهد أبيه عبد المؤمن اليه بذلك وطلق  
المؤمن بعرا كاش

### في أمر عبدة المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من الكتاب والسنة

لما كانت سنة تسعين وخمس مائة أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بإصلاح المساجد وبنائها في جميع  
ممالكه وبتغيير المنكرات ما كانت وأمر مع ذلك بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة كتب  
الحديث واستنباط الاحكام منها وكتب بذلك الى جميع طلبة العلم من بلاد الاندلس والعدوة بفزاه  
الله خيرا

### في نقل المصحف العثماني من قرطبة الى مرا كاش وبناء جامع الكتبيين بها

كان بقرطبة ثم بجامعها الاعظم المشهور مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ذكر ذلك  
جماعة من المؤرخين منهم ابن شكوال وغيره وكان ذلك المصحف الكريم متداولاً عند بني أمية وأهل  
الاندلس واستمر بقرطبة الى دولة الموحدين فنقله عبدة المؤمن الى مرا كاش وقال ابن بشكوال في اخرج  
المصحف العثماني من قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت الحادي عشر من شوال سنة  
اثننتين وخمسين وخمس مائة في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن علي وبأمره وهذا أحد المصاحف الاربعة التي  
بعث بها عثمان رضي الله عنه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل من ان فيه دم عثمان  
بعيد وان يكن أحد هاهنا فعليه الشامي في قول ابن عبد الملك قال أبو القاسم التيجي السبتي في أما الشامي  
فهو باق بقصورة جامع بني أمية بدمشق وعائنه هنالك سنة سبع وخمسين وست مائة كما عاينت المسكي بقبة  
الشراب قال فعليه الكوفي أو البصري في قول الخطيب ابن مرزوق في كتاب المسند الصحيح الحسن في  
اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من الاندلس فالقيت خطهما سواء وما توهمه انه خطه بيمينه فليس  
بصحيح فلم يخط عثمان واحد منها واتفق جمع عليها بعضهم من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المذني ونص  
ما على ظهره هذا ما أجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد الله  
ابن الزبير وسعيد بن العاص وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضي الله تعالى عنه من الصحابة رضي الله عنهم

على كتب المصنف اه وكان من خبر نقله الى مراکش ما ذكره ابن رشيد في رحلته عن أبي بكر يحيى  
 ابن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي عن كتاب جدّه الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن  
 طفيل المذكور قال وصل الى عبد المؤمن ابنه السيد أبو سعيد وأبو يعقوب من الاندلس وفي صحبتهم  
 مصنف عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف قتلى وصوله بالاجلال  
 والاعظام وبودر اليه بما يجب من التجميل والاكرام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر  
 لكرامة ما هو معتبر لاولى الالباب وذلك ان أمير المؤمنين عبد المؤمن كان قبل ذلك بايام قد جرى ذكره  
 في خاطره وترقى مع نفسه في كيفية جلبه من مدينة قرطبة محل مشواه القديم فتوقع ان يتأذى أهل  
 ذلك القطر بفراقه ويستوحشوا للفقدان اضاءته واشراقه فوقف عن ذلك فأوصله الله اليه تحفة  
 سنية وهدية هنية دون ان يكترها من البشر اكتبها أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب بل أوقع  
 الله تعالى في نفوس أهل ذلك القطر من الفرح برسالة ما اطلع بالمشاهدة على صحة صدقه وعضدت  
 مخايل برقه سواكب وودقه وعذ ذلك من كرامات أمير المؤمنين عبد المؤمن وسعادته ثم عزم عبد  
 المؤمن على تعظيم المصنف الكريم وشرع في انتخاب كسوته واختيار حليته فخر الصنائع المتقنين  
 ممن كان بالحضرة وسائر بلاد المغرب والاندلس فاجتمع لذلك حدائق كل صناعة من المهندسين  
 والصواعين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والتجارين والزواقين والرسامين والمجلدين  
 وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب الى الحدق في صناعة الأحضر للعمل فيه  
 والاشتغال بمعنى من معانيه (وبالجملة) فقد صنعت له أغشية بعضها من السندس وبعضها من الذهب  
 والفضة ورصع ذلك بانواع اليواقيت وأصناف الاجار الغريبة النوع والشكل العديعة المثال واتخذ  
 للغشاء محمل بديع عما يناسب ذلك في غرابة الصنعة وبداعة الصبغة واتخذ للمحمل كرسى على شاكلته  
 ثم اتخذ للجميع تابوت يمان فيه على ذلك المنوال ووصف ذلك بطول وفي خلال هذه المدة أمر  
 عبد المؤمن ببناء المسجد الجامع بحضرة مراکش حرسها الله فبدي بينائه وتأسيس قبلته في العشر الاول  
 من شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكل في منتصف شعبان من السنة المذكورة  
 على اكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأحكم البناء والتجارة وفيه من شمسيات الزجاج  
 ودرجات المنبر وسياج المقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرق تمامه فكيف في هذا الامد  
 اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصناع ان يتم فيه تقديره وتخطيطه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة  
 الجمعة منتصف شعبان المذكور ونهض عبد المؤمن عقب ذلك لزيارة روضة المهدي بمدينة تينغل فاقام بها  
 بقية شعبان ومعظم رمضان وحمل في صحبتته المصنف العثماني في التابوت المذكور ومعه مصنف المهدي  
 وختم القرآن العزيز في مسجد المهدي وعند ضريحه ختمات كثيرة وعاد الى مراکش ولم يزل الموحدون  
 يعتنون بهذا المصنف الكريم ويحماونه في أسفارهم متبركين به كتابوت بنى اسراييل الى ان جعله منهم  
 السعيد وهو علي بن ادريس بن يعقوب المنصور الملقب بالعتضد بالله حين توجه الى تلمسان آخر سنة  
 خمس وأربعين وستمائة فقتل السعيد قريبا من تلمسان ووقع النهب في الخزان واستولت العرب وغيرهم  
 على معظم العسكر ونهب المصنف في جملة ما نهب منه وعثر عليه مالوك بنى عبد الواد أصحاب تلمسان فلم يزل  
 في خزائهم بها الى ان اقتضها السلطان الاعظم أبو الحسن المريني أواخر شهر رمضان سنة سبع وثلاثين  
 وسبعمائة وحصل عنده فكان يتبرك به ويحمله في أسفاره على العادة الى ان أصيب في وقعة طريق  
 وحصل في بلاد البرتغال وأعمل أبو الحسن الحيلة في استخلاصه حتى وصل الى فاس سنة خمس وأربعين  
 وسبعمائة على يد بعض تجار آرمور واستمر في خزائته الى ان سافر أبو الحسن سفرته المعلومة الى افريقية  
 فاستولى عليها ولما كانت سنة خمس وسبعمائة ركب أبو الحسن البصر من تونس قافلا الى المغرب وذلك

في ايام هيجان البحر ففرقت مر اكيه وهانكت نفوس تجبل عن الحصر وضاعت نفائس يعز وجود مثلها  
ومن جللتها المصنف العثماني فكان ذلك آخر العهد به وعمما يناسب ذكره هنا المصنف العقباتي وهو  
مصنف عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب وكان متداولا عند ملوكه ومتبركابه وثاني المصنفين في المنزلة عند  
أهل المغرب (قال أبو عبد الله اليفري في كتاب التزهة) ان السلطان أبا العباس أحمد المنصور بالله المعروف  
بالذهبي لما جد دولة العهد لولده المأمون بمث اليه بالقدوم من مدينة فاس فوافاه بتامسنا وبأشر  
المنصور وأخذ البيعة له بنفسه وحضر الايمان وأهل العقد والحل وأحضر المصنف لكريم الذي هو  
مصنف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه قال وهو من ذخائر الخفاء وأحضر الصحبان للشيخين وقرئ  
ظهير البيعة وذلك في شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ولم يزل المصنف العقباتي متداولا بين الملوك  
السعديين الى ان انقرضت دولتهم وجاءت الدولة الشريفة العلووية السجلماسية فانتقل المصنف المذكور  
اليها وتداولته ملوكها الى ان جاء السلطان المولى عبد الله بن اسمعيل بن الشريف رحمه الله فبعث هدية  
سنية مع ركب الحاج للحرم النبوي وبعث في جللتها المصنف المذكور وقال صاحب البستان رحمه الله ولما سافر  
الركب النبوي يعني سنة خمس وخمسين ومائة وألف وجه معه السلطان المولى عبد الله ثلاث وعشرين  
مصنفاين كبير وصغير كلهما محلاة بالذهب منبثة بالدر والياقوت ومن جللتها المصنف الكبير العقباتي  
الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصنف العثماني وهو مصنف عقبة بن نافع الفهري نسخة بالقيروان من  
المصنف العثماني فوق هذا المصنف بيد الاشراف الزيدانيين يتداولونه بينهم الى ان بلغ الى السلطان المولى  
عبد الله المذكور ففرقه من المغرب الى المشرق ورجع الدر الى صدقه والابريز الى معدنه رحمه الله قال الشيخ  
المسناوي رحمه الله وقد وقفت عليه حين أمر السلطان المولى عبد الله بتوجيهه الى الحجرة النبوية وظهر لي  
ان تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظر ابعدهما بينهما ما ووجهه معه السلطان المذكور وفي حصة بالتثنية  
وسبعمائة حصة من الياقوت المختلف الالوان الى الحجرة النبوية على الحال التي افضل الصلاة وازكى  
السلام وهذه الاخبار وان كانت متباعدة التاريخ فهي متناسبة المعنى جمعنا هاهنا ليقف الناظر عليها  
في محل واحد وتحصل فائدتها متناسقة والله الموفق

### في نسكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها رحمه الله

كان الوزير أبو جعفر أحمد بن عطية من أهل مراکش وأصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية  
وكان أبوه أبو أحمد بن عطية كاتباً لامير المسلمين علي بن يوسف اللتوني ثم لابنه تاشفين من بعده وتحصل  
في قبضة الموحدين فمغابته عبد المؤمن ولما حاصر عبد المؤمن فاسا اعتمز أبو أحمد هذا على الفرار فقبض  
عليه في طريقه وسبق الى عبد المؤمن فاعتذر فلم يقبل عبد المؤمن عذره ومصب الى مصر عفة لوجه  
الله وكان ابنه أبو جعفر صاحب الترجمة كاتباً لاسحق بن علي اللتوني بمراكش فعمله عفو أمير المؤمنين  
فمن عمله من ذلك الغل وخرج في جملة الشيخ أبي حفص الهنتاتي حين نهض لقتال محمد بن هود المسامي  
فلما كان الفتح وكتب رسالته المتقدمة وقف عليها عبد المؤمن فاستحسنها واستكتبه لذلك ثم ارتفعت  
مكاتبه عنده فاستوزره فظهر غناؤه وكفايته وجدت سيرته وادارته وقاد العساكر وجمع الاموال وبذلها  
وبعد في الدولة صيته ونال من الرتبة عند السلطان ما لم يتله أحد في دولته وتحبب الى الناس باجال السعي  
والاحسان فعمت صنائعه وفشام معروفه وكان محمود السيرة مجتذ المحاولات ناجح المساعي سعيد المآخذ  
ميسر المآرب وكانت وزارته زينا للوقت وكما للدولة رحمه الله ثم لما كانت سنة احدى وخمسين  
وخمسمائة وفد أشياخ اشبيلية على عبد المؤمن ورغبوا منه في ولاية بعض أبنائه عليهم فعد لابنه السيد  
أبي يعقوب عليها وبعث معه الوزير ابن عطية المذكور لباشرة الامور واصلاح الاحوال فانغى في ذلك  
الغناء الجليل ولما غاب وجهه عن الحضرة وجد حساده السبيل الى التسدير عليه والسعي به حتى

أوغروا صدر الخليفة عليه فاستوزر عبد السلام بن محمد السكوي وانبرى لمطالبة ابن عطية وجدتي التماس عوراته وتشنيع سقطاته وطرحته بمجالس السلطان آيات منها

قل للامام أطال الله مدته \* قولاً تبين لذي اب حقائقه  
ان الزاجين قوم قد وترتهم \* وطالب الثمار لم تؤمن بوائقه  
وللوزير الى آرائهم ميل \* لذلك ما كثرت فيهم علائقه  
فبادر الخزم في اطفاء نارهم \* فرعا عاق عن أمر عوائقه  
هم العدو ومن والا هم كهم \* فاحذر عدوك واحذر من يصادقه  
الله يعلم أني ناصح لكم \* والحق أبلغ لا تخفى طرائقه

قالوا فلما وقف عبد المؤمن على هذه الآيات البليغة في معناها وغر صدره على وزيره أبي جعفر وأضمره في نفسه شراً فكان ذلك من أقوى أسباب نكبته وقيل أفضى اليه بسر فافشاه وانتهى ذلك كله الى أبي جعفر وهو بالاندلس ففلق وجعل الانصراف الى مراکش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المسجد في اليوم بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرر واعلى ما يعملون من أمره وما صار اليه منهم فاجاب كل بما اقتضاه هواه وأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل عطية وتوجه في أثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدي فاستحسبها بحال ثقاف وصدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة من لطائف الآداب نظما ونثرا في سبيل التوسل بتربة امامهم المهدي عجائب فلم تجد شيأ مع نفوذ قدر الله تعالى فيه ولما انصرف من وجهته أعادها معه قافلا الى مراکش فلما حاذى تآكارت أنفذ الامر بقتلها بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحه هنالك فضايا سبيلها وما وذلك في شوال سنة ثلاث وخمسين وخمسة مائة ومما خاطب به الوزير المذكور عبد المؤمن مستعظفاه من رساله تعالى فيها فغالتسه المنية ولم ينل الامنية وهذه سنة الله تعالى فيمن لم يحترم جناب الالهية ولم يخرس لسانه من الوقوع فيما يخذش في وجه فضل الانبياء على غيرهم قوله سبحانه الله تالله لو اطاعت بي كل خطية ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطية حتى سخرت بن في الوجود وأنفت لآدم من السجود وقلت ان الله تعالى لم يوح في القلك الى نوح وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا وبريت لقدار ثمود نبلا وحططت عن يونس شجرة اليقطين وأوقدت مع هامان على الطين وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها واقتريت على العذراء لتبول فقتلها وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة وظهرت الاحزاب بالقصوى من العدو وأبغضت كل قرشي وأكرمت لاجل وحشي كل حبشي وقلت ان بيعه السقيفة لا توجب امامة الخليفة وشهدت شفرة غلام المغيرة بن شعبه واعتنقت من حصار الدار وقتل اشعثها بشعبة وقلت تغاتلوا رغبة في الابيض والاصفر وسفكوا الدماء على الثريد الاعفر وغادرت الوجه من الهامة خضيبا وناولت من قرع سنن الحسين قضيبا ثم أتيت حضرة المعصوم لا ئذا وبقبر الامام المهدي عاتذا لقد آن لمقاتي أن تسمع وتغفر لي هذه الخطيئات أجمع مع اني مقترف وبالذنب معترف

فغفوا أمير المؤمنين فخر لنا \* بحمل قلوب هذه الخلفان

والسلام على المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب مع ابن له صغيراً آخره  
عظفنا علينا أمير المؤمنين فقد \* بان العزاء لفرط البث والحزن  
قد أغرقتنا ذنوب كلها للج \* ورحمة منك أنجي من السفن  
وصادفتنا سهام كلنا غرض \* وعطفة منك أوتي من الجن  
هيات للخطب أن تسطو حوادنه \* بن أجارته رحاكم من المحن  
من جاء عندكم يسعي على ثقة \* بنصره لم يخف بطشاً من الزمن

فالثوب يطهر عند الغسل من درن \* والطرف يرهص بعد الر كض في سنن  
 أنتم بذلتهم حياة انطلق كلهم \* من دون من عليهم لا ولا تمن  
 ونحن من بعض من أحيت مكارمكم \* كذا الحياتين من نفس ومن بدن  
 وصية كقراخ الورك من صفر \* لم يألموا النوح في فرع ولا فتن  
 قد أوجدتهم أياد منكم سابقة \* والكل لولاك لم يوجد ولم يكن  
 فوق عبد المؤمن على هذه القصيدة الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وما كتب به من  
 السجن أنوح على نفسي أم انتظر الصفا \* فقد آن ان تنسى الذنوب وأن تنحما  
 فما أناني ليل من السخط حائر \* ولا أهتدي حتى أرى للرضى صبا  
 وامتن عبد المؤمن الشعراء بهجوا بن عطية فلما أسمعوه ما قالوا أعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب  
 الادب معه وكان لابي جعفر أخ اسمه عطية قتل معه كما قلنا ولعطية هذا ابن أديب كاتب وهو أبو طالب  
 عقيل بن عطية ومن نظمه في رجل تعشق قينة كانت ورثت ما لا من مولاها فكانت تنفق عليه منه  
 فلما فرغ المال ملها فقال أبو طالب  
 لا تلح ان مل من حبا \* فلم يكن ذلك عن ود لما رآها قد صفا ما لها \* قال صفا الوجد مع الوجد  
 ويروى \* ان الوزير ابن عطية رحمه الله مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق من أكش فاطلت  
 جارية بارعة الجمال من شبك فقال عبد المؤمن  
 قدت فوادى من الشباك اذ نظرت \* فقال الوزير مجيزه \* حورا تنوالى العشاق بالمثل  
 فقال عبد المؤمن \* كأنما لحظها في قلب عاشقها فقال الوزير سيف المويد عبد المؤمن بن علي  
 ولا يخفاء ان هذه طبقة عالية رحم الله الجميع بجنة

### غزوات إفريقية ثانياً وفتح المهديّة وغيرها من الثغور

كانت بلاد إفريقية بيد بني زيري بن مناد الصنهاجيين من لدن الدولة العبيدية بها وفي هذا التاريخ  
 كانت دولتهم قد أشرفت على الهرم وكثر التنازع بينهم وزاحتهم الثوار من العرب وغيرهم بتلك الاقطار  
 فانتزع الفريخ أصحاب صقلية الفرصة فيهم وملكوا منهم عدة ثغور مثل صفاقس وسوسة وغيرها  
 ثم ملكوا بعد ذلك المهديّة وهي يومئذ دار ملك الحسن بن علي الصنهاجي آخر ملوك بني زيري بن مناد  
 ففر الحسن عنها الى ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية فأنزله بالجزائر ولما طرد عبد المؤمن ثغر الجزائر  
 في غزوته الاولى الى افريقية خرج اليه الحسن بن علي هذا وصحبه وصار في جلته فكان الحسن يقر به  
 بغزواته افريقية واستنقاذها من يد العدو وكان عبد المؤمن يحب ذلك ويرغب فيه الا انه كان ينتظر ان  
 الفرصة فاتفق ان فرغ صقلية أو قعوا باهل زويلة وهي مدينة بينها وبين المهديّة نحو مائة فرسخة  
 شنيعة حتى انهم قتلوا النساء والاطفال فخرج جماعة منهم الى عبد المؤمن بن علي وهو بجرا أكش يستغيثونه  
 ويستصرونه على العدو فلما وصلوا اليه أكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس في ملوك  
 الاسلام من يقصد سواه ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه وأطرق ثم رفع رأسه وقال أبشروا  
 لا نصرنكم ولو بعد حين وأمر بانزالهم وأطلق لهم ألفي دينار ثم أمر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج  
 اليه العسكري في السفر وكتب الى جميع نوابه في المغرب وكان قد ملك العدو تين الاندلس والمغرب  
 واتسعت خطة ملكته الى قرب مدينة تونس فكتب الى من بطريقه من التواب يأمرهم بحفظ جميع  
 ما يتحصل من الغلات وأن يترك الزرع في سنبله ويخزن في مواضعه وأن يحفروا الابار في الطرق ففعلوا  
 جميع ما أمرهم به وجمعوا غلات الحب ثلاث سنين ونقلوها الى المنازل التي على الطريق وطبنوا عليها  
 فصارت كأنها تلال فلما كان صفر من سنة أربع وخمسين وخمسة مائة سار عبد المؤمن من أكش بدم

بلاد افريقية **وقال ابن خلدون** كان عبد المؤمن في هذه السفرة قد عزم على العبور الى الاندلس  
 لما بلغه من اضطراب أحوالها واستطالة الطاغية بها فنهض يريد الجهاد واحتل بسلا فبلغه انتفاض  
 افريقية وأهمه شأن النصارى بالمهدية فلما توافت العساكر بسلا استخف الشيخ أبا حفص الهنتاقي على  
 المغرب وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس ونهض يغذ السير الى افريقية واجتمع عليه من العساكر  
 مائة ألف مقاتل ومن الاتباع والسوقة أمثالهم وكان هذا الجند عمد أميالا وبلغ من حفظه وضبطه  
 أنهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة وإذا نزلوا وصلوا بأمام واحد بتكبيره واحدة لا يتخلف  
 منهم أحد كائنا من كان وقدم بين يديه الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهديّة وكان قد اتصل به كما قلنا  
 فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة وبها  
 صاحبها أحد بن خراسان وأقبل اسطوله في البحر في سبعين شينيا وطريدة وشلند فلما نزلها راسل أهلها  
 يدعوهم الى الطاعة فامتنعوا فقاتلهم من الغدا أشد قتال ولما جن الليل نزل سبعة عشر رجلا من أعيان  
 أهلها الى عبد المؤمن يسألونه الامان لاهل بلدهم فاجابهم عبد المؤمن بان لهم الامان في أنفسهم وأهلهم  
 وأموالهم لم يبادرتم الى الطاعة وأما من عداهم من سائر أهل البلاد فيؤتمنهم في أنفسهم وأهلهم ويقاسمهم  
 على أموالهم وأملاكهم نصفين وأن يخرج صاحب البلد هو وأهله فاسموا بالهدية ذلك وتسلم البلد  
 وبعث اليهم من ينجع العساكر من الدخول عليهم وبعث أمناء ليقاسموا الناس على أموالهم وأملاكهم  
 وأقام أهل تونس بها على أجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم وعرض عبد المؤمن الاسلام على من بها من  
 اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن أبى قتل وأقام عليها ثلاثة أيام ثم سار الى المهديّة واسطوله يحاذيه في  
 البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب من السنة المذكورة وكان بالمهدية يومئذ خواص الفرنج من أولاد  
 ملوكها وأبطال فرسانها وقد أخذوا مدينة زويلة المجاورة للمهدية فدخلها عبد المؤمن وامتلات بالعساكر  
 والسوقة فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف  
 اليه من صنهاجة والعرب وأهل افريقية ما يخرج عن الاحصاء وأقبلوا يقاتلون المهديّة مدة أيام فلا يؤثر  
 فيها الحصانته وقوة سورها وضيق محال القتال عليها لان البحر دأبها كثيرا فكأنها كف في البحر وزندها  
 متصل بالبر وكانت الفرنج تخرج شجعانها الى أطراف العسكر فقتل منهم ويعودون سر يعافأ من عبد  
 المؤمن يبنء سور وغربي المدينة يمنعه من الخروج وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن شينيا  
 ومعه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وتطوف بها في البحر فهاهنا ما رأى من حصانته وعلم انها لا تنقح  
 بقتال برا ولا بحرا وليس لها الا المطاولة وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلته من يوثق  
 به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد عبد المؤمن من البحر وأمر بجمع الغلات والاقوات وترك  
 القتال فلم يرض غير قليل حتى صار في العسكر مثل الجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى  
 العسكر من بعيد يقول متى حدثت هذه الجبال فيقال هي حنطة وشعير فيتجهب من ذلك وتمادى الحصار  
 وفي مدة هذا الحصار استولى عبد المؤمن على طرابلس وصفاقس وسوسة وجبال نفوسة وقصور افريقية  
 وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف وسير ابنه السيد أبا محمد من مكان حصاره للمهدية في جيش ففتح بلادا  
 أخرى ثم أطاعه أهل مدينة قفصة وقدم عليه صاحبها فوصله بالف دينار (وبالجملة) فانه استخلص في هذه  
 المدة جميع بلاد افريقية من أيدي القاتنين بها ولما كان الثاني والعشرون من شعبان من السنة  
 المذكورة جاء اسطول صاحب صقلية في مائة وخمسين شينيا غير الطرائد عمد الأهل المهديّة وكان هذا  
 الاسطول قد قدم من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبأ أهلها وأسرهم وجعلهم معه فأرسل اليهم  
 ملك الفرنج يأمرهم بالمسير الى المهديّة ليمتدوا اخوانهم الذين بها فقدموا في التاريخ المذكور فلما قاربوا  
 المدينة حطوا سرعهم ليدخلوا الميناء فخرج اليهم اسطول عبد المؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على

جانب البحر فاستعظم الفرغج ما رأوا من كثرة العساكر وداخبل الرعب قلوبهم ونزل عبد المؤمن الى الارض فجعل يبرغ وجهه ويبكي ويدعو للمسلمين بالنصر واقتتلوا في البحر فانهزمت شواني الفرغج وأعادوا القلوع وساروا وتبعهم المسلمون فأخذوا منهم سبع شواني وكان أمر العجيبا وفتحنا غريبا وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويثس أهل المهديّة حينئذ من النجاة ومع ذلك فقد صبروا على الحصار أربعة أشهر أخرى الى آخر ذى الحجة من السنة فقتل حينئذ من فرسان الفرغج الى عبد المؤمن عشرة وسألو الامان لمن فيها من الفرغج على أنفسهم وأموالهم ليخرجوا منها الى بلادهم وكان قوتهم قد فنى حتى أكلوا الخليل فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام ودعاهم اليه فقالوا ما جئنا لهذا وانما جئنا نطلب فضلك وترددوا اليه أياما وكان من جملة ما استعطفوه به ان قالوا أيها الخليفة ما عسى أن تكون المهديّة ومن بها بالنسبة الى ملكك العظيم وأمرك الكبير وان أنعمت علينا كنا أرقاء لك في أرضنا ففانعمهم وكان الفضل شيمته وأعطاهم سفنار كبروا فيها وساروا وكان الزمن شتاء ففرق أكثرهم ولم يصل منهم الى صقلية الا النضر اليسير وكان صاحب صقلية قد قال ان قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين عندنا بجزيرة صقلية وأخذنا حرمهم وأموالهم فأهلك الله الفرغج غرقا وكان مدة استيلائهم على المهديّة اثنتي عشرة سنة فدخلها عبد المؤمن صبيحة يوم عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسائة فكان يقال لهذه السنة سنة الاحساس وأقام عبد المؤمن بالمهديّة عشرين يوما حتى رتب أحوالها وأصلح ما انتلم من سورها ونقل اليها الذخائر والاقوات والرجال والعدد واستخلف عليها أبا عبد الله محمد بن فرج الكومي وجعل معه الحسن بن علي الصنهاجي الذي كان صاحبها وأمره أن يقتدي برأيه في أفعاله وأقطع الحسن بها أقطعا وأعطاه دوران فيسمة يسكنها وكذلك فعل بأولاده وصفت افرريقية كلها عبد المؤمن ودخل أهلها في طاعته من برقة الى تلمسان ولم يبق له بها منازع ففرق فيها أعماله وقضاته وضبط ثغورها وأصلح شؤونها وثنى عنائه الى المغرب أول صفر من السنة المذكورة وانقطعت عادية الفرغج عن بلاد افرريقية مدة مديدة والله تعالى أعلم

### توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب

وفي هذه السنة أعنى سنة خمس وخمسين وخمسائة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد افرريقية والمغرب فكسر من برقة في جهة الشرق الى بلاد تونل من السوسن الاقصى في جهة الغرب بالفراسخ والاميال طولاً وعرضاً ثم أسقط من التكسير الثلث في الجبال والغياض والانهار والسبخ والحزون والطرق وما بقى قسط اعياه الخراج وألزم كل قبيلة بقسطها من الزرع والورق فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب عفا الله عنه

### بناء عبد المؤمن جبل طارق

كان عبد المؤمن رحمه الله وهو بافرريقية قد أمر ببناء جبل الفتح وتحصينه وهو جبل طارق فبنى وشيد حصنه وكان ابتداء البناء به في تاسع ربيع الاول من سنة خمس وخمسين وخمسائة المذكورة وكل بناؤه في ذى القعدة منها

### بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء

لما كان عبد المؤمن قافلا من بلاد افرريقية بنى مدينة البطحاء وسبب بنائه اياها انه لما طالت بالموحدين الاقامة بالشرق والمغرب عن أوطانهم عزم طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه اذ انام فأتى شيخ من أشياخ الموحدين من اطلع على ذلك الى عبد المؤمن فأخبره الخبر وقال له دعني آبت الليلة في موضعك وأنم على فراشك فان فعلوا ما اتفقوا عليه كنت قد قديتك بنفسى في حق المسلمين وأجرى



في ذلك على الله وان حصلت السلامة فن الله تعالى ويكون أجرى على قدر نيتي فبات على فراشه فاستشهد في تلك الليلة فلما أصبح عبد المؤمن وصلى الصبح اقتداه فوجده قتيلا على فراشه فأخذه وجهه بين يديه على ناقة لا يقودها أحد فسارت الناقة يمينا وشمالا حتى بركت وحدها فأمر عبد المؤمن بالشيخ فأزل عنها وأخذ بزمام الناقة فأزبلت عن مبركها وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة وبنى بازاء القبة جامعة ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد وترك بها عشرة أهل بيت من كل قبيل من قبائل المغرب فقبر الشيخ هنالك منارة عند أهل تلك البلاد إلى اليوم قاله في القرطاس ولما دخل عبد المؤمن إلى تلمسان في هذه الرجعة قبض على وزيره عبد السلام بن محمد الكومي فسجنه ثم سمه في جرة فلين هلاك بها من ليلته

### عبور عبد المؤمن إلى جبل طارق والسبب في ذلك

كان عبد المؤمن وهو باقر بيقية قد بلغه ان محمد بن مردنيش الناشر بشرق الاندلس قد خرج من مرسية ونازل جيان وأطاعه واليهما محمد بن علي الكومي ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها وغدر بقرمونة وملكها ثم رجع إلى قرطبة وخرج ابن يكيث لحربه فهزمه ابن مردنيش وقتله فكتب عبد المؤمن إلى عماله بالاندلس يخبرهم بفتح افريقية عليه وانه واصل اليهم فلما نهض من تلمسان في رجعتة هذه عدل إلى طنجة فدخلها في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وخمسة مائة وأقام بها إلى ان دخلت سنة ست وخمسين بعدها فغير منها إلى الاندلس ونزل بجبل طارق فأقام به شهرا ثم واستشرف منه أحوال الاندلس ووقد عليه قوادها وأشياخها فأمر بغزو غرب الاندلس فنهض إليه الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي حفص الهنتاتي من قرطبة في جيش كثيف من الموحدين ففتح حصن المرناكش من أحوار بطليوس وقتل جميع من كان به من التصاري وخرج الفتنش من طليطلة لا غائتة فوجده قد فتح وصمد الموحدون لقتاله فهزمه الله وقتل من عسكره ستة آلاف وساق المسلمون السبي إلى قرطبة واشبيلية وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس وباجة وياورة وحصن القصر فولى عليها عبد المؤمن محمد بن علي بن الحاج وعاد إلى مراکش

### قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه بمراكش والسبب في ذلك

تقدم لنا ان عبد المؤمن لم يكن من المصامدة وإنما كان من كومية إحدى بطون بني فاتن من البرابرة البتر وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط إلى ان استدعاهم عبد المؤمن إلى مراکش سنة سبع وخمسين وخمسة مائة والسبب في ذلك انه لما همت الطائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذي قد اذ به نفسه وتحقق ذلك منهم ورأى انه غريب بين أظهرهم ليس له قبيل يستند إليه ولا عشير يثق به ويعتمد عليه أرسل في خفية إلى أشياخ كومية الذين هم قبيلته وعشيرتهم وأمرهم بالقدوم عليه وأن يركبوا كل من بلغ الحلم منهم ويأتوه في أحسن زى وأكمل عدة وسرّب اليهم الاموال والكسي فاجتمع منهم أربعون ألف فارس ثم أقبلوا إلى عبد المؤمن وهو بمراكش برسم خدمته والقيام بين يديه ولما دخلوا أرض المغرب تشوش أهلهم من قدوم هذا الجيش الخليل من غير ان يتقدم لهم سبب ظاهر وتقول الناس الاقارب لفسار جيش كومية حتى نزلوا على وادي أم الربيع وتسامع الموحدون بأقبالهم فارتابوا منهم وعرفوا أمير المؤمنين عبد المؤمن بخبرهم فأمر عبد المؤمن الشيخ أباحفص الهنتاتي أن يخرج اليهم في جماعة من الموحدين وأشياخهم ليتعرفوا خبرهم فسار حتى لقيهم على وادي أم الربيع فقال لهم ما أنتم أسلم لنا أم حرب قالوا بل نحن سلم نحن قبيل أمير المؤمنين نحن كومية قصدنا زيارته والسلام عليه فرجع أبوحفص وأصحابه وعرف عبد المؤمن الخبر فأمر جميع الموحدين أن يخرجوا إلى لقاءهم ففعلوا واحتفلوا لذلك وكان يوم دخولهم مراکش يوما مشهودا فرتبهم عبد المؤمن في الطبقة الثانية من أهل الديوان وجعلهم بين قبيلة تيممل والقبيلة التابعة لهم وجعلهم بطانته يركبون خلف ظهره ويمشون بين يديه اذا خرج ويقومون على رأسه اذا جلس فاعتضدهم عبد المؤمن وبنوه سائر دولتهم إلى انقراضها والله

## غالب على أمره

استعداد عبد المؤمن للجهاد وانشاؤه الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته رحمه الله  
 لما عهد لعبد المؤمن ملك المغربين وافريقية والاندلس وطاعت له سائر الاقطار وخضعت له الرقاب في  
 البوادي والامصار تفرغ لشأنه وتناقت نفسه للجهاد فعزم على غزو بلاد الفرنج برا وبحرا فأمر رحمه  
 الله في هذه السنة التي هي سنة سبع وخمسين وخمسة مائة بانشاء الاساطيل في جميع سواحل شماله  
 فأنتهى له منها أربع مائة قطعة فنها خلق المعصورة وهي التي تسمى اليوم المهديّة مائة وعشرون  
 قطعة ومنها بطنجة وسبّعة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة ومنها بلاد افريقية ووهران ومرسى  
 هنين مائة قطعة ومنها بلاد الاندلس ثمانون قطعة وتطرى في استجلاب الخيل للجهاد والاستمكثار  
 من أنواع السلاح والعدد وأمر بضرب السهام في جميع عمله فكان يضرب له منها في كل يوم نحو  
 عشرة قناطر جدية فجمع له من ذلك ما لا يحصى كثرة في خلال هذا وقدت عليه قبيلة كومية  
 كما مر ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسة مائة خرج أمير المؤمنين عبد المؤمن من مراکش قاصدا  
 الاندلس برسم الجهاد وكان خروجه يوم الخميس خامس ربيع الاول من السنة المذكورة فوصل الى  
 رباط سلا فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وافريقية والسوس وغير ذلك يستنفرهم الى الجهاد  
 فأجابه خلق كثير واجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزة من قبائل العرب والبربر وزناتة أزيد  
 من ثلاثمائة ألف فارس من جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل فضاقت بهم الارض  
 وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلامن عين غبولة الى عين نخيس الى حلق المعصورة فلما  
 استوقيت لديه الحشود وتكاملت لديه الجنود والوفود كان المعنى الذي أشار اليه القائل

اذا تم أمر بديانقصه \* ترقب زوالا اذا قيل تم

فابتدأ بعبد المؤمن مرضه الذي توفي منه وتغادى به ألمه فخاف أن يفجأه الجأ فأمر بعزل ولده محمد عن  
 ولاية العهد واستقاط اسمه من الخطبة لما ظهر له من الجزع عن القيام بأمر الخلافة وكان ذلك يوم  
 الجمعة الثاني من جادى الآخرة من السنة المذكورة وكتب بذلك الى جميع طاعته وتغادى به مرضه  
 واشتد ألمه فتوفي ليلة الجمعة الثامن من جادى الآخرة من السنة المذكورة وقيل غير ذلك وحل الى  
 تينل فدفن بها الى جنب قبر الامام المهدي رحمه الله فسبحان من لا يبدي ملكه ولا ينقضى عزه ونقل  
 ابن خلكان في كيفية عزله ولى العهد وجهها آخر قال ناقلا من خط العماد بن جبريل ان عبد المؤمن كان  
 في حياته قد عهد الى أكبر اولاده وهو محمد وبايعه الناس بعد تخليف الجندله وكتب يبيعه الى البلاد  
 فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الامر لانه كان على أمور لا يصلح معها الاملاكة من ادمان شرب الخمر  
 واختلال الرأى وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال انه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب  
 أمره واختلف الناس عليه فخلع وكانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوما وذلك في شعبان من سنة ثمان  
 وخمسين وخمسة مائة وكان الذي سعى في خلعه أخويه أبي يعقوب يوسف وأبا حفص عمر ابني عبد المؤمن  
 ولما تم خلعه دار الامر بين الاخوين المذكورين وهما من نجباء اولاد عبد المؤمن ومن ذوى الرأى فتأخر  
 منهم أبو حفص عمر وسلم الامر الى أخيه أبي يعقوب يوسف فبايعه الناس وانفذت عليه الكلمة  
 والله تعالى أعلم

بوقية أخبار عبد المؤمن وسيرته

قال ابن خلكان كان عبد المؤمن عند وفاته شيخا نقي البياض قال ونقلت من تاريخ فيه سيرته  
 وحليته فقال مؤلفه رأيت شيخا معتدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية شثن الكفين  
 طويل القعدة واضح بياض الاسنان بخذه الايمن خال وكان رحمه الله فصيفا فقيها عالما بالاصول

والجدل والحديث مشاركا في كثير من العلوم الدينية والدنيوية ذا حزم وسياسة واقدام في الحرب ومهمات الامور سرى الهمة ميمون النقيبة لم يقصد قط بلدا الا فتحه ولا جيشا الا هزمه محبا لاهل العلم والادب مكرما لو فادتهم من منفعة البضاعتهم ذكر العمامة الاصبغاني في كتاب الخريدة ان الفقيه ابا عبد الله محمد بن ابي العباس التيفاشي لما أنشده

ما هز عطفه بين البيض والاسل \* مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار عليه بأن يقتصر على هذا البيت وأمر له بالف دينار وقد تقدم ما دار بينه وبين وزيره ابن عطية من الشعر الذي تجاذباه في أمر الجارية التي أطلت من الشباك وذلك دليل على سراوة طبعه وخفة روحه رحمه الله

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي

قال ابن خلدون لما هلك عبد المؤمن أخذ السيد أبو حفص بن عبد المؤمن البيعة على الناس لآخيه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن باتفاق من الموحدين كافة ورضي من الشيخ أبي حفص المهنتاقي خاصة واستقل في رتبة وزارته ووذكر القاضي أبو الجاج يوسف بن عمر مؤرخ دولتهم أن أمير المؤمنين يوسف ابن عبد المؤمن بويع بيعة الجماعة يوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين وخمسمائة وذلك بعد وفاة والده عبد المؤمن بستين لأنه لما بويع بعد وفاة والده توقف عن بيعته ناس من أشياخ الموحدين وامتنع من بيعته أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة فكف عنهم ولم يطالهم بيعة وتسمى بالامير ولم يتسم بأمير المؤمنين حتى اجتمع عليه الناس (وذكر ابن مطر روح في تاريخه) انه لما مات عبد المؤمن كان ولده يوسف باشيلية فأخفى أصحابه موته وأرسلوا الى يوسف فوصل من اشيلية الى سلا في أقرب وقت فبويع بها ولم يتخلف عن بيعته الا ناس قليلون فلم يلتفت اليهم وكان أول شيء فعله بعد البيعة ان سرح الجيوش المجتمعة للجهاد الى بلادهم وقبائلهم وكتب الى البلاد بتسريح السجون وتفريق الصدقات في جميع عملها وتسمى بالامير ثم ارضل الى مراکش فدخلها وأقام بها وكتب الى جميع أهل طاعته من الموحدين يطلمهم بالبيعة فأنته البيعة من جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس ما خلا قرطبة وبجاية فان ولاتهم ما وها أخواه توقفوا عن ذلك وانتشر خبر أمير المؤمنين يوسف في أقطار البلاد ودان له من بالعدوتين من العباد وفرق الاموال في القبائل والاجناد وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة قدم عليه أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة تائبين مبايعين وقدم معهما أشياخ بلديهما ووقواهما فوصلهم أمير المؤمنين يوسف بالاموال والخلع وأحسن اليهم وفي هذه السنة نار مرزدغ الصنهاجي من صنهاجة مفتاح وضرب السكة باسمه وكتب فيها مرزدغ الغريب نصره الله عن قريب وكانت ثورته ببلاد غمارة فبايعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة فافسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها خلقا كثيرا وسببا فبعث اليه أمير المؤمنين يوسف جيشا من الموحدين فقتل وجل رأسه الى مراکش وفي سنة ستين وخمسمائة كانت وقعة الجلاب بالاندلس بين السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن وجيوش الفرغ مع ابن مردينش وكانت الفرغ ثلاثة عشر الفا هزم ابن مردينش وقتل من معه من الفرغ باجمعهم وكتب السيد أبو سعيد بالفتح الى أخيه أمير المؤمنين يوسف وفي احدى وستين وخمسمائة عقد أمير المؤمنين يوسف على بجاية لآخيه السيد أبي ذكريا وعلى اشيلية للشيخ أبي عبد الله محمد بن ابراهيم ثم ادال منه بأخيه السيد أبي ابراهيم وأقر الشيخ ابا عبد الله على وزارته وعقد على قرطبة لآخيه السيد أبي اسحق وأقر السيد ابا سعيد على غرناطة ثم نظر الموحدون في وضع العلامة المكتوبة بخط الخليفة فاختاروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليها بخط الامام المهدي في بعض مخاطباته فكانت علامتهم الى آخر دولتهم والله أعلم

### خاتمة سيرة يوسف بن منقذ بجبال غمارة

وفي سنة احدى وستين وخمسة مائة هـ ثار سبع بن منقذ وسماه ابن أبي زرع يوسف بن منقذ بجبال تيزيران من بلاد غمارة وعظمت الفتنة في قبائلها وجاذبهم فيها جيرانهم من صنهاجة فبعث اليهم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن عساكر الموحدون الى نظر الشيخ أبي حفص الهنتاتي ثم تعاطفت فتنة غمارة وصنهاجة فخرج اليهم أمير المؤمنين بنفسه وأوقع بهم واستأصلهم وقتل سبع بن منقذ وجعل رأسه الى مراکش وانحسروا وهم وعقد يوسف لآخيه السيد أبي علي الحسن على سبته وسائر بلادهم وفي سنة ثلاث وستين هـ اجتمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف بن عبد المؤمن واللقب بأمر المؤمنين وذلك في جادى الاخرة منها وخطب العرب بأفريقية يستدعيهم الى الغزو ويحرضهم وكتب اليهم في ذلك بقصيدة ورسالة مشهورة بين الناس فكان من احتفالهم ووفودهم عليه ما هو معروف وفي سنة أربع وستين بعدها هـ وفد عليه أهل الامصار من افريقية والمغرب والاندلس القضاء والفقهاء والخطباء والشعراء والاشيخ والاعيان برسم التهنئة والمطالعة بأحوال بلادهم فوصلت الوفود الى مراکش فدخلوا عليه وهنؤه بالخلع لاقفة ووصل الجميع كل على قدره وأوصاهم بما اقتضاه الحال وكتب لهم الظهار بعطاهم واصلاح شؤونهم وانصرفوا شاكرين وفي هذه السنة أيضا بعث أمير المؤمنين الشيخ أبي حفص الهنتاتي في جيوش الموحدون الى الاندلس لاستنقاذ بطلينوس من حصار العدو واحتفل أمير المؤمنين في ذلك فلما انتهوا الى اشبيلية بلغه ان الموحدون وأهل بطلينوس هزموا العدو وأسروا قائد جيشه فسار الشيخ أبو حفص الى قرطبة وفي سنة خمس وستين بعدها هـ وجه يوسف بن عبد المؤمن أخاه السيد أبو حفص الى الاندلس برسم الجهاد فعبر البحر من قصر المجاز الى طريف في عشرين ألفا من الموحدون والمتطوعة فدوخوا بلاد العدو وبعث السيد أبو حفص أخاه السيد أباسعيد الى بطلينوس ف عقد الصلح مع الطاغية ابن اذقونش وهو يومئذ أعظم ملوك قرنج الجزيرة وانصرف ونهضوا جميعا الى مرسية ومعهم ابراهيم بن هشك كان من قوادين مردنيش فترجع عنه الى الموحدون فحاصروا ابن مردنيش الثائر برسية وأعمالها واستولوا على أكثر بلادها واتصل الخبر بالخليفة عمرا كس وقد خف الى الجهاد وفي سنة ست وستين هـ أمر أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ببناء قنطرة تانسيغت وكان الشروع في بنائها يوم الاحد ثالث صفر من السنة المذكورة

### الجواز الاول لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس بقصد الجهاد

لما اتصل بأمر المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما اتفق لشقيقه السيد أبي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنيش وظهور المسلمين على عدوهم بها وكان بعض ملوك الفرنج بهم الزوايشغبون على المسلمين بالغارات على أطراف بلادهم تاقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد اصلاح حالها وجهاد العدو بها وقد توافقت لديه وهو عمرا كس جوع العرب من افريقية صحبة السيد أبي زكريا صاحب بجاية والسيد أبي عمران صاحب تلمسان وكان يوم قدومه عليه يوما مشهودا فاعترضهم وسائر عساكرهم ونهض الى الاندلس في مائة ألف من العرب والموحدون واستخلف على مراکش أخاه السيد أبو عمران فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين وخمسة مائة هـ ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية ولقيه السيد أبو حفص هنالك ونصرفا من بعض غزواته ولما نزل أمير المؤمنين يوسف باشبيلية خافه محمد بن مردنيش وجعل على قلبه فرض ومات وقيل ان أمه سمته لانه كان قد أساء الى خواصه وكبراء دولته فنصحته فتهتدها وخافت بطشه فسمته ولما مات محمد بن مردنيش جاء اولاده واخوته الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لا ييهم فأحسن اليهم أمير المؤمنين وتزوج أخته وأصبحوا عنده في أعز منزلة وصنع في وليتهم مهر جانا عظيما يقصر الوصف

عنه ولما صفت لامير المؤمنين يوسف الاندلس خرج من اشبيلية غازيا ببلاد العدو وقتل على مدينة له  
تسمى وبدة فقام محاصر الهاشهورا الى ان اشتد عليهم الحصار وعطشوا فراسلوه في تسليم المدينة  
وان يعطيهم الامان على نفوسهم فامتنع من ذلك فلما اشتد عليهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لفظ  
عظيم وأصوات هائلة وذلك انهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم مائلا ما كان عندهم  
من الصبار يجف فارتقوا وارتقوا وعلى المسلمين فانصرف عنهم الى اشبيلية بعد ان هادنهم مدة سبع سنين  
فليعتبر الواقف على هذه القضية وليعلم ان هؤلاء كفار جاحدون ينسبون الى الله تعالى ما لا يليق به من  
التلث وأنواع الكفر ومع ذلك لما انقطع رجائهم ورجعوا اليه ته الى بالاضطرار الصادق رجهم سبحانه  
وهو أرحم الراحمين فلا ينبغي بعد هذا المؤمن الموحد اذا حصل في شدة ان يياس من رحمة الله فانه لا يياس  
من روح الله الا القوم الكابرون والسرفى الاضطرار فانه عند آرباب البصائر هو اسم الله الاعظم الذى  
اذا عي به أجاب واذا سئل به أعطى اللهم اجعنا نايامولا ناعندك من المرحومين واجعل كل من رحمتنا  
عندك من المرحومين فانت أهل ذلك والقادر عليه ثم بلغ أمير المؤمنين خروج العدو الى أرض المسلمين  
مع القومس الاحد بنفج اليهم وأوقع بهم بناحية قلعة رباح وأثنخ فيهم ورجع الى اشبيلية وفي هذه  
السنة أعنى سنة سبع وستين وخمسة مائة شرع أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن في بناء جامع اشبيلية فتم  
وصليت به الجمعة في ذى الحجة منها وفي هذه السنة أيضا عقد أمير المؤمنين الجسر على وادى اشبيلية  
بالقوارب وبني قصبته الداخلة وبني الزلايق السور وبني سور باب جوهر وبني الرصفان المنسدرجة  
بضغنى الوادى وجلب الماء من قلعة جابر حتى أدخله اشبيلية وأنفق في ذلك أموالا لا تحصى ثم انتقض  
ابن اذقونس وأغار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة وسرح السيد أباحفص اليه فغزاه بمقر داره واقتح  
قنصرة بالسيف وهزم جموعه في كل جهة ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية راجعا الى مراکش سنة احدى  
وسبعين وخمس سنين من اجازته الى الاندلس وعقد على قرطبة لآخيه أبى الحسن وعلى اشبيلية لآخيه  
أبى على وأصاب مراکش طاعون فهلك من السادة أبو عمران وأبو سعيد وأبو بكر وأبو بكر وأبو بكر وأبو بكر  
أبو حفص الهنتاقى من قرطبة فهلك في طريقه ودفن بمدينة سلا وهو جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس  
وافريقية واستدعى الخليفة أخويه السيدين أباعلى وأبى الحسن فعقد لآبى على على سجلماسة ورجع  
أبى الحسن الى قرطبة وعقد لآبى أخيه السيد أبى حفص لآبى زيد من ماعلى غرناطة ولآبى محمد على  
مالقة وفي سنة ثلاث وسبعين سطا بذرية بنى جامع وزرارة وغربهم الى ماردة وفي سنة خمس  
وسبعين وخمسة مائة عقد القائم بن محمد بن مرديش على اسطوله واغزاه مدينة اشبونة فغنم ورجع  
ونبها كانت وفاة أخيه الوزير السيد أبى حفص بن عبد المؤمن بعدما أبلى في الجهاد وبالغ في كتابة العدو  
وقدم ابنه من الاندلس فأحبر الخليفة بانه قاض الطاغية واعترم على الجهاد وأخذ في استدعاء العرب  
من افريقية والله تعالى أعلم

غزوا أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد افريقية وفتح مدينة قفصة والسبب في ذلك

كانت قفصة من بلاد افريقية قد استبدهم ابنو الرند أو اخردولة صنهاجة من بنى زيري بن مناد كان جد  
عبد الله بن محمد بن الرند عاملا لهم بهم اقتوار ثم ابنوه من بعده فاستبدوا بهم آخر الدولة ولما غزا عبد المؤمن  
بلاد افريقية استنزلهم في جلة من اسستزل من الثوار بهم ولما مات عبد المؤمن وبويع ابنه يوسف بلغه  
سنة أربع وسبعين وخمسة مائة ان بعض بنى الرند قد عاد الى قفصة وثار بها فاضطربت لاجل ذلك  
أحوالها فحضر اليها في سنة خمس وسبعين بعد هاقانتى الى افريقية ونزل على مدينة قفصة وضيق  
عليها بالقتال والحصار حتى دخلها ونظر بان الرند القائم بها افتقله وذلك في سنة ست وسبعين وخمسة مائة  
ثم عاد الى مراکش فدخلها في سنة سبع وسبعين بعد هاقانتى فى القرطاس ونحوه لابن خلدون فى أخبار

بني عبد المؤمن وذكر عند الكلام على بني الرند وجهها آخر فقال كان عبد المؤمن قدولى على قصة عمران  
ابن موسى الصنهاجي فأساء الى الرعية فبعثوا عن علي بن العزيز بن المعتز الرندي من بجاية وكان بها  
في مضيفة يحترف بالخطاطة فقدم عليه ثم وثاروا بعمران بن موسى عامل الموحدين فقتلوه وقدموا مكانه  
علي بن العزيز فساس ملكه وحاط رعيته وأغزاه يوسف بن عبد المؤمن سنة ثلاث وستين وخمسائة أخاه  
السيدي أبا بكر يا فخره وضيق عليه وأخذته وأشخصه الى مراکش باهله وماله واسمته عمله على  
الاشغال بمدينة سلا الى ان هلك بها وقديت دولة بني الرند والبقاء لله وحده اه كلامه فانه أعلم أي ذلك كان  
وفي سنة ثمان وسبعين وخمسائة خرج أمير المؤمنين يوسف من مراکش لبناء حصن از كندر  
فبناه على المدين الذي ظهر هناك

الجواز الثاني لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس برسم الجهاد  
وما يتصل بذلك من وفاته رحمه الله

لما قدم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من فتح قصة سنة سبع وسبعين وخمسائة قدم عليه ولاة  
الاندلس ورؤساؤها منهم بالاياب فاكروم وفادتهم وانصرفوا ثم بلغه الخبر بان اذفونش بن سانحة نازل  
قرطبة وشنق الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ثم نزل استجة وتقلب على حصن شقيلة وأسكن به  
التصاري وانصرف فاستنفر السيد أبو اسحق سائر الناس للغزو ونازل الحصن نحو من أربعين يوما  
ثم بلغه خروج اذفونش من طليطلة بعدده فانكفأ راجعا وخرج محمد بن يوسف بن وانودين من اشبيلية في  
جوع الموحدين ونازل طليطلة فبرز اليه أهلها فأوقع بهم وانصرف بالغنائم فاعتزم الخليفة يوسف بن عبد  
المؤمن على معاودة الجهاد وولى على الاندلس أمناه وقدمهم للاحتشاد فهدل ابنه السيد أبي زيد على  
غرناطة ولائته السيد أبي عبد الله على مرسية ونمض سنة تسع وسبعين وخمسائة وفي القرطاس  
كان خروجهم من مراکش في التاريخ المذكور على باب دكالة قال برسم غزو افريقية فلما وصل الى  
سلا أتاه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جامع من افريقية فأعلمهم بدورها وسكونها فصرف عزمه الى  
الاندلس فمض من سلا نحو يوم الخميس الموفى ثلاثين من ذي القعدة من السنة المذكورة فنزل  
بظاهرها وبات هناك ثم مض يوم الجمعة الموالي له فوصل الى مكاسة يوم الاربعاء السادس من ذي  
الحجة فعيدها عيد الاضحى خارجها ثم ارتحل الى فاس فدخلها وأقام بها بقية الشهر ثم دخلت سنة ثمانين  
وخمسائة في اليوم الرابع بها مض من فاس وسار حتى انتهى الى سبتة فأقام بها بقية شهر المحرم وأمر  
الناس بالجواز الى الاندلس فحازت قبائل العرب أولائم قبائل زناتة ثم المصامدة ثم مغراوة وصنهاجة  
واوربة وأصناف البربر ثم عبرت جيوش الموحدين والاغزاز والرماة فلما استكمل الناس الجواز عبره  
في آخرهم في الحاشية والعبيد وكان جوازه يوم الخميس خامس صفر من السنة المذكورة فنزل بجبل  
الفتح ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ثم سار الى اشبيلية فلما أشرف عليها يوم الجمعة الثالث والعشرين  
من صفر خرج اليه ولده السيد أبو اسحق ومعه فقهاء اشبيلية وأشياخها فبعث اليهم يأمرهم بالوقوف  
بالأخر المنية حتى يصل اليهم فلما صلى الظهر وركب اجتاز بهم فلما دنوا منهم نزلوا عن دوابهم فوقف لهم  
حتى سلوا عن آخرهم وركبوا ثم مض الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الاندلس فانتفى اليها في  
السابع من ربيع الأول فنزل عليها وأدار به الجيوش وشدد عليها في الحصار والقتال وبذل المجهود الى  
ليلة الثاني والعشرين من ربيع المذكور فانتقل من موضع نزوله بجوفى شنترين الى غريبها فأنكر  
المسلمون ذلك ولم يعلموا له سببا فلما جئ الليل وصلى العشاء الآخرة بعث الى ولده السيد أبي اسحق  
صاحب اشبيلية فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة لغزو اشبونة وشنق الغارات على أنحاء أو أن يسير اليها  
في جيوش الاندلس خاصة وأن يكون رحيه له ثم أرفأساء الفهم وظن انه أمره بالرحيل لئلا يصرخ

الشیطان في محلة المسلمين ان أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل في هذه الليلة وتحدث الناس بذلك وتأهبوا له ورحلت طائفة منهم بالليل ولما كان قرب الفجر أفلح السيد أبو اسحق وأفلح من كان مواليه وتتابع الناس بالرحيل وتسبقوا الاختيار المنازل وأمير المؤمنين مقيم في مكانه لا علم له بذلك فلما أصبح وصلى الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله من أهل المحلات أحدا الا يسيرا من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لتزوله والاقواد الاندلس فانهم الذين كانوا يسرون أمام ساقته وخلف محلته من أجل من يتخلف عنهم من الضعفاء فلما طلعت الشمس وتطلع النصارى المحصورون على المحلة من سور البلدور وأمر المؤمنين منفردا في عبيده وحشمه وتحققوا ذلك من جواسيسهم فتحروا البلد وخرج جميع من فيه نرجة منكورة وهم ينادون الرى الرى أى أقصدوا السلطان فضربوا في محلة العبيد الى ان وصلوا الى أخبية أمير المؤمنين فزقوها واقتحموها فاقبروا اليهم وقتلهم بسيفه حتى قتل ستة منهم ثم طعنوه طعنة نافذة وقتل عليه ثلاث من جواريه كن قدا كبن عليه ولما طعن وقع بالارض وتصاح العبيد ونادوا بالفرسان والاجناد فترجع المسلمون وقتلوا النصارى حتى أزا حوهم عن الاخبية واشتد القتال بينهم وتوافقوا ساعة ثم انهم الفرغ وركبهم المسلمون بالسيف حتى ادخلوهم المدينة وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة آلاف واستشهد من المسلمين جماعة وركب أمير المؤمنين يوسف وقد أنقذته الطعنة وارتمل الناس ولا يدرون أين ثم اهتمدوا بالطبول فقصدا واجهة اشيلية ثم سار أمير المؤمنين يريد العبور الى المغرب فاشتد ألمه ومات بالطريق رحمه الله قاله ابن مطروح وكانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر ربيع الاخر سنة ثمانين وخمس مائة قرب الجزيرة الخضراء فحمل الى تينمل فدفن بها الى جنب قبر أبيه وقيل انه لم يميت حتى وصل الى مراكش وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذى يدخل على أبيه ويخرج ويصرف الامور بين يديه من يوم طعن الى ان مات قالوا وكم ولده وموته حتى وصل الى مدينة سلافافشاه وكان قبل موته با شهر كثيرا ما ينشد قول الشاعر ويرده

طوى الجديدان ما قد كنت أنشره \* وأنكرتني ذوات الاعين النجل

ورثاه الاديب أبو بكر يحيى بن مجير بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها

جل الأسى فأسل دم الاجفان \* ماء الشون لغير هذا الشان

بقية أخبار أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته

قال ابن خلكان كان يوسف بن عبد المؤمن أبيض تعلوه حجرة شديدة سود الشعر مستدير الوجه أفوه أعين الى الطول ماهو في صوته جهارة وقيق حواشي الطبع حلو الالفاظ حسن الحديث طيب المجالسة أعرف الناس كيف تكلمت العرب وأحفظهم لا يامها في الجاهلية والاسلام صرف عنايته الى ذلك واتى فضلاء اشيلية أيام ولايته بها وكان فقيها حاذقا نظاما متقنا لان أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والعارف فنشأ في ظهور الخليل بين أبطال الفرسان وفي قراءة العلمين أفاضل العلماء وكان ميلا الى الحكمة والفلسفة أكثر من ميلا الى الادب وبقية العلوم ويقال انه كان يحفظ صحح البخارى وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة سالحة من الفقه ثم طمع الى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيئا كثيرا وكان ممن حبه من العلماء بهذا الشأن الوزير أبو بكر محمد بن طفيل كان متحققا بجميع أجزاء الحكمة قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر ابن الصانع المعروف بابن باجة وغيره ولابن طفيل هذا تصانيف كثيرة وكان يوسف بن عبد المؤمن حريصا على الجمع بين علمي الشريعة والحكمة ولم يزل يجمع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ومن جلتهم القاضي أبو الوالد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المعروف بالحفيد وكان يوسف بن عبد المؤمن شديد الملوكة بعيد الهمة جماعا مناعا ضابطا للخراج مملكته عارفا بسياسة رعيتيه وكان مضميا

جواد افي محل الصناء والجود قد استغنى الناس في أيامه وكان من ضبطه وسياسة ته رجما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام قد قوض الامور اليه - م لما علم من صلاحهم وأهليتهم - م لذلك ﴿ قال ابن خلدكان ﴾ والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه \* ومما يستطرف من أخبار روجه الله ان الاديب أبا العباس أحمد بن عبد السلام الكرواني وكروان قبيلة من البربر منازلهم بضواحي فاس كان نهاية في حفظ الاشعار القديمة والمحدثه وتقدم في هذا الشأن وله فيه تأليف وكان مع ذلك صاحب نوادر جالس بها عبد المؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب فن نوادره أنه حضر يوما الى باب أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن المذكور وحضر اليه أيضا الطبيب سعيد الغماري فقال أمير المؤمنين لبعض خدمه انظر من بالباب من الاصحاب فخرج انطدام ثم عاد اليه فقال ياسيدي به أحد الكرواني وسعيد الغماري فقال أمير المؤمنين يوسف بن من عجائب الدنيا شاعر من كروان وطبيب من غمارة فبلغ ذلك الكرواني فقال وضرب لنا منة لا ونسبى خلقه أعجب منه - ما والله خليفة من كومية فيقال ان أمير المؤمنين يوسف لما بلغه ذلك قال أعاقبه بالحلم عنه ففيه تكذيب له ومن شعر الكرواني من جملة قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين يوسف المذكور وهو يمدح ان الامام هو الطبيب وقد شفا \* عال البرايا ظاهرا ودخيلالا جل البسيطة وهي تحمل شخصه \* كالروح وجد حاملا لا تحمولا

﴿ الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ﴾

﴿ قال ابن خلدون ﴾ لما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على حصن شنترين في التاريخ المتقدم بوج ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة واستوزر الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص المهنتاقي واستنفر الناس للغزو مع أخيه السيد يحيى فاستولى على بعض الحصون وأثنى في بلاد الكفار ثم أجاز البحر الى الحضرة ولقيه بقصر مصمودة السيد أبو بكر بن ابن السيد أبي حفص قداما من تلمسان مع مشيخة بنى زغبة من عرب هلال ومضى الى مراکش فغير المناكرو بسط العدل ونشر الاحكام اه وفيه نوع مخالفة لما قدمناه ﴿ وقال ابن أبي زرع ﴾ لما تمت له البيعة وطاعت له الامة كان أول شئ فعله ان أخرج مائة ألف دينار ذهباً من بيت المال ففرقه في الضعفاء من بيوتات المغرب وكتب الى جميع بلاد بتسريح السجون ورد النظام التي ظلمها العمال في أيام أبيه وأكرم الفقهاء ورأى الصلحاء وأهل الفضل وأجرى على أكثرهم الانفاق من بيت المال وفرق في الموحدين وسائر الاجناد أموالا جمة وكان أول شئ حدث في دولته شأن بني غانية المسوفيين اصحاب جزيرة ميورقة وأعمالها فلنأت بشئ من ذلك

﴿ خروج علي بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية على يعقوب المنصور ﴾

قد تقدم لنا في أخبار الدولة اللتونية ان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين اللتوني كان قد استعمل على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس وهي ميورقة ومنورقة ويابسة محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية وهي أهم فتوات ثم ابنته من بعده الى أيام يوسف بن عبد المؤمن فبعث اليه محمد بن اسحق ابن محمد المسوفي المذكور بالطاعة فقبل ذلك يوسف بن عبد المؤمن وبعث اليه قائده علي بن الروبرتير ليختبر أمره ويعقد له البيعة عليه ويؤكد الأمر في ذلك وكان لمحمد بن اسحق المذكور عدة اخوة يساهمونه في الرياسة فلما انتهى اليهم ابن الروبرتير وعلموا الأمر الذي قدم لاجله أنكروا على أخيه م ذلك لانه لم يكن أعلمهم بكتابته يوسف بن عبد المؤمن فخاصوا انجيادونه وتقبضوا عليه وعلى ابن الروبرتير وقد موامكاه أخاهم علي بن اسحق بن محمد ثم بلغه م خبر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب



المنصور فرسك ب علي بن اسحق اسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من أهائها وعليها يومئذ السيد أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن وكان خارجا في بعض مذهبها فاستولى عليها ابن غانية في صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة وهو يحيى بن أبي زرع في ارض تيبلاء ابن غانية على بجاية وجها آخر وهو قال دخل الميورقي وهو علي بن اسحق المذكور مدينة بجاية يوم الجمعة السادس من شعبان سنة ثمانين وخمسمائة والناس في صلاة الجمعة وكانت أبواب المدن قبل ذلك لا تفتح وقت صلاة الجمعة فارتقب ابن غانية الناس حتى أحرموا بصلاة الجمعة ثم اقتحم عليهم المدينة وعهد إلى الجامع الأعظم وأدار به الخيل والرجل فن بايعه خلى سبيله ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه قال وأقام بهم اسبعة أشهر ثم استرجعت من يده قال ومن ذلك اليوم اتخذ الناس غنق أبواب المدن يوم الجمعة وقت الصلاة والله أعلم ثم استولى علي بن اسحق على الجزائر ثم على مازونة ثم على مليانة ثم على القلعة ثم نازل قسنطينة فامتنت عليه واتصل الخبر بالمنصور فسر ح السـ يد أبا زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وعقد له علي حرب ابن غانية وعقد لمحمد بن ابراهيم بن جامع على الاساطيل والى نظره أبو محمد بن عطوش وأحد العقلي فوصل السيد أبو زيد إلى افريقية وشرذ ابن غانية عنها إلى الصحراء في أخبار طويلة ثم عاد ابن غانية إلى الجلاب على بلاد افريقية وظاهره على ذلك قراقوش الغزي من موالى السـ لمطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الكردي صاحب مصر وكان قد تغلب على طرابلس وما والاها وبلغ المنصور ان ابن غانية قد استولى على قفصة فنهض بنفسه من حضرة مراکش ثالث شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ووصل إلى فاس فأراح بها ثم سار إلى رباط تازا ثم سار على التعبية إلى تونس وجمع ابن غانية من اليه من المميين والعرب وجاء معه قراقوش الغزي صاحب طرابلس فسر ح اليهم المنصور مقدمة من جيشه انظر السـ يد أبي يوسف يعقوب ابن السيد أبي حفص عمر ابن عبد المؤمن فبقية ابن غانية في جوعه فانتصر عليهم وانهمز الموحدون وقتل جماعة من وجوههم وأسرع على بن الروبرت في آخرين وامتلات أيدي العرب من أئامهم وأسلاهم ووصل سرعان الناس إلى المنصور وهو بتونس فنهض اليهم في الحال ونزل القيروان ثم أغذ السـ ير إلى الحمامة فالتقى الجمعان وأنشبو الحرب فكانت الهزيمة على ابن غانية وأحزابه وأقلت من المعركة بذمائه نفسه ومعه خليله قراقوش وأقى القتل على أكثرهم ثم صبح المنصور مدينة قابس وكانت في يد قراقوش فاقتحمها ونقل من كان بها من حرم ابن غانية وذويه في البحر إلى تونس وثنى العنان إلى توزر فاقتحمها وقتل من وجد بها ثم إلى قفصة فذالها أياما حتى نزلوا على حكمه فقتل من كان بها من الحشود وهدم سورها واستبقى أهلها وجعل أملاكهم بأيديهم على حكم المساقاة ولما فرغ من أمر قفصة نهض إلى عرب افريقية فقتلهم واستباح حلهم وأموالهم وشردهم في كل وجه ثم بعد ذلك جاؤه تائبين خاضعين فنقل أهل القفصة والخلاف منهم إلى المغرب الأقصى ورجع إلى مراکش فدخلها في رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة

بوالخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم إلى أرض افريقية ثم منها إلى المغرب الأقصى والسبب في ذلك اعلم ان أرض افريقية والمغرب لم تكن للعرب بوطن في الايام السالفة لافي الجاهلية ولا في صدر الاسلام وانما كان المغرب وطن الامة البربر خاصة لا يشاركهم فيه غيرهم ولما جاءت الملة الاسلامية وأظهرها الله على الدين كاه زحفت جيوش المسلمين من العرب إلى أرض المغرب في جملة ما زحفت اليه من أقطار الارض لكن العرب الداخول إلى المغرب في ذلك العصر انما كانوا يدخلون اليه غزاة مجاهدين على ظهر ورحيلهم فيقتضون الوطرن فتح الاقطار والامصار ثم ينقلب جهورهم إلى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب وان بقي القليل منهم به فاعلم كانوا يستوطنون منه الامصار دون البادية ويسكنون القصور دون الخيام فلم تكن العرب تسكن المغرب ثم ذبقبا ثلهم وخيامهم ولا استوطنوه باحيائهم وحلهم كما هو شأنهم اليوم لان الملك الذي حصل لهم والغلب الذي مكنتهم الله منه كان يمنعهم من سكني

البيادية ويعدل بهم الى الحاضرة ولا بد فكانت الخيمة بارض المغرب مع سدومة قرأسا أو قليلة جدا البعض البربر عن كان يتخذها منهم وهم قليل وانما كان يسكن الجهور منهم بالمداشر وكهوف الجبال واستمر الحال على ذلك الى أواسط المائة الخامسة فدخلت العرب أرض افريقية واستوطنوها بحلالهم ونحيامهم ثم لما كانت أواسط المائة السادسة في دولة يعقوب المنصور روجه الله نقل الكثير منهم الى المغرب الأقصى فاستوطنوه بحلالهم ونحيامهم كذلك وصارت أرض المغرب منقسمة بين أمة العرب أهل اللسان العربي وأمة البربر أهل اللسان البربري بعد ان كانت بلاده خاصة بالبربر لا يشاركهم فيها غيرهم كما قلنا **واعلم** ان أمة العرب تنقسم أولا الى قسمين عدنان وقحطان ثم ينقسم كل من عدنان وقحطان الى شعبين عظيمين فاما عدنان وهم الاسماعيلية ذرية اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فينقسمون الى ربيعة ومضر وأما قحطان وهم اليمانية ذرية قحطان بن عابر بن صالح بن ارنخش ذنب سام بن نوح عليه السلام فينقسمون الى جبر وكهلان هذاهو المعروف المشهور من نسب الفريقيين وقديذ كر النساءون اسكل منهم ماشعوبيا آخر كما لم نعتبرها اما لانقراضها أو لقوة الخلفاء فيها أو لقلتها جدا واندراجها فيمن ذكرناه ثم يتشعب كل من هذه الشعوب الاربعة الى قبائل وعشائر وبطون وأنفاذ وفصائل لا حصر لها لكننا ننبه على الغرض المقصود منها فنقول من جملة قبائل مضر بنوسليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ومن قبائلها أيضا بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور المذكور في النسب السابق وقد نسبت الخنساء جشم هذا الى جده فقالت تم جودريدين الصفة معاذ الله ينكحني حبركي \* قصير الشبر من جشم بن بكر

ومن قبائلها أيضا بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر المذكور أيضا ومن جملة قبائل كهلان القحطانيين بنو الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن جاد بن مذحج بن اد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان وكهلان هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (واعلم) ان هؤلاء القبائل الاربعة التي ذكرناها هي التي ذكر المؤرخون انها انتقلت الى افريقية والمغرب وقد يضاف اليهم غيرهم من قبائل العرب لكنهم ليسوا بمشهورين كالاربعة المذكورة **واعلم** خبر دخولهم الى المغرب والسبب فيه فقد ذكر المؤرخون ان بنى سليم بن منصور وبني هلال بن عامر لم يزلوا بجزيرة العرب برهة من الدهر الى ان مضى الصدر من دولة بنى العباس وكانوا أحياء ناجعة بارض الحجاز ونجد فبنو سليم ما يلي المدينة المنورة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ثم تحيز بنوسليم والكثير من هلال بن عامر الى البحرين وعمان وصار واجند القرامطة ثم غلب القرامطة على بلاد الشام وظاهرهم على ذلك بنوسليم وبنو هلال ثم انتقلت دولة العبيديين من افريقية الى مصر وغلبوا القرامطة على الشام وانتزعوه منهم وردوهم على أعقابهم الى البحرين ونقلوا أشياعهم من بنى سليم وبني هلال فانزلوهم بصعيد مصر في العدو الشرقية من بحر النيل فأقاموا هنالك وكان لهم أضرار بالبلاد ولما انتقلت الدولة العبيدية من افريقية الى مصر كما قلنا استنابوا على افريقية بنى زيري بن مناد الصنهاجيين فلكوها وكانوا يخطبون بملوك العبيديين على منابرهم ويضربون السكة بأسمائهم ويؤدون اليهم آتاة معلومة وطاعة معروفة ولما انساق ملك افريقية الى المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي كان له رغبة في مذهب أهل السنة خالف فيه أسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة وكان الخليفة من العبيديين بمصر يومئذ المستنصر بالله معتمد بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله والمعز هذاهو الذي انتقل الى مصر وبني مدينة القاهرة وكان المعز بن باديس الصنهاجي لا تزال المراسلات والهدايا تختلف بينه وبين المستنصر العبيدي صاحب مصر كما كانت أسلافهما ثم ان المعز بن باديس ركب ذات يوم لبعض مذهبهم وذلك في أول ولايته فكباه فرسه فنادى مستغيثا بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فسمعت العاقبة

وكان جمهورهم سنية فناروا وبالرافضة وقتلواهم أبرح قنبل وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الإيمان  
 وقطعوا من الأذان حتى على خير العمل وكانت هذه الواقعة في أيام الظاهر العبيدي والد المستنصر  
 فكانت المعز بن باديس في ذلك فاعتهذير اليه بالعامة فاغضى عنه واستمر ابن باديس على إقامة الدعوة  
 لهم والمهاداة معهم وهو في أثناء ذلك يكتب وزيرهم القائم بأمور دولتهم أبا القاسم علي بن أحمد  
 الجرجاني ويستميله ويعرض بيني عبيد وشيعتهم ويغض منهم ثم هلك الوزير أبو القاسم سنة ست وثلاثين  
 وأربع مائة وولي الوزارة بعده أبو محمد الحسن بن علي اليازوري أصله من قرى فلسطين وكان أبوه فلاحا  
 بها فلما ولي الوزارة خاطبه المعز بن باديس دون ما كان يخاطب به من قبله من الوزراء كان يقول في كتابه  
 اليهم عبدكم وصار يقول في كتاب اليازوري صنيعتكم فخذ ذلك عليه وصارت القوارص تسري من  
 بعضهم الى بعض الى ان أظلم الجوين المعز بن باديس وبين المستنصر العبيدي ووزيره اليازوري فقطع  
 ابن باديس الخطبة بهم على منابر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وأحرق بنود المستنصر ومحي اسمه من  
 المسكة والطرز ودعا للقائم العباسي خليفة بغداد وجاءه خطابه وكتاب عهده فقرأه بجامع القيروان  
 ونشرت الايات السود وهدمت دور الاسماعيلية وبلغ الخبر بذلك كله الى المستنصر بالقاهرة فقامت  
 قيامته ففاوض وزيره أبا محمد الحسن بن علي اليازوري في أمر ابن باديس فأشار عليه بان يسرح له العرب  
 من بني هلال وبني جشم الذين بالصعيد وان يتقدم اليهم بالا صطناع ويستميل مشائخهم بالعطاء وتولية  
 أعمال افرريقية وتقليد هم أمرها بدلا من صنهاجة الذين به النصر والشيعه ويدافعوا عنهم فان صدقت  
 الخيلة في ظفرهم بان باديس وقومه صنهاجة كانوا اولياء للدولة وهم لا يتلك القاصية وارتفع عدوانهم  
 من ساحة الخلافة وان كانت الاخرى فلها ما بعدها وأمر العرب على كل حال أهون على الدولة من أمر  
 صنهاجة الملوكة فبعث المستنصر وزيره الى هؤلاء الاحياء وأرضخ لا من أثمهم في العطاء ووصل عامتهم  
 بغير دينار لكل واحد منهم وأباح لهم اجازة النيل وقال لهم قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد  
 الا ببق فلا تفتقروا بعدها وكتب اليازوري الى المعز أما بعد فقد أنفستنا اليكم خيولا فخولا وأرسلنا  
 عليهم رجالا كهولا ليقضي الله أمر اكان مفعولا فتمهت العرب اذ ذلك وعبروا النيل الى برقة فزولوا  
 بها واستباحوها واقتحوا أمصارها وأحجبهم البلاد فكتبوا الاخوانهم الذين بقوا شرق النيل يرغبونهم  
 في البلاد فأجازوا اليهم بعد ان أعطوا للمستنصر لكل رأس دينارين فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه  
 وتعارعوا على البلاد فحصل لبني سليم شرقها ولبنى هلال غربها ثم انتشر وافي أقطار افرريقية مثل الجراد  
 لا يعرون بشيء الا أتوا عليه (وبالجملة) فلم تمر الامدة بسيرة حتى استولوا على ضواحي افرريقية ونزلوا  
 أمصارها واقتضوا من أهلها الاتاوة وحصرها ابن باديس في مصره وصاهرهم بيناته تأليفهم ومع  
 ذلك فلم يجد شيئا والحديث في ذلك طويل وليس تتبعه من غرضنا قال ابن خلدون وهو هؤلاء الهلاليين  
 في الحكاية عن دخولهم الى افرريقية طرق يزعمون ان الشريف بن هاشم كان صاحب الجواز ومكة  
 ويسمونه شكري بن أبي الفتوح وانه أصهر الى الحسن بن سرحان في أخته جازية فأنكحه اياها وولدت منه  
 ولدا واسمه محمد وانه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وقتنة فاجعوا الرحلة عن أرض نجد الى  
 افرريقية وتحيلوا عليه في استرجاع أخته جازية المذكورة فطالبته بزيارة أبيها فأزارها اياهم وخرج بها  
 الى حلهم وأقام معها مدة الزياره فارتحلوا به وبها وكنوا رحلتهم عنه وموهوا عليه بانهم يباكرون به  
 للصيد والقنص ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها فلم يشعربار رحلة الى ان فارق موضع ملكه وصار الى  
 حيث لا يملك أمرها عليهم ففارقوه ورجع الى مكانه من مكة وبين جوانحه من جهاد اعدائهم وانها من  
 بعد ذلك كلفت به مثل ما كلف بها الى ان ماتت من حبه ويتناقلون من أخبارها في ذلك ما يعنى على خبر  
 قيس وليلى ويرون كثيرا من أشعارها محكمة المباني مثقفة الاطراف وفيها المطبوع والمنثقل والمصنوع

لم يفقه فيها من البلاغة شيء وانما افقه منها الاعراب فقط ولا مدخل له في البلاغة وفي هذه الاشياء عارثي  
كثير دخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به ولو صححت روايته لكانت فيه شواهد  
بآياتهم ووقائعهم مع زناثة وحروبهم وضبط الاسماء جالاتهم وكثير من أحوالهم لسكالاتهم بروايتها  
ورعايشهم البصير بالبلاغة بالمصنوع منها وغيره وهم متفقون على الخبر عن حال جازية هذه والشريف  
خلفا عن ساف وجبل وعن جيل ويكاد القادح فيها والمس تريب في أمرها أن يرى عندهم الجنون  
لتواتر هاينهم وهذا الشريف الذي يشيرون اليه هو من المواسم وهو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن  
جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد الأكبر ابن موسى الثاني ابن عبد الله أبي الكرام ابن موسى  
الجنون ابن عبد الله الكامل ابن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
وأبو الفتوح هو الذي خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم العبيدي وباع له بنو الجراح أمره اطيء بالشام  
وبعثوا عنه فوصل الى احيائهم وباع له كافة العرب ثم غلبته مع عساكر الحاكم العبيدي ورجع الى مكة  
وهلك سنة ثلاثين وأربعمائة فولى بعده ابنه شكر هذا وهلك سنة ثلاث وخمسين وولى بعده ابنه محمد  
الذي يزعم هؤلاء الهلاليون انه من جازية هذه **و** وقال ابن خزم **و** ان شكر بن أبي الفتوح لم يولد له قط  
وانما صار أمر مكة من بعده الى عبد كان له **و** وقال ابن خادون **و** قيل أخبرني من أتق به من الهلاليين لهذا  
العهد انه وقف على بلاد الشريف شكر بن أبي الفتوح وانها بقعة من أرض نجد مما يلي الفرات وان ولده  
به هذا العهد والله أعلم **(واعلم)** ان جازية بنت سرعان هذه كانت من بني دريد بن اثيب بن أبي ربيعة بن نميك  
ابن هلال بن عامر بن صعصعة فهي هلالية ابيجية دريدية ومن مناعهم انهم الماصرت الى افريقية  
وفارقت الشريف بن هاشم المذكور وخلفه عليها منهم ماضي بن مقرَّب من رجالات دريد فقامت عنده  
مدة ثم غاضبته ولحقت بأخيها الحسن بن سرعان فغضبها منه فقامت عشيرة ماضي بن مقرَّب معها وقتلوا  
الحسن بن سرعان وعشيرته ونارت الفتنة بينهم وقتل فيها الحسن بن سرعان واستمرت العداوة بينهم الى  
أيام الموحدين فهي ذاسب انتقال هؤلاء العرب من الحجاز ونجد الى افريقية وأما سبب انتقاهم من  
افريقية الى المغرب الاقصى فقد ذكرنا ان بني سليم بن منصور وبني هلال بن عامر اقتروا على بلاد  
افريقية فكان لبني سليم شرقها ولبني هلال غربها ثم تغلبوا على ضواحيها وأمصارها وضايقوا ما وكها  
بها وانضم الى بني هلال بن عامر بنو جشم بن معاوية بن بكر فقلت أيديهم على الجميع واستمر أمرهم على  
ذلك الى ان كانت دولة بنو قلوب المنصور الموحدي رحمه الله ونار ابن غانية ببلاد افريقية كما تقدم قطا هرتة  
العرب من جشم وهلال على الموحدين وأوقعوا بدمه المنصور ففض اليهم من تونس وأوقع بالملثيين  
أولاً ثم بالعرب ثانياً وقل جمعهم واتبع آثارهم الى ان شردهم الى صحارى برقة وانتزع تلك البلاد من  
أيديهم ثم راجعوا بصائرهم فاتوه طائعين خاضعين حسيباً قدما الخبر عن ذلك مستوفي وكان الذين  
قاتلوه أولاً ثم راجعوا طاعته ثانياً هم قبائل هلال بن عامر وجشم بن معاوية بن بكر كما قلنا رهم  
أصحاب غرب افريقية وأما بنو سليم بن منصور فلم يقاتله منهم أحد فلذلك بقي بنو سليم بأرض افريقية  
ونقل المنصور رحمه الله بني هلال وبني جشم الى المغرب الاقصى حين أتوه طائعين وكان ذلك سنة أربع  
وثمانين وخمسمائة فانزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر  
الكبير الى أزغار البسيط الاصح هناك الى ساحل البحر الاخضر فاستقروا بها وطاب لهم المقام وأنزل  
قبائل جشم ببلاد تامسة البسيط الاصح ما بين سلا وماراكش وهو أوسط بلاد المغرب الاقصى وأبعدها  
عن الثنايا المفضية الى القفار لاحاطة جبل درن بم اقليم مما ببعدها ففراولا أبعدها ورحلة **(واعلم)** ان هذين  
البيسطين يسميان اليوم في عرف عامة أهل المغرب بالمغرب والحوز فالغرب عبارة عن بلاد الهبط وأزغار  
وما في حكمهما والحوز عبارة عن بلاد تامسة او ما اتصل بها الى ماراكش فكان لرياح بلاد المغرب وكان

لجشم بلاد الحوز (ثم اعلم) أيضا ان قبيلة رياح هم بنو رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر  
ابن صعصعة وهم بطون كثيرة وجلهم قديقي بارض افريقية والذين اتتقوا منهم الى المغرب الاقصى كان  
رئيسهم في ذلك العصر مسعود بن سلطان بن زمام الذواذي من بني ذواد بن مراد بن رياح فاقام معهم  
مدة ثم جمع جماعة من قومه وفر الى افريقية وذلك في حدود التسعين وخمسمائة وأبدأ أو أعاد هلالك في  
الاجلاب مع الثوار الى ان هلك في بعض تلك المدة وأقام الباقون بعد فرار كبيرهم مسعود المذكور  
ببلاد الهبط وازغار الى ان انقضت دولة الموحدين وكان عثمان بن نصر رئيسهم أيام المأمون الموحدي  
وقتل سنة ثلاثين وستمائة ولما تغلب بنو مرين على ضواحي المغرب ضرب الموحدون على رياح هؤلاء  
البعث مع عساكرهم فقاموا بمائة ضواحيهم وانضم اليهم بنو عسكر بن محمد المرينيون حين خالفوا  
اخوانهم بنى حمامة بن محمد سلف الملوك منهم فكانت بين الفريقين جولة قتال فيها عبد الحق بن محيوا  
ابن أبي بكر بن حمامة أبو الملوك المرينيين وقتل معه ابنه ادريس فاوجدت رياح السبيل لبني مرين على  
أنفسهم في طلب الثار فأتختوا فيهم بعد ان ملكوا المغرب واستلموهم قتلا وسببها مرة بعد أخرى وكان  
آخر من أوقع بهم السلطان أبو ثابت المريني سنة سبع وسبعمائة تتيهم بالقتل الى ان لحقوا برؤس  
الهضاب وأسنة الر بالمتوسطة في المرج المستبصر بازغار فصاروا الى عدد قليل ولحقوا بالقبائل الغارمة  
وذهبت رياح أدراج الرياح هذا خبرهم على الجملة (وأما بنو جشم أصحاب تامسنا) فان المنصور  
لما نقلهم اليها نقل معهم قبائل أخر كانوا قد قاتلوه معهم ولم يكونوا من نسبهم ولكنهم كانوا من درجين  
فيهم فكان يطلق على الجميع جشم وهؤلاء القبائل هم المقدم والعاصم من بني هلال بن عامر ثم من  
الأنجب منهم وقرة من بني هلال أيضا والخلط من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر فهؤلاء القبائل  
ليد وامن جشم كاتري ولكنهم لما اتهمروا فيهم وانتقلوا الى المغرب بانتقالهم أطلق على الجميع جشم  
فاما المقدم والعاصم فهما البناء مشرف بن أنجب بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة وأما قررة  
فهم بنو قررة بن عبد مناف بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال فهؤلاء القبائل الثلاثة أعنى المقدم والعاصم  
وقرة هلاليون وأما الخلط فهم بطن من بني عقيل بالتصغير ~~وقال~~ أبو الحسن علي بن عبد العزيز  
الجرجاني ~~في~~ الخلط بنو عوف وبنو معاوية ابني المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن  
صعصعة المذكور في الانساب المتقدمة فقد بان لك بهذا ان هذه القبائل الاربع أعنى المقدم والعاصم ومقدم  
وقرة والخلط ليسوا من بني جشم بن معاوية بن بكر من حيث النسب وان الثلاث الاول من بني هلال بن  
عامر وان الاربعة وهي الخلط من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر وفي  
معاوية بن بكر يجمع الجميع كاذكرناه أولا والله تعالى أعلم ولنتكلم الآن على أخبار جشم على الجملة  
فتقول لما نزل بنو جشم ببسبب تامسنا أقاموا بهرة من الدهر ثم تميز جهورهم الى العاصم ومقدم  
وبني جابر وسقيان والخلط (فاما مقدم والعاصم) فكانوا مع اخوانهم ببسبب تامسنا المذكور وكان  
للموحدين عليهم عسكرة وجباية وكان شيخ العاصم لعهد الموحدين ثم عهد المأمون بن المنصور منهم حسن  
ابن زيد وكان له أثر في الفتنة التي ثارت بين المأمون وبين يحيى بن الناصر بن المنصور ولما هلك يحيى  
المذكور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أمر الرشيد بن المأمون بقتل حسن بن زيد المذكور مع قائد وقائد  
ابني عامر من شيوخ بني جابر كل منهم مائة فأتدقتوا جميعا ثم صارت الرياسة لابن عياد وبنيه وكان  
رئيسهم لعهد بني مرين عياد بن أبي عياد وكان له تلون على الدولة في النفرة تارة والاستقامة أخرى فرأى  
تلمسان ورجع منها أعوام تسعين وستمائة وفرأى السوس ورجع منه سنة سبع وسبعمائة ولم يزل هذا دأبه  
وكانت له ولاية مع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني من قبل ذلك ومقاماته في الجهاد معه مذكورة  
وبقيت رياسته في بنيه الى ان انقضت أمرهم وتلاشوا والله خير الوارثين (وأما بنو جابر بن جشم) فكانت

لهم شوكة أيضا وكان لهم أثر في الفتنة الناشئة بين المأمون بن المنصور ويحيى بن الناصر بن المنصور فكانوا  
 شيعة ليحيى ولما ولي الرشيد بن المأمون أمر بقتل قائد وقائد بني عامر وهما يومئذ شيخا بني جابر فقتلا  
 وقتل معهم حسن بن زيد شيخ العاصم كما تقدم وكانوا جميعا معتقلين عند الرشيد وولي أمر بني جابر بعدهما  
 يعقوب بن محمد بن قيطون ثم قبض عليه قائد الموحدين أبو الحسن بن يعقوب وكان ذلك بأمر أبي حفص  
 المرتضى الموحدي وولي رياسة بني جابر بعده اسمعيل بن يعقوب بن قيطون ثم تحيز بنو جابر هؤلاء عن  
 احياء جشم الى سفح الجبل بتادلا وما اليها يجاورون هنالك صناعة من البربر الساكنين بقنته وهضابه  
 فيسهلون الى البسيطة تارة ويأوون الى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى اذا ذهبت مخافة من  
 السلطان (قال ابن خلدون) والرياسة فيهم لهذه العصور يعني أو نحو المائة الثامنة في ورديفة من بطونهم  
 قال أدركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبي عنان حسين بن علي الورديني ثم هلك وأقيم مقامه ابنه الناصر  
 ابن حسين ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوحه عن السلطان أبي سالم المريني سنة ستين وسبع مائة  
 ونهضت اليهم عساكر السلطان فامكنوا منه ثم لحق بهم أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم عند فراره من  
 مراکش سنة ثمان وستين وناله السلطان عبد العزيز المريني وأحاط به وبهم فلحق ببرابرة صناعة  
 ثم أمكنوا منه على مال جل اليهم ولحق بهم أثناء هذه الفتن الامير عبد الرحمن بن أبي يفاوسن المريني على  
 عهد الوزير عمر بن عبد الله المنتخب على المغرب وطلبه الوزير عمر فخرجوه عنهم وطال بذلك مراسي  
 الناصر هذه الفتنة فنكرته الدولة وتقبضت عليه وأودعته السجن فمكث فيه سنين ثم تجافت عنه الدولة  
 من بعد ذلك وأطلقته ثم رجع من المشرق فقبض عليه الوزير أبو بكر بن غازي المستبد بالمغرب على ولد  
 السلطان عبد العزيز وأودعه السجن ونقلوا الرياسة عن بيته الى غيرهم والله أعلم بمقاب الامور وقد  
 يزعم كثير من الناس ان ورديفة من بني جابر ليسوا من جشم وانهم بطن من بطون سدراتة احدى  
 شعوب لواتة من البربر ويسعدلون على ذلك بوطونهم وجوارهم البربر والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك  
 وهو ما سفيان يفهمهم الذين كانت لهم الرياسة والشوكة عند دخول العرب الى المغرب كانت رياستهم  
 يومئذ في اولاد جرهمون على سائر بطون جشم واستمر واعي ذلك سائرا أيام الموحدين ولما ضعف أمر بني  
 عبد المؤمن استكثروا بهم في حروبهم فكانت لهم عزة ودالة على الدولة بسبب الكثرة وقرب العهد بالبدواة  
 وخبوا ووضعوا في الفتن مع أعقاب المملوك من بني عبد المؤمن المتنازعين على الملك وظاهروا البع عن  
 منهم على البعض وساعت آثارهم بالمغرب وكان شيخهم المشهور على عهد يحيى بن الناصر الموحدي  
 جرهمون بن عيسى السفياني وكانت بينهم وبين الخياط عداوة فصارت الخياط شيعة للمأمون وبنه وصارت  
 سفيان بسبب ذلك شيعة ليحيى بن الناصر منازعه في الخلافة بجراکش ثم قتل الرشيد بن المأمون مسعود  
 ابن حميدان شيخ الخياط كما نذكر بعد فصاروا الى يحيى بن الناصر وصارت سفيان الى الرشيد ثم ظهر بنو  
 مرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين وتزع جرهمون سنة ثمان وثلاثين وستمائة عن الرشيد ولحق  
 محمد بن عبد الحق المريني حياء مما وقع له مع الرشيد وذلك انه نادى ذات ليلة حتى سكر فقام يرقص طربا  
 ثم حل عليه وهو سكران وعربدوا أساء الادب ثم أفاق فتقدم وفر الى محمد بن عبد الحق وهلك سنة تسع  
 وثلاثين بعدها وعلا كعب ابنه كانون بن جرهمون عند السعيد بن المأمون ثم خالف عليه عندئذ وضه الى  
 بني مرين سنة ثلاث وأربعين وستمائة ورجع الى آزمو وفلما كهافت ذلك في عضد السعيد فرجع عن  
 حركته وقصد كانون بن جرهمون ففرأماهم ثم حضر معه بعد ذلك حركته الى تلمسان وقتل بخصم  
 ناصر دكت قبل مقتل السعيد بيوم واحد قتله الخياط في قنته وقعت بينهم في محلة السعيد وهي التي جرت  
 عليها تلك الواقعة وقام بامر سفيان من بعده أخوه يعقوب بن جرهمون وقتل ابن أخيه محمد بن كانون  
 وحضر مع عمر المرتضى الموحدي حركة امان ايمولوا في سنة تسع وأربعين وستمائة فرحل يعقوب عن

السلطان واحتل عسكره بسبب ذلك فرجع واتبعه بنو مرين فكانت الهزيمة ثم عفاله المرتضى عنها ثم قتله  
مسعود وعلى ابنا أخيه كانوا بنار أخيهما محمد سنة تسع وخمسين وثمانمائة ولحقا يعقوب بن عبد الحق  
المريني وقدم المرتضى ابنه عبد الرحمن فجز عن القيام بأمره فقدم معه عبد الله بن جرهمون فجز أيضا فقدم  
مسعود بن كانون فأقام شيخا على سفیان واستمرت حالهم مع الموحدین وبنی مرین علی هذا النحو من  
إخلاص الطاعة والنصرة تارة والتمريض فيهما أخرى **وقال ابن خلدون** واتصلت الرياسة على سفیان  
في بنی جرهمون هؤلاء إلى عهدنا قال وأدرکت شيخا عليهم لعهد السلطان أبي عنان يعقوب بن علی بن  
منصور بن عیسی بن يعقوب بن جرهمون بن عیسی وكانت سفیان هؤلاء أحياء حاولوا باطراف تامسنا  
على أسفي وغلبتهم انخلط على بساطها القسيحة وبقي من أحيائهم الحارث والكلابية ينتجعون أرض  
السوس وقناره ويطلبون ضواحي بلاد حاحة من المصامدة فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس ورياستهم  
في أولاد مطاع من الحارث وطال عيبتهم في ضواحي مراکش وفسادهم فلما استبد سلطان مراکش  
الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس المريني سنة ست وسبعين وسبع مائة كان ذلك كراستخلصهم ورفع منزلتهم  
ثم استقدمهم في بعض أيامه للعرض بخيلهم ورجلهم على العادة وشيخهم يومئذ منصور بن يعیسی من  
أولاد مطاع فتقبض عليهم أجمعين وقتل من قتل منهم وأودع الآخريين سجونه فذهبوا مثل اللد الخرين  
وخفضت شوكتهم والله قادر على ما يشاء **وقد** أما انخلط فقد كانوا يبسط تامسنا أولى عدد وقوة وكان  
شيخهم هلال بن جیدان بن مقدم ولما ولي العادل بن المنصور الموحدى خالفوا عليه وهزموا عساكره  
وبعث هلال يبعثه إلى المأمون بن المنصور سنة خمس وعشرين وثمانمائة وتبعه الموحدون على ذلك ثم جاء  
المأمون فظاهروه على أمره وتحيزت أعداؤهم إلى يحيى بن الناصر منازعه ولم يزل هلال بن جیدان مع  
المأمون إلى ان هلك في حركته سنة وبيع بعده لابنه الرشيد وجاء به إلى مراکش وهزم سفیان  
واستباحهم ثم هلك هلال بن جیدان فولى مكانه أخوه مسعود بن جیدان ثم خالف على الرشيد فاحتال  
الرشيد عليه حتى وقد عليه بمراكش فقتله في جماعة من قومه سنة ثنتين وثلاثين وثمانمائة وولى أمر انخلط  
بمده يحيى بن هلال وفر بقومه إلى يحيى بن الناصر وحاصروا مراکش ثم استولوا عليها وعاثوا فيها  
وخرج الرشيد إلى سجلماسة ثم عاد إليهم سنة ثلاث وثلاثين بعد هاو غلبهم عليها ثم راجعوا طاعة الرشيد  
وطردوا يحيى بن الناصر إلى بنی معقل عرب الصحراء فتقبض الرشيد على وشاح وعلى ابني هلال وسجنهم  
بأزمور سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ثم أطلقهم ثم بعد ذلك غدر بمشيتهم بعد الاستدعاء والتأنيس وقتلهم  
أجمعين ثم بعد ذلك حضر وامع السعيد بن المأمون حركته إلى بنی عبد الواد أصحاب تلمسان وجر وعلية  
الواقعة حتى قتل فيها بسبب قننتهم مع سفیان يومئذ فمزل المرتضى يعمل الحيلة فيهم إلى ان تقبض على  
أشياخهم سنة ثنتين وخمسين وثمانمائة فقتلهم ولحق عواج بن هلال بن جیدان بنی مرین وقدم المرتضى  
عليهم على بن أبي علي من بيت الرياسة فيهم ثم رجع عواج إلى الموحدین سنة أربع وخمسين وثمانمائة  
فأغزاه على بن أبي علي فقتل في غزاته تلك ثم كانت واقعة أم الرجلين بنی مرین على المرتضى سنة ستين  
وثمانمائة فنزع على بن أبي علي إلى بنی مرین ثم صار انخلط كلهم إلى بنی مرین وكانت الرياسة فيهم أول دولة  
بنی مرین لابي عطية مهلهل بن يحيى انخلطى واصهر إليه السلطان يعقوب بن عبد الحق فاتكحه مهلهل  
ابنته عائشة التي كان منها ابنه السلطان أبو سعيد بن يعقوب ولم يزل مهلهل كبيرا عليهم إلى ان هلك سنة  
خمس وتسعين وثمانمائة ثم قام بامر انخلط ابنه عطية وكان لعهد السلطان أبي سعيد وابنه السلطان أبي  
الحسن وبعثه السلطان أبو الحسن سفيرا عنه إلى سلطان مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون ولما هلك  
عطية قام بامر انخلط ابنه عیسی بن عطية ثم ابن أخيه زمام بن ابراهيم بن عطية وهو الذي بلغ المبالغ من  
العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه إلى ان هلك فولى أمر انخلط بعده أخوه أحمد بن

ابراهيم ثم اخوه سليمان بن ابراهيم ثم اخوه مبارك بن ابراهيم على مثل حالهم أيام السلطان أبي عنان المريني ومن بعده الى ان كانت الفتنة بالمغرب بعد ملك السلطان أبي سالم المريني واستولى على المغرب أخوه السلطان عبدالعزیز وأقطع ابنه أبا الفضل ناحية مراکش فكان مبارك بن ابراهيم بن عطية هذامعه ولما تقبض على أبي الفضل تقبض على مبارك المذكور وأودع السجن الى ان غلب السلطان عبدالعزیز على عامر بن محمد الهنتاتي وقتله فقتل معه مبارك بن ابراهيم هذا لما كان يعرف به من صحبته ومدانته في الفتن كما يدكر في أخبار بني مرين وولي ابنه محمد بن مبارك على قبيل الخلط قال ابن خلدون ان الان خلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين بذلك البسيط الافج زيادة على العز والدعة فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف والله غالب على أمره اه ولما انقرضت الدولة المرينية من المغرب وجاءت دولة الشرفاء السعديين وقام منهم أبو عبد الله محمد الشيخ المعروف بالمهدي انحاشت الخلط اليه وأظهروا الخدمة والنصيحة وغلب محمد الشيخ المذكور على فاس وأخرج أباحسون الوطاسي عنها فذهب أبوحسون المذكور الى دولة الترك بالجزائر واستنصر بهم على السعديين فلبوا دعوتهم ووقدم معه منهم عسكري جرار الى فاس فاجروا محمد الشيخ السعدي عنها بعد حروب عظيمة جرت الخلط هؤلاء عليه فيها الهزيمة فلما استقل بالامر محمد الشيخ المذكور خلخ الخلط من الجندية ووظف عليهم الخراج وحجى اسمهم من ديوان الخدمة ونقل أعيانهم الى مراکش واتخذهم رهائن عنده ولم يزل الامر على ذلك الى دولة السلطان أبي العباس أحمد المنصور السعدي المعروف بالذهبي قرأى جلاد الخلط وقتلهم يوم وادي المخازن وابلاءهم البلاء الحسن فاختر النصف منهم ورده الى الجندية وأبقى النصف الآخر في غمار الرعية ونقلهم الى أزغار فاستوطنوه فعاثوا في تلك البلادوا أكثروا فيها الفساد ومثروا أيديهم الى أولاد مطاع فقبوهم وضايقوا بني حسن فكثرت الشكاية بهم الى المنصور السعدي فضرب عليهم مغرام سبعين ألفا فلم يزدوا الا شدة فضرب عليهم بعنا الى تكرار من أرض الصحراء فامتنعوا من ذلك فبعث اليهم القائد موسى بن أبي جادة العمري فانزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة ثم حكم فيهم السيف فزقهم كل عزق ومن ثم نحدث شوكتهم ولانت للعاصم قناتهم ثم ختموا أعمالهم بفعلتهم الشنعاء التي ملأت الافواه وأسالت من الجفون الامواه وهي قتالهم ولي الله تعالى المجاهد في سبيله أبا عبد الله سيدي محمد العياشي المالكي رحمه الله فاز لنا سمع ان قبيلة الخلط انما سلبوا العز منذ قتلهم للولي المذكور وكان ذلك في المحرم سنة احدى وخمسين وألف والله تعالى أعلم

الخبر عن بني معقل عرب الصحراء من أرض المغرب وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم وبطونهم

قال ابن خلدون هذا القبيل لهذا العهد من أفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى مجاورون لبني عامر من زغبة الهلاليين في مواطنهم بقبلة تلمسان وينتهون الى البحر المحيط من جهة الغرب وهم ثلاثة بطون ذوى عبيد الله وذوى منصور وذوى حسان ذوى عبيد الله منهم هم المجاورون لبني عامر ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت في التسل وما واجهها من القبلة ومواطن ذوى منصور من تاوريرت الى بلاد درعة فيستولون على ملوية كلها الى سجلماسة وعلى درعة وما يحاذيها من التل مثل نازاوغساسة ومكاسة وفاس وبلاد تادالا والمعدن ومواطن ذوى حسان من درعة الى البحر المحيط وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس فيستولون على السوس الاقصى وما اليه وينتجعون كلهم في الرمال الى مواطن الملمين من كدالة ومسوقة ولتونة وكان دخولهم الى المغرب مع الهلاليين في عدد قليل يقال انهم لم يبلغوا المائتين واعترضتهم بنوسليم فاججزوهم وتجزوا الى الهلاليين منذ عهد قديم وتزوا باخوان مواطنهم مما يلي ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زانانة في القفار فعضوا أكثر واثر وافي صحارى المغرب الاقصى فعمروا ماله وتقلبوا في فيافيه وكانوا هنالك أحلافا زانانة ساثرا أيامهم وبقى منهم باقر ببيعة جمع



قليل اندرجوا في جملة بني كعب بن سليم وداخلوهم حتى كانوا زوا لهم في الاستخدام للسلطان واستئلاف  
 العرب فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا الى الامصار والمدن أقام بنو معقل هؤلاء في القفار وتفردوا  
 في البسداء فتموا تموا الا كفاءه وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا  
 ثم توات ثم بودة ثم تامنطيت ثم واركلان ثم تاسبيت ثم تيكرار بن شرفا وكل واحد من هؤلاء وطن منفرد  
 يشمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار وأكثر سكانها من زناتة وبينهم فتن وحروب على رياستها فحازت  
 عرب معقل هذه الاوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون  
 فيها ملكا وكانوا في تلك المدة السالفة يعطون الصدقات لملوك زناتة ويأخذونهم بالدماء والطوائل  
 ويحسون اجل الرحيل وكان لهم الخيار في تعيينها ولم يكن هؤلاء العرب يحمون من أطراف المغرب وتاوله  
 حتى ولا يعرضون لسابلة مصامسة ولا غيرهما من بلاد الصحراء بأذية ولا مكروه لما كان بالمغرب من  
 اعتزاز الدين وسد الثغور وكثرة الحامية أيام الموحدين وزناتة من بعدهم وكان لهم يازاء ذلك اقطاع  
 من الدول يعتدون الى أخذه اليد السفلى وعددهم قليل كما قلنا وانما كثروا من اجتمع اليهم من القبائل  
 من غير نسبهم فان فيهم من فزارة بن ذبيسان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر  
 وفيهم من أشجع بن ريث بن غطفان احياء كبيرة يظعنون مع بني معقل بجهات سجلماسة ووادي ملوية  
 ولهم عدد وذكروا فيهم الصباح من الاخضر ويقولون انهم من ولد اخضر بن عامر وعامر هذا هو  
 والله أعلم من ولد رباح الهلاليين وفيهم الهامية من عياض احدى بطون الأئيج الهلاليين وفيهم العمور  
 من الأئيج أيضا وفيهم بطون آخر من بني هلال وبني سليم وغيرهم وأما أنسابهم عند الجمهور فخصية  
 ومجهولة والنسابون من عوب هلال يعتدونهم من بطونهم وهو غير صحيح وهم أعني بني معقل يزعمون  
 ان نسبهم في أهل البيت الى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك أيضا صحيح لان الطالبيين والهاشميين لم يكونوا  
 أهل بادية وشجة هكذا ذكر ابن خلدون لكنهم لما تكلموا على جهينة احدى بطون قضاة وذكرا انهم  
 نزلوا بلاد الصعيد وملوها قال وزل معهم في تلك المواطن من اسوان الى قوص بنو جعفر بن أبي طالب  
 حين غلبهم بنو الحسن على نواحي المدينة وأخر جوههم منها فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ويحترفون  
 في غالب أحوالهم بالتجارة اه كلامه فعلى هذا لا يبعد ان تكون طائفة من هؤلاء الجعافرة قد انتقلوا  
 من أرض الصعيد ودخلوا مع بني هلال الى بلاد المغرب وأوطنوا صحراء وهم بنو معقل المذكورون  
 والناس مصدقون في أنسابهم والله تعالى أعلم بحقائق الامور ثم قال ابن خلدون والصحيح والله أعلم من  
 أمرهم انهم من عرب اليمن فان في اليمن بطنين يسمى كل واحد منهم مامعقل ذكرهما ابن السكبي وغيره  
 فاحدهما من قضاة بن مالك بن حير وهو معقل بن كعب بن عامر بن جناب وينتهي نسبه الى قضاة  
 والاخر من بني الحرث بن كعب أصحاب نجران الذين كان منهم بنو عهد المدان ملوك نجران في الجاهلية  
 والاسلام وهو معقل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحرث بن كعب وينتهي نسبه الى كهلان قال  
 والانساب ان يكونوا من هذا البطن الاخر وقد عدته الاخباريون في بطون هلال الداخلين الى افريقية  
 لمجاورتهم في الوطن قال ومن املاء نسابهم ان معقلا جدتهم له من الولد سبجير ومحمد فولد سبجير عبيد الله  
 وثعلب بن عبيد الله ذوى عبيد الله البطن الكبير منهم ومن ثعلب الثعالبة الذين كانوا ببسط متيجة من  
 نواحي الجزائر وولد محمد مختارا ومنصورا ووجلا لا وسالموا عثمان فولد مختار بن محمد حسان وشبانة بن  
 حسان ذوى حسان البطن المذكور أهل السوس الاقصى ومن شبانة الشبانات جيرانهم هنالك  
 ومن جلال وسالم وعثمان الرقيطات بادية في ذوى حسان ينتجبون معهم وولد منصور بن محمد حسينا  
 وأبا الحسين وهما شقيقان وعمران ومنبا وهما شقيقان أيضا وهما الاحلاف ويقال لعمران العمارنة ولنبيا  
 المتبات ثم يقال لجميع البطون الاربعة ولد منصور بن محمد ذوى منصور وهم احدى بطونهم الثلاث

المذكورة والله تعالى أعلم بتبعيه فهذه أصول عرب المغرب الأقصى وكيفية دخولهم اليه واستيطانهم اياه وبعض فصولهم قد ذكرناها ملخصة من تاريخ امام الفن أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون ومن جمهرة الانساب لابن خزم وزدنا ما يحتاج منها الى البيان بيانا والله تعالى الموفق **﴿** وانرجع **﴾** الى ما كتبنا بسبيله من اخبار أمير المؤمنين يعقوب المنصور وجه الله فانه لما رجع من افريقية الى مراکش سنة أربع وثمانين وخمسمائة رفع اليه ان أخاه السيد أبا حفص صاحب مرسية المنقب بالرشيد وعمه السيد أبا الربيع صاحب تادلا عندما بلغهما ما خبر الواقعة التي كانت على مقدمة المنصور بأفريقية حدثا أنفسهما بالتوثب على الخلافة فلما قدما عليه للتهيئة أمر باعتهما خلال ما استملى أمرهما ثم قتلها وبعدهما السيد أبي الحسن ابن السيد أبي حفص على بجاية وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة شرع المنصور في ادخال ساقية الماء الى مراکش ثم تآقت نفسه الى الجهاد فكان منه ما ذكره

**﴿** الجواز الاول ليعقوب المنصور وجه الله الى الاندلس بقصد الجهاد **﴾**

**﴿** قال ابن أبي زرع **﴾** وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة تحرك أمير المؤمنين يعقوب المنصور الى الاندلس برسم غزو بلاد غربها وهي أولى غزواته فعبّر من قصر المجاز الى الخضراء يوم الخميس الثالث من ربيع الاول من السنة المذكورة ثم نهض من الخضراء حتى نزل شنترين وشنق الغارات على مدينة اشبونة وأنحأها فقطع الثمار وحرق الزروع وقتل وسببها وأضرم النيران في القرى وأبلغ في النكاية وانصرف الى العدو بثلاثة عشر ألفا من السبي فدخل فاسا في آخر رجب من السنة المذكورة

**﴿** مراسلة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر ليعقوب **﴾**

**﴿** المنصور وجهه الله والتماسه منه الاساطيل للجهاد **﴾**

كانت الفرغ قد ملكوا سواحل الشام في آخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة قبل هذا التاريخ وملكوا مهابيت المقدس شرفه الله فلما استولى السلطان صلاح الدين رحمه الله على ديار مصر والشام اعترم على جهادهم وصار يفتح حصونهم واحدا بعد واحد حتى أتى على جميعها وافتتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهدم الكنيسة التي بناها حيه وانقضت أمم النصرانية من كل جهة وتتابعت أساطيلهم الكفرية بالمدد من كل ناحية لتلك الثغور القريبة من بيت المقدس واعترضوا اسطول صلاح الدين في البحر ولم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لضعفها يومئذ عن ما نعمت به فبعث صلاح الدين صريخه الى المنصور سنة خمس وثمانين وخمسمائة يطلب اعانتته بالاساطيل لمنازلة ~~عكس~~ كواصور وطرابلس الشام وأوقد عاينه أبا الحرث عبد الرحمن بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك شيزر من حصون الشام وكان صلاح الدين قد ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته فبعث صلاح الدين عبد الرحمن هذا الى يعقوب المنصور طالبا مدد الاساطيل لتحويل البحر بين أساطيل الفرغ وبين امداد النصرانية بالشام ولنازلة الثغور التي ذكرنا وبعث معه الى المنصور هدية تشتمل على مصحفين كريمين منسولين ومائة درهم من دهن البلسان وعشرين رطلا من العود وستمائة مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوسا عربية باوتارها وعشرين من النصول الهندية وسروج عدة مثقلة فوصل الى المغرب فصادق المنصور بالاندلس فانتظره بفاس الى ان رجع فلقبه وأدى الرسالة وقدم الهدية وكان الكتاب الذي بعث به صلاح الدين من انشاء الاديب عبد الرحيم اليبساني المعروف بالقاضي الفاضل وكان عنوان الكتاب من صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب وبعده الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفة من استعمر الارض وأغنى من أهلها من سأله القرض وأجر من أجرى على يده الناقلة والقرض وزين سماء الملة بدراري الذواري التي بعضها من بعض وهو كتاب طويل ولما وقف

عليه التصور ورأى تجافيهم فيه عن خطابه بامير المؤمنين لم يجهبه ذلك وأسرها في نفسه وحمل الرسول على مناهج البر والكرامة وورده الى مرسله ولم يجهبه الى حاجته ويقال انه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين اسطولا ومنع النصراري من سواحل الشام والله تعالى أعلم ﴿قال ابن خلدون﴾ وفي هذا دليل على اختصاص ملوك المغرب يومئذ بالاساطيل الجهادية وعدم عناية الدول بعصر والشام لذلك العهد بها وكان ابن منقذ المذكور قد مدح المنصور بقصيدة يقول فيها

سأشكر بحر اذا عباب قطعته \* الى بحر جود ما لا خراه ساحل  
الى معدن التقوى الى كعبة الندى \* الى من سميت بالذكر منه الاوائل  
اليك أمير المؤمنين ولم تزل \* الى بياض المأمول ترجى الرواحل  
قطعت اليك البر والبحر موقنا \* بان نذاك الغمر بالصبح كافل  
وحزت بقصدك العلى فباغتها \* وأدنى عطايك العلى والفواضل  
فلا زلت للعايا والجود بانيا \* تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعذتها أربعون بيتا فاعطاه بكل بيت ألفا وقال له انما اعطيناك لفضلك وليبتك يعنى لاجل صلاح الدين

### ﴿عود المنصور الى افريقية والسبب في ذلك﴾

لما قدم المنصور من الاندلس الى فاس وفرغ من شأن ابن منقذ وتوارثت لديه الاخبار بان ابن غانية قد ظهر بافريقية فنهض اليها من فاس في ثامن شعبان من تلك السنة فدخل تونس في اول ذي القعدة منها فالتقى بلاد افريقية ساكنة وقد فر ابن غانية عنها الى الصحراء حين سمع بقدمه وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة استولى الفرنج على مدينة شلب وباجة وياورة من غرب الاندلس وذلك لما علموا ان المنصور قد أبعد عنهم واشتغل باصر افريقية فاغتموا الفرصة فيها واتصل الخبر بالمنصور فغناظه ذلك وأعظمه وكتب الى قواد الاندلس بوجوههم وبأمرهم بغزو بلاد الفرنج ويعلمهم انه قادم عليهم في أثر كتابه فاجتمع قواد الاندلس حتى نزل على شاب فشد عليه الحصار وتابع عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبي دانس ومدينة باجة وياورة ورجع الى قرطبة فدخلها بنحو خمسة عشر ألفا من السبي وثلاثة آلاف أسير قدمهم بين يديه في القطائن خمسون علفا في كل قطينة وذلك في شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة وفي هذا الشهر رجع المنصور من افريقية فانتفى الى تلمسان فاقام بها الى آخر السنة المذكورة وفي فاتح محرم من سنة ثمان وثمانين وهي سنة آ كروا وخرج المنصور من تلمسان الى فاس وهو مريض فكان يركب في آ كروا فدخل فاسا واقام بها مريضاً سبعة أشهر حتى أبلى من علته ثم نهض الى مراکش فاقام بها الى سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد وكان ما ذكره ان شاء الله

### ﴿الغزوة الكبرى بالارك من بلاد الاندلس﴾

﴿قال ابن خلكان﴾ كان يعقوب المنصور رحمه الله قد خافه الغنش صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه الى خمس سنين فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فقبوا وسبوا وعاثوا عيئا فظيما فانتفى الخبر الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور وهو بمراكش فجهز لقصدهم في جيش عرمرم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل في ذلك وعبر البحر الى الاندلس سنة احدى وتسعين وخمسمائة واتصل بالفرنج عبوره اليهم فجمعا معا خلقا كثيرا من اقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه ﴿قال ابن خلكان﴾ وقد رأيت بدمشق جزأ بخط الشيخ الحافظ تاج الدين عبد الله بن جويرة السرخسي وكان قد سافر الى مراکش وأقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة

فن ذلك فصل يتعلق بهذه الواقعة فينبغي ذكره ههنا قال لما انقضت الهدنة بين أمير المؤمنين يعقوب  
 المنصور وبين الأذقونش الفرنجى صاحب غرب جزيرة الأندلس وقاعدة مملكته يومئذ طيلة وذلك  
 في أواخر سنة تسعين وخمسة مائة عزم يعقوب المنصور وهو يومئذ نجرا كمش على التوجه الى جزيرة  
 الأندلس لمحاربة الفرنج وكتب الى ولاية الاطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج الى مدينة سلا ليكون  
 اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق انه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه أطباؤه فتوقف الحال عن  
 تدبير تلك الجيوش وجملى يعقوب المنصور الى مرا كمش وهو مريض فطمع المجاورون له من العرب  
 وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل الأذقونش فيما يليه من بلاد  
 المسلمين بالأندلس واقتضى الحال تفرقة الجيوش التي جمعها يعقوب المنصور شرقا وغربا واشتغلوا  
 بالمدافعة والممانعة فكثرت طمع الأذقونش في البلاد وبعث رسولا الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور يتهدد  
 ويتوعده ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الأندلس وكتب اليه رسالة من انشاء وزير له من  
 ضعفاء المسلمين يعرف بان الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح  
 روح الله وكلمته الرسول الفصيح (أما بعد) فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب انك  
 أمير الملة الخليفة كما فى أمير الملة النصرانية وقد علمت الا ان ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل  
 والتواكل واهمال أمر الرعية واخلادهم الى الراحة وأنا أسومهم بحكمكم القهر وخلاء الديار وأسرى  
 الذرارى وأمثل بالرجال ولا عذر لك فى التخلف عن نصرهم اذا أمكنتك يد القدرة وأنتم تزعمون ان الله  
 فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ونحن الان نقاتل  
 عشرة منكم بواحد منا لا نستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حكي لى عنك انك أخذت فى  
 الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى فلا أدري  
 أكان الجبن قد أبطأ بك أم التكذيب بما وعد بك ثم قيل لى انك لا تجد الى جواز البحر سبيلا لعله  
 لا يسوغ لك التفخم معها وهما أنا أقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر لك وعنك على ان تفى بالعهود  
 والمواثيق والاستكبار من الرهان وترسل الى جملة من عبيدك بالمرآكب والشواني والطرائر المسطحات  
 وأجوز بجملتى اليك فأقاتلك فى أعز الاماكن لديك فان كانت لك فغنمة كبيرة جلبت اليك وهدية  
 عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العلياء عليك واستحقت امانة المؤمنين والحكم على  
 البرين والله تعالى يرفق للسعادة ويسهل الارادة لأرب غيره ولا خير الاخيه فلما وصل كتابه  
 الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور حزقه وكتب على ظهر قطعة منه وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن  
 التوقيع كما يأتى فى بقية أخباره ارجع اليهم فلما أتيتهم بجند لا قبل لهم بها ولخرجهم منها أذلة وهم  
 صاغرون ثم كتب الجواب ما ترى لا ما تسمع فهو أول من تكلم به فأرسله مثلا وأنشد مقتلا

ولا كتب الا المشرفية والقنى \* ولا رسل الا الخيس العرمم

ثم أمر بالاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب المراتقات بظاهر البلد من يومه وجمع  
 العساكر وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة يريد الأندلس وهو قال ابن ابي زرع يخرج أمير المؤمنين  
 يعقوب المنصور من حضرة مرا كمش يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الاولى سنة احدى وتسعين  
 وخمسة مائة بوالى السير ويطوى المناهل ولا يابى على فارس ولا راجل والجيوش تتابع فى اثره من  
 سائر الاقطار فلما انتهى الى قصر المجرأ أخذ فى اجازة الجيوش الواردة عليه لا يفرغ من طائفة الا وقد  
 لحقت بها أخرى فاجاز أول قبائل العرب ثم زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم المتطوعة من قبائل المغرب  
 ثم الاغزاز والرماة ثم الموحدون ثم العبيد ثم اجاز أمير المؤمنين فى أثرهم فى موكب عظيم من أشياخ  
 الموحدين وأهل النجدة والزعامة ومعه فقهاء المغرب وصلحوا واستقر بالجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة

الموفى عشرين من رجب من السنة المذكورة فأقام بها يوماً واحداً ثم نهض إلى العدو قبل أن يتخذ قرايح  
المجاهدين وتضعف نياتهم فسار حتى بقي بينه وبين حصن الأرك الذي كان العدو نازلاً بإزائه نحو مرحلتين  
فتزل هنالك وذلك يوم الخميس ثالث شعبان من السنة في جمع الناس ذلك اليوم وقاؤهم ووعظهم ثم  
اختص أهل الأندلس بنزير المشورة وقال لهم إن جميع من استشرته وإن كانوا أولى بأس ومعرفة بالحرب  
لكنهم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أنتم لتمرسكم بهم وتمرسهم بكم فأعالوه في الرأي على القائد  
أبي عبد الله بن صناديد فعول المنصور رجه الله في ذلك على رأيه **﴿**وقال ابن الخطيب في رقم الحائل **﴾** إن  
أمير المؤمنين المنصور رجه الله عرض جيشه وأخذ في تقريب القرب إلى الله تعالى بين يدي جهاده  
فسرح السجون وأدر الأرزاق وعين الصدقات ورحل فتزل الأرك وقد خيمت بأحواله ومحلات العدو  
يضيق عنها المتسع وقام المنصور بعد أن اجتمع الناس فتحمل من المسلمين وقال أيها الناس اغضروا إلى  
قيامسي أن يكون صدر مني فبكي الناس وقالوا منكم يطلب الرضى والغفران وخطب الخطباء بين يديه  
محرزين ومدكرين فنشط الناس وطابت النفوس ومن الغد صدع المنصور بالنداء وأمر بأخذ السلاح  
والبروز إلى اللقاء فكانت التعبئة تحت الغلس **﴿**ووحكى ابن أبي ذرع **﴾** أن المنصور بات تلك الليلة عاكفاً  
بمسلاة على الركوع والسجود وأنه أغفى اغفاه قرأى ملكاً نزل من السماء في صورة بشر ويده راية  
خضراء وبشره بالفتح وأنشده في ذلك أيماً تابقيت على ذكر المنصور إلى أن استيقظ وقصر رؤياه على  
وجوه الجند فازداد الناس طمأنينة وبصيرة فلما كان يوم السبت خامس شعبان جلس المنصور في قبة  
الحراء المعدة للجهاد ثم دعا بكبير وزرائه الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وقدمه على ذلك الجيش وعقد له  
رايته وقدمه بين يديه فخرقت على رأسه الرايات وقرعت بين يديه الطبول وسار في قبيل هنتاتة وبين  
يديه القائد بن صناديد في جيش الأندلس ثم عقد المنصور لجرمون بن رياح على قبائل العرب ولنديل  
ابن عبد الرحمن المقرائى على قبائل مغراوة ولحيوان بن أبي بكر بن حمامة المرينى جدمالوك المريين على  
قبائل بني مرين ولجابر بن يوسف العبد الوادى على قبائل بني عبد الواد وللعباس بن عطية التوجيني  
على قبائل بني توجين ولتلمين بن علي على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ولمحمد بن منغفاد على قبائل  
غمارة وعقد للفقيه الصالح أبي خزر يخلف بن خزر الأوربي على المتطوعة **﴿**وقال ابن خلدون **﴾** إن الذي  
كان على المتطوعة يومئذ هو الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص والسكل إلى نظر الشيخ أبي يحيى بن  
أبي حفص وبقي المنصور رجه الله في جيش الموحدين والعبيد وأمر الشيخ أبي يحيى بالرحيل والتقدم  
أمامه إلى جهة العدو وكان المنصور قد صفر مع ابن صناديد من الرأي أن يبقى هو متأخراً في الموحدين  
والعبيد والحشم على مسافة يخفى بها عن أعين العدو ويقدم الشيخ أبي يحيى ببعض الرايات والطبول في  
هيئة السلطان فيبقى العدو فان كانت للمسلمين فهو المطلوب وإن كانت عليهم كان المنصور ردأهم  
ثم يستأنف القتال مع العدو وقد انقل حذوه ولانت شوكته فسار الشيخ أبو يحيى على هذا الترتيب وابن  
صناديد أمامه في فرسان الأندلس وجاتها فكان الشيخ أبو يحيى إذا ألقع بجيشه عن موضع صباحاً خلفه  
المنصور فيه بجيشه مساء حتى أشرف الشيخ أبو يحيى على جموع الفرنج وهي يومئذ إلى جنب حصن  
الأرك ويقال الأركو بزيادة الواو في آخره قد ضربت أخبيتها على ربة عالية ذات مهاو وأحجار كبار  
قدمت السهل والوعر ونزل الشيخ أبو يحيى بجيشه في البسيط نحو يوم الأربعاء التاسع من شعبان  
سنة إحدى وتسعين وخمسائة وعند ابن خلدون أن ذلك كان يوم الخميس قال واقتفى المنصور في ذلك  
طريقة أبيه وجده فأنهم أكثر ما كانوا يصاقون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر فبعث الشيخ أبو يحيى  
عساكره تعبئة الحرب وعقد الرايات لاهراء القبائل وأوقف كل قبيلة في مركزها الذي عين لها جعلت  
عسكر الأندلس في المينة وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في الميسرة وجعل المتطوعة

والاغزاز والرماة في المقدمة وبقى هوف القاب في قبيل هنتاتة ولما أخذ الناس من اكرهم من حومة القتال خرج جرمون بن رياح يحيى في صفوف المسلمين ويحضهم على الثبات والصبر و بينما الناس على ذلك اذا انفصلت من جيش العدو كتبية عظيمة من نحو عشرة آلاف فارس كلهم مدجج في الحديد وكانت هذه الكتبية هي شوكة ذلك الجيش وحده كان الفئس لعنه الله قد انتخبهم وصلت اقسمة عليهم صلاة التصرور وشوهم بقاء العمودية وتحالفوا عند الصلابة ان لا يبرحوا حتى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا وادونهم فلما برزت هذه الكتبية نادى منادى الشيخ أبي يحيى معشر المسلمين ائتوا في مصافكم واحصوا الله تعالى نياتكم واذكروا الله عز وجل في قلوبكم وبرز عامر الزعيم من أمر العرب فغض الناس على الصبر وثبتهم وجلت كتبية العدو حتى اندقت رماح المسلمين في صدور خيولها أو كادت ثم تقهرت قايلا ثم عاودت الجملة فكانت كالاولى ثم تهيأت للجملة الثالثة فدفعت حتى خالطت صفوف المسلمين وخلص البعض منها الى الشيخ أبي يحيى يظنونه المنصور فاستشهد رجه الله بعدما أحسن البلاء وقاتل قتالا شديدا واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاتة والمتطوعة وغيرهم وسعى بنو الشيخ أبي يحيى بنى الشهيد وعرفوا به من يومئذ وأظلم الجيوب بالعبار واختلطت الرجال بالرجال وانفرد كل قرن بقرنه وأقبلت العرب والمتطوعة فأحاطوا بالكتبية التي دفعت الى الشيخ أبي يحيى وزحفت زناتة والمصامدة وغمارة الى الروبة التي فيها الفئس وجوعه وكانت على ما قيل تنيف على ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل فتوغل المسلمون في تلك الاوعار اليهم وخالطوهم بها واشتد القتال واستمر القتل في الكتبية التي دفعت أولا وانقضت عليهم العرب والمتطوعة وهنتاتة فطنوهم طمنا وانكسرت شوكة الفئس بهم - لا كهم اذ كان اعتماده ومعوله عليهم - وأسرت خييل من العرب الى أمير المؤمنين المنصور فأعلموه بان الله تعالى قد قل شوكة العدو وأشرف على الانهزام فعندها أمر المنصور بالرايات فرفعت وبالطبول فقرعت ورفع المسلمون أصواتهم بالتكبير وتسابقوا القتال العدو وخفقت البنود وزحف أمير المؤمنين نحو المعركة فلم يربح الفئس اللعين الا الرايات قد أقبلت تخفق من كل جهة وزعقات الطبول والابواق وأصوات المجاهدين بالتكبير قد زلزلت الارض فقال ما هذا فقبل هذا المنصور قد أقبل في جيشه وما قاتلك سائر اليوم الا لثأله ومقدماته فقد ذف الله الرعب في قلبه وخشعت نفوس جوعه وزلزلت بهم الارض زلزالها فلو الا ديار لا يلوون على شيء وأسعدهم يومئذ من وجد في فرسه بقية تخيه واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وأحاط بعض بهم بحصن الارك يظنون ان الفئس قد تحصن به وكان عدو الله قد دخل على باب وخرج على آخر من الناحية الاخرى واقحم المسلمون الحصن عنوة وأضرمو النيران في أبوابه واحتوا على جميع ما كان فيه وفي محلة العدو من الاموال والذخائر وأنواع السلاح التي تفوت الحصر **﴿﴾** وقال ابن خلدون **﴿﴾** كان ملوك الفرنج الذين قاتلوا المنصور يومئذ ثلاثة ابن اذفونش وابن الرند واليبوج قال واعتصم قلمهم بحصن الارك وكانوا خمسة آلاف من زعمائهم فاستنزهم المنصور على حكمه حتى فودى بهم عددهم من المسلمين **﴿﴾** وفي القرطاس **﴿﴾** ان عدد أسارى الارك كانوا أربعة وعشرين ألفا فلق عليهم المنصور وأطلقهم قال فعز ذلك على جميع الموحدين وسائر المسلمين وعدت للمنصور سقطة من سقطات الملوك **﴿﴾** وقال ابن الاثير **﴿﴾** كانت الدائرة يوم الارك أولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج وانهمزمو أقمع هزيمة وكان عدد من قتل من الفرنج أزيد من مائة ألف وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا فغن الخيام مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفا ومن الخيل ستة وأربعون ألفا وقيل ثمانون ألفا ومن البغال مائة ألف ومن الخيول مائة ألف **﴿﴾** قال في فتح الطيب **﴿﴾** جاءها الكفار لجل أنغالهم لانهم لا بيل لهم قال وأما الجواهر والاموال فلا تصفى ويبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والجار بدرهم وقسم المنصور الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع كذا في فتح الطيب **﴿﴾** وفي كامل ابن الاثير **﴿﴾** ان يعقوب المنصور رجه الله

نادى في عسكره من غم شيا فهو له سوى السلاح وأحصى ما حل اليه منه فكان زيادة على سبعين ألفا ليس واستشهد من المسلمين نحو عشرين ألفا ثم تقدم المنصور بجيوشه الى بلاد الفرنج وأخذ يخرب المدن والقري ويفتح الحصون والمعقل ويقتل ويسبي ويأسر حتى وصل الى جبل سليمان ثم تني عنانه راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين من الغنائم ولم يعارضه من الفرنج معارض حتى وصل الى اشبيلية فاستقرت بها وأما الفتنش فانه لما انهزم وصل الى طليطلة في أسوأ حال فخلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وركب حمارا وأقسم أن لا يركب فرسا ولا يبع لا ولا يتام على فراش ولا يقرب النساء حتى تنصر النصرانية فجمع جوعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى المنصور فبعث الى بلاد المغرب مراکش وغيرها يستقر الناس من غيرا كراه فأتاه من المتطوعة والمرتقة جمع عظيم ثم نهض الى الفتنش فالتقوا في ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدواب وغيرها ثم تقدم المنصور الى مدينة طليطلة فحاصرها وقتلها قتالا شديدا وقطع أشجارها وحرق الغارات على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون مثل قلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط وجبل سليمان واقليج وكثير من أحواز طليطلة ثم ارتحل عن طليطلة الى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف فقتل المقاتلة وسب النساء والذرية وغنم أموالها وهدم أسوارها وأضرم النيران في جوانبها وتركها قاعا صفصفا وتني عنانه الى اشبيلية فدخلها غرة صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة فرفع اليه في القاضي أبي الوليد بن رشد المعروف بالحفيد مقالات نسب فيها الى المرض في دينه ومعتقده وكان أحد فلاسفة الاسلام وورعاً ألقى بعضها بخط يده فحبس ثم أطلق وأشخص الى مراکش وبها كانت وفاته رحمه الله ثم خرج المنصور من اشبيلية غازيا لبلاد ابن اذفونش فسار حتى احتل بساحة طليطلة وبلغه ان صاحب برشاونة قد أمدا بن اذفونش بعساكره وانهم جميعا بحصن مجريط فنهض اليهم ولما أطل عليهم انقضت جوع ابن اذفونش من قبل القتال ثم انكفأ المنصور راجعا الى اشبيلية ثم اجتمع ملوك الفرنج وأرسلوا يطلبون الصلح فأجابهم اليه وصالحهم على مدة خمس سنين بعد ان كان عازما على الامتناع مريدا للملازمة الجهاد الى ان يفرغ منهم فأتاه خبره على بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية وانه دخل افريقية وأراد الاستيلاء عليها ففت ذلك في عزمه وصالحهم على المدة التي ذكرنا وعقد على اشبيلية للسيد أبي زيد بن الخليفة وعلى مدينة بطليوس للسيد أبي الربيع ابن السيد أبي حفص وعلى المغرب للسيد أبي عبد الله ابن السيد أبي حفص ثم عبر البحر الى المغرب فوصل الى مراکش في شعبان سنة أربع وتسعين وخمسمائة وهو في فتح الطيب ثم ان يعقوب المنصور لما حاصر طليطلة وضيقت عليها ولم يبق الا فتحها خرجت اليه والدة الاذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألته ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن به وذهب لهن من الاموال والجواهر ما جل وردهن مكرمات وعفا بعد القدرة والله تعالى أعلم بالظيفة قال الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي رحمه الله في كتاب الفتوحات المكية ما نصه ولقد كنت بمدينة فاس سنة احدى وتسعين وخمسمائة وعساكر الموحدون قد عبرت الى الاندلس لقتال العدو حين استعمل أمره على الاسلام فلقيت رجلا من رجال الله ولا أذكرني على الله أحدا وكان من أخص أودائي فسالني ما تقول في هذا الجيش هل يفتح له وينصر في هذه السنة أم لا فقلت له ما عندك في ذلك فقال ان الله تعالى قد ذكره في كتابه ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح في هذه السنة وبشر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه الذي أنزله عليه وهو قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا فوضع البشرى فتحا مبينا من غير تكرار والالف فانها لاطلاق الوقوف في تمام الآية فانظر أعدادها بحساب الجمل فنظرت فوجدت الفتح يكون في سنة احدى وتسعين وخمسمائة ثم جرت الى الاندلس وقد نصر الله جيش المسلمين وفتح الله به قلعة رباح والوكو وكرار وما انضاف الى هذه القلاع من الولايات هذا عاينته من الفتح من هذه صفته فأخذت

للفاء ثمانين وثلثمائة وأربع مائة وللحاء المهملة ثمانية وللاداء واحد وللميم أربعين وللباء اثنتين وللياء عشرة  
وللتون خمسين وأما الالف فقد أخذ عدد ها وكان المجموع احدى وتسعين وخمسمائة وهى سنو الهجرة الى  
هذه السنة فهذا من الفتح الالهى لهذا الشخص انتهى

✽ ذكر ما شيده المنصور رجه الله من الآثار بالمغرب والاندلس ✽

كان يعقوب المنصور رجه الله اعزم على المسير الى الاندلس بقصد الجهاد اوصى الى توابه ووكلائه  
ببناء قصبة مرا كش والاعتناء بتشيد قصورها فن آثاره الباقية بها الى الاثنى عشر المار المعروف بباب  
آ كناه ولا مزيد على ضخامته وارتفاعه وأمرهم ببناء الجامع الاعظم بالمنسوب اليه الى اليوم وتشيد  
مناره المائل به ومنار جامع الكتبيين المضروب به المثل فى الارتفاع وعظم الهيكل ✽ قال ابن سعيد ✽  
طول صومعة الكتبيين بمرا كش مائة ذراع وعشر أذرع ولما اجتاز المنصور فى سفره هذا بأرض سلا  
أمر أيضا ببناء مدينة قربا ط الفتح فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأكمل سورها وركبت أبوابها  
وأمر ببناء المسجد الاعظم بطالعة سلا ومدرسته الجوفية منه ✽ قال صاحب الروض المعطار ✽ كان  
يعمل فى بنائه ونقل حجارتها وترابه سبعمائة أسير من أسارى الفرنج فى قيودها وأمر ببناء جامع حسان  
ومناره الاعظم المضروب به المثل فى الضخامة وحسن الصنعة قالوا ولم يتم بناؤه ولم افرغ المنصور من  
وقعة الاروك واحتل بمدينة اشيلية أخذ فى اتمام بناء جامعها الاعظم وتشيد مناره المشاكل للنارين  
المتقدمين فهو الثالثة الاثنى بالنسبة لها بل قيل انه ليس فى بلاد الاسلام منار أعظم منه وعمل لهذا المنار  
تفانح من أمح ما يكون ✽ قال فى القرطاس ✽ بلغت من العظم الى ما يعرف قدره الا ان الوسطى منها  
لم تدخل على باب المنار حتى قلعت الرخامة من أسفله وزنة العمود الذى ركب على ربه أربعون ريعا من  
الحديد وكان الذى صنعها ورفعها فى أعلى المنار المذكور المعلم أبو الليث الصقلى وموهبت تلك التفانح  
بمائة ألف دينار ذهبيا ولما اكمل جامع اشيلية وصلى فيه أمر ببناء حصن البرج على وادى اشيلية وقد  
تقدم لنا فى أخبار عبد المؤمن انه هدم أسوار مدينة فاس وان حافده المنصور هذا شرع فى بنائها ثم أتتها  
ابنه الناصر من بعده ولما رجع المنصور من الاندلس الى مرا كش وجد كل ما أمر به من البناء قد تم  
على أكمل حال وأحسنه مثل القصبة والقصور والجامع والصوامع وأنفق على ذلك كله من أنجاس  
الغنائم وكان قد تغير على الوكلاء والصناع الذين تولوا بنائها ذلك لانه سمى اليه بانهم احتجوا الاموال  
وصنعوا للجامع سبعة أبواب على عدد أبواب جهنم فلما دخله المنصور وتطوف به أعجبه فسأل عن عدد  
أبوابه فقيل انها سبعة أبواب والثامن هو الذى يدخل منه أمير المؤمنين فقال المنصور عند ذلك لا بأس  
بالغالى اذا قيل حسن واتخذ المنصور رجه الله فى جامع هذا المصلا به مقصورة عجيبة كانت مدبرة  
بجبل هندسية بحيث تنصب اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلا منها وتحتق اذا انفصلا عنها ✽ حتى ✽  
الشرىف الغرناطى شارح الحازمية عن الكاتب البارع أبى الحسن عبد الملك بن عياش أحد كتايب  
المنصور قال كانت لابي بكر يحيى بن مجير الشاعر المشهور وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف فى  
احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مرا كش  
وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترتفع بها الخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بيايب المنصور  
بومثذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعار أنشدوا اياها فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزية الخبير  
فما جئتم من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قدم أبو بكر بن مجير فأنشد  
قصيدته التى أولها أعلمنى ألقى عصا التسيار \* فى بلدة ليست بدار قرار  
واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها

طورات تكون بمن حوته محيطة \* فكأنها سور من الاسوار



وتكون حينئذ منهم مخبوة \* فكانت هاسرة من الاسرار  
وكانت هاسرة مقادير الورى \* فتصرفت لهم على مقدار  
فاذا أحست بالامام يزورها \* فيقومه قامت الى الزوار  
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده \* كتكون الهالات للارقار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها \* قال أبو العباس المقرئ في نوح الطيب \* وقد بطلت  
حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حيا شاهدته سنة عشر وألف والله وارث الارض ومن  
عليها ومن شعرا بن مجير يصف خيل المنصور من قصيدة مدحه بها قوله

له حلبة الخيل العتاق كأنها \* نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا  
عرائس أغنتها الجول عن الخلي \* فلم تبغ خلخالا ولا التمتت وقفا  
فن يقق كالطرس تحسب انه \* وأن جوده في مـ لاءته التفا  
وأبلى أعطى الليل نصف اهابه \* وغار عليه الصبح فاحتبس النصف  
ووردت غشى جلده شفق الدجا \* فاذحازه دلى له الذيل والعرفا  
وأشقر حج الراح صرفا أديمه \* وأصف فرم يسخ بها جلده صرفا  
وأشهب فضى الأديم مدنى \* عليه خطوط غير مفهومة حرفا  
كما خطط الراهى به رق كاتب \* فخرت عليه ذيله وهو ماجفا  
تهب على الأعداء منها عواصف \* ستنسف أرض المشركين بها نسفا  
ترى كل طرف كالغزال قمترى \* أطيبا ترى تحت الهاجة أم طرفا  
وقد كان فى البيداء بألف سر به \* فربته مهرا وهى تحسبه خسفا  
تناوله لفظ الجواد لانه \* اذا ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا

ومما مدحه المنصور رجه الله قول بعض شعراء عصره حين طلب منه الفئس الصلح فأجابته اليه

أهل بان يسعى اليه ويرتجى \* ويزار من أقصى البلاد على الرجا  
من قد غدا بالكرامات مقلدا \* وموشحا ومختما ومتوجا  
عمرت مقامات الملوك بذكره \* وتعطرت منه الرياح تأرجا

ودخل عليه الأديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكاتى الاسود الشاعر فأنشده

أزال حجاب عني وعيني \* تراه من المهابة فى حجاب  
وكاتم بكسر النون جنس من السودان وهم بنوعم تكروور وليس اسمهم اللاتساب لآب أولام وانما كاتم  
اسم بلدة بنوا حى غانة فسمى هذا الجنس بها وكذلك تكروور اسم للارض التى هم بها فسموا بها والله أعلم

بقية أخبار المنصور وسيرته

قال ابن زرع \* كان المنصور رجه الله ذارأى وحزم ودين وسياسة قال وهو أول من كتب العلامة  
بيده من ملوك الموحدين الحمد لله وحده فخرى عملهم على ذلك وقد تقدم لنا ان ذلك كان فى دولة أبيه  
قاله أعلم وهو واسطة عقد ملوك الموحدين الذى ضخم الدولة وشرفها وكانت أيامه أيام دعة وأمن  
ورخاء ورفاهية وبهجة صنع الله عز وجل فى أيامه الأمن بالشرق والمغرب والاندلس فكانت الطعينة  
تخرج من بلاد نول قنتهى الى برقة وحدها لا ترى من يعرض لها ولا من يسومها بسوء ضبط الثغور  
وحصن البلاد وبني المساجد والمدارس فى بلاد افريقية والمغرب والاندلس وبني المارستانات للرضى  
والمجانين وأجرى عليهم الاتفاق فى جميع أعماله وأجرى المرتبات على الفقهاء وطلبة العلم كل على قدر  
مرتبتة وبني الصوامع والقناطر وحفر الآبار للآب فى البرية واتخذ عليها المنازل من السوس

الاقصى الى سويقة ابن مـ كوك فكانت أيامه زينة للدهر وشرف للاسلام وأهله **وقال ابن**  
**خلكان** كان يعقوب المنصور رحمه الله صافي السمرة جدا الى الطول ما هو بجبل الوجه أفوه  
 أعين شديد الكحل ضخم الاعضاء جهورى الصوت جزل الالفاظ من أصدق الناس لهجة  
 وأحسنهم حديثا وأكثرهم اصابة بالظن مجرب بالامور ولى وزارة أبيه فبحث عن الاحوال بحناشافيا  
 وطالع مقاصد العمال والولاية وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الامور فلما مات أبوه اجتمع  
 رأى أشياخ الموحدين على تقديمه فقام بالامر أحسن قيام ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل  
 وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في أمور الدين والورع وأقام الحدود حتى في أهله  
 وعشيرته الاقربين كما أقامها في سائر الناس أجمعين فاستقامت الاحوال في أيامه وعظمت الفتوحات  
 وكان قد أمر لاول دولته بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات وأرسل بذلك الى سائر بلاد الاسلام  
 التى فى مملكته فاجاب قوم وامتنع آخرون وكان ملكا جوادا عادلا متمسكا بالشرع المطهر يأمر  
 بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغي من غير محاباة ويصلى بالناس الصلوات الخمس ويلبس الصوف  
 ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق **وقال ابن خلكان** وسمعت عنه حكاية يليق أن نذكرها هنا  
 وهى ان الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص كان قد تزوج أخت يعقوب المنصور فقامت عنده  
 ثم جرت بينهما منازعة فغابت الى بيت أخيها يعقوب المنصور فسير الشيخ عبد الواحد فى طلبها فامتعت  
 عليه فشكى الشيخ عبد الواحد ذلك الى قاضى الجماعة براكش وهو أبى عبد الله محمد بن على بن مروان  
 فاجتمع القاضى المذكور بامير المؤمنين يعقوب المنصور وقال له ان الشيخ أبى محمد عبد الواحد يطلب  
 أهله فسكت عنه المنصور ومضت أيام ثم ان الشيخ أبى محمد اجتمع بالقاضى المذكور فى قصر المنصور  
 براكش وقال له أنت قاضى المسلمين وقد طلبت أهلى فما جاؤنى فاجتمع القاضى بالمنصور وقال له يا امير  
 المؤمنين الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهـ هذه الثانية فسكت المنصور ثم بعد ذلك جئته لى الشيخ  
 عبد الواحد القاضى بالقصر المذكور وقال له يا قاضى المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة أنا اطلب  
 أهلى وقد منعونى منهم فاجتمع القاضى بالمنصور وقال له يا مولانا ان الشيخ عبد الواحد قد تسكر وطلبه  
 لاهله فاما ان تسير اليه أهله واما ان تعزاني عن القضاء فسكت المنصور وقيل انه قال له يا أبى عبد الله  
 ما هذا الا جد كبير ثم استدعى خادما وأمره سربان تحمل أهل الشيخ عبد الواحد اليه فحملت اليه فى ذلك  
 اليوم ولم يتغير على القاضى ولا قال له شيئا يكرهه وتبع فى ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد امره وهذه  
 حسنة تعدله والقاضى أيضا فانه بالغ فى اقامة منار الشرع والعدل وكان المنصور يشدد فى الزام الرعية  
 باقامة الصلوات الخمس وقتل فى بعض الاحيان على شرب الخمر وقتل العمال الذين تشكروهم الرعايا  
 وأمر برقوض فروع الفقه واحراق كتب المذاهب وان الفقهاء لا يفتون الا من الكتاب والسنة النبوية  
 ولا يقلدون أحد من الأئمة المجتهدين بل تكون أحكامهم بما يودى اليه اجتهادهم من استنباطهم  
 القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس **وقال ابن خلكان** ولقد أدركنا جماعة من مشايخ  
 المغرب وصلوا الينا وهم على ذلك الطريق مثل أبى الخطاب بن دحية وأخيه أبى عمرو يحيى الدين بن عربى  
 نزيل دمشق وغيرهم وكان يعاقب على ترك الصلوات ويأمر بالنداء فى الاسواق بالمبادرة اليها فن غفل  
 عنها أو اشتغل بمعيشتها عززه تعزير ابلينا وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى انه لم يبق  
 بجمييع اقطار بلاد المغرب من البصر المحيط الى برقة الامن هو فى طاعته وداخل فى ولايته الى غير ذلك  
 من جزيرة الاندلس وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للادباء مصغيا الى المدح مثنيا عليه وله ألف  
 أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى كتابه الذى سماه صفوة الادب وديوان العرب فى مختار الشعر  
 وهو مجموع مليح أحسن فى اختياره كل الاحسان وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن التوقيع واجادته

وقد تقدم لنا ما وقع به على كتاب الفتن وحكى ابن الخطيب في رقم الحل \* ان المنصور طلب يروا من قاضيه ان يختار له رجلين لغرضين من تعليم ولد وضبط امر فعرّفه برجلين قال في أحدهما وهو بحرف في علمه وقال في الآخر وهو برّ في دينه ولما خرج المنصور أحضرهما واختبرهما فقصرا بين يديه وأكذبا الدعوى فوقع المنصور على رقعة القاضي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ظهر الفساد في البر والبحر قال ابن الخطيب وهذا من التوقيع العريق في الاجادة والصنعة وكان مجلس المنصور روجه الله مجلس الفضلاء والادباء وأرباب المعارف والفنون (حكي) أبو الفضل التيفاشي قال جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب يعقوب المنصور وكانت بين الفقيه أبي الوليد بن رشد المعروف بالحفيد والرئيس الوزير أبي بكر بن زهر بضم الزاي وكان الاوّل قرطيباً والثاني اشبيلية قال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حلت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حلت الى اشبيلية وهذا الوزير ابن زهر هو أحد أعيان وزراء الدولة الموحدية ووزر للمنصور ولا ييه من قبله \* وقال ابن خلدان \* كان ابن زهر من أهل بيت كلهم علماء ورساء حكما ووزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم وكان يتكروروا ووده على الحضرة بمراكش فيقيم بها ويرجع الى الاندلس ومما قاله بمراكش يتشوق الى ولده صغير تركه باشبيلية

ولي واحد مثل فرخ القطا \* صغير تخلفت قلمي لديه  
نأت عنه دارى فيا وحشتى \* لذاك التخصيص وذلك الوجيه  
تشوقنى وتشوقته \* فيبكي على وأبكي عليه  
لقد تعب الشوق ما بيننا \* فنه الى ومنى اليه

\* قال العلامة الاديب أبو العباس المقرئ في فتح الطب \* أخبرني الطبيب \* أخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني الاندلسي الاصل القاسمي المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان أبي العباس المنصور بالله السعدي ان ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمها يعقوب المنصور روجه الله أرسل المهندسين الى اشبيلية يعني من غير علم من ابن زهر وأمرهم ان يحيطوا اعلما ببيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم به في أقرب مدّة وفرشها بمثل فرشها وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فراه أشبه شئ بيوته وحارته فاحتار لذلك وظن انه نائم وان ذلك أحلام فقبل له ادخل البيت الذي يشبه بيتك فدخله فاذا اولده الذي يتشوق اليه ياعب في البيت فحصل له من السرور ما لا يريد عليه ولا يعبر عنه \* هكذا هكذا والافلالا \* ومن أطباء المنصور الوزير الطبيب الشهير أبو بكر بن طفيل من أهل وادي آش كان حاذقا بصناعة الطب والجراحات ومن أطبائه أيضا الحفيد بن رشد المتقدم الذكر ومن كتابه الكتاب البارع أبو الحسن عبد الملك بن عياش القرطبي النشأة الياورى الاصل والفقيه البارع أبو الفضل بن طاهر من أهل بجاية ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه ويسامرونه الفقيه الحافظ أبو بكر بن الجرد والفقيه القاضي أبو عبد الله بن الصقر وغيرهم رحم الله الجميع

\* وفاة يعقوب المنصور روجه الله \*

\* قال ابن زرع \* لما رجع المنصور من الاندلس الى مراكش أخذ البيعة لولده أبي عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين الله فبايعه كافة الموحدين وسائر أهل الامصار والاقطار فلما تمت البيعة للناصر المذكور وجلس في محل الخلافة وجرى الاحكام والاوامر باسمه وعلى يديه في حياة أبيه دخل المنصور قصره فلزمه \* وقال ابن خلدان \* لما وصل المنصور الى مراكش يعني بعد قدومه من الاندلس أمر باتخاذ الاحواض والزوايا والاسس فرللتوجه الى بلاد افريقية فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا له

باسدينا قد طالت غيبتنا بالاندلس فثنا من له خمس سنين وغير ذلك فنتعم علينا بالملهة هذا العام وتكون  
 الحركة في أول سنة خمس وتسعين وخمسمائة فأجابهم إلى سؤالهم وانتقل إلى مدينة سلا وشاهد ما فيها  
 من المنتزهات المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على  
 هيئة الاسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحصينه وتحسينه وبناه على البحر المحيط  
 الذي هناك وهو على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي وطاف تلك البلاد وتزده فيها ثم رجع إلى مراکش  
 وقال ابن خلدون كان في وقت بعد هذا اختلفت الروايات في أمره فمن الناس من يقول انه ترك ما كان فيه وتجرد  
 وساح في الارض حتى انتهى إلى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف ومات خاملا ومنهم من يقول انه لما  
 رجع إلى مراکش كما ذكرناه توفي في غرة جمادى الأولى وقيل في ربيع الآخر في سبع عشرة وقيل  
 في غرة صفر ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك إلى حين وفاته وقيل توفي بمدينة سلا وقال ابن خلدون كان  
 ثم حكى لي جمع كثير بدمشق ان بالقرب من المجدل البليدة التي من أعمال البقاع الغريزي قرية يقال لها  
 حارة وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك المغرب وكل أهل تلك النواحي متفقون على  
 ذلك وليس عندهم فيه خلاف وهذا القبر بينه وبين المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب قال  
 وكان أوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليرحم عليه من يمر به وقال المقرئ في نفع الطب في هذه مقالة  
 عاقبة لا يشتمها علماء المغرب وسبب هذه المقالة تواع العامة به فكذبوا في موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا  
 ماشاع إلى الآن وذاع مما ليس له أصل ثم نقل عن الشريف الغرناطي من ذلك فانتظره وقال مؤلفه  
 عفا الله عنه وعندي ان انكار ما حكاه ابن خلدون ليس بجيد وهب ان أهل المغرب قالوا ذلك تولع به فما  
 بال أهل الشرق يتولعون به ويتخذون له الشهيد ثم يتفق كبيرهم وصغيرهم على انه قبر يعقوب ملك المغرب  
 من غير أصل ولا مستند هذا بعيد في العادة بل لا بد أن يكون لذلك أصل والله أعلم بحقيقته ونعم ما ترجمه  
 عامة المغرب في حجة أبي يعقوب التي بقرب مدينة فاس انهم اتسوا به ليعقوب المنصور هذا وانهم رصد لها  
 عفرتين يوقدان عليها إلى الابد وان حرارة ما تم بسبب ذلك الا يقاد وان الشفاء الذي يحصل للمستحسين  
 بها انما هو ببركة يعقوب المنصور وجعلوا له زوجة أو بنتا اسمها شافية اشتقاقا من لفظ الشفاء الحاصل  
 بتلك العين كله باطل وانما حرارة العين الخاصة أو دعها الله في أصلها ومنبعها وكذا الشفاء الحاصل بها  
 انما هو بخاصية في ذلك الماء ولعلها ما فيه من الكبريتية فان ترى أصحاب الجرب يلتطخون بالكبريت  
 المعالج فيشفون وكمن عين على وجه الارض في المشرق والمغرب وبلاد المسلمين ولا كفار على هذه الحالة  
 كما أخبر بذلك غير واحد وقال الجوهرى في الصحاح في الحجة العين الحارة يستشفى بها الاعلاء والمرضى  
 في الحديث في العالم كالحجة اه ومثله في القاموس بل ذكر فيه ان مدينة تغليس وهي قصبة  
 كرجستان عليها سوران قال وجيا ماتت تنبع ماء حارا بغير نار وقد ذكر ابن أبي زرع في القرطاس حجة  
 أبي يعقوب هذه وذكر معها حجتين أخريين فقال وبالقرب أيضا من مدينة فاس على مسيرة أربعة أميال  
 منها حجة عظيمة تعرف بحمة حولان ماؤها في أشد ما يكون من السخونة وبالقرب أيضا منها حجة وشنائة  
 وحجة أبي يعقوب وهي من الحجات المشهورة بالمغرب اه كلامه فقد ذكر أبو يعقوب بلفظ الكنية فهو  
 غير يعقوب المنصور قطعا واهله أبو يعقوب الأشقر الذي ذكره في أحداث المائة السابعة  
 وانرجع إلى الكلام على وفاة المنصور عند علماء المغرب فنقول وقال ابن الخطيب في رقم الحمل  
 توفي يعقوب المنصور رجة الله في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة  
 ودفن بمجلس سكاة من مراکش وكذب العامة بموته ولوعا وتمسك به فادعوا انه ساح في الارض اه  
 وقال ابن أبي زرع لما حضرت المنصور الوفاة قال ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاث  
 وددت اني لم أفعلها (الأولى) ادخال العرب من افريقية إلى المغرب مع اني أعلم انهم أهل فساد (والثانية)

بنا ورباط الفتح أنفقت فيه بيت المال وهو بعد لا يعمر (والثالثة) اطلاق أسارى الارك ولا بد لهم ان يطلبوا بثارهم ﴿وقات﴾ ما ذكره رجه الله في رباط الفتح من انه لا يعمر قد تخلف ظنه فيه فهو اليوم من أمر أمصار المغرب وأحضرها حوسه الله وحرس سائر أمصار المسلمين من آفات النقصان وطوارق الحدثنان ﴿ولنذكر﴾ مما كان في هذه المدة من الاحداث فنقول ﴿وفي سنة أربعين وخمسة مائة﴾ هدم على ابن عيسى بن ميمون وكان من رؤساء البصر في دولة اللتونيين صنم قادم وقادم هذه هي الجزيرة المسماة في لسان العامة اليوم يقالص وكان بها صنم عظيم على صورة رجل ويده مفتاح يقال ان حكاء اليونان اتخذوه طلسماً هناك كان من خاصيته ان يمنع هبوب الريح فيما جاوره من البحر المحيط فكانت السفن لا تجرى هناك على ما قيل فلما نار ابن ميمون المذكور بالجزيرة المذكورة ظن ان تحت الصنم ما لا فهمه فلم يجده شيئاً ﴿وفي السنة المذكورة﴾ توفي أبو علي منصور بن ابراهيم المسطاسي دفن آرمور وكان كبير الشأن من أهل العلم والعمل ومن أشياخ أبي شعيب السارية ﴿وفي سنة أربع وأربعين وخمسة مائة﴾ توفي الامام المهام الحافظ البارع أبو الفضل عياض بن موسى الجعفي ﴿وقال ابن خلكان﴾ توفي بمراكش يوم الجمعة سبع جادى الآخرة وقيل في شهر رمضان من السنة المذكورة ودفن بباب آبلان داخل المدينة وذلك في دولة عبد المؤمن بن علي ﴿وفي سنة تسع وخمسين وخمسة مائة﴾ توفي الشيخ أبو الحسن علي بن اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن حزم ينتهي نسبه الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو من أهل مدينة فاس وبها توفي آخريات شعبان من السنة المذكورة وكان فقيها زاهدا صوفيا قال أبو الحسن المذكور اعترفت على قراءة الاحياء سنة فخرت المسائل التي تنتقد عليه وعزمت على احراق الكتاب فتمت قرأيت قائلاً يقول جردوه واضربوه حد الفرية فضربت عماني سوطا فلما استيقظت جعلت أقرب نظري ووجدت الالم الشديد من ذلك فقتبت الى الله ثم تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة وقد تقدم لنا ما اتفق له مع السلاطان في جنازة أبي الحكيم بن برجان ﴿وفي سنة احدى وستين وخمسة مائة﴾ توفي الشيخ القدوة أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الملقب بسارية من أهل مدينة آرمور وبها توفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الثاني من السنة المذكورة وكان رضى الله عنه شديد المراقبة والورع والخوف من الله تعالى وكان اذا وقف في صلاته يطيل القيام فلذلك لقب بالسارية ونقلت عنه في الورع والخوف حكايات انظر التشوف ﴿وقال مؤلفه عفا الله عنه﴾ كنت زرت ضريح هذا الشيخ سنة ثمانين ومائتين وألف ومدحته بقصيدة ساكت فيها مسالك الادباء من التسيب وغيره وأنشدتها عند ضريحه فرأيت لها بركة والحمد لله فأحببت أن أذكرها هنا وهي هذه

لله يارب أربع ما هيبت من ثجن \* على الفؤاد ومن ضنى على البدن  
وقفت فيك ركبا طالما وقفت \* على القصور على الاطلال والدمن  
أيام فيك حسان ما أشبهها \* بالشمس حسنا ولا في اللين بالغصن  
وفيك أسد من الملوكة عادت \* بقل النضار وصور البيض والحصن  
يحمون منك عراصا كنت أعهد لها \* مأوى السرور فمادت موقف الحزن  
عانت يد الدهر فيهم منذ أزمنة \* كأن بأسهم المحذور لم يكن  
قوم عرفت ندهم قبل معرفتي \* نفسي وفاجأتني في المهدي باليمن  
ومذتر عرفت لم أعاق بغيرهم \* حتى كأنني رضعت الحلب في الدين  
قضيت حق الشباب في منازلهم \* أيام عيش لنا أحلى من الوسن  
من ظن بالدهر خيرا فهو مضجع \* فوده همدنة تبني على دخن  
لا أنتهى منها الا شرفت به \* ولا أحل مكانا ليس بالخشن

ولا أصحاب من هذا الوري بشرا \* الا حصلت على رزق من الاحن  
 حتى توهمت اني جنيت لهم \* حرب البسوس وانني أبو القسطن  
 وما لذي الفضل من ذنب يلام به \* سوى فضيلته في دهره الزمن  
 فعدت قلب عن شكوى أضييق بها \* ذرعا فشكواك لي ضرب من الوهن  
 ولست أحسب هذا الدهر مرعويا \* ولو تعلقت منسه بين ذى وزن  
 حلا لقد علق يدي بمن علق \* أيدى العفاة به في الشام واليمن  
 بأعظم الناس منزلا ومنزلة \* وأسمح الناس كفا بالندى الهتن  
 وأشمخ الناس قدرا في الوري وعلا \* وأحكم الناس للفروض والسنن  
 ذلك الولي الذي كل الانام غدا \* يتلو مناقبه في السر والعلن  
 أبو شعيب الذي من بحره انشعبت \* جداول اليمن في الاحياء والمدن  
 بدر غدا في سماء المجد مكتملا \* به عملا ذكر آزمور في الوطن  
 أرض اذا الضرع المحروم يعمها \* ألقي بها بذل الاهلين والسكن  
 أود من أجل ثاويها حجارتها \* وأجعل التراب لي مسكبا لمن  
 وكيف لا تطبي قلبي منازل من \* به أكون من الاحداث في حن  
 مجلى التياهب مبذول المواهب مة \* فتو المذاهب بالجنيح والقرن  
 بحر الحقيقة والغوث الذي لهجت \* به القبائل في المقام والنظمن  
 ما زال يرقى الذرا من كل صلحة \* حتى اكتسى شهرة النيران في القطن  
 يا خير من أتمه العافي ولا ذبه \* أهل الجسرا ثم والاوزار والمحن  
 اني خدمتك في شعرة عنيت به \* وايس لولا حلالك الزهر بالحسن  
 أشكو اليك سقاما أنت مبرته \* ولست أرجو سواك منه ينعشني  
 وشذا زرى فاني كنت معتقدا \* اذا بلغتك قدت الدهر بالرسن  
 وانظر بفضلك من واقاك معتفيا \* فان نظرت فكل الخير يشماني  
 وأعظم السؤل منك النفس تصلحها \* وطهر القلب مالا مراض والدون  
 وامنحه نورا وتوفيقا ومعرفة \* أرى بها عملي والبر في قرن  
 فخدمت من جدواك بأملتي \* فبخر جودك عذب ليس بالاجن  
 سقى ضريحك غيث ما زال به \* بستان أنسك وهو مورق القطن  
 يجاء أفضل خالق الله كلهم \* محمد ذي المزايا الغر والمهن  
 عليه أزكى صلاة الله ماتيت \* صحف وما نسج القريض ذولسن  
 والآل والعصب والازواج قاطبة \* ومن قفا نهمهم في كل ما زمن

﴿واعلم﴾ ان التعلق بأولياء الله رضى الله عنهم يجب أن يكون مع استحضار ان الله تعالى هو المطلوب على  
 الحقيقة والفاعل للاشياء كلها لا معبود غيره ولا مرجو سواه وانما التمسك بأهل الله لاجل التبرك بهم  
 والاستشفاع بهم الى الله تعالى لانهم أبواب الله والدون عليه نفعنا الله بهم وأفاض علينا من مددهم  
 آمين ﴿وفي سنة تسع وستين وخمسة مائة﴾ توفي الشيخ الفقيه العالم أبو اسحق ابراهيم بن يوسف المعروف  
 بابن قرقر صاحب كتاب مطالع الانوار الذي وضعه على مثال كتاب مشارق الانوار للقاضي عياض  
 كان من الافاضل وصحب جماعة من علماء الاندلس وتوفي بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصر سادس  
 شوال من السنة المذكورة وكان قد صلى الجمعة في الجامع ذلك اليوم فلما حضرته الوفاة تلى سورة

الاحلاص وجعل يكررها بسرعة ثم تشهد ثلاث مرات وسقط على وجهه ساجدا فوقع ميتا رحمه الله  
 في سنة سبعين بعد هاجم توفي الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد الانصاري المعروف  
 بالمتيطي ومتيطه قرية باحوال الجزيرة الخضراء وهو الموثق المشهور ولازم مدينة فاس خاله أبا الحاج  
 المتيطي وبين يديه تعلم عقد الشروط وله كتاب كبير في الوثائق سماه النهاية والتمام في معرفة الوثائق  
 والاحكام ثم انتقل الى سبتة فاستوطنها ولازم مجالس علماء بالمنظرة والتفقه ومهر في كتابة الشروط  
 واشتغل بها حتى لم يكن في وقته أقدر منه عليها وكان له في السجلات اليد الطولى وطبع عليها حتى كاد  
 طبعه لا يواتيه في سواها بل كان طبعه في ذلك أكثر من فقهه ثم ولي القضاء بشريش وأصابه خسر  
 لازمه فعوال سنتين ثم توفي مستهل شعبان من السنة المذكورة في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة  
 توفي وحيد عصره وأعجوبة دهره الولي العارف الشيخ أبو يعزى بلنور بن ميمون قال قوم انه من  
 هزميرة ايرجان وقيل من بني صبيح من هسكورة مات وقد نيف على المائة بنحو الثلاثين سنة ودفن بجبل  
 ايرجان في أوائل شوال من السنة المذكورة كان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه يقول رأيت أخبار  
 الصالحين من زمن أويس القرنى الى زماننا هذا فأرأيت أعجب من أخبار أبي يعزى قال وتظرت  
 في كتب التصوف فأرأيت مثل الاحياء للغزالي وكان لباس الشيخ أبي يعزى برنسا أسود مر قوعا الى  
 أسفل من ركبتيه وجبة من تليس مطرف وشاشية من عزف وكان يتعش من نبات الارض ولا يشارك  
 الناس في معاشهم وكان طويلا رقيقا أسود اللون وكان اذا جنه الليل دخل غيضة كثيرة السباع يتعبد  
 فيها فاذا قرب القبر أعلم أصحابه وأحواله رضي الله عنه وكراماته كثيرة في سنة ثلاث وسبعين  
 بعد هاجم توفي الشيخ العارف أبو الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي دفين قصر كتامة نشأ بشلب من  
 بلاد الاندلس وقرأ بقرطبة واستقر آخر بقصر كتامة وبه توفي في السنة المذكورة وقيل ان وفاته كانت  
 سنة ثمان وستين قبل هذا التاريخ والله أعلم وكان رضي الله عنه متمكنا في علوم القوم وكان الاولياء  
 يحضرون مجلسه وهو من تلامذة أبي العباس بن العريف المتقدم الذكر في سنة ثمانين وخمسمائة  
 توفي الشيخ أبو عبد الله التاودي المعلم من أهل مدينة فاس ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى وكان يعلم الصبيان  
 فيأخذ الاجر من اولاد الاغنياء فيرده على اولاد الفقراء ومات بفاس في السنة المذكورة وهذه النسبة  
 الى بني تاودي وهي قبيلة بقرب فاس في سنة احدى وثمانين بعد هاجم توفي الامام المشهور أبو يزيد  
 عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن أحمد السهيلي الخنعي صاحب كتاب الروض الاتف وغيره  
 من التأليف الحسان وصاحب الايات المشهورة في الدعاء وهي

يا من يرى ما في الضمير ويسمع \* أنت المعد لكل ما يتوقع  
 يا من يرجي للشدائد كلها \* يا من اليه المشتكى والمفرج  
 يا من خزائن رزقه في قول كن \* آمن فان الخير عندك أجمع  
 مالي سوى فقري اليك وسيلة \* فبالافتقار اليك فقري أدفع  
 مالي سوى قرعي لبابك حيلة \* فلتن وددت فأى باب أقرع  
 ومن الذي أدعوا وأهتف باسمه \* ان كان فضلك عن فقيرك يمنع  
 حاشي لمجدك أن تقنط عاصيا \* الفضل أجزل والمواهب أوسع

كان يبلده سهيل وهي قرية بالقرب من مالقة يتسوق بالعناق ويتباغ بالكفاف حتى غي خبره  
 الى السلطان عمرا كس فطلبه اليها وأحسن اليه وأقبل بوجهه غاية الاقبال عليه فأقام بها نحو ثلاث  
 سنين ثم توفي بها يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ودفن وقت الظهر  
 خارج باب الرب أحد أبواب مراكش وكان رحمه الله ضري انفعنا الله تعالى به في سنة تسعين

ونجمائة توفى ولي الله تعالى أبو محمد عبد الحلیم بن عبد الله المراسی المعروف بالغمام من صلحاء سلا  
 كان رحمه الله عبدا صالحا يدور على المكاتب ويستوهب الدعاء من الصبيان ويبيكي على نفسه وله كرامات  
 وتوفى ببلده المذكور وقبره معروف ملاصق للمسجد الاعظم قرب بابه الكبير من جهة القبلة توفى  
 سنة ثلاث وتسعين ونجمائة توفى الشيخ أبو يعقوب يوسف بن علي المبتلي المهدود في سبعة رجال من  
 صلحاء مرآ كش كان رضى الله عنه كبير الشأن فاضلا صابرا راضيا على ربه فيما ابتلاه به من داء الجذام  
 سقط بعض جسده ذات يوم فصنع طعاما كثيرا لافقرائه شكرا لله تعالى على ذلك وكان يسكن بحارة الجذى  
 العتيقة قبلي مرآ كش وبها مات في شهر رجب من السنة المذكورة ودفن خارج باب انعمات عند رابطة  
 الغار واحتفل الناس لجنائزه رضى الله عنه توفى سنة أربع وتسعين بعد هاجم توفى الشيخ العارف بالله  
 تعالى أبو مدين شعيب بن الحسن الانصارى الولى الكبير المشهور أصله من حصن قطنيانة من عمل  
 اشيلية ثم انتقل الى العدو فآخذ عن الشيخ أبي الحسن بن حزم وعن الشيخ أبي يعزى وبه انتفع وعليه  
 تخرج وكان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه من العارفين الراسخين قد خاض من الاحوال بحارا ومن  
 العارف أسراراً وجال في حدائة سنه في بلاد المغرب من سنة ومرا كش وفاس ولازم بفاس الشيخ  
 ابن حزم كما قلنا ثم سمع بخبر الشيخ أبي يعزى فقصده وأخذ عنه وظهرت عليه برهته **يقال** الشيخ  
 أبو مدين لما قدمت فاسا لقيت بها الاشياخ فسمعت وعاية المحاسبي على أبي الحسن بن حزم وكتاب  
 السنن للترمذى على أبي الحسن بن غالب وأخذت طريقة التصوف على أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن  
 السلاوى قال وكنت أزور الشيخ أبي يعزى مرارا فقال لى جماعة من الفقهاء المجاورين لابي يعزى قد  
 ثبتت عندنا ولاية أبي يعزى ولكننا نشاهده يلبس بطون النساء وصدورهن ويتفل عليهن فيبرأن ونحن  
 نرى ان لمسهن حرام فان تكلمنا فى هذا هلكتا وان سكتنا حونا فقلت لهم أرايتم لو ان ابنة أحدكم أو اخته  
 أصابها داء لا يطلع عليه الا الزوج ولم يوجد من يعاينه الا طبيب يهودى أو نصرانى ألستم تميزون ذلك  
 مع ان دواءه مظنون ودواء أبي يعزى أنتم على يقين منه فبلغ كلامى أبا يعزى فاستحسنه **يقال** محمد بن  
 ابراهيم الانصارى تخرج الشيخ أبو مدين ألف تلميذ وجاءه رجل لم يعترض عليه ففاس فى الحلقة فقال له  
 أبو مدين لم جئت قال لا تقبىس من نورك فقال له ما الذى فى كك فقال له محصف فقال له افتحه واقرا أول  
 سه طر يخرج لك ففعل فخرج له قوله تعالى الذين كذبوا شهيبيا كانوا هم الخاسرين فقال له أبو مدين  
 أما يكفيك هذا فاعترف الرجل وتاب وكراماته رضى الله عنه كثيرة وكان استوطن فى آخر عمره  
 بجاية وكثر عليه الناس وظهرت على يده كرامات فوشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور  
 وقال له اننا نخاف منه على دواتكم فان له شها بالامام المهدي وأتباعه كثيرون بكل بلد فوقع منه ذلك  
 فكتب لصاحب بجاية يبعثه اليه وأوصاه بالاعتناء به وان يحمله اليه خير تحمل ففعل ولما كان الشيخ  
 أبو مدين رضى الله عنه بالطريق مرض مرض موته فلما وصل وادى يسر قرب تلمسان اشتد به مرضه  
 فنزلوا به هنالك فكان آخر كلامه الله الحق فتوفى ودفن برابطة العباد قرب تلمسان وسمع أهل تلمسان  
 بجنائزه فحضروها وكانت من المشاهد العظيمة توفى سنة خمس وتسعين ونجمائة توفى الشيخ الفقيه  
 الصالح أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المهدي صاحب كتاب الهداية أقام نحو أربعين سنة لم تفته صلاة  
 فى جماعة الا يوما واحدا لعدو عاقه عن ذلك دخل مدينة فاس ومعه نحو من أربعين ألفا من المال  
 فما زال ينفقها فى سبيل الخير حتى لم يبق له الا دوا وسكاه فباعها من بعض أهل فاس وأمره المشتري لها  
 فلما خرجت منها جنازته حازها المشتري المذكور وكانت وفاته يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى  
 الاولى من السنة المذكورة (واعلم) اننا قد قدمنا ان الشيخ أبا مدين كان تلميذ الشيخ أبي يعزى وكان الشيخ  
 أبو يعزى تلميذ الشيخ أبي شعيب السارية وكان الشيخ أبو شعيب تلميذ الشيخ أبي ينور الدكالى نفعنا الله



بجميعهم وأفاض علينا من مددهم آمين ولترجع الى أخبار الدولة الموحدية فنقول

✽ الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله ✽

بويج لابي عبد الله محمد الناصر لدين الله في حياة والده يعقوب المنصور ثم جددت له البيعة بعد وفاته وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة وهو اليوم الذي توفي فيه أبوه فأقام بمراكش بقية ربيع الأول وجميع الثاني ثم نهض في فاتح جمادى الأولى الى فاس فأقام بها بقية السنة المذكورة ثم غزا جبال غمارة من أجل علودان الغماري الناثر بها ففتحها ثم رجع الى فاس فأتم بناء سورها الذي كان نرى به عبد المؤمن وبنى قصبتها ورتب أمورها وأقام بها الى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة فعاد الى مراكش وأقام بها الى ان كان ما ذكره

✽ غزواته وبلاده إفريقية وولاية الشيخ أبي محمد بن أبي حفص عليها والسبب في ذلك ✽

لما هلك المنصور رحمه الله قوى أمر يحيى بن اسحق المسوقى المعروف بابن غانية بإفريقية واستولى على أعمال قراقوش الغزى صاحب طرابلس وعلى المهديّة وتغلب على بلاد الجريد ثم نازل تونس سنة تسع وتسعين وخمسمائة واقتحمها عنوة لأربعة أشهر من حصارها في ختام المائة السادسة وقبض على السيد أبي زيد وابنه ومن كان معه من الموحدين وطالب أهل تونس بالنفقة التي أنفق وبسط عليهم العذاب حتى هلك في الامتحان كثير من بيوتاتهم ثم دخل في دعوته أهل القيروان وغيرها من البلاد وانتظمت له أعمال إفريقية وفرق العمال وخطب الخليفة العباسي واتصل بالناصر وهو بمراكش هذا كله فامتعض لذلك وشاور الموحدين في أمر إفريقية فأشاروا عليه بمسألة ابن غانية وأشار الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص بالنهوض اليها والمدافعة عنها فعمل على رأيه ونهض اليها سنة ستمائة وبعث الاسطول في البحر لنظر يحيى بن أبي زكريا الهزرجي واتصل بذلك بابن غانية فبعث ذخائره وجرمه الى المهديّة مع علي بن الغاني من قرابته وولاه عليها ولما قرب الناصر من إفريقية خرج ابن غانية من تونس الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهائن على المظاهرة والدفاع وسار الى حامة مطماطة ثم الى جبل بني دمر فحصن به ووصل الناصر الى تونس ثم سار في اتباع ابن غانية الى قفصة ثم الى قابس ثم عاد الى المهديّة فمسكروا عليها واتخذوا لآلة الحصارها وسرح الشيخ أبا محمد عبد الواحد لقتال ابن غانية في أربعة آلاف من الموحدين سنة اثنتين وستمائة فلقبه بجبل تاجورة من نواحي قابس وأوقع به وقتل أخاه جبارة بن اسحق واستنقذ السيد أبا زيد من معتقله وأما الناصر فإنه استمر محاصرا للمهديّة وبها يومئذ علي بن الغاني وكان يدعى بالحاج وكان شهما محر بافامتنع على الناصر وأبدي من مكائد الحرب وخذعه ما يقصر عنه الوصف وأشجى الموحدين وبالغ في نيكائهم فكانوا يسمونه الحاج الكافر ثم نزل على الامان وأحسن اليه الناصر احسانا تاما وسماه بالحاج الكافي بالياء بدل الراء لما رأى من مراعاته لصاحبه وحسن عهده معه واستشهد الحاج الكافي في وقعة العقاب الآتية وكان فتح المهديّة في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ثنتين وستمائة وولى الناصر عليها محمد بن يعقوب المرغني وارث محل عنها في عشرين من جمادى الثانية فدخل تونس غرة رجب وأقام بها بقية السنة وأكثر التي بعدها ولما كان رمضان من سنة ثلاث وستمائة أشاع الناصر الحركة الى المغرب واستخلف على إفريقية ثقتة ووزيره الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص المنتساق جد الملوكة الحفصيين بعد مراجعة وامتناع ✽ قال ابن خلدون ✽ امتنع الشيخ أبو محمد الى ان بعث اليه الناصر في ذلك بايته يوسف فاكبر بحيته وأذعن ويقال ان الناصر قال له يا أبا محمد أنت تعلم ما تجشمناه من المشاق والصوائر في استنقاذ هذا القطر ولا آمن عليه من عدو متوثب ولا يقوم بحمايته الا أنا وأنت فامض الى حفظ

عمالكا المغربية وأقيم أنا وأقم أنت وأرجع أنا فقتنه الحياء حيثنذوا ذعن للقامة واشترط شروطه المعروفة، هي ان يقيم ثلاث سنين ريثما ترتب الاحوال ثم يعود الى وطنه وأن يحكمه الناصر فيمن يجسه معه من الجند ويرضاه من أهل الكفاية وأن لا يتعقب أمره في ولاية ولا عزل فقبل الناصر شروطه ولما عزم الناصر على النهوض الى المغرب خرج اليه أهل تونس رافعي أصواتهم بين يديه اشفا قام من عود ابن غانية اليهم فاستدعى وجوههم وكلهم بنفسه وقال ان انا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم وآثرناكم به على شدة حاجتنا اليه وهو فلان قباشر الناس بولايته وشيخ الناصر الى باجة ورجع واليا على جميع بلاد افريقية واستقل بامرها ونهيتها \* فن هنا ورثت الملوك الحفصيون سلطنة تونس وافرريقية وقفصل الناصر الى المغرب فدخل مراکش في ربيع سنة أربع وستمائة ولما استقر بالحضرة وفدت عليه الوفود وهنأته الشعراء بالفتح فكان من ذلك ما أنشده ابن مريح السكحل وهو قوله

ولما تولى الفتح من كل وجهة \* ولم تبلغ الا وهام في الوصف حده  
تركنا أمير المؤمنين لشكره \* بما أودع السر الالهى عنده  
فلائمة الا تؤدي حقوقها \* علامته بالهدى وحده

فاستحسن الكتاب منه ذلك ووقع أحسن موقع وأشار بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت ان يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده وقد تقدم ذلك والله أعلم

### فتح جزيرة ميورقة

كانت جزيرة ميورقة لبني غانية المسوفيين من عهد علي بن يوسف بن تاشفين اللتوفي وكان يعقوب المنصور قد بنت اليها اسطوله مرارا قامتت عليه ولما ولي ابنه الناصر وغزا افريقية وجه اليها من ثغر الجزائر اسطولا مع عمه السيد أبي العلاء والشخ أبي سعيد بن أبي حفص قناز لوها ثم اقتحموها عنوة وقتلوا صاحبها عبد الله بن اسحق المسوفي وانصرف السيد الى مراکش بعد ان ولي عليها عبد الله ابن طاع الله الكومي ووفد أهلها على الناصر فكرم وفادتهم وولى القضاء عليهم الفقيه الجليل المحتث أبو محمد عبد الله بن سليمان الانصاري المعروف بابن حوط الله ذكره ابن الخطيب في الاحاطة فقال كان مشهورا بالعدل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب في مجالس الامراء والمحافل الجمهورية مقدما في ذلك ذابلاعة وفصاحة الى أبعده مضمرا ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلاوم ميورقة فتطاهر بالعدل وعرف بما أبطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبيا لاهل البدع والاهواء ابرع الخط حسن التقييد الى غير ذلك ثم ولي الناصر على ميورقة عمه السيد أبا زيد وجعل ابن طاع الله على قيادة البحر وبعد السيد أبي زيد وياها السيد أبو عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن ثم أبو يحيى بن علي بن أبي عمران التينمالي ومن يده أخذها النصارى سنة سبع وعشرين وستمائة وكان الحادث بها عظيما

### ثورة ابن الفرس وما كان من أمره

كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالاندلس ويعرف بالمهر وحضر مجلس يعقوب المنصور في بعض الايام وتكلم بما خشي عاقبته في عهده فخرج من المجلس واختفى مدة ثم بعد مهلك المنصور ظهر في بلاد جزولة وانتحل الامامة وادعى انه القحطاني المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصا يلاها عدلا كما مثلت جور الحديث وكان مما نسب اليه من الشعر قوله

قولا لابتاء عبد المؤمن بن علي \* تأهبوا لوقوع الحادث الجلل

قد جاء سيد قحطان وعالمها \* ومنتهى القول والغلاب للدول  
والناس طوع وعصاه وهو سائقهم \* بالامر والنهي بحر العلم والعمل  
وبادروا أمره فآله ناصره \* والله خادع أهل الزينج والميل

فبعث الناصر إليه الجيوش فهزموه وقتل وسبق رأسه إلى مراكش فنصب بها وسكنت الفتنة وقد ثار  
أيضا في سنة ست مائة رجل من آل البيت من العبيد بين واسمه محمد بن عبد الله بن العاضد وهذا العاضد  
هو آخر خلفاء الشيعة بمصر فثار حاقده محمد بن عبد الله المذكور بجياله ورغبة من أحوار فاس فظفر به  
وقتل وعلق رأسه بباب الثريفة أحد أبواب فاس وأحرق جسده في وسط الباب المذكور وكان ذلك  
في اليوم الذي كمل فيه بناء سور فاس وبناء الباب المذكور وركبت مصارعه فسمى الباب باب المحروق  
بعد أن كان يسمى باب الثريفة ثم في سنة عشر وست مائة ثار ولده هذا المحروق بجياله فمارة وادعى أنه  
الفاطمي وتابعه خلق كثير من أهل الجبل والبادية فبعث إليه الناصر جيشا فظفر به وقتل وفي سنة  
احدى وست مائة بنى عامل الريف من قبيل الناصر واسمه يعيش سور ببادس ومدينة ومليلة حياطة  
وتحصنها من فجأة العدو وفي سنة أربع وست مائة أمر الناصر بتجديد سور مدينة وجدة واصلاحها فشرع  
في ذلك في فاتح رجب من السنة المذكورة وفيها أيضا أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بآزاء جامع  
الاندلس بفاس فبنيت وجلب إليها الماء من العين التي خارج باب الحديد وأمر ببناء الباب الكبير  
الدرج الذي يحصن الجامع المذكور وأنفق في ذلك كله من بيت المال وفيها أيضا أمر ببناء مصلى  
القرويين وأمر أن لا يصلى بالاندلس والقرويين معا كما كانوا أو لا بعد أن شهد أنها قديمة وفي شوال من السنة  
المذكورة نهض الناصر من فاس إلى مراكش فأقام بها إلى أن كان ما ذكره

السبب في تسمية باب  
المحروق

بغزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين

ثم اتصلت الاخبار بالناصر وهو بمراكش أن الفتن اعنه الله قد استطال على تغور المسلمين بالاندلس  
وأنه يغير على قراها وينهب الاموال ويسبي النساء والذرية فأهمه ذلك وأقلقه وكتب إلى الشيخ أبي محمد  
عبد الواحد بن أبي حفص صاحب افرقية يستشير في الغزوة فأبى عليه فخالفه وأخذ في الحركة للجهاد  
وكان الناصر مجبرا برأيه مستتبدا بأموره ففرق الاموال على القواد والاجناد وكتب إلى جميع بلاد  
افريقية والمغرب وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكفار فأجاب به خلق كثير وألزم كل قبيلة من قبائل  
العرب بحصة من الخيل والرجل تخرج للجهاد فقدمت عليه الجيوش من سائر الاقطار وتسارع الناس  
إليه خفا فاثقوا من البوادي والامصار فلما تكاملت لديه الحشود وتوافقت بحضرته الجنود خرج  
من مراكش في تاسع عشر شعبان سنة سبع وست مائة فأنهى إلى قصر المجرار فأقام به وشرع في اجازة  
الجيوش من أوائل شوال إلى أوخر ذي القعدة من السنة المذكورة ثم عبر في آخرهم واحتل بطريف يوم  
الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة المذكور فقتلناه هنالك قواد الاندلس وفتحها وهاور وساورها  
وأقام بطريف ثلاثا ثم نهض إلى اشبيلية في أم لا تحصى وجيوش لا تستقصى قدملات السهل والوعر  
فحكى بعض النقات من مؤرخي المغرب \* انه اجتمع مع الناصر في هذه الغزوة من أهل المغرب  
والاندلس ستمائة ألف مقاتل وكان الناصر رجه الله قد أعجبه ما رأى من كثرة جنوده وأيقن بالظفر  
قسم الناس على خمس فرق فجعل العرب فرقة وزناته وصنهاجة والمصامدة وغمارة وسائر اصناف قبائل  
المغرب فرقة وجعل المتطوعة فرقة وجعل جند الاندلس فرقة والموحدين فرقة وأمر كل فرقة ان تنزل  
ناحية واهتزت جميع بلاد الفرنج بطوازه وتمكن رعبه من قلوبهم فأخذوا في تحصين بلادهم واخلاء  
ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم وكتب إليه أكثر أمرائهم يسألونه السلم ويطلبون منه العفو

ووقد عليه منهم ملك ينيانوة مستسما خاضا مطالب الصلح فيقال انه قدم بين يديه كتاب النبي صلى الله عليه  
 وسلم الذي كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع به وقد كان هذا الكتاب وقع اليه وراثة من بعض سلفه  
 فاحتفل الناصر لقدمه وصف له الجيوش من باب مدينة قروم ونية الى باب اشبيلية أربعين ميلا ثم عقده  
 الصلح ما دامت دولة الموحدين وصرفه الى بلاده مكرما مسعفا بجميع مطالبه وعند ابن خلدون  
 ان الذي وقده على الناصر في هذه الغزوة هو اليبوج أحد الملوك الثلاثة الذين شهدوا وقعة الارك قال  
 وهو الذي مكر بالناصر يوم العقاب قدم عليه وأظهر له التنصح وبذل له أموالا ثم غدر به وجر عليه  
 الهزيمة والله أعلم ثم خرج الناصر من اشبيلية غازيا بلاد قشتالة في أوائل صفر سنة ثمان وستمائة فسار  
 حتى نزل حصن سلبطرة وهو حصن منيع وضع على قنة جبل وقد تعلق باكتاف الصحاب ليس له مسلك  
 الا من طريق واحد في مضائق وأوعار فنزل عليه الناصر وأدار به الجيوش ونصب عليه أربعين متجنيقا  
 فهتك ارباضه ولم يقدر منه على شيء قالوا وكان وزيره أبو سعيد بن جامع قد تمكن من الناصر فاقصى شيوخ  
 الموحدين وأعيانهم وذوى الخنكة والرأي منهم عن بساطه وانفرد هو به فكان يشير على الناصر في  
 غزوته هذه بأراء كانت سبب الضعف والوهن وجلبت الكفرة على المسلمين من ذلك ان الناصر لما أعياه  
 أمر الحصن عزم على النهوض عنه الى غيره فأشاور عليه ابن جامع بان لا يتجاوزه حتى يفتحه فيقال انه أقام  
 على ذلك الحصن ثمانية أشهر فنيبت فيها أزواد الناس وقتل عوفااتهم ونفدت نفقاتهم وكلت عزائمهم  
 وفسدت نباتهم وانقطعت الامداد عن المحلة فغلت بها الاسعار ودخل فصل الشتاء فاشتد البرد وأصاب  
 المسلمين كل ضرر ويقال انه من طول مقام الناصر على ذلك الحصن عشنس خطاف في جانب خباته  
 وباض وأفرخ وطارت فراخه وهو مقيم على حاله واتصل بالفنش لعنه الله ما آل اليه أمر المسلمين من  
 الضجر وقلة المادة وتشوش البواطن واختلاف الرأي فأغتم الفرصة وبعث الحاشرين في مدائنه  
 ودعا كل من قدور على حمل السلاح من رعيته فاجتمع له من ذلك ما احصره ثم خالف الناصر الى قلعة  
 رباح فناز لها يوم ايوما ثم ذابوا الجحاج يوسف بن قادم من قواد الاندلس وزعمائها كان قد ترتب في ذلك  
 الحصن في جماعة من الخيل لحمايته وضبطه فحاصره الفنش وبالغ في التضيق عليه فكان ابن قادم  
 يكتب لامير المؤمنين الناصر يعلمه بحاله ويستمدّه على عدوه وهو على حصن سلبطرة فكان الوزير ابن  
 جامع اذا وصلت اليه كتب ابن قادم أخفاها عن الناصر لئلا يرحل عن الحصن قبل فتحه فلما طال  
 الحصار على ابن قادم وفي ما عنده من الاقوات والسلاح ويشس من امداد الناصر اياه ونحشى على من  
 في الحصن من النساء والذرية صالح الفنش على تسليم الحصن له وخروج المسلمين آمنين على أنفسهم ففعل  
 واستولى الفنش على قلعة رباح وسار ابن قادم الى الناصر ليجمع به ويعلمه بالامر على وجهه وسار معه  
 صهره بعد ان عزم ابن قادم عليه أن يرجع فأبى وقال ان قتلت قتلت معك ولما وصل الى الوزير ابن جامع  
 أمر بحبسه وحبس صهره معه ثم دخل على الناصر فقال له ان ابن قادم قد دفع الحصن الى العدو ثم قدم  
 عليك وأراد الدخول عليك وكان الناصر قد تغير باطنه على أهل الاندلس واتهمهم بكتمان أمر العدو  
 عنه حين كان بجرا كس فلما قدم ابن قادم في هذه المرة وقال له ابن جامع ما قال أمر بقتله فقتل هو  
 وصهره قصصا بالرمح رجما الله فخذت جيوش الاندلس على ابن جامع وفسدت نباتهم على الناصر  
 وأحسن ابن جامع بذلك فأمر باحضار قوادهم فحضروا بين يديه فقال اعزلوا جيش الموحدين فلا حاجة  
 لنا بكم كما قال الله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وستنظر بعد هذا في أمر كل فاجر ولما علم الناصر  
 بحال الفنش وما هو عليه من القوة وكثرة الجوع واستيلائه على قلعة رباح التي هي أمنع ثغور المسلمين  
 شق ذلك عليه وامتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة الوجع ثم شد في قتال سلبطرة وبذل  
 الاموال الجائلة حتى فتحها صلحا وذلك في أوخر ذى الحجة من سنة ثمان وستمائة ثم زحف الفنش الى

الناصر ونهض الناصر اليه فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان فضرب المصاق وضرب للناصر  
 قبته الجراء المعذة للقتال على رأس ربوة وقعد أمامها على درفته وفرسه قائم بإزائه ودارت العبيد بالقبة  
 من كل ناحية ومعهم السلاح التام ووقفت الساقات والبنود والطبول أمام العبيد مع الوزير ابن جامع  
 وأقبلت جوع الفرخ على مصافها كأنها الجراد المنتشر فتقدمت اليهم المتطوعة وجاوا عليهم أجمعون  
 وكانوا مائة وستين ألفا فغابوا في صفوفهم وانطبقت عليهم جوع الفرخ فاقتتلا وقتالا شديدا فاستشهد  
 المتطوعة عن آخرهم هذا وعساكر الموحدين والعرب والاندلس ينظرون اليهم لم يتحرك اليهم منهم  
 أحد وما فرغ الفرخ من المتطوعة جاوا بجمعهم على عساكر الموحدين والعرب حملة منكرة فلما انتشب  
 القتال بين الفريقين قرت قواد الاندلس وجيوشها لما كانوا قد حقدوه على ابن جامع في قتل ابن قادن  
 أولا وتمديدهم وطردهم ثانيا فجزوا الهزيمة على المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله وتبعهم قبائل البربر  
 والموحدون والعرب وركبتهم الفرخ بالسيف وكشفوهم عن الناصر حتى انتهوا الى الدائرة التي دارت  
 عليه من العبيد والحشم فالقوها كالبنيان المرصوص لم يقدر وامنأ على شيء ودفع الفرخ بجيولهم المدرعة  
 على رماح العبيد وهي مشرعة اليهم فدخلوا فيها والناصر قاعد على درفته أمام خيائه يقول صدق  
 الرحمن وكذب الشيطان حتى كادت الفرخ تصل اليه وحتى قتل حوله من عبيد الدائرة نحو عشرة آلاف  
 ثم أقبل اليه بعض فرسان العرب على فرس له أتى فقال له الى متى قعودك يا أمير المؤمنين وقد نفذ  
 حكم الله وتم أمره وفي المسلمون فعند ذلك قام الناصر الى جواده سابق كان أمامه فأراد أن يركبه فترجل  
 العربي عن فرسه وقال له اركب هذه الحرة فانها لا ترضى بعارق لعل الله ينحيك عليها فان في الامتك الخير  
 كله فركبها الناصر وركب العربي جواده وتقدم أمامه في كدبة عظيمة من العبيد محيطتهم والفرخ  
 في أعقابهم تقتلهم ونادى منادى الفئس يومئذ الا لأسر الا القتل ومن أتى بأسه يرقطل هو وأسيره  
 فحكمت سيوف الفرخ في المسلمين الى الليل وكانت هذه الزية العظيمة يوم الاثنين خامس عشر  
 صفر سنة تسع وسمائة فذهبت قوة المسلمين بالمغرب والاندلس من يومئذ ولم تنصر لهم بعدها راية مع  
 الفرخ الى ان تدارك الله رمق الاندلس بالسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني رحمه الله  
 كما سنقص خبر ذلك مستوفي عند الوصول اليه ان شاء الله **وقال ابن الخطيب** لما لحق الناصر باشبيلية  
 حل السيف على طائفة كبيرة ممن توجهت اليهم الظنة **وقال ابن خلدون** ثم رجعت الفرخ الى  
 الاندلس بعد الكائنة للاغارة على بلاد المسلمين فلقبهم السيد أبو زكريا بن أبي حفص بن عبد المؤمن  
 قريبا من اشبيلية فهزمهم وانتعش المسلمون بها واتصلت الحال على ذلك

### وفاة الناصر رحمه الله

**وقال ابن زرع** لما قدم الناصر الى مراکش منصرفا من وقعة العقاب أخذ البيعة لولده يوسف  
 الملقب بالمنتصر فبايعه كافة الموحدين وخطب له على جميع منابر المغرب والاندلس في العشر الاواخر من  
 ذي الحجة سنة تسع وسمائة ولما تمت له البيعة دخل الناصر قصره واحتجب فيه عن الناس وانغمس  
 في لذاته مصطصا ومعتبعا الى شعبان من سنة عشر وسمائة فمات مسموما بتدبير وزيرائه عليه في ذلك  
 قال وكانت وفاته يوم الاربعاء الحادي عشر من شعبان المذكور **وقال ابن خلدون** تقول المغاربة  
 ان الناصر رحمه الله كان قد أوصى الى عبيده المشتغلين بحراسة بيستانه بمراكش ان كل من ظهر لهم  
 بالليل فهو مباح الدم لهم ثم أراد أن يختبر قدر أمره عندهم فتكروا وجعل يعيش في البيستان ليلا فعند  
 ما رآوه جعلوا يرمونهم فجعل يقول أنا الخليفة أنا الخليفة فما تحققوه حتى فرغوا منه والله أعلم  
 بحصة ذلك **وقلت** الصحيح في وفاة الناصر ما ذكره الوزير ابن الخطيب في رقم الحلل قال ثم صرف  
 الناصر وجهه الى غزو الاندلس في عزم لم يبلغ اليه ملك قبله ولما احتل رباط القمع من سلا نزل به

الموت فتوفي ليلة الثلاثاء عاشر شعبان سنة عشر وستمائة فأنحل العزم وتفرقت الجموع والبقاء لله وحده

والخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر بالله ابن الناصر بن المنصور ورحمه الله

لما هلك محمد الناصر لدين الله بويع ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور وهو ابن ست عشرة سنة واقب بالمنتصر بالله وغلب عليه الوزير أبو سعيد بن جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بأمره واستبدوا عليه وتأخرت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص من إفريقية لصغر سن المنتصر ثم وقعت المحاولة من الوزير ابن جامع وصاحب الأشغال عبد العزيز بن أبي زيد فوصلت بيعة حينئذ واشتغل المنتصر عن تدبير الأمور والجهاد بما يقتضيه الشباب وعقد للسادات على عمالات ملكه فعقد السيد أبي إبراهيم اسحق بن يوسف بن عبد المؤمن ويلقب بالظاهر على فاس وأعمالها وهو أخو المنصور والد عمر المرتضى الآتي ذكره وعقد لعنه السيد أبي اسحق بن المنصور على أشيلية وما أضيف إليها ولعمه أبي عبد الله محمد بن المنصور على بالنسية وشاطبة وأعمالها ولعمه أبي محمد عبد الله بن المنصور على مرسية ودانية وأعمالها وبعث معه الشيخ أبازيد بن ريجان وكان من أشياخ الموحدين ودعاتهم وفي دولة المنتصر هذا قتل أمر الموحدين وذهب ريحهم وأشرفت دولتهم على الهرم واستولى الفتن على المعامل التي أخذها المسلمون وهزم حامية الأندلس في كل جهة واستبدت السادة بالاطراف والتأنت الأمور بالأندلس والمغرب أجمع أما الأندلس فبتكالب العدو عليها وفتن أقطانها وأما المغرب فبخلد كثير من قراء وأمهارة من وقعة العقاب ثم ظهرت بنومرين بجهة فاس سنة ثلاث عشرة وستمائة وكانوا موطنين بعصراء فيجيج وما والاها فاقصموا المغرب في هذه السنين لخلافة من الحامية واكتسبوا بساططه بالغارات وانحازت رعاياه إلى المعامل والحصون وكثرت الشكايات بهم إلى المنتصر وهو مقيم بمراكش فكتب إلى السيد أبي إبراهيم صاحب فاس يأمره بقز وهم نخرج إليهم وهم بلاد الريف فأوقعوا به وقعة شنعاء كانت باكورة فتحهم وعاد السيد منقولا إلى فاس وأصحابه عراة بين يديه يخسفون عليهم من ورق النيات المعروف بالمشعلة فسميت السنة المشعلة وكانوا قد أسروا السيد أبي إبراهيم ثم عرفوه فأطلقوه ثم صمدت بنومرين بعد ذلك إلى تازا فلوأحامية ثم عظمت شوكتهم بالمغرب على ما ذكره بعد ان شاء الله (وفي سنة أربع عشرة وستمائة) هزم المسلمون بقصر أبي دانس من الأندلس وهي من الهزائم البكار التي تقرب من هزيمة العقاب لأن العدو كان قد نزل قصر أبي دانس وحاصره فخرج إليه جيش أشيلية وجيش قرطبة وجيش جيان وحشود بلاد غرب الأندلس لاستنقاذ قصر أبي دانس وكان ذلك بأمر المنتصر فساروا يؤتمون العدو فلم تقع عينهم على عينه الا وقد خامر قلوب المسلمين الرعب وولوا الأديار لما كان قد رسخ في نفوسهم من بأسه يوم العقاب فتكالب العدو بعد ذلك على المسلمين وتمرس بهم وهان عليه أمرهم وخشعت نفوسهم له ولما فر وامن في هذه الحرجة ركبهم بالسيف وقتلهم عن آخرهم ورجع الفتن إلى قصر أبي دانس فحاصره حتى اقتحمه عنوة وقتل جميع من به من المسلمين وفي سنة ثمان عشرة وستمائة توفي صاحب إفريقية الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص فبايع الموحدون بإفريقية ابنه أبازيد عبد الرحمن فقام بالأمر وأطفأ النائرة وأفاض العطاء ومهد النواحي ورتب الأمور حتى ورد كتاب المنتصر من مراكش لثلاثة أشهر من ولايته بتأخيره وتولية السيد أبي العلاء الأكبر مكانه وهو ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن فقدم إفريقية في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وستمائة ووالى الهزائم على ابن غانية الناثر بإفريقية حتى شرده إلى الصعراء وأبو العلاء هذا هو الذي بنى البرجين اللذين على باب المهديّة وحصنهما وهو الذي بنى برج الذهب بأشيلية أيام ولايته عليها في دولة أبيه وأقام أبو العلاء بإفريقية إلى ان توفي بتونس منها في شعبان سنة عشرين وستمائة واستولى على إفريقية بعده ابنه أبو زيد بن ادريس وساءت سيرته في الناس وأقام على ذلك إلى دولة العادل عبد الله بن المنصور صاحب

مراکش فعزله وولى مكانه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص ثم غلب عليه أخوه أبو زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن أبي حفص وتداول ملك افرىقية بنوه من بعده واستبدوا بها واقتطعوا بها عن نظر بني عبد المؤمن أصحاب مراکش فلم تعد اليه - ثم بعد وأما يوسف المنتصر فإنه استمر مقيما بمراكش على لذاته الى ان توفي وكان من خبر وفاته انه كان مولعا بما يتخاذا للحيوان واستتاجه فكان يؤتى اليه باصناف البقر من الاندلس فيرساها في بستانه الكبير من حضرة مراکش ويحمل بعضها على بعض للتنازل فخرج ذات يوم للتطوق على تلك البقر والنظر اليها فتوسط قطيعا منها وقد ركب فنشيا فانكرته بقرة شرود كانت في ذلك القطيع فطعنته في صدره طعنة أتت عليه من حينه وذلك في عشى يوم السبت الثاني عشر من ذى الحجة سنة عشرين وستمائة ولم يخاف الاحلام من جارية له **وقال ابن خلدان** لم يكن في بني عبد المؤمن أحسن وجهاً من المنتصر ولا أبلغ في المخاطبة الا انه كان مشغوقاً براحتة فلم يبرح عن حضرته فضعت الدولة في أيامه والله تعالى أعلم

**الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المخالع ابن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله**

لما هلك المنتصر في التاريخ المتقدم اجتمع الوزير ابن جامع والموحدون وبايعوا السيد أبي محمد عبد الواحد ابن يوسف وهو أخو المنصور **وقال ابن زرع** بايعوه على كره منه بقية المنصور من قسبة مراکش وهو يومئذ في سن الشيخوخة وكان عالماً فاضلاً متورعاً فاستقام له الامر نحو شهرين وخطب له في جميع أعمال الموحدين ما عدا مرسية فان ابن أخيه السيد أبي محمد عبد الله بن المنصور الملقب بالعدل كان والياً عليها وكان وزيره بها الشيخ أبا زيد بن رجان المعروف بالأصفر وكان من دهاة الموحدين وكان المنصور رحمه الله اذا رآه يستعيد بالله من شره ويقول ماذا يجري على يدك من الفتن يا أصفر وكان من خبره انه لما بويع المخالع أمر بإطلاق ابن رجان لانه كان محبوباً على ما عدا ابن خلدون فاطلق ثم صده ابن جامع عن ذلك وأنفذ أخاه أبا اسحق في الاسطول ليغتربه الى ميورقة فلما ذاب رجان حينئذ بعبد الله بن المنصور صاحب مرسية ونزل منه منزلة الوزير وأغراء بالتوثب على الامر وشهد له انه سمع من المنصور رحمه الله العهد بالخلافة من بعد الناصر وقال له فيما قال انك أحق بالخلافة من عبد الواحد أنت ولد المنصور وأخو الناصر وعم المنتصر ولك الرأي وحسن السياسة والحزم ولودعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان وكان الناس على كره من ابن جامع وولاية الاندلس يومئذ كله - ثم بنو المنصور فاصغى اليه عبد الله هذا وكان متردداً في بيعة عمه فبرز الى مجلس حكمه واستدعى من مرسية وأعمالها من الموحدين والفقهاء والاشياخ فدعاهم الى بيعته فبايعوه وتسمى بالعدل وكان أخوته أبو الملاء الأصغر صاحب قرطبة وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرا وكان أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي صاحب جيان وقد عزله المخالع بعنه أبي الربيع بن أبي حفص فانتقض وبايع للعدل وزحف مع أبي الملاء صاحب قرطبة وهو أخو العدل الى اشبيلية وبها عهد العزيز وأخو المنصور والمخالع قد دخل في دعوتهم - ثم وامتنع السيد أبو زيد ابن أبي عبد الله أخو البياسي عن بيعة العدل وتمسك بطاعة المخالع وخرج العدل من مرسية الى اشبيلية قد دخلها مع أبي زيد بن رجان وبلغ الخبر الى مراکش فاختلفت الموحدون على المخالع وبادروا بعزله ابن جامع وتقريره الى هسكورة لكرههم له وجرت خطوب أفضت الى خلع عبد الواحد وقتله **وقال** القراطس **بن** ان عبد الله العدل كتب الى اشياخ الموحدين الذين بحضرة مراکش يدعوهم الى بيعته وخالع عبد الواحد وعدهم على ذلك الاموال الجزيلة والمنازل الرفيعة والولايات الجارية - لمفسار عوا الى ذلك ودخلوا على عبد الواحد وتمهدوه بالقتل الا ان يخلع نفسه ويبايع للعدل فاجابهم - ثم الى ذلك فخرجوا عنه ووكوا بالقصر من يحفظه وكان ذلك يوم السبت الحادى والعشرين من شعبان سنة احدى

وعشرين وستمائة فلما كان يوم الاحد بعده دخلوا على عبد الواحد القصر وأحضروا القاضي والفقهاء  
والاشياخ فاشهد على نفسه بالخلع وبإيع العادل ثم دخلوا عليه بعد مضي ثلاث عشرة ليلة من خلعه  
فخنقوه حتى مات واتهبوا قصره واستولوا على أمواله وحرّبه فكان عبد الواحد هذا أول من خلع وقتل  
من بني عبد المؤمن وصار أشياخ الموحدين يخلعونهم كالترك لبني العباس فكان فعلهم ذلك سبب الذهاب  
ملكهم وانقراض دولتهم والله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بأنفسهم - وكانت وفاة عبد الواحد  
المخلوع خامس رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وستمائة

### في الخبر عن دولة أبي محمد عبد الله العادل ابن المنصور رحمه الله

بويح له البيعة الاولى بمرسية من بلاد الاندلس منتصف صفر سنة احدى وعشرين وستمائة وتلقب  
بالعادل في أحكام الله ثم خلص له الامر وبإيعه كافة الموحدين وخطب له بحضرة مراکش أو آخر شعبان  
من السنة المذكورة وتوقف عن بيعته السيد أبو زيد بن أبي عبد الله أخو البياسي كما ذكرنا آنفاً وكان  
والبياسي بلنسية وشاطبة ودانية ولما رأى السيد أبو محمد البياسي أخاه السيد أبي زيد توقف عن بيعته  
العادل وضيظ بلاده نار هو ببياسة وما انضاف اليها من قرطبة وجيان وقباجطة وحصون النغر الاوسط  
وتلقب بالظافر وانما دعى البياسي لقيامه من بياسة فوصلت بيعة الموحدين من مراکش الى العادل  
ومعها كتاب أبي زكريا يحيى بن الشهيد شيخ هنتاتة بقصة المخلوع وما كان من أمره فصادف وصولها  
هيجان هذه الفتنة فشغل العادل بها عن مراکش وبعث أخاه السيد أبو العلاء الأصغر وهو ادريس  
ابن المنصور في جيش كثيف الى البياسي فحاصره ببياسة ولما اشتد عليه الحصار أظهر الطاعة والالتقياد  
وبإيع العادل حتى اذا أفرج عنه أبو العلاء عاد الى النكث وبعث الى الفتنس يستنصره على العادل وضمن  
له ان ينزل له عن بياسة وقباجطة فكان أول من ستن اعطاء الحصون والبلاد للفرنج فوجه اليه الفتنس  
بجيش من عشرين ألفاً ولما توافقا تدييه جوع الفرنج نمض من قرطبة يريد اشبيلية حتى اذا نام منها خرج  
اليه السيد أبو العلاء الأصغر وهو الذي دعى بعد بالأمون فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم السيد  
أبو العلاء واستولى البياسي والفرنج على محاته بما فيها من أنات وسلاح ودواب وغير ذلك ولما رأى  
العادل ما وقع بأخيه وجنده خشي أن يتفاهم داء البياسي ويمتد عباب فنتته الى مراکش فترك أخاه  
أبو العلاء قبائله وعبر البحر الى العدو ولما احتل بقصر الحجاز دخل عليه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي  
حفيص المدعو بعبو فقال له العادل كيف حالك فانشده

حال متى علم ابن منصور بها \* جاء الزمان الى منها تائباً

فاستحسن ذلك منه وولاه افريقية وهذا البيت لابي الطيب المتنبى وانما تمثل به عبو الموافقة اسم  
منصور فيه لاسم والد العادل فحسن التمثيل به وانتهى العادل في سيره الى سلا فاقام بها وبعث عن شيوخ  
جشم عرب تامسنا وكان لابن برجان عناية واختصاص به لال بن حميد ان أمير النخلط فتناقل جومون  
ابن عيسى أمير سفيان عن الوصول الى العادل ثم بادر العادل الى مراکش وقاسى في طريقه اليها من  
العرب شداً ثم دخلها واستوزر أبو زيد بن عبد الواحد بن أبي حفيص وتغير لابن برجان ففسد باطنه  
وسعى في افساد الدولة وغلب أبو زكريا بن الشهيد شيخ هنتاتة ويوسف بن علي شيخ تينغل على أمر العادل  
ثم خالفت عليه عرب النخلط وهسكورة وعاتوا في نواحي مراکش وغربوا بلاد دكالة فتخرج اليهم  
ابن برجان فلم يقن شيئاً فانفذ اليهم العادل عسكرياً من الموحدين لتظرب ابراهيم بن اسمعيل ابن الشيخ  
أبي حفيص فانهزم وقتل واضطربت الاحوال على العادل وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي الى قبائلهما  
للحشد ومدافعة هسكورة والعرب فاتفقا أيضاً على خلع العادل واضطربت الامور ولما انتهى الى أبي  
العلاء صاحب الاندلس خبر أخيه العادل بمراكش وما هو فيه من الاضطراب دعاه نفسه بأشيبانية



فبيع بها وأجابها أكثر أهل الأندلس وتلقب بالمأمون وبياع له السيد أبو زيد صاحب بلنسية وهو أخو  
البياسي وكان ذلك في أوائل شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة ولما تمت بيعته كتب إلى الموحدين الذين  
عبر أكش يدعوهم إلى بيعته ويعلمهم باجتماع أهل الأندلس والموحدين الذين بها عليه ووعدهم في ذلك  
ومناهم فكان منهم بعض توقف ثم أجبر رأيهم على مبايعته وخلع أخيه العادل فدخلوا عليه قصره  
وسألوه أن يخضع نفسه فامتنع فوثبوا عليه ودسوا رأسه في خصة ماء كانت هناك وقالوا له لا تفارقك  
أوتيه على نفسك بالخلع فقال اصنعوا ما بدمكم والله لا أموت إلا أمير المؤمنين فوضعوا عمامته في عنقه  
وخنقوه ورأسه في الخصة حتى فاط وكان خيرا فاضل لارحمة الله وكانت وفاته في الحادي والعشرين  
من شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة وكتبوا يبيعهم إلى أبي العلاء المأمون وبعثوا به إليه مع البريد  
ثم بدأهم في بيعته المأمون بعد انفصال البريد عنهم فمكثوا بها وبيعوا يحيى بن الناصر بن المنصور  
واضطربت الأحوال بالمغرب والأندلس وطما عياب الفتن بهما وكان ما ذكره

### خبر عن دولة المأمون بن المنصور ومزاجه يحيى بن الناصر له

كان المأمون وهو أبو العلاء دريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتفاض الموحدين والعرب بالحضرة  
على أخيه وثلاثي أمره دعا لنفسه بأشبيلية وبياعه أهل الأندلس والموحدون بالحضرة كما قلنا  
ثم لما انفصل البريد ببيعته من الحضرة ندم الموحدون على ذلك لما يعلمون من شهامة وصراحتهم وتخلقه  
بأخلاق الججاج بن يوسف وتخوفوا أن يأخذهم يدمهم عبد الواحد المخالوع ثم أخيه عبد الله العادل فاتفق  
رأيهم على مبايعة يحيى بن الناصر بن المنصور وهو شاب غرقا بقل عذاره وانما وقع اختيارهم عليه ليكون  
أطوع لهم فإن سنة يومئذ كانت ست عشرة سنة فباعوه بجامع المنصور من قصبه مراکش بعد صلاة  
العصر من يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة وامتنع عرب الخلط  
وقبائل هسكورة من بيعته وقالوا قد بايعنا المأمون فلانكث بيعته وتأخر قدوم المأمون إلى مراکش  
وبقي بالأندلس لأسباب يأتي شرحها وأقام يحيى بمراكش واستتب أمره بها بعض الشيء وجهز جيشا  
من الموحدين والجنود إلى قتال الخلط وهسكورة وهم يومئذ في طاعة المأمون فانهزم جيش يحيى وقتل  
منه خلق كثير وعاد مغلولا إلى مراکش ثم أطلع يحيى على مداخلة أبي زيد بن رچان للعرب وهسكورة  
في الغارة على مراکش وأطلع على ذلك أيضا أبو بكر يحيى بن الشميد فقتل أبي زيد بن رچان وابنه عبد  
الله ونصب رؤسهم على باب الكحل وطوق أجسادها بأسواق المدينة ثم اضطربت الأحوال على يحيى  
وانتقضت البلاد وغلت الأسعار وعم الخراب والفساد ببلاد المغرب واستحوذ بنو مرين على ضواحيه  
وضايق الموحدين في كثير من أمصاره واقتضوا اجبايته ونبتت الثوار في الأقطار على ما ذكره

### خبر عن محمد بن أبي الطواجين الكامي بجبال غمارة

ولما كانت سنة خمس وعشرين وثمانمائة نار بجبال غمارة محمد بن أبي الطواجين الكامي المتني وكان أبوه  
من قصر كتامة من قبضات الناس وكان ينتحل صناعة الكيمياء فكان يلقب بابي الطواجين لكثرة  
الظروف التي كان يستعملها في ذلك بزعمه وتلقن ذلك عنه ابنه محمد هذا ثم ارتحل إلى سبتة ونزل على بني  
سعيد بأحوالها وادعى صناعة الكيمياء فقبه الغوغاء ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع وأظهر أنواعا من  
الشعبذة فكثرتابعوه ثم اطلعوا على خبثه فنبذوا إليه عهده وزحفت إليه عساكر سبتة ففر عنهم ثم قتله  
بعض البرابرة غيلة بوادي لاو بين بلاد بني سعيد وبلاد بني زيات وابن أبي الطواجين هذا هو الذي  
تسبب في قتل الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه على ما ذكره بعد ان شاء الله

### خبر الثوار بالأندلس وما آل إليه أمر الموحدين بها

لما ضعف أمر الموحدين بالمغرب وكثرت الفتن في أقطاره ونواحيه واقتزى السادة منهم بنواحي الاندلس كل في عمله واستظهر كل واحد منهم على أمره بالطاغية ونزلوا له عن كثير من الحصون فسدت من أجل ذلك ضمائر أهل الاندلس عليهم وتصدى للثورة على الموحدين محمد بن يوسف بن هود من أعقاب بني هود الجذاميين ملوك الطوائف بسرقسطة وكان يؤمل لهاور بما امتحنه الموحدون لذلك مرأت نخرج في نفر من الاجناد سنة خمس وعشرين وستمائة وجهز اليه والى مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن أبي عمران ووسى بن يوسف بن عبد المؤمن عسكريا فهزمهم وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للخليفة المستنصر العباسي صاحب بغداد وفي ذلك يقول ابن الخطيب في رقم الحل عند ذكره  
 لبني هود هؤلاء      وكان من أعقابه الامير \* محمد بن يوسف الاخير  
 وكان باسلا شديد الباس \* وبابغ المستنصر العباسي

ثم زحف اليه السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وهو أخو البياسي المتقدم ذكره من شاطبة وكان واليا بها كما مر فهزمه ابن هود ورجع الى شاطبة واستجاش بالمأمون وهو يومئذ باشبيلية فخرج في العساکر ولقيه ابن هود فانهزم واتبه المأمون الى مرسية فحاصره مدة وامتعت عليه فاقلع عنه ورجع الى اشبيلية ثم انتفض على السيد أبي زيد بيانية زيان بن أبي الجلات مدافع بن أبي الحاج يوسف بن سعد بن مردنيش وخرج عنه الى أبدة وذلك سنة ست وعشرين وستمائة وكان بنو مردنيش هؤلاء أهل عصابة وأولى بأس رقة فتوقع أبو زيد اختلال أمره وبعث اليه ولاطفه في الرجوع فأبى فخرج أبو زيد من بلنسية ولحق بطاغية برشاونة ودخل في دين النصرانية والعماد بالله وبابغ أهل شاطبة لابن هود ثم تتابعت بلاد الاندلس على بيعته ودخل في طاعته أهل قرطبة واشبيلية بعد رحيل المأمون عنهم الى مراکش ولم يبق للموحدين بالاندلس سلطان ثم في سنة تسع وعشرين وستمائة تار محمد ابن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر يجمع من ارجونة من أعمال قرطبة ودعاه الى زكريا الخفصي صاحب افريقية ثم دخل في طاعته أهل قرطبة وتنازع ابن الاحمر وابن هود رئاسة الاندلس وتجاذبا حبل الملائكها وكانت خطوط باستولى الطاغية فيها على كثير من حصون الاندلس ثم استقر قدم ابن الاحمر في الملك وأورثه بينه من بعده والله غالب على أمره

وقد قدم أبي العلاء المأمون بن المنصور من الاندلس الى مراکش وما اتفق له في ذلك

قد تقدم لنا ان الموحدين بمراكش خنقوا العادل وبيعوا أخاه المأمون وبعده انفصال البريد بالبيعة ندموا وبيعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر فوصلت بيعة الموحدين الى المأمون وهو يومئذ باشبيلية فسرت بها وأمر باقراؤها على منابر الاندلس ثم أخذ في التجهيز والحركة الى مراکش دار ملكهم فسار حتى اذا وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبر ان الموحدين قد نكثوا ببيعتهم وبيعوا ابن أخيه يحيى فوجم لذلك وأطرق مليا ثم أنشدهم ممثلا بقول حسان رضي الله عنه

لتسمعن وشيكا في ديارهم \* الله أكبر ما نارنا عثمانا

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويسأله أن يبعث له جيشا من الفرنج يجوز هم الى العدو لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فشرط عليه صاحب قشتالة أن يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها هو وأن يبنى بمراكش اذا دخلها الجيش النصراني الذين معه كنيسة يظهر بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم لمصلواتهم وان من أسلم منهم لا يقبل منه اسلامه ويرد الى اخوانه فيحكمون فيه باحكامهم الى غير ذلك فأسغفه المأمون في جميع ما طلب منه وكان يحيى بن الناصر صاحب مراکش لما رأى اختلال أحوالها كما قلنا ومبايعة أكثر أهل المغرب لعمه المأمون خرج فارا بنفسه الى تينال وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة ولما فرغ يحيى عن الحضرة قدم أشياخ

الموحدين الذين بها واليا يضبطها للمأمون ريثما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا اليه يخبرونه بفرار يحيى الى الجبل ويرغبون اليه في القدوم عليهم وكتب اليه أيضا هلال بن جيدان أمير الخياط واستمر يحيى معتصما بالجبل أربعة أشهر ثم بدله فعاد الى مراکش وقتل عامل المأمون الذي قدمه الموحدون بها واستمر بها نحو سبعة أيام ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به وأقام منتظرا القدوم المأمون ودفاعه عن مراکش ثم بعث صاحب قشتالة الى المأمون جيشا من اثني عشر ألفا يرسم الخدمة معه والمقاتلة دونه على الشروط المتقدمة وكان وصولهم اليه في رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ثم عبر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة في ذي القعدة من السنة المذكورة وهو أول من أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب واستخدمهم بها فأراح بسبتة أياما ثم نهض الى مراکش حتى اذا دنا منها لقيه يحيى ويوش الموحدين وذلك عشي يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة الداخلة فانهم تزيم يحيى وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه ودخل المأمون حضرة مراکش وبيعه الموحدون وصعد المنبر بجامع المتصور وكان علامة أديبا يلغى الخطب الناس ولعن المهدي على المنبر وقال لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم ألا المهدي الاعيسى وانا قد نبذنا أمره النفس ولما انتهى الى آخر خطبته قال معشر الموحدين لا تظنوا اني أنا ادريس الذي تدرس دولتكم على يده كالأمة سيأتي بعدى ان شاء الله ثم نزل وأمر بالكتب الى جميع البلاد بمواسم المهدي من السكة والخطبة وتغيير سننه التي ابتدعها للموحدين وجرى عليها سلفهم ونهى عليه التداء للصلاة باللغة البربرية وزيادته في أذان الصبح أصبح والله الحمد وغير ذلك من السنن التي اختص بها المهدي وأمر بتدوير الدراهم التي ضربها المهدي مربعة وقال كل ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل الى ابقائه وأبدأ في ذلك وأعاد ثم دخل قصره فاحتجب عن الناس ثلاثا ثم خرج في اليوم الرابع فأمر بشيخ الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه فقال لهم يا معشر الموحدين انكم قد أظهرتم علينا العناد وأكثرتم في الأرض الفساد ونقضتم العهود وبذلتهم في حربنا المجهود وقتلتم الأخوان والأهلام ولم ترقبوا فيهم الا ولا ذمام ثم أخرج كتاب بيعتهم الذي بعثوا به اليه واحتج عليهم بشكوتهم الذي نكثوا بعده فقامت الحجج عليهم فماتوا وسقط في أيديهم والتفت الى قاضيه المكيني وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية فقال له ما ترى أيهما القاضى في أمر هؤلاء الناكثين فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول ومن نكث فانما ينكث على نفسه الآية فقال المأمون صدق الله العظيم فاننا نكث فيهم بحكم الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ثم أمر بجميع أشياع الموحدين وأشرفهم فمضوا الى مصارعهم وقتلوا من عند آخرهم ولم يبق على كبيرهم ولا صغيرهم حتى انه أتى بآبى أخت له صغير يقال ان سنه كان ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرآن فلما قدم للغتال قال له يا أمير المؤمنين اعف عنى لثلاث قال ما عفت قال صغرى سنى وقرب رحى وحفظى لكتاب الله العزيز فيقال ان المأمون نظر الى القاضى كالمستشير له وقتل له كيف ترى قوة جاش هذا الغلام واقدمه على الكلام في هذا المقام فقال القاضى يا أمير المؤمنين انك ان تذرهم يضلوا وعبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فأمر به فقتل رحمه الله ثم أمر بالرؤس فعلقت بدائر سور المدينة (ذكر ابن أبي زرع) انها كانت تنيف على أربعة آلاف رأس وكان الزمان زمان قنيط فننتت بها المدينة وتأذى الناس بريحها فرجع اليه ذلك فقال ان ههنا مجانين وان تلك الرؤس حروزهم لا يصلح حالهم الا بها وانها العطرة عند المحبين وننته عند البغضين ثم أنشد

أهل الحراية والفساد من الورى \* يعزون في التشبيه للذكار  
فساده فيه الصلاح لغيره \* بالقطع والتعليق في الاشجار  
فروءهم ذكرى اذا ما أبصرت \* فوق الجذوع وفي ذرى الاسوار

وكذا القصاص حياة أرباب النهى \* والعدل مالوف بكل جوار

لوعم حلم الله سائر خلقه \* ما كان أكثرهم من أهل النار

وهذه الفتكة التي ارتكبها المأمون من الموحدين أنتست فتكة الحارث بن ظالم والبراض الكفاني  
والجحاف بن حكيم وهي التي استأصلت جمهورهم وأماتت نخوتهم وأذن المأمون للنصارى القادمين معه  
في بناء الكنيسة وسط مراکش على شرطهم المتقدم فضر بوابها نواقيسهم وكانت الكنيسة في الموضع  
المعروف بالسجينة وقبض على قاضي الجماعة عمرا كاش وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الحق فقيده ودفعه  
إلى هلال بن جيدان الخاطي فحبسه حتى اقتدى منه بسنة آلاف دينار وأقام المأمون عمرا كاش  
خمس عشرة أشهر ثم نهض إلى الجبل لقتال يحيى بن الناصر ومن معه من الموحدين وذلك في رمضان سنة  
سبع وعشرين وستمائة فالتقى معه على الموضع المعروف بالكاعة فانزله يحيى وقتل من أسكره ومن أهل  
الجبل خلق كثير سبق من رؤسهم إلى مراکش أربعة آلاف رأس وفي هذه السنة استبد الأمير  
أبو زكريا بن الشيخ أبي محمد بن أبي حفص المهتاق بأفريقية ونزع طاعة الموحدين وفي سنة ثمان  
وعشرين بعدها نفذت كتب المأمون إلى سائر البلاد بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها  
خرجت بلاد الأندلس كلها من ملك الموحدين ونفاهم عنها بن هوذا الناثريها وقتلتهم العامة في كل وجه  
وفي سنة تسع وعشرين بعدها خرج على المأمون أخوه السيد أبو موسى عمران بن المنصور بمدينة  
سبته وتسمى بالمؤيد فاتصل الخبر بالمأمون فخرج إليه وبلغه في طريقه أن قبائل بني قازاز ومكلاثة  
قد حاصروا مكاسة وعاثوا في نواحيها فسادا إليهم وحسم مادة فسادهم وعاد إلى سبته فحاصرها أخاه  
السيد أبو موسى مدة فلم يقدر منه على شيء وكانت سبته من أحسن مدن المغرب ولما طالت غيبة المأمون  
عن الحضرة اغتم يحيى بن الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن  
عيسى ومعهم أبو سعيد بن وانودين شيخ هنتانة وعاثوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التي بنيت بها وقتلوا  
كثيرا من يهودها وسبوا أموالهم ودخل يحيى القصر فحمل منه جميع ما وجد به إلى الجبل واتصل الخبر  
بالمأمون وهو على حصار سبته فارتحل عنها مسرعا إلى مراکش وذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة  
ولما أبعد عن سبته عبر أبو موسى صاحبها إلى الأندلس فبايع ابن هوذا وأعطاه سبته فعمّوه ابن هوذا عنها  
بالرية فكان السيد أبو موسى بها إلى أن مات وانتهى الخبر إلى المأمون وهو في طريقه بان ابن هوذا  
قدم ملك سبته فتوالت عليه القبائع فرض أسفاومات بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبته وكانت  
وفاته في آخر يوم من سنة تسع وعشرين وستمائة وكانت أيامه أيام شقاء وعناء ومنازعة افتقرت دولة  
الموحدين فيها فرقتين فرقة معه وفرقة مع يحيى بن الناصر وكان محق دولة الموحدين واستئصال أركانها  
وذهاب نخوتها على يده قالوا ولولا أن الأمور قد استحال إلى ما ذكر كان المأمون موافقا لأبيه  
المنصور في كثير من الخلال ومتبعه أسننه في جل الأحوال وكان المأمون فصيح اللسان فقيها حافظا  
للحديث ضابطا للرواية عارفا بالقرآت حسن الصوت والتلاوة مقدما في علم اللغة والعربية  
والآداب وأيام الناس كاتباً بليغا حسن التوقيع لم يزل سائر أيام خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخاري  
والموطأ وسنن أبي داود وكان مع ذلك شهها حازما مقدما على عظام الأمور ولما خلفه والبلاد  
تضطرم ناراً والممالك قد توزعت النوار فكان المأمون إذا فكر في حال الثوار وما آل إليه حال الدولة  
معهم وما دهاهم من كثرتهم ينشد ميمثلا

تسكارت الأطباء على خدش \* فإيدري خدش ما يصيد

يشير إلى حاله معهم وأنه لم يدوما يتلافى من ذلك والله تعالى أعلم

الخبر عن دولة أبي محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور رحمه الله

لما هلك المأمون بويع ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد **ب**وقال ابن أبي زرع **ب** بويع له بالخلافة بوادي العبيد ثاني يوم من وفاة أبيه وهو يوم الاحد فمخ محرمة سنة ثلاثين وستمائة وسنه يومئذ أربع عشرة سنة وكان الذين أخذوا البيعة كانوا بن جرمون السفيناني وشعيب بن اوقاريط المسكوري وفرنسيميل قائد جيش الفرنج فانه لمسامات المأمون كتمت جاريته موته واسمها حباب وكانت فرنجية الاصل ومن دهاة النساء وعقلائهن وهي أم الرشيد فاستدعت هؤلاء النفر الثلاثة وكانوا عمدة جيش المأمون يركب كل واحد منهم في أزيد من عشرة آلاف من قومه وأعوانه ولان أهل الحل والعقد من الموحدين قد أتت عليهم فتنة المأمون كما مر فجاؤا اليها فأعلمتهم بوجوه الخليفة ورغبت اليهم في بيعه ابن الرشيد والقيام معه وبذلت لهم على ذلك أموال الجسة ووعدهم مع ذلك انهم اذا فتحوا الحضرة وكان يحيى قد استولى عليها كما قلنا تجعلها لهم فيثا فبايعوه وأخذوا البيعة له على من سواهم فبايع الناس طوعا وكرها خوفا من سيوفهم ولما تم أمره جعل أباه في تابوت وقدمه أمامه وسار الى مراكش وسمع يحيى وأهل مراكش بما شرطته حباب للقواد الثلاثة من جعل مدينتهم فيثا فخرجوا للقتال الرشيد بأجمعهم واستخلف يحيى على مراكش أباسعيد بن واتودين والتقى الجمعان فاقتتلا فانهزم يحيى وقتل أكثر من معه وصبح الرشيد مراكش فخص من منه أهلها فأمتهم وصالح قائد الفرنج وأصحابه على فيثها بخمسة آلاف دينار ودخل الرشيد مراكش واستقرت بها وكان قد وصل في صحبته عمه السيد أبو محمد سعد بن المنصور فحل من تلك الدولة بمكان وكان اليه التدبير والحل والعقد وبعد استتقرار الرشيد بمراكش قدم عليه عمر ابن اوقاريط المسكوري صحبة أولاد المأمون الذين كانوا باشيالية ونفاهم ابن هو دعنها وكان ابن اوقاريط هذا منصرفا عن المأمون أيام حياته فتمتع بصحبة هؤلاء الاولاد ووقدم على الرشيد فتقبله واتصل بالسيد أي محمد وحسنت منزلته لديه ثم لما هلك السيد أبو محمد لحق ابن اوقاريط بقومه ومعتصمه وكشف وجهه الخلاف وأخذ يدعو يحيى بن الناصر واستغزله قبائل الموحدين ونهض اليهم الرشيد سنة احدى وثلاثين وستمائة واستخلف على الحضرة صهره أبا العلاء ادريس وصعد اليهم الجبل فأوقع يحيى وجوعه بكانهم من هزرجة واستولى على معسكرهم ولحق يحيى ببلاط سجلماسة وانكفأ الرشيد راجعا الى حضرته واستأمن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى فأتمهم ولحقه وابعضته وكان كبيرهم أبو عثمان سعيد بن زكريا القديوي وجاء الباقيون على أثره بعد ان شرطوا عليه اعادة ما كان أزاله المأمون من رسوم المهدي وسنه فأعيدت واطمأنوا لاعادة رسوم الدعوة المهدية واستقامت الاحوال في هذه الايام الى ان كان ما نذكره

### **ب**وقتنة الخلط مع الرشيد واستيلائهم على حضرة مراكش **ب**

كان مسعود بن جيد ان كبير الخلط قد أغراه عمر بن اوقاريط بالخلاف لصحبة بينهما وكان مدلا بياسه وكثرة جوعه يقال ان الخلط كانوا يومئذ يناهزون اثني عشر فارس سوى الرجل والاتباع والحشود وقرض مسعود في الطاعة وتناقض عن الوفاة الى الحضرة ولما علم بعقد الموحدين واجتماع كلمتهم على الرشيد غاظه ذلك وأخذ في السعي للفرقة والشتات بينهم فاعمل الرشيد الحيلة في استئذائه وصرف عساكره الى بعض الجهات حتى خلا مسعود والجو وذهب عنه الريب واستقدمه الرشيد فأسرع اليه بالحضرة وقدم معه معاوية عم عمر بن اوقاريط فقبض على معاوية وقتل لحينه واستدعى الرشيد ابن جيد ان الى المجلس الخلفي للمديث فقبض عليه وعلى خمسة وعشرين من أصحابه من كبار الخلط وقتلوا ساكنة بعد جولة وهيعة وقضى الرشيد حاجة في نفسه منهم ولما بلغ خبر مقتلهم الى قومه قدموا عليهم يحيى ابن هلال بن جيدان وأجلبوا على سائر النواحي وأعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر واستقدموه من مكانه بقاصية الصحراء ودخلهم في ذلك عمر بن اوقاريط وزحفوا لحصار مراكش وخرجت العساكر لقتالهم

ومعهم عبد الصمد بن يولان فدفع ابن أوقار يبط مجموعهم في تلك العساكر فانهزموا وأحيط بجند  
النصارى فقتلوا وتفاقم الأمر بالحضرة وعدمت الأقوات واعتزم الرشيد على الخروج إلى جبال الموحد بن  
نخرج اليها وسار منها إلى سجلماسة فلما كها واشتد الحصار على مراكش واقتحمها يحيى بن الناصر  
وأنصاره من الخلط وهسكورة فهبوها وساء أثرهم فيها واضطربت أحوال الخلافة بها وتغلب على  
السلطان السيد أبو إبراهيم بن أبي حنيفة الملقب بابي حافة وهذه الفتن كانت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

﴿هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم إياها﴾

﴿وفي هذه السنة﴾ أعني سنة اثنتين وثلاثين وستمائة نازل الفرنج الجنويون سبتة باجفان لا تحصى  
ونصبوا عليها المنجنيقات والآلات الممثلة للبحر واستمرروا على ذلك إلى أن دخلت سنة ثلاث وثلاثين  
بعدها فلم يقدر وأمنها على شيء ولما اشتد الحصار على أهل سبتة صالحوا الفرنج في الإفراج عنهم  
بأربعمائة ألف دينار فقبلوا وأقلعوا عنهم بعد الحصار الشديد والتصديق العظيم

﴿عود الرشيد إلى مراكش وقرار يحيى عنها إلى بنى معقل ومقتله بهم﴾

﴿وفي هذه السنة﴾ أعني سنة ثلاث وثلاثين وستمائة خرج الرشيد من سجلماسة بقصد مراكش  
وخطب جرهمون بن عيسى وقومه من سبتيان فأجابوه وعبروا وادي أم الربيع وبرز إليه يحيى في جوعه  
والتقى الفريقان فانهزمت جوع يحيى واستمر القتل فيهم وودع الرشيد إلى الحضرة طافرا وأشار ابن  
أوقار يبط على الخلط بالاستصراخ بابن هود صاحب الأندلس والاختد بدعوته فنكثوا ببيعة يحيى وبعثوا  
وقدمهم إلى ابن هود وصحبه ابن أوقار يبط فاستقر هنالك ولم يرجع إليهم قولاً فلم الخلط أنها حيلة من ابن  
أوقار يبط وأنه تخاص من الورطة وخرج الرشيد من مراكش وفر الخلط أمامه وسار إلى فاس فأقام  
بها أياما وفرق في فقهاءها وصلحاءها أموالا وبعثها فأسر حوزة السيد أبي محمد إلى غماره وفازاز  
لجباية أموالها وكان يحيى بن الناصر لما نكث الخلط بيعته لحق بعرب معقل فأجاروه ووعده النصر  
واشتطوا عليه في المطالب فأسف بعضهم بالمنع فأغتاله في جهة تازا وسبق رأسه إلى الرشيد بغاس فبعثه  
إلى مراكش وأوعز إلى نائبه بها أبي علي بن عبد العزيز بقتل العرب الذين كانوا في اعتقاله وهم حسن بن  
زيد شيخ العاصم وقائد وقائد ابنا عامر شيخا بني جابر فقتلهم وانكفأ الرشيد راجعا إلى حضرته سنة أربع  
وثلاثين وستمائة وكان ابن أوقار يبط لما فصل إلى ابن هود صاحب الأندلس أقام عنده إلى هذه السنة  
فركب البحر في أسطول من أساطيل ابن هود وقصد مدينة سلوا بها يومئذ السيد أبو العلاء صهر الرشيد  
فأزلهما وكاد يغلب عليها ثم رجع عنها بلا طائل ﴿وفي سنة خمس وثلاثين بعدها﴾ تابع أهل اشيلية  
للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود وتولى كبر ذلك أبو عمر بن الجدو وصل وقد هم إلى الحضرة ومروا في  
طريقهم بسبتة فاقتدى أهلها بهم في بيعة لرشيد وقدموا على الحضرة وولى عليهم الرشيد أبا علي بن  
نحلاص منهم وانصرف وقد اشيلية وسبتة راضين واستقدم الرشيد رؤساء الخلط وكانوا راجعوا طامته  
بعد مقتل يحيى فقدموا عليه وتقبض عليهم وبعث عساكره فاستباحوا حلالهم وأحيائهم ثم أمر بقتل  
مشيختهم وقتل معهم ابن أوقار يبط وكان أهل اشيلية قد بعثوا به إليه فقطع دابرهم ﴿وفي سنة ست  
وثلاثين وستمائة﴾ وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأجر النائر بالاندلس على ابن هود  
وكان قد بايع أولاً أباز كريا الخفصي صاحب إفريقية ثم بدله فرد البيعة إلى الرشيد ﴿وفي هذه السنة﴾  
كان استيلاء العدو ودمره الله على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس ودار مملكتها وذلك يوم الأحد الثالث  
والعشرين من شوال من السنة المذكورة ﴿وفي سنة سبع وثلاثين بعدها﴾ انتشر بنو مرين ببلاد المغرب  
واشتدت شوكتهم به وزحف إليهم الرشيد فهزموه ثم زحف ثانية وثالثة فهزموه وأقام في محاربتهم

استيلاء العدو على قرطبة

سنتين ورجع عنهم الى الحضرة فاشتمت عدوانهم بالمغرب والحواعلي مكاسة حتى أعطوا الاتاوة لبني  
جماعة منهم واصل عليهم في نواحيها في سنة تسع وثلاثين وستمائة قتل الرشيد كاتبه ابن المومياقي  
لداخله له مع بعض السادة وهو عمر بن عبد العزيز بن يوسف ووقع الرشيد على كتبه بخطه غلط الرسول  
بها فدمها بدار الخلافة فوعدت الى الرشيد فقتله

### وفاة الرشيد رحمه الله

مات الرشيد رحمه الله غريفا في بعض صهاريج بستانه بحضرة مرا كس وذلك يوم الخميس تاسع جمادى  
الآخرة سنة أربعين وستمائة ويقال انه أخرج من الماء حيا فم لوقته ومات وذكر أبو عبد الله  
الكنسوس ان غرق الرشيد كان في البركة الكبرى التي بدار الهناء من أجدال اليوم قال وكان يقال لها  
البحر الاصفر لان مملوك بني عبد المؤمن الذين أنشأوها كانوا يرسلون فيها الزوارق والفلك الصغار  
بقصد الزهة والفرجة والله تعالى أعلم

### الخبر عن دولة أبي الحسن السعيد علي بن المأمون بن المنصور رحمه الله

لما هلك الرشيد بويع أخوه لا يسه أبو الحسن علي المدعو السعيد بتعيين أبي محمد بن وانودين وتلقب  
بالمعتضد بالله وأستوزر السيد أبا اسحق ابن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ويحيى بن عطوش  
وتقبض على جملة من مشيخة الموحدين واستصفي أموالهم واصطنع لنفسه رؤساء العرب من جثم  
واستظهر بجموعهم على أمره وكان شيخ سفيان كانون بن جرمون كبير مجلسه وكان ضرر بن مريم  
قد تفاقم بالمغرب وداؤهم قد أعضل فخرج السعيد سنة اثنتين وأربعين وستمائة لتمهيد بلاد المغرب  
فانتهى الى سجلماسة وكان صاحبها عبد الله بن زكريا الهزرجي قد انتقض عليه فقتله واستولى عليها  
ثم رجع حتى نزل المقرمدة من أرض فاس وعقد المهادنة مع بني مريم وفضل الى مرا كس فكانت هدنة  
على دخن فلم يلبث الا يسيرا حتى عاود النهوض اليهم سنة ثلاث وأربعين بعدها واستخلف السيد أبا زيد  
ابن السيد أبي ابراهيم أخا الوزير المذكور آنفا على مرا كس واستعمل أخاه السيد أبا حفص وهو  
المرتضى على سلا وسار نحو بني مريم فجمع له أميرهم أبو بكر بن عبد الحق جوع زانته وصمد نحوه حتى  
اذا تراا الجمعان وتها القوم للقاء خالف كانون بن جرمون الى آز مور فاستولى عليها وغلب الموحدين  
عليها فرجع السعيد أدراجه في اتباعه ففر كانون عنها فاعترضه السعيد فاوقع به واستلم كثير من قومه  
سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ولحق كانون بن مريم ورجع السعيد الى الحضرة  
ثم تقدم الامير أبو بكر بن عبد الحق المريني الى مكاسة فضايقها وخطب طاعة أهلها فثارت العامة  
بمكاسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وخذوشيوخها وكبرائها من سطوته فحولوا الدعوة الى الامير  
أبي زكريا الحفصي صاحب افريقية وكان قد استبد على بني عبد المؤمن ووام التغلب حتى على كرسيتهم  
بمرا كس فبايعه أهل مكاسة بواطأة الامير أبي بكر بن عبد الحق فانه كان يدعو اليه في أول أمره وكذا  
أخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بامرهم عندما تم له ملك المغرب  
حسما نقضه بعد ان شاء الله وفي هذه السنة بعث أهل اشيلية وأهل سبتة بطاعتهم للامير أبي زكريا  
الحفصي أيضا وبعث أبو علي بن خلاص صاحب سبتة اليه بهدية مع ابنه في اسطول أنشأه لذلك ففرق  
عند اقلاعه من المرسي وقبل هذه المدة يسيير كان الامير أبو زكريا الحفصي قد تغلب على تلمسان وبايعه  
صاحبها بن مرامس بن زيان العبد الوادي وهو جد مملوك بن زيان أصحاب تلمسان والمغرب الاوسط فعظم  
قدر أبي زكريا بسبب هذه البيعات التي انثالت عليه من سائر الجهات وحدثته نفسه بالتوئب على كرسيتهم  
الخلافة بمرا كس وغص بنوع عبد المؤمن بمكانه وعظم عليهم استبداده ثم طمعه في كرسيتهم وقرارة عزهم

مع انه ما كان الاجد ولا من بحرهم وفرعاً من دوحهم والامر كله لله

في نهوض السعيد من مراسكش الى غزو الثوار بالمغربين ومحاصرته بغير اسن  
 بن زيان وما آل اليه الامر من مقتله رحمه الله

لم يبلغ السعيد وهو عمرا كمش استبداد الامير أبي زكريان أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص المهنتاق  
 بافريقية ومبايعة أمراء الجهات له أعمال نظره في الحركة الى هؤلاء الثوار والنهوض لتدويخ هذه  
 الاقطار وكان السعيد شهما حاز ما يقظا بعيد الهمة فتظفر في اعطاف دولته وفاوض الملامن الموحد بن  
 في تثقيف أطرافها وتقويم أودها وحركهم وأثار حفاظتهم وأراهم كيف اقتطع عنهم الامر  
 شيأ فشيأ فان أبي حفص اقتطع افريقية ويغمراسن بن زيان اقتطع المغرب الاوسط ثم أقام فيه الدعوة  
 الحفصية وابن هود اقتطع الاندلس وأقام فيها دعوة بني العباس وابن الاجر بالجانب الاخر منها مقيم  
 للدعوة الحفصية أيضا وهؤلاء بنو مرين قد تغلبوا على ضواحي المغرب ثم سمو الى تلك أمصاره  
 وان سكتنا على هذا فيوشك أن يحتل الامر وتنقرض الدولة فتذامر واوداعوا الى النهوض اليهم فغشد  
 السعيد الجنود وجهاز العساكر وأزاح عنهم واستنفر عرب المغرب وما يليه واحتشد كافة المصامدة  
 ونهض من مراسكش آخر سنة خمس وأربعين وثمانية يريد مكاسة وبني مرين أولا ثم تلسان  
 ويغمراسن ثانيا ثم افريقية وابن أبي حفص ثالثا ولما نزل بوادي هبت أخذ في عرض عساكره وتغييرها  
 فخرج الامير أبو بكر بن عبد الحق من مكاسة ليلا وحده يتجسس الاخبار فاشرف على جوع السعيد  
 فرأى ما لا قبل له به فعاد الى قومه وأفرج للسعيد عن البلاد وتلاحقت به بنو مرين من أماكنها التي كان  
 الامير أبو بكر أتزلهم بها واجتمعوا عليه بحصن تازوطامن بلاد الريف وتقدم السعيد الى مكاسة فتفرج  
 اليه أهلها يطلبون منه العفو وقد موأين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور بن حرزوز وتلقوه  
 بالصبيان من المكاتب على رؤسهم الالواح وبين أيديهم المصاحف وخرج النساء حاسرات يطلبن العفو  
 ففعا عنهم ثم ارتحل الى تازان في اتباع بني مرين وانتقل أبو بكر بن عبد الحق الى بني تازان ثم راجع نظره  
 في مسألة الموحدين والدخول في أمرهم فبعث يبيعه الى السعيد وهو يومئذ بتازان مع جماعة من وجوه  
 بني مرين فقبلها السعيد وعفا لهم عما سألهم فساءله وقد هم ان يستكفي بالامير أبي بكر في أمر تلسان  
 وصاحبها يغمراسن بن زيان وقد كتب اليه الامير أبو بكر أيضا بذلك يقول يا أمير المؤمنين ارجع الى  
 حضرتك وقوئي بالجيش وأنا كفيتك أمر يغمراسن وأفتح لك تلسان فاستشار السعيد وزاءه فقالوا  
 لا تفعل فان الزناتي أخو الزناتي لا يتخذ ولا يسلمه فكتب اليه السعيد بان يبعث اليه جماعة من قومه  
 يعسكرون معه فامده الامير أبو بكر بخمسمائة من قبائل بني مرين وعقد عليهم لابن عمه أبي عياد  
 ابن أبي يحيى بن حمامة وخرجوا تحت رايات السعيد ونهض من تازان يريد تلسان ويغمراسن بن زيان  
 السعيد لما فرغ من أمر مكاسة عسكر بظاهر فاس وهناك آتته بيعة بني مرين قال ثم ارتحل السعيد  
 عن فاس في الرابع عشر من محرم سنة ست وأربعين وثمانية وخمس القمرك تلك الليلة خسوفا كلياً وأصبح  
 السعيد غاديا يريد تلسان فلما ركب فرسه انكسر لرواه المنصوري فتطير ونزل ولم يرتحل الا في اليوم  
 السادس عشر من الشهر المذكور ولما سمع يغمراسن باقبال السعيد اليه خرج من تلسان في عشيرته وقومه  
 من سائر بني عبد الواد وتحملوا باهليهم وأولادهم الى قلعة تاهرت دكت قبلة وجدة فاعتصموا بها وقد  
 على السعيد الفقيه عبدون وزير يغمراسن مؤديا بالطاعة وساعيا في مذهب الخدمة ومتوليا من حاجات  
 الخليفة بتلسان ما يدعوه اليه ويصرفه في سبيله ومعتذرا عن تخلف يغمراسن عن الوصول الى حضرة  
 السعيد فلج السعيد في شأنه ولم يعذره وأبي الامباشرة طاعته بنفسه وساعده في ذلك كانون بن جرمون  
 السفياقي صاحب الشوري يجلسه ومن حضر من الملائر ودوا الفقيه عبدون الى يغمراسن ليستقدمه



فتناقل يغمراسن عن القدوم خشية على نفسه واعتمد السعيد الجبل في عساكره حتى أتاه في ساحة القلعة وأخذ يذبحهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع ركب يغمرا في وقت القيولة على حين غفلة من الناس ليتطوف بالقلعة ويتقربى مكامنها فصره فارس من بني عبد الواد يعرف بيوسف الشيطان كان أسفل الجبل بقصد الحراسة واتفق ان يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر كانا قرييين منه فمروا بالسعيد فانقضوا عليه من بعض الشعاب أمثال العقبان وطعنه يوسف الشيطان فكبته عن فرسه وعمد يعقوب ابن جابر الى وزيره يحيى بن عطوش فقتله ثم استلموا الوقت ثم مواليه ناصحان العلوچ وعنبرامن النخميان وقائد جنود النصارى وهو أخو القمط ووليد ايا فاعامن ولد السعيد ويقال انما كان ذلك يوم عبي السعيد العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم أمام الناس فاقتطعه بعض الشعاب المتوعدة في طريقه فتواتب عليه هؤلاء الفرسان وكان ما ذكرناه وذلك منسوخ صفر سنة ست وأربعين وستمائة وانتهى الخبر الى المحلة فارتجت وماجت وأخذ أهلها في الفرار وبادر يغمراسن الى السعيد فقتل اليه وهو صريع على الارض فحياه وفضاه وأقسم له على البراءة من دمه والسعيد رحمه الله واجم بصره بوجود نفسه الى ان فاظ وانتهب المعسكر بجملته واستولى بنو عبد الواد على ما كان به من الاخبية الحسنة والغازات الرفيعة واختص يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خالصة دون قومه واستولى على الذخيرة التي كانت فيه منها مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه بزعمون انه أحد المصاحف التي انتصفت لعهد خلافة وانه كان في خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ثم صار في ذخائر لموتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ثم صار الى خزائن الموحدين من يدلموتونة **وقال ابن خلدون** وهو لهذا العهد في خزائن بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان وذلك عند غلب السلطان أبي الحسن المريني على تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة كما ذكره اه وقد تقدم لنا الخبر عن هذا المصحف العثماني وفيه مخالفة لبعض ما هنا وسأبى لنا في دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ما يخالف ذلك كله والله أعلم بحقيقة الامر ومن الذخائر التي صارت ليغمراسن من فسطاط السعيد العدة المنتظم من خزائن الياقوت الفاخر والدر النفيس المشتمل على مئين متعددة من حصبائه وكان يسمى بالتعبان ثم صار الى بنى مرين أيضا الى ان تلف في البحر عند غرق الاسطول بالسلطان أبي الحسن بمرسى بجاية مرجعه من تونس حسبما ذكره بعد الى ذخائر من أمثاله وطرف من أشبهه مما يستخلصه الملوك لانفسهم ويعتدونه من ذخائرهم ولما سكنت الفتنة وركد عاصف تلك الهيعة نظري يغمراسن في شأن موازاة الخليفة فجزه ورفعته على أعواده فدفعه بالعباد بمقبرة الشيخ أبي مدين رضى الله عنه ثم نظر في شأن حرمه وأختيه تاغزونت الشهيرة المذكور بعد ان جاءها واعتذرا اليها بما وقع وأصبحت جميلة من مشيخة بنى عبد الواد الى ما منتهى فالحقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم فكان ليغمراسن بذلك حديث جميل في الابقاء على الحرم ورجى حقوق الملك وأما أهل محلة السعيد فأنهم بعد نهوضهم تداعوا واجتمعوا الى عبد الله بن السعيد وفضلوا قاصدين مراكش واتصل الخبر بالامير أبي بكر بن عبد الحق وهو يومئذ يبنى زناسن وقدمت عليه الحصنة التي كان وجهها مع السعيد فتحقق الخبر وانتهز الفرصة في الموحدين فاعترض عسكريهم ببجعات تازا فقتل عبد الله بن السعيد واستلمهم واستولى على ما بقي من أناتهم ثم جدد السير الى مكاسة فدخلها وملكها ولحق فل الموحدين بمراكش فبايعوا عمر المرتضى كما ذكره ان شاء الله

**الخبر عن دولة أبي حفص عمر المرتضى ابن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله**

لما توفي أبو الحسن السعيد كان عمر المرتضى واليا من قبله بقصبة رباط الفتح من سلا كما قدمنا فاجتمع الموحدون بجامع المنصور من قصبة مراكش وعقدوا البيعة وبعثوا اليه ونهض هو متوجها الى مراكش فلقبه وقدمهم أثناء طريقه بتامسنا واجتمع عليه أشياخ العرب فبايعوه أيضا واستقام أمره

وتلقب بالمرتضى وعقد يعقوب بن كاتون على بنى جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان بعد ان كان قومه قد تموه عليهم ودخل الحضرة واستوزر ابا محمد بن يونس من قرابته وقبض على حاشية السعيد ثم وصل اخوه السيد ابراهيم الذي كان وزير السعيد من قبل ناجيامن وقعة تاهتر ردت اتخذ على طريق سجلماسة فاستوزره ايضا واسند اليه امره واستولى ابو بكر بن عبد الحق امير بنى مرين بعد مهلك السعيد على رباط تازا ومكاسة ثم استولى سنة تسع وأربعين وثمانائة على قاس واعماله فاقطع عن المرتضى بلاد الغرب كلها ولم يبق له الا بلاد الحوز من سلا الى السوس ولا اول دولة المرتضى كان استيلاء العدو على اشيلية احدى قواعد الاندلس فان طاغية قشتالة وهو الاصبنيول خذله الله حاصرها سنة خمس وأربعين وثمانائة وفي يوم الاثنين الخامس من شعبان من السنة بعدها ملكها صلحا بعد منازلها حولا كاملا وخمس أشهر وانتقل كرسي المملكة الاسلامية بالاندلس الى غرناطة وذلك في دولة بنى الاجر وفي سنة تسع وأربعين وثمانائة ملك الامير ابو بكر المريني سلا ورباط الفتح ووفد على المرتضى عمرا كش موسى بن زيان الونكاسي واخوه على بن زيان من قبيل بنى مرين واغروه بقتال بنى عبد الحق فاسعفهم ولما انتهى الى امان ايلولين اشاع يعقوب بن جرمون السفياني قضية الصلح بينهما واصبح راحلا وقد استولى الجزع على قلوب الجيش فانفضوا ووقعت الهزيمة من غير قتال ووصل المرتضى الى الحضرة واغضى ليعقوب عماد منته وفي سنة خمسين وثمانائة استرجع المرتضى سلا ورباط الفتح من يد بنى مرين وفي سنة احدى وخمسين بعدها فر من حاشية المرتضى على بن يدر من بنى باداسن ولحق ببلاد السوس وتحصن ببعض جبالها ثم حاصرتا ودانت قاعدة بلاد السوس فاستولى عليها واستخدم الشيبانات وذوى حسان من عرب معقل وأطاعته قبائل جزولة واستفحل أمره واستولى على بسائط السوس فوجه اليه المرتضى عدة جيوش فهزم البعض وقتل البعض ثم جاء اودوبوس من بعد المرتضى فقبض اليه وحاصره ببعض حصونه قرب تارودانت ولما اشتد عليه الحصار رغب في الاقالة ومعاودة الطاعة فقبل ذلك منه اودوبوس واقطع عن حصاره وعاد الى الحضرة ولما استولى بنو مرين على مراکش سنة ثمان وستين وثمانائة استبد على بن يدر هذا عليهم وتلك قطر السوس واستولى على تارودانت وسائر قرافه ومعاقله وارهب حده للعرب وسامهم الهزيمة فزحفوا اليه وقتلوه في السنة المذكورة ثم توارث قطر السوس من بعده جماعة من عشيرته واستمر ملكهم عليه الى زمان السلطان ابي الحسن المريني فغلبهم عليه وانقرض أمرهم

وفي سنة اثنتين وخمسين وثمانائة خرج ابا الحسن بن يعقوب قائد المرتضى في جيش من الموحدين الى تامسنا ليكشف احوال العرب ومعه يعقوب بن جرمون السفياني وعهد اليه المرتضى بالقبض على يعقوب بن محمد بن قيطون شيخ بنى جابر فقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم وطيرهما الى الحضرة معتقلين وفي سنة ثلاث وخمسين بعدها خرج المرتضى من مراکش لاسترجاع قاس واعماله من يد بنى مرين المتغلبين عليها واحتفل في الاحتشاد وبالغ في الاستعداد فكان جيشه ثمانين الف فارس من الموحدين والعرب والاعزاز وأهل الاندلس والفرنج فسار حتى نزل جبل بنى يدر اول قبلة قاس وكانت هيبة بنى مرين وناموسهم قد تمكك من قلوب جيش المرتضى فكثروا من ذكر يروا من احوال قاس لا ينامون الا غرارا فانطلق ذات ليلة قس لبعض الجنديين وجري بين الاخبية وجري الناس خلفه لياخذوه فظن أهل المحلة ان بنى مرين قد اغاروا عليهم فركبوا خيولهم وماج بعضهم في بعض وانقلبوا منهزمين لا يلاون على شيء واتصل الخبر بابي بكر بن عبد الحق وهو بفاس فخرج للوقت واحتوى على جميع ما في محلة الموحدين من الاخبية والاثاث والسلاح والمال وصر المرتضى على وجهه فدخل مراکش في جمع قليل من الاشياخ والفرنج واقام بها وأعرض عن بنى مرين وتسل على عنهم سائر أيامه

وازدادت شوكة الموحدين ضعفا واستبدأ أبو القاسم العزفي بسبته واستتب أمره بها وتوارث الرياسة بها  
عشيرة من بعده زمانا الى ان غلبهم عليها بنو مرين **﴿** وفي سنة خمس وخمسين وستمائة **﴿** استولى أبو بكر  
ابن عبد الحق على سجلماسة وتقبض على واليها عبد الحق بن اصمك واعد اخلة خديم له يعرف بمحمد  
القطراني وشرط على الامير أبي بكر ان يكون هو والي عليها فامضى له شرطه وأنزل معه بها جماعة من  
رجال بني مرين حتى اذا هلك أبو بكر بن عبد الحق أخرجه - بمحمد القطراني واستبدأ امر سجلماسة  
وراجع دعوة المرتضى واعتمر اليه واشترط عليه الاستبداد فامضى له شرطه الا في أحكام الشريعة  
وبعث أبا عمر بن حجاج قاضيا من الحضرة وبعض السادة للنظر في القضية وقائدا من النصارى بعسكر  
للمحماية فاعمل القاضي ابن حجاج الخيلة في قتل القطراني وتولى الفتك به قائد النصارى واستبد السيد باصر  
سجلماسة بدعوة المرتضى واستفحل أمر بني مرين أثناء ذلك ونزل الامير يعقوب بن عبد الحق بسائط  
نامسنا فترح اليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن عبد الله بن واوودين فأجفلوا الى وادي  
أم الربيع واتبعهم الموحدون وألحوا عليهم فعطف عليهم بنو مرين واقتلوا بيطن الوادي فانهزمت  
عساكر الموحدين وغدر بهم بنو جابر وكان في مسيل الوادي كدى يحسر عنها الماء فقتلوا كأنها رجل  
فسميت الواقعة من أجل ذلك بأمر الرجلين وذلك في سنة ستين وستمائة وبقي المرتضى يعالج أمر علي بن  
يدر الثائر بالسوس الى سنة اثنتين وستين وستمائة فأقبل الامير يعقوب بن عبد الحق في جموع بني مرين  
حتى نزل على مراکش واتصلت الحرب بينه وبين الموحدين بظاهرها أيا ما هلك فيها عبد الله بن يعقوب  
ابن عبد الحق فبعث المرتضى الى أبيه يعقوب بالتمزية ولاطفه وضرب اناوة يبعث بها اليه في كل سنة  
فرضى يعقوب وارتحل عنها وقيل ان مقتل عبد الله بن يعقوب كان سنة ستين قبل وقعة أم الرجلين  
والله تعالى أعلم

**﴿** انتفاض أبي دبوس على المرتضى واستيلائه على مراکش ومقتل المرتضى عقب ذلك **﴿**

لما ارتحل بنو مرين عن مراکش بعد مهلك عبد الله بن يعقوب فر من الحضرة قائد حروب المرتضى وابن  
عمه وهو السيد أبو العلاء ادريس الملقب بأبي دبوس ابن السيد أبي عبد الله محمد ابن السيد أبي حفص عمر  
ابن عبد المؤمن اسعاه تمكنت فيه عند المرتضى وانه يطأ الامر لنفسه فأحس أبو دبوس بالشر ولحق  
بيعقوب بن عبد الحق فادركه عند مقدمه الى فاس فاقلا من منازلة مراکش فاقبل عليه الامير يعقوب  
وبالغ في اكرامه فطلب منه أبو دبوس الاعانة على حرب المرتضى وكان بطال محرابا وضمن له فتح مراکش  
واشترطت له المقامه فيما يغلب عليه من السلطان وما يستغيد من الذخيرة والمال فأمدته الامير يعقوب  
بخمسة آلاف من بني مرين وبالكفاية من المال وبالمستجد من آلة الحرب من طبول وبنود ونحو  
ذلك وكتب له مع ذلك الى عرب جشم وأميرهم يومئذ علي بن أبي علي الخاطي ان يكونوا معه يدا واحدة  
فسار أبو دبوس حتى وصل الى سلا فكتب منها الى العرب وأشياخ الموحدين والمصامدة الذين في طاعة  
المرتضى يدعوهم الى بيعته ويعددهم ويمنيهم فتلقته وفود العرب والمساكرة وصناجة آرمور وبعض  
الطريق فبايعوه وسار وامعه حتى نزل ببلاد هسكورة ثم كتب الى خاصته من وزراء المرتضى ان يعلموه  
بحال البلاد والدولة فراجعوه ان أسرع السير وأقبل ولا تخش شيئا فانا قد فرقنا الجندي أطراف البلاد  
وهذا وقت انتهاز الفرصة فزحف أبو دبوس الى مراکش حتى اذا انتهى الى انجمنات وجد بها الوزير أبي يزيد  
ابن يكيث في جيش من حاميتها فاجزه الحرب فانهزم ابن يكيث وقتل عامه أصحابه وسار أبو دبوس يوم  
مراكش ومعه عرب سفيان وبنو جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كانون السفيناني فلما دنوا من مراکش  
أغار علوش على باب الشريعة منها والناس في صلاة الجمعة حتى ركز رمحه بصرع الباب ودخلت سنة  
خمس وستين وستمائة والمرتضى بمراكش غافل عن شأن أبي ادريس والاسوار خالية من الحامية

والحراس فقصده أبو دبوس باب اغمات وتصور البلد من هنالك ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها  
وصعد إلى القصبه فاقتمها من باب الطبول واستولى عليها ﴿وقال ابن أبي زرع﴾ أن دخول أبي دبوس  
مراکش كان من باب الصالحة وذلك ضحى يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم سنة خمس وستين  
وسمائة والصالحة التي أضيف إليها هذا الباب هي بستان كبير من جملة بساتين أجدال دار الخلافة  
بمراکش ولا زال هذا البستان مشهوراً بهذا الاسم إلى الآن وهو من انشاء عبد المؤمن بن علي رحمه  
الله وقد ذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عذاري الاندلسي في كتاب البيان المغرب عن أخبار المغرب  
ان بستان المسرة الذي بظاهر جنان الصالحة أنشأه عبد المؤمن بن علي كبير الموحدين قال وهو بستان  
طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها فيه كل فاكهة تشتهي وجلب إليه الماء من اغمات واستنبت له عيوناً  
كثيرة ﴿قال ابن اليسع﴾ وما خرجت أنامن مراکش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة الا وهذا  
البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنة على رخص  
الفاكهة بمراکش اه ﴿قلت﴾ ولشهرة هذا البستان وموقعه من الناس لهجت به صبيانهم  
وصعبوا به فيقولون يا جردة مالحة أين بت سارحة في جنان الصالحة في اسجاع غير هذه تجرى على  
السنة الصبيان والله أعلم ﴿رجع الى خبر أبي دبوس﴾

﴿قال ابن أبي زرع﴾ لما اقتم أبو دبوس مراکش سارحتى وقف بياب البنود من القصبه فقلقت  
الابواب دونه وقام عبيد المخزن عليها يقماتونه ولما رأى المرتضى ان أبا دبوس قد التصف معه كساء دار  
الملك خرج من القصر ناجياً بنفسه من باب الفاتحة ومعه الوزير أبو زيد بن يعقوب الكومي وأبو موسى  
ابن عزوز المهنثاني فلحق به متتاتة ثم انتقل منها إلى كدميوة ثم إلى شفشواوة ثم لحق آخرها زمور  
ونزل على صهره من بني عطوش كان والياً عليها من قبله وكان ابن عطوش هذا قد أسره العدو فانتسكه  
المرتضى بحال جسم وزوجه ابنته وولاه آزمور فلما وقعت عليه الكائنة بمراکش ذهب إليه  
مستخيراً به ومطمشاً إليه فكان من جزائه له ان قبض عليه وقيده وكتب إلى أبي دبوس يعلمه فكتب  
أبو دبوس إليه يستكشفه في شأن الذخيرة فأنكر المرتضى ان يكون قد ذخر شيئاً وحلف على ذلك  
ومت إليه بالرحم حتى عاد أبو دبوس يعطف عليه ثم أغراه حاصته به فوجه إليه من قتله في الطريق  
وأتى إليه برأسه وصار ابن عطوش بقلعه هذه أظلم من الخيفقان وكان مقتل المرتضى في العشر  
الاولاخر من شهر ربيع الاخر سنة خمس وستين وسمائة وكان رحمه الله ينتمى إلى التصوف والزهد  
والورع وتسمى بثالث العمرين وكان مولعاً بالسمع لا يكاد يخلو منه ايل ولا نهاراً وكان في أيامه  
رخاء مفرط لم ير أهل مراکش مثله ﴿وقال ابن الخطيب﴾ كان المرتضى قاضاً لخير اعضياء عمه السيد  
ماتلاً إلى الهدنة رحمه الله تعالى

﴿الخبر عن دولة أبي العلاء ادريس الواثق بالله المعروف بابي دبوس﴾

لما اقتم أبو دبوس حضرة الخلافة على المرتضى وفر المرتضى عنها ملكها أبو دبوس واستتب أمره بها  
وبايعة كافة الموحدين وأهل العقد والحل من الوزراء والفقهاء والاشيخ وكان ذلك بجامع المنصور  
يوم الاحد الثالث والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وسمائة واستقل أبو دبوس بملكه بمراکش  
وأهلهما وتلقب بالواثق بالله والمعتمد على الله وبذل العطاء ونظر في الولايات ورفع المكوس عن الرعية  
ولما اتصل بالامير يعقوب بن عبد الحلق ما كان من أبي دبوس واستيلائه على الملكة كتب إليه يهنئه  
بالفتح ويطلب منه ان يكتفه من الشرط الذي شرط له فلما وصل إليه الكتاب أدوخته النخوة وغلب عليه  
الكبر وقال للرسول قل ليعقوب بن عبد الحلق يفتنم سلامته ويبعث إلى بيعته حتى أقره على ما يسده

والاغزوته بجنود لا قبل له بها فماد الرسول الى الامير يعقوب وابعثه اليه كتاب أبي دؤبوس فاذا هو يخاطبه مخاطبة الخلقاء لعمالمهم والرؤساء لخدمهم فتحقق الامير يعقوب نكته وغدره فنهض اليه في جوع بني مرين وعساكر المغرب فلما أشرف على مراكش خام أبو دؤبوس عن اللقاء وتحصن بداره ولبأ الى أسواره فتقدم الامير يعقوب حتى نزل على مراكش وحاصرها أياما وعاش في نواحيها وانتسف ما حولها ولما رأى أبو دؤبوس ما نزل به منه كتب الى قريبه يعمراسن بن زيان صاحب تلسان يطلب منه ان يشغل عنه الامير يعقوب بما وراءه من أعمال فاس والمغرب وأسنى له الهدية في ذلك وأكد العهد في الموالاتة والمناصرة فاجابه يعمراسن الى ذلك ونهض من حينه فشق الغارات على ثغور المغرب وأضرم نار الفتنة بينه واصل ذلك بالامير يعقوب وهو محاصر لمراكش فرجع عوده على يده وسار الى يعمراسن فناجزه الحرب وانتصف منه على ما ينبغي وحسم مادة فساده ثم كررا جمعا الى مراكش في شعبان سنة ست وستين وستمائة ولما عبر وادي أم الربيع شق الغارات على النواحي وبث السرايا في الجهات وطال عيته في البلاد وأبدأ في ذلك وأعاد حتى ضاقت صدور بني عبد المؤمن بمراكش وتكدر عيشتهم فغرضهم أو اياؤهم من عرب جشم وأغروهم باستنهاض أبي دؤبوس لمدافعة عدوه ووعدهم النصر من أنفسهم فحرك أبو دؤبوس لذلك واتسرت نفسه الى القتال فشد وأبلغ وبرز من الحضرة في جيوش ضخمة وجوع وافرة ولما علم الامير يعقوب بخروجه ودتوه منه أظهر من نفسه الهزيمة لقاته وكررا جمعا الى جهة بلاده يستجره بذلك ليعبده عن الحضرة ومددها وتمادى أبو دؤبوس في اتباعه حتى انتهى الى وادي ودغفوا فكرر عليه الامير يعقوب والتحم القتال وقامت الحرب على ساق فلم تمض الا ساعة حتى انهزم الموحدون وأطلق أبو دؤبوس عنانه للفرار يريد مراكش فأدركته خيل بني مرين وتناواته وما حهم ونحو صربا ليدن والغم واحترأسه ووجى به الى الامير يعقوب فسجد شكرا لله تعالى ثم بعث به الى فاس وتمهدهم هو الى مراكش فاستولى عليها في أوائل محرم سنة ثمان وستين وستمائة وفر الموحدون الذين كانوا بمراكش الى جبل تيملل فبايعوا اسحق بن أبي ابراهيم أخا المرتضى فبقى ذبالة هنالك الى سنة أربع وسبعين وستمائة فقبض عليه ووجى به الى السلطان يعقوب بن عبد الحق هو وابن عمه السيد أبو سعيد بن أبي الربيع ووزيره القبائلي وأولاده فقطعوا جميعا وانقرضت دولة بني عبد المؤمن من الارض وذهبت محاسن مراكش يومئذ بذهاب دولتهم والبقاء لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه ويؤلفه ما كان في هذه المدة من الاحداث يوفق في سنة احدى وستمائة توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي دفين مراكش وذلك يوم الاثنين الثالث من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ودفن خارج باب تاغزوت وكان شيخه أبو عبد الله العناني من أصحاب القاضي أبي الفضل عياض وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه جميل الصورة أبيض اللون حسن الثياب فصيح اللسان قادر على الكلام لا يناظره أحد الا أخوه حتى كان مواقع الحج من الكتاب والسنة موضوعة على طرف لسانه وكان مع ذلك حلما صبور اعطوفا يحسن الى من يؤذيه ويعلم عن نفسه عليه بر ابالية والمساكين وحيما هم يجلس حيث أمكنه الجلوس من الاسواق والطرفات ويحض الناس على الصدقة ويأتي بما جاء في فضلها من الآيات والآثار فتثال عليه من كل جانب فيفرقها على المساكين وينصرف وكان له مع الله تعالى في التوكل عليه عقدا كيدا ومقام جيد قد ظهر أثره على روضته المباركة بعد وفاته (حدث) أبو القاسم عبد الرحمن بن ابراهيم الخزرجي قال بعثني أبو الوليد ابن رشد من قرطبة وقال لي اذا رأيت أبا العباس السبتي بمراكش فانظر مذهبه وأعلمني به قال جلست مع السبتي كثيرا الى ان حصلت مذهبه فاعلمته بذلك فقال لي أبو الوليد هذا رجل مذهبه ان الوجود ينفع بالجوهر وقال الوزير ابن الخطيب كان سيدي أبو العباس السبتي رضي الله عنه مقصودا في حياته

مستغاثا به في الازمات وحاله من اعظم الآيات الخارقة للعادة ومبني أمره على انفعال العالم عن الجود  
 وكونه حكمة في تأثر الوجود له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربيته  
 وانصبت على مكانه عادة حياته ووقع الاجماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى الناس مباشرة قبره  
 بالصدقة الى بعثاله من أما كتبهم على بعد المدى وانقطاع الاماكن القصي تحماتهم أجنحة نياتهم  
 فنهوى اليه بمقاصدهم من كل فج عميق فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة ويوفي سنة عشر  
 وستمائة كان الوفاء العظيم بالمغرب والاندلس ويوفي سنة ست عشرة وستمائة توفي الشيخ الفقيه  
 الصالح أبو اسحق ابراهيم بن محمد السلي البلقيني ينتهي نسبه الى العباس بن مرداس السلي صاحب  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو اسحق رحمه الله من كبار العلماء العاملين والرهاد المحققين مثابرا  
 على الاجتهاد والاقطاع الى الله تعالى وطهرت عليه بيده المرية من عدوة الاندلس كرامات واجتمع  
 عليه خلق كثير وشاع ذكره هناك فوشوا به الى الخليفة صاحب مراکش وهو يوسف المنتصر  
 الموحدى فكتب الى عامله على المرية بأمره بتوجيه الشيخ أبي اسحق مكرما غير مرقع ولما عزم العامل  
 على توجيهه قام العامة والاتباع دون الشيخ وأرادوا أن يحولوا بينه وبين العامل فقال لهم الشيخ طاعة  
 السلطان واجبة ولما انتهى الى مراکش ودخل على المنتصر هابه وأجله وندم على ما كان منه اليه ثم بالغ  
 في اكرامه وبعد ذلك مرض الشيخ أبو اسحق وتوفي في السنة المذكورة واحتفل الناس بجنائزه وحضرها  
 الامراء والكبراء وكبر العامة نعشه واقدموا أعواده تبركابه وقبره مشهورا وعرا كش بسوق الدقيق  
 منها وبقرب ضريحه مسجد جامع ينسب اليه والعامة تقول جامع سيدي اسحق بدون لفظ الكنية  
 وليس كذلك ويوفي سنة سبع عشرة وستمائة كان الجراد والقحط والغلاء الشديد بالمغرب وفيها ألف  
 الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المرآكشي الدار عرف بابن الزيات كتابه المسمى بالتشوق الى  
 رجال التصوف وذكر فيه انه لم يتعرض لذكر أحد من أولياء زمانه الاحياء غير انه ذكر ان من جملة  
 أولياء زمانه الدين كاوافي قبل الحياة الشيخ الصالح الصوفي أبو محمد صالح بن ينضار بن عفيان الدكالي ثم  
 الماجري زيل رباط آسفي قال وهو الآن لا يفتر من الاجتهاد والمحافظة على المواصلة والاوراد ومن  
 كلامه الفقير ادس له نهاية الاموت قال وحدثني عنه تلامذته بجائبات من الكرامات والكلام على  
 الخواطر وهو على سنن المشايخ الاول رضى الله عنه ويوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة توفي الشيخ  
 أبو محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وقيل فيما بعد ذلك الى سنة خمس وعشرين وتوفي رضى الله  
 عنه شهيدا بجبل العلم من جبال عمارة وقبره هناك مشهور من أعظم منارات المغرب وكان سبب  
 شهادته ان محمد بن أبي الطواجين الكناشي كان قد تآمر بنك البلاد وانتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة  
 حيا سلف وتبعه على ضلاله طغيان غمارة والبرق فكان عدو الله ينعص بكان الشيخ رضى الله عنه  
 لما آتاه الله من شرف التقوى والاستقامة المؤيد بشرف النسب الصميم والعنصر الكريم فسؤله  
 الشيطان انه لا يتم أمر مخرفته في تلك الناحية الا بقتل الشيخ فدرس له جماعة من أتباعه وأشياعه فرصدوا  
 الشيخ حتى نزل من خيلته في مصر من الانصار الى عين هنالك قرب الجبل المذكور فنواضأ منها وولى  
 راجعا الى محمل عبادته وارتقاب فخره فعده واعليه وقتلوه ومن الشائع انه ألقى عليهم ضباب كثيف  
 أضلهم عن الطريق ودفنوا الى شواهيق تردوا منها في مهاوى صيقة تمزقت فيها أشلائهم ولم يرجع منهم  
 مخبر والشيخ عبد السلام هذا هو ابن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بتشديد اللام  
 ابن مزوار بفتح الميم وبالراء المهملة أخيرا ابن جبدرة واسمه علي بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله  
 ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ويوفي هذه السنة أيضا استأسد  
 العدو الكافر على المسلمين بالاندلس وتوات له عليهم المهزائم بمواضع متعددة واستولى على كثير

الحصون واستلم منهم عدة ألوف حتى خلت المساجد والأسواق ﴿وفي سنة أربع وعشرين  
 وستمائة﴾ اشتد الغلاء بالمغرب والاندلس حتى بيع القفير من القمح بخمسة عشر دينارا وعم الجرا،  
 بلاد المغرب ﴿وفي سنة ست وعشرين وستمائة﴾ كان السيل العظيم بفاس هدم من  
 سورها لقبلى نحو مسافتين وهدم من جامع الاندلس ثلاثة بلاطات وهدم دورا  
 كثيرة وقنادق متعددة من عدوة الاندلس ﴿وفي سنة ثلاثين وستمائة﴾ كان  
 الغلاء ببلاد المغرب وكثير من الجوع والوباء حتى بلغ القفير من القمح ثمانين  
 دينارا وخت الامصار من أهلها ﴿وفي سنة خمس وثلاثين  
 وستمائة﴾ عاود الغلاء والوباء أرض المغرب فأكل الناس  
 بعضهم بعضا وكان يدفن في الحمير الواحد المائة من  
 الناس ﴿وفي سنة ست وأربعين وستمائة﴾  
 وقع الحريق بأسواق فاس فأحترقت  
 حارة باب السلسلة بأسرها الى  
 حمام الرحبة وبالله  
 تعالى العصمة  
 والتوفيق  
 تم

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى اوله ابتداء دولة بنى مرين﴾